

المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

الحكومة العربية في دمشق

١٩١٨ - ١٩٢٠

تأليف:
د. خيرية قاسمية

الحكومة العربية فى دمشق

بين ١٩١٨ - ١٩٢٠

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

بناية برج الكارلتون - ساقية الجنزير - ت ٨٠٧٩٠٠/١
برقياً - موكيالي بيروت - ص.ب ١١/٥٤٦٠ بيروت

الطبعة الثانية

الحكومة العربية في دمشق

بين ١٩١٨ - ١٩٢٠

تأليف

د. خيرية قاسمية

المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

الفهرس

رقم الصفحة

الفصل الأول :

الأوضاع العامة فى الشرق العربى قبل تأسيس الحكومة العربية فى دمشق

رقم الصفحة

الفصل الثانى :

الفصل الثالث :

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة

مقدمة

إن غرض هذا البحث هو دراسة فترة قصيرة من تاريخ سورية الحديث يبدأ بتحرير دمشق من الحكم العثمانى فى ٣٠ سبتمبر (أيلول) ١٩١٨ وينتهى بالاحتلال الفرنسى للمدينة نفسها فى ٢٤ يوليو (تموز) ١٩٢٠ .

وقد أقيمت خلال هذه الفترة حكومة عربية كانت الأولى من نوعها فى العالم العربى الأسيوى منذ أن دخلت جيوش سليم الأول هذه البلاد فى مطلع القرن السادس عشر .

واعتبر الكثيرون هذه الحكومة رمزاً متجسداً لليقظة القومية الحديثة ، وذروة للعمل العسكرى الذى بدأه المناضلون منذ سنوات ، وتحقيقاً لمبدأى الوحدة والاستقلال اللذين رفعتهما الثورة العربية ، بل ومقدمة لتحرير البلاد العربية كلها .

ورغم أن مصير هذه الحكومة كان شبه محتم نظراً للظروف الخارجية الصعبة التى كانت تواجهها ، ورغم نقص الإمكانيات والخبرة وقصر المدة التى عاشتها ، فقد جاهد القائمون على الحكم لإثبات جدارتهم بإنشاء حكومة عربية مستقلة لها صفة الدولة الحديثة ، فأوجدوا تنظيمات وقوانين اعترفت فرنسا بصحتها فيما بعد ، وانتخبوا مجلساً نيابياً (المؤتمر السورى). ووضعوا دستوراً (القانون الأساسى) ، كما سعوا إلى حل المشاكل الاقتصادية والتعليمية والصحية والإدارية التى اعترضتهم . وكان الجميع يعمل بإخلاص ليضفى على الحكومة صفة العروبة بعد قرون طويلة من الحكم العثمانى . وجرى العمل بسرعة فى وجه معارضة قوية ؛ ولكن نقص الإمكانيات كان يحول أحياناً دون الإتقان ، إلى جانب أن الظروف الخارجية الصعبة — والتى قضت فى النهاية على هذا الحكم — كانت تحول دون التفرغ الكامل للإصلاحات الداخلية .

وسنجد خلال هذه الدراسة أن جزءاً كبيراً من التطورات الداخلية كان صدى للأحداث الدولية التى كانت تجرى وقائعها بعيداً عن المسرح العربى فى الجلسات

السرية والعلنية لمؤتمر السلم ، والتي كانت قضية الشرق العربي جزءاً يسيراً من القضايا التي عرضت عليه . وقد توضحت خلال هذه الجلسات مساوئ السياسة المتناقضة التي اتبعتها الدولة الحليفة في أثناء الحرب ، كما امتلأت بالمناورات واختلاف وجهات النظر ولعبت فيها عوامل خفية قررت مصير أجزاء كثيرة من العالم العربي خلال السنوات المقبلة .

وقد حاولت في هذا البحث أن أعطي مظهراً شاملا للحياة السورية خلال هذا العهد بجوانبها الداخلية من نشاط سياسي وتنظيمات إدارية ومنجزات ثقافية واقتصادية ، وعلاقاتها الخارجية سواء بالمناطق المجاورة أو بالسياسة الدولية وأثر ذلك كله على التطورات الداخلية .

وقد تعذر علي الحصول على وثائق عربية سياسية ، ويعزو المعاصرون لهذا العهد انعدام الوثائق إلى أن السلطات الفرنسية بعد الانتداب قد أتلفت بعضها ونقلت الآخر إلى فرنسا لضمه إلى سجلاتها الرسمية .

إلا أني عثرت في بعض الدوائر الحكومية في دمشق كوزارة العدلية ، ودائرة النفوس، وجامعة دمشق والمجمع العلمي والمتحف الوطني والمتحف الحربي ودار الوثائق التاريخية على بعض الأوراق المتناثرة والسجلات القديمة ذات الطابع الإداري الثقافي التي تبين الجهود الصادقة التي كانت تبذل لتنظيم أمور هذه الحكومة في الفترة الانتقالية بين العهد العثماني والعهد العربي .

وأعانتني الصحف التي كانت تصدر في هذا العهد والمعاصرة لها في الخارج على إضافة معلومات متنوعة على بعض الأحداث الجارية .

كما استعنت بمعلومات شفهية من عدد من الأشخاص الذين عاصروا الأحداث وبعضهم قد لعب دوراً قيادياً فيها . ورغم ضعف هذه المصادر الشفهية لاعتمادها على الذاكرة بعد مرور خمسين عاماً على حدوثها ، ولأن بعضها قد تأثر بانطباعات شخصية ، إلا أنها قد أضفت الحياة على هذه الفترة التي عاشوها وراقبوها وكشفوا بعض الجوانب الخفية فيها ، كما أن بعضهم لا يزال يحتفظ بأوراقه الشخصية .

وأخص بالذكر السيد عوني عبد الهادي الذي أمدني بمعلومات قيمة وممتعة تتعلق بالظروف الدولية التي عاشها في أثناء وجوده في مؤتمر السلم كعضو في الوفد

الحجازى . وقد أتاح لى الاطلاع على أوراقه الشخصية التى تضم مسودات رسائل ومذكرات بخط فيصل نفسه ، وأوراق عديدة خاصة بالوفد الحجازى فى باريس.

وأطلعنى السيد محب الدين الخطيب على مجموعة ضخمة من أوراقه الشخصية التى تتناول جانباً كبيراً من حركة العرب القومية منذ مطلع القرن العشرين وبخاصة نشاط بعض الأحزاب السياسية التى ساهم فى أعمالها : كالفتاة واللجنة الوطنية العليا ، كما اطلعت على كل الأوراق والوثائق التى تتعلق بجريدة العاصمة (بصفته رئيس تحريرها) .

ووجدت بين أوراق المرحوم نسيب البكرى معلومات كثيرة تتعلق بالثورة العربية الكبرى التى مهدت للعهد العربى فى دمشق .

وأخذت معلومات شفهية أخرى فى مقابلات مع إحسان الجابرى (وكان رئيس بلدية حلب ثم كبير الأمناء) وعزة دروزه (وكان أحد أقطاب الفتاة) وحسن الحكيم (وكان مدير البرق والبريد) ومحمد الشريقى (وكان أحد كبار الزعماء الوطنيين وبخاصة فى أوساط المؤتمر السورى) ، ويوسف الحكيم (وكان وزير التجارة والصناعة والأشغال) ، وعبد الله عطفه وجميل البرهانى (وكانا من ضباط ذلك العصر) ، وأكرم رضا الركابى (وقد أمدنى بمعلومات قيمة كان قد سمعها عن والده) .

ولا يسعنى إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذى الكريم المشرف على هذه الرسالة الدكتور محمد أنيس الذى كان لرعايته وإرشاده وما بذل من وقته وعلمه أكبر حافز لى على مواصلة العمل فى هذا البحث .

فله منى باسم العلم والتاريخ كل شكر وتقدير . .

خيرية قاسمية

الفصل الأول
الأوضاع العامة في الشرق العربي قبل تأسيس الحكومة العربية في دمشق

١ ـ تطور للوعى القومى منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى الحرب العالمية الأولى

(١) اليقظة القومية الحديثة :

كان تأسيس الحكومة العربية فى دمشق أول تحقيق عملى لليقظة القومية الحديثة التى بدأت منذ نهاية القرن التاسع عشر بعد قرون طويلة من الحكم التركى .

ورغم أن الرابطة الإسلامية كانت القاسم المشترك بين العرب والترك منذ مطلع القرن السادس عشر لكون غالبية العرب من المسلمين ، احتفظ العرب بحس غامض بفروق العرق واللغة والثقافة ، وتحول هذا الحس إلى ما يمكن تسميته بالوعى القومى نتيجة عوامل متعددة : أهمها ازدياد الثقافة الفكرية وتغلغل التأثيرات الغربية .

فقد بدأت منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر فى الشرق العربى نهضة ثقافية بعد فترة طويلة من الركود الفكرى تجلت فى ازدياد نشاط البعثات التبشيرية وإنشاء المدارس الحديثة الأهلية والأجنبية ، وانتشار الطباعة والصحافة وكثرة الجمعيات الأدبية والعلمية ، وساهم آل البستانى واليازجى وغيرهم من الأدباء فى حركة إحياء التراث العربى وكانت دعوتهم موجهة إلى العرب على اختلاف عقيدتهم فى زمن كان التعصب الدينى لا يزال عنيفاً[١] .

كما توجهت بعثات علمية إلى الغرب شكل أفرادها مع خريجى المدارس الأجنبية نواة الطبقة المثقفة التى اطلعت على حضارة الغرب ، وتسربت عن طريقها

---

(١) حول تفاصيل اليقظة الحديثة : انظر أنطونيوس (جورج) يقظة العرب ، ترجمة ناصر الدين الأسد ، إحسان عباس . بيروت ١٩٦٦ و Zeine, N.Z., Arab-Turkish Relations and the emergence of Arab Nationalism, Beirut 1958.

أفكار جديدة إلى الفكر العربى تدعو إلى الإصلاح الاجتماعى والدينى ، وحتى إلى التحرر السياسى ، كما بدأ العلم الحديث يدخل الشرق العربى فى المدارس والجامعات والصحف والدوريات .

وانتقلت هذه النهضة العربية من حيزها الأدبى إلى حيزها السياسى على شكل جمعيات وأحزاب سياسية سرية بين الأوساط المثقفة فى سورية ولبنان ، من أولها الجمعية العلمية السورية فى بيروت (عام ١٨٥٧) ومنها انطلق أول صوت لحركة العرب القومية .

وكانت جمعية بيروت السرية عام ١٨٧٥ أول جهد منظم فى الحركة السياسية العربية بدأت بلصق المنشورات التى تندد بمساوئ الحكم التركى وتدعو إلى الثورة ، ووضعت أول بيان محدد عن برنامج العرب السياسى وقد توقف نشاطها بسبب الرقابة الحميدية [١] .

كما ظهرت فى دمشق نهضة مماثلة فى حلقة الشيخ طاهر الجزائرى عام ١٨٧٨ الثقافية الأدبية ، التى تكونت إلى جانبها حلقة سياسية سرية سميت بحلقة دمشق الصغيرة ، انتقل كثير من أعضائها إلى أستانبول حيث كونوا جمعية النهضة العربية ١٩٠٦ التى كان لها أكبر تأثير فى بث الشعور القومى ، وقد توقفت عن العمل قبل إعلان الدستور [٢] .

وظهرت أعمال أدبية متفرقة كان لبعضها تأثير كبير فى اليقظة القومية من أهمها ما كتبه الكواكبى ، ولعله الوحيد الذى دعا إلى إعادة التوازن بين دور العرب ودور الترك ، إذ حاول فى (أم القرى) أن يحدد دور العرب فى زعامة الإسلام فألقى

---

(١) أنطونيوس ص ١٤٩ وما بعدها ، وقد استق المؤلف تفاصيل عن الجمعية من فارس نمر أحد مؤسسيها الذى لجأ إلى مصر حيث أسس جريدة المقطم .

(٢) مجلة الفتح عدد ٧٩٢ عام ١٦ ، ١٣٦١ هـ (١٩٤٥ م) . ص ٨ .

تأسست الجمعية فى الأستانة فى ديسمبر ١٩٠٦ برئاسة محب الدين الخطيب وسكرتارية عارف الشهابى وكانت غايتها الظاهرية نشر اللغة العربية وغايتها السرية إنقاذ بلاد العرب من أيدى الترك . وأسس لها فرع فى دمشق باسم جمعية النهضة السورية مالبث أن اضمحل . أما المركز فى الأستانة فهو الذى تحول فيما بعد إلى المنتدى الأدبى ، وبين مجموعة أوراق محب الخطيب كراس يحوى قانون جمعية النهضة السورية ، وعدد كبير من المراسلات بين أعضاء الجمعية فى أستانبول ودمشق .

الشك بذلك على حق الترك فى الخلافة [١] .

وقام نجيب عازوري اللبنانى الذى عاش فى فرنسا ، بنشاط قومى فى الخارج فى كتاباته التى تدعو إلى تحرير الشام من الترك والتحريض على الثورة ورفع شعار : أرض العرب للعرب [٢] .

ورغم هذه البداية المبشرة لحركة العرب القومية فقد توقفت عن القيام بأعمال ظاهرة بسبب السياسة التى اتبعها السلطان عبد الحميد فى البلاد العربية : الرقابة والإرهاب والتقريب وسياسة الجامعة الإسلامية .

(ب) سياسة الاتحاديين وأثرها على الحركة العربية :

بدأ تعاون أغلبية العاملين فى حقل السياسة من العرب مع المعارضين للعهد الحميدى من الأتراك أنفسهم ، وكان لكليهما هدف مباشر هو التخلص من ديكتاتورية عبد الحميد ، إذ لم يكن للحركة العربية فى مراحلها الأولى طابع خاص يفصلها عن حركة إصلاحية ضمن الإمبراطورية العثمانية تسعى إلى الحكم الذاتى أكثر من الاستقلال التام ، وذلك حرصاً على الزابطة الإسلامية العثمانية من جهة وخوفاً من الأطماع الغربية التى بدأت تنفذ إلى أجزاء كثيرة من الوطن العربى [٣] .

وتحركت جمعية تركيا الفتاة للعمل على تجديد الإمبراطورية بإقامة حكومة دستورية ووضع حد لتدخل القوى الأوربية . ولعب العرب دوراً فعالا فى ثورة ١٩٠٨ ، وأنضم كثير منهم وخاصة الضباط إلى جمعية تركيا الفتاة ولجنتها التنفيذية (الاتحاد والترقى) ولكن بوصفهم مواطنين عثمانيين .

---

(١) يذكر الشهابى فى كتابه «القومية العربية» تاريخها وقوامها ومراميها القاهرة ١٩٥٩ ص٥٧ أن لديه أدلة على أن شباب حلقة دمشق وجمعية النهضة العربية قبل ١٩٠٨ كانوا يطالعون كتبه فى دمشق وأستانبول ويتناقلونها بالسر .

(٢) أصدر عازروى عام ١٩٠٥ كتاباً باللغة الفرنسية بعنوان يقظة الأمة العربية :

Réveil de la Nation Arabe

كما أصدر بالفرنسية مجلة باسم الاستقلال العربى — Independénce Arabe

وأسس فى باريس جمعية رابطة الوطن العربى :

Ligue de la Patrie Arabe London 1946 p. 239,

Hourani' A., Syria and Lebanon,

وأمل الكثيرون من العهد الجديد ، وشارك العرب الترك أفراحهم ، وتكونت جمعيات ونواد علنية تعبر عن الصداقة العربية التركية وتقبل باستمرار السيادة العثمانية فى نظام إدارى لا مركزى ، فطالبت (جمعية الإخاء العربى العثمانى) فى استانبول بالحقوق المتساوية للجميع وأيدت فى برنامجها السياسى جمعية الاتحاد والترقى ، وضم المنتدى الأدبى فى استانبول الطلاب العرب فى المدارس العليا مع الموظفين والنواب فى جمعية أدبية علنية كانت مركزاً لتبادل الآراء[١] .

كما بدأت كتلة النواب العرب فى مجلس المبعوثان تطالب بحقوق العرب فى الإمبراطورية وملاحقة المسئولين بشأنها .

إلا أن فترة التعاون والتفاهم لم تدم طويلا بين العرب والاتحاديين برغم ما بذله العرب من جهود لإظهار إخلاصهم للعهد الجديد . وبدأت بوادر الخلاف لعدة أسباب[٢] : فنى محاولة الاتحاديين لبناء دولة حديثة اتجهوا نحو تطبيق مركزية شديدة ، واعتنقوا مبدأ العقيدة العثمانية لجمع عناصر السكان فى الإمبراطورية وبالتالى صهرهم فى بوتقة الطورانية ، وكانت هذه المحاولة فاشلة نظراً لأن التطورات المحلية فى البلاد كانت تسير فى طريق مناقض لا يأتلف مع هذه السياسة الجديدة ، كما تبدو إثارة المشاعر القومية لعبة خطرة فى إمبراطورية متعددة العناصر والقوميات[٣] .

واستغل الاتحاديون السلطة لمصلحة العرق التركى باحتكار الوظائف ونقل الضباط والتحكم فى الانتخابات وتشجيع الصحافة التى تمجد النعرة الطورانية وكان لهم تعنتهم القومى الخاص الذى خدم الشعور القومى العربى بطريق غير مباشر .

---

(١) أنطونيوس ، ص ١٨٥ .

(٢) روى عونى عبد الهادى فى مقابلة خاصة (مايو ١٩٦٨) أن الحس القومى قد استيقظ فى نفوس العرب كرد فعل للمظاهرات التى قام بها الترك احتفالا بانقلاب ١٩٠٨ ، إذ كانوا يشتمون عزة العابد والصيادى (مستشارى عبد الحميد) ليس بصفة شخصية ، بل يشتمون الأمة العربية التى ينتميان إليها .

وذكر محب الخطيب فى مقابلة شخصية فى أبريل ١٩٦٨ أن عارف الشهابى أرسل له رسالة من استانبول إثر إعلان الدستور قال فيها : « إن إعلان الدستور ضربة قاضية على قوميتنا لأن الذين يكرهون الحكم الاستبدادى المطلق كانوا يستجيبون لدعوتنا فلما أعلن الدستور أخذوا يكتفون به ، وسيكون مشوارهم معنا قصيراً » .

(٣) Zeine, Arab-Turkish Relations, op. cit., p. 93.

(ج) الجمعيات والأحزاب السياسية بعد ١٩٠٨ :

فقد بدأ العرب بالتفكير فى مستقبل بلادهم كرد فعل لهذا التحدى التركى وبدأت حركة التململ والتذمر تتخذ طابعاً عربياً أكثر تحديداً[١] ، فتشكلت جمعيات وأحزاب عربية من قبل الشباب المثقف للدفاع عن القضية العربية وحماية حقوق العرب ، ووضعت مناهج محددة واضحة دلت على قوة وجدية الحركة القومية ، واتخذ بعضها تنظيماً سرياً ؛ فى حين عملت الأخرى فى برامج مفتوحة معتدلة ، وأشهر الجمعيات السرية هى :

الجمعية القحطانية (١٩٠٩) : التى تأسست فى استانبول وكانت أول محاولة لضم ضباط عرب (على رأسهم عزيز على المصرى) إلى الحركة القومية وهدفها أن تؤلف الولايات العربية مملكة واحدة تصبح جزءاً من إمبراطورية تركية عربية وتوقف نشاطها خوفاً من كشف أمرها ، وتحولت فيما بعد إلى : جمعية العهد (١٩١٣) : وكان لها نفس برنامج القحطانية فى البدء ولا تضم إلا العسكريين ؛ وكان للعنصر العراقى قوته فى مجالس العهد وأنشأت لها فروعاً فى البلاد العربية ، وأصبحت بالنسبة للضباط كالفتاة بالنسبة للمدنيين . وربما قد تسرب إلى الاتحاديين فكرة عن تأسيس هذه الجمعية فاعتقل عزيز المصرى بعد أن وجهت له تهم أخرى ، وقد تدخلت السلطات البريطانية للعفو عنه[٢] .

جمعية « العربية الفتاة » : وقد أسسها بعض الشبان العرب الذين كانوا يواصلون دراستهم فى باريس ولا يعرف بالضبط تاريخ تأسيسها[٣] . وغايتها هو

---

(١) يذكر أحمد حلمى العلاف فى مخطوطه «دمشق فى مطلع القرن العشرين» ص ٩٢ أن الاجتماعات السرية السياسية بدأت تعقد فى دمشق منذ ١٩٠٨ ، وكانت المنشورات تطبع وتوزع فى الأحياء فى الخفاء وبعض ما كان ينشر ما معناه «يا أبناء العرب إن جاويد سيصل إلى بلادكم فيمكنكم أن تستقبلوه بالديناميت والرصاص والدم » .

(٢) انظر أنطونيوس ، ص ١٩٧ – ١٩٨ حول تفاصيل اعتقال عزيز على المصرى .

(٣) اطلعت بين مجموعة أوراق محب الخطيب على كراس يتضمن منهج العربية الفتاة ويشير إلى أنها قد تأسست فى الرابع عشر من شهر نوفبر (تشرين ثانى) ١٩٠٩ « من قبل فريق من النابتة العربية للقيام بما تفرضه عليهم الوطنية ليتعزز بهم مركزها الاجتماعى والاقتصادى والسياسى حسب ما تتطلبه طبيعة الوجود » . وكذلك على منشور سياسى للجمعية بعنوان الصرخة الأولى يطالب بالإصلاح والاستقلال الإدارى عليه ختم للجمعية وتاريخه ١٩٠٩ .

« النهوض بالأمة العربية إلى مصاف الأمم الحية » . وكانت أكثر الجمعيات أثراً وتنظيماً . وينقسم أعضاؤها إلى ثلاث درجات : السواد الأعظم ومجلس الشورى واللجنة العليا ، وقد كانت على اتصال بالقوميين العرب فى المناطق العربية الأخرى وفى المهجر ، وكانوا ينفذون ما يقرره مركز الجمعية[١] . وقد نقل مركزها فى سنه ١٩١٣ إلى بيروت ثم فى السنة التالية إلى دمشق حيث زاد عدد أعضاؤها[٢] . وهى التى دعت إلى عقد المؤتمر العربى العام فى باريس ١٩١٣ ، وانخرط بها خلال الحرب وبعدها كل المشتغلين بالسياسة وظل سر قيامها مكتوماً حتى إعلان الحكومة العربية فى دمشق .

وكانت تعاصر هذه التنظيمات السريه تنظيمات أخرى تعمل فى برامج مفتوحة ومعتدلة :

حزب اللامركزية الإدارية العثمانية فى القاهرة ١٩١٢ : وأهدافه الدعوة إلى تطبيق اللامركزية الإدارية فى الولايات العثمانية لحمايتها من الضغط الخارجى والمنازعات الداخلية ، وأنشأ له فروعاً فى كل مدينة فى سورية تقريباً كما كانت له اتصالات مع الجمعيات الأخرى فى الشام والعراق ، وأصبحت لجنة الحزب

= كما اطلعت على رسالة من عارف الشهابى فى ١٨ مارس (آذار) ١٩١٤ إلى محب الخطيب يعلمه بقرار الجمعية أن يكون شعارها الألوان الثلاثة التى تمثل الدول العربية الثلاث «أخضر وأبيض وأسود» مع تكليف محب الخطيب بعمل ختم للجمعية بحرفى ع ف وصورة نخلة ، ويلفت نظره إلى ضرورة وضع تاريخ للختم ١٩٠٩ م، وقد اقترح محمد المحمصانى فى رسالة أخرى فى ٢٥ نيسان (أبريل) ١٩١٤ ، بأن يجمع الختم النخلة والصقر .

ولكن عونى عبد الهادى وهو أحد مؤسسى الجمعية قد أكد فى مقابلة خاصة أن فكرة الجمعية لم تتحقق إلا فى باريس ١٩١١ .

(١) بين مجموعة أوراق محب الخطيب مجموعة كبيرة من الرسائل التى كانت ترد عليه فى القاهرة من مؤسسى الجمعية بتعليمات خاصة (وكان مركز الجمعية فى باريس قد قبله عضوا تحت رقم ٢٨)

منها رسالة بتاريخ ١٤ كانون؟ سنة١٩١٢ من عبد الغنى العريسى فى باريس يعلمه بإرسال منشورات قد قررها المركز فى باريس لإرسال نسخ منها إلى المملكة العثمانية عن طريق البريد الفرنسى للحث على الإصلاح . ورسالة أخرى من العريس فى ٨ حزيران (يونيو) ١٩١٢ لوضع شفرة للجمعية للكتابة بها فى الولايات العثمانية (بزغ فجر وطنك مت لعضد شخص ، أخى ثقة ظد) .

(٢) يقدر الشهابى عددهم بستين عضوا فى كتابه (القومية العربية ص ٧٣) بينما يقدرهم أنطونيوس بمائتين فى كتابه يقظة العرب ص ١٨٨ .

أفضل من يمثل أهداف العرب وأمانيهم من حيث دقة التنظيم وقوة التأثير [١] .

جمعية الإصلاح فى بيروت (١٩١٣) : وقد وضعت برنامجاً من ١٤ مادة كى تنال بها الولايات العربية الحكم الذاتى متعاونة فى ذلك مع العربية الفتاة واللامركزية فى القاهرة ، وقام الاتحاديون بحل الجمعية فى نيسان (أبريل) ١٩١٣ واعتقال زعمائها [٢] .

وعقد فى باريس فى ١٨ يونيو (حزيران) المؤتمر العربى العام [٣] ، الذى أعطى دعماً كبيراً لكل الجمعيات السياسية فى الوطن الأم من أجل نشر القضية العربية فى الخارج والمناقشة فى حقوق العرب ضمن الإمبراطورية العثمانية وضرورة الإصلاح على أساس اللامركزية . وقد حضر المؤتمر ٢٥ عضواً معتمداً و ٢٠٠ مستمع ، وكان ممثلو البلاد العربية باستثناء الشام قليلين ، ونصف الحاضرين من المسيحيين ، وكانت قراراته تأكيداً لمبادئ حزب اللامركزية وجمعية الإصلاح البيروتية ، بعدم التخلى عن السلطة العثمانية بل تقويتها بتقوية مركز العنصر العربى فيها ، وإدخال إصلاحات ضرورية لحمايتها من الأخطار التى تهدد الإمبراطورية [٤] .

ورغم أن موقف الاتحاديين كان عدائياً فى البدء إلا أنهم اضطروا إلى إرسال سكرتير حزبهم إلى باريس واتفقوا على بعض مبادئ تكون أساساً لمفاوضات تالية ، وصدرت المصادقة على شروط اتفاقية باريس فى ٨ أغسطس (آب) ١٩١٣ بعد اختزال كثير من موادها ، وبرغم أن طريقة الاتفاق لم ترق للمتطرفين من من شبان العرب ، إلا أنهم انتظروا إخراج الاتفاقية العربية التركية إلى حيز الوجود دون طائل .

وتبين فيما بعد أن خطة الاتحاديين كانت المراوغة وإهمال القضية ، ولم تقم بعد ذلك أى محاولة للاتفاق بين الطرفين .

---

(١) بين مجموعة أوراق محب الخطيب معظم المراسلات والتنظيمات المتعلقة با للامركزية .

(٢) أنطونيوس ١٩١ .

(٣) تضم مجموعة محب الخطيب «بوصفه سكرتيراً للمؤتمر» كل الرسائل والمقترحات التى أرسلت للمؤتمر العربى من أنحاء مختلفة من الولايات العربية والمهجر .

(٤) Zeine, Arab-Turkish Relations, p. 110.

لو نظرنا إلى هذه المرحلة الأولى من الحركة القومية لوجدنا أنه رغم تعدد الشكاوى لم تراود العاملين فيها فكرة الانفصال إلا فى نداءات متفرقة[١]، بل كان همهم طلب الإصلاح الذى يضمن للعرب كيانهم القومى فى الدولة ، إذ لم يكن لدى عرب الدولة فى ذلك الوقت مؤهلات كافية للاستقلال ولا وسائل كافية لحماية الوطن من غارات دول الغرب .

ولم تستطع هذه الدعوة القومية التى تبنتها الجمعيات والأحزاب أن تنتشر فى أوساط الجماهير كى تتغلب على المشاعر الموروثة القديمة من دينية ومحلية وقبلية ومصالح خاصة[٢] ، وذلك بسبب صفة الجمعيات السرية وعضويتها المحددة وقصر الفترة التى عاشتها . وانحصرت الأفكار القومية لدى الأوساط الثرية المثقفة من أعيان وتجار وضباط وأصحاب إقطاعات لأن مجالات التعلم فى العهد العثمانى كانت محدودة ومن نصيب تلك الطبقة . . ورغم ما كان يدفع هؤلاء المثقفين من شعور قومى ظلت حركتهم إلى حد بعيد حركة سياسية دون أن يكون لها محتوى اجتماعى واقتصادى[٣] .

٢ ــ القضية العربية فى أثناء الحرب العالمية الأولى

(ا) الإرهاب التركى فى أثناء الحرب :

كان من أثر نشوب الحرب العالمية الأولى واشتراك الدولة العثمانية أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٤ أن توقفت المفاوضات مع الترك ودخلت القضية فى مرحلة جديدة جرت أحداثها فى منطقتى الهلال الخصيب وشبه الجزيرة العربية .

---

(١) بين مجموعة أوراق محب الخطيب منشور باسم الصرخة الثالثة عليه خاتم (النخلة والصقر) وهو خاتم العربية الفتاة ينادى باستقلال البلاد العربية ووحدتها « بحيث تظلل العربى فى كل مكان فى (سواد) الليل (بياض) الضمير و (خضرة) الأمل واليقين » .

(٢) Kohn, Nationalism and Imperialism in the Hither East, London 1932, p. 176.

(٣) Rasheed — Duddin Khan. The Arab Revolt, Islamic Culture, vol. 35, No. 4. 1961, pp. 246 ff.

فقد وجد العرب أن بلادهم قد جرت إلى حرب لا يرغبون فيها ، وأصبح من الواضح أن الإمبراطورية العثمانية على وشك الانهيار ، فكان لا بد من التفكير فى مصير بلادهم . وانقسمت آراء القوميين العرب السياسية فى هذا المجال : إذ بينما رغب البعض فى تأسيس دولة مستقلة معتمدين على جهودهم الخاصة ، رغب البعض الآخر فى تحقيق هذا الهدف بمساعدة خارجية ، وبقيت فئة أخرى على تمسكها بالدولة العثمانية خوفاً من الأطماع الأوربية[١] .

ولكن الظروف التى اكتنفت سنى الحرب دفعت بالحركة العربية إلى أن تأخذ اتجاهاً آخر يبعدها عن الدولة العثمانية . فقد عين جمال باشا أحد أقطاب الاتحاديين قائداً للفيلق الرابع فى الشام مع صلاحية مطلقة فى حكم سورية الطبيعية ، للبدء بهجوم معاكس على قناة السويس .

واتبع سياسة قمع وإرهاب ضد الزعماء العرب فى سورية ولبنان بعد فشل هجومه على القناة فبراير (شباط) ١٩١٥ فأصدر أحكام إعدام متتالية تتهم المحكومين بالخيانة للدولة والوطن وتسليم البلاد إلى إدارة أجنبية[٢] ، وكانت قد وقعت فى يده وثائق القنصلية الفرنسية فى بيروت التى تدين بعض الشخصيات العربية الكبرى[٣] ، « والواقع أن التدقيق فى هذه الوثائق يدل على أن أصحابها لم يرغبوا

(١) كان عزيز على المصرى قد أرسل من مصر إلى زعماء العهد فى سوريا والعراق يرجوهم أن لايقوموا بأى عمل عدائى ضد الدولة بل أن يقفوا بجانبها حتى يحصلوا على ضمانات فعلية ضد الخطط الأوربية .

وبين مجموعة أوراق محب الخطيب الخاصة حزب اللامركزية رسالة موجهة من رفيق العظم إلى أعضاء الحركة الوطنية حين نشوب الحرب .. « نظراً لأن البلاد العربية معرضة فى هذه الحالة للخطر ، لبعدها عن مركز القوة . . فلا بد من اتخاذ الوسائط لسلامة الوطن » .

(٢) ملحق جريدة الشرق ٦ مايو (آيار) ١٩١٦ « دار الوثائق التاريخية فى دمشق » .

(٣) كان جورج بيكو القنصل الفرنسى فى بيروت قد عهد بدار القنصلية الفرنسية بعد نشوب الحرب إلى القنصل الأمريكى دون أن يعمد إلى إتلاف الوثائق أو نقلها إلى القنصلية الأمريكية . ويذكر يال – الذى عينته وزارة الخارجية الأمريكية – «لكتابة تقارير عن أحوال الشرق الأوسط فى أثناء الحرب ثم أصبح المراقب العسكرى الأمريكى الملحق بالقيادة العامة للجنرال اللنبى » أن إهمال بيكو فى إتلاف هذه المراسلات يعزى إلى دوافع خاصة لها علاقة بمصالح فرنسية فى سورية . انظر :
Yale, The Near East, A modern history, Michigan 1958, p. 254.

فى الانفصال الكلى عن الإمبراطورية العثمانية بل كانوا يعملون من أجل الحكم الذاتى »[١] .

ورافق هذا الإرهاب مصادرة المحاصيل وفرض الإعانات للجيش باسم التكاليف الحربية ونقل الكتائب العربية من بلاد الشام إلى مناطق بعيدة من الجبهة، ونفى العائلات العربية إلى أقاصى الأناضول مع مصادرة أملاكها وأراضيها . وزاد الأمر سوءاً انتشار المرض والمجاعة[٢]

وكان لهذه الإجراءات التعسفية أثرها الكبير فى ابتعاد العرب عن القضية التركية . وكما يذكر الجنرال الألمانى فون ساندرز « إن تأثير حكم جمال باشا الإرهابى لم يحرم سورية من زعامة الثورة بل زاد فى الشعب روح الثورة »[٣].

وكان لا بد لتحقيق هذه الثورة من البحث عن زعيم يتولى قيادتها وعن مصدر خارجى للمساعدة نظراً لافتقار البلاد إلى الإمكانيات اللازمة للثورة .

(ب) الحسين وتزعمه الحركة القومية :

رشح الحسين شريف مكة بالذات لهذه المهمة برغم أنه قد ظهرت خلال السنوات الماضية زعامة من الطبقة المثقفة وبرغم أن مجتمع الجزيرة كان أقل المجتمعات العربية ثقافة ووعياً قومياً .

ولو أخذنا بعين الاعتبار الظروف السياسية والأحوال الاقتصادية والاجتماعية فى العالم العربى مع دراسة الشخصيات المرشحة للزعامة لوجدنا أن الحسين يتمتع بميزات كثيرة : فنسبه للرسول وموقع بلاده الاستراتيجى البعيد عن مراكز احتشاد الجيوش وطرق المواصلات ، ومركزه كشريف مكة وماله من قيمة كبرى فى حماية الأماكن المقدسة الإسلامية فى الحجاز مع اتصالاته عن طريق أبنائه بالمراكز المدنية جعله أحسن مرشح لقيادة الحركة الناشئة فى تلك الفترة التى لم تتمكن فيها من

---

(١) Zeine, Arab-Turkish Relations, op. cit., pp. 129 ff.

(٢) أنطونيوس ص ٣٤٥ . ويقدرما أسهمت به سوريا فى أثناء الحرب بما لا يقل عن نصف مليون نسمة من أصل ٤ ملايين نسمة بسبب المجاعة والاعتقال والنفى والخدمة العسكرية والإعدام .

(٣) Zeine, Arabs-Turkish Relations, p. 132.

التخلص من التقاليد السائدة التى تسيطر عليها الزعامات القبلية والدينية [١] .

وكان الحسين منذ تعيينه شريفاً على مكة ١٩٠٨ يسعى إلى التأكيد على مركز الحجاز الممتاز ، فاصطدم بذلك مع الوالى العثمانى حين عزم على تطبيق نظام الولايات الجديد فى الحجاز . وأصبح معروفاً أن للشريف مطامع تفوق شرافته وامتيازاتها وكان ذلك بمثابة إنذار له بالعزل من منصبه .

وازداد حرجاً بنشوب الحرب إذ طلبت الدولة العثمانية منه تأييد دعوتها إلى الجهاد المقدس نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١٤ وألحت بإرسال المتطوعة العرب للاشتراك فى الجهاد ، كما أصبح بحاجة إلى المال لكساد مواسم الحج بسبب ظروف الحرب ، وساءت أحوال القبائل الموالية له لعدم مرور القوافل وانقطاع موارد البحر [٢] .

(ج) بدء اتصال الحسين بالإنجليز :

كان الإنجليز يرقبون الحالة عن كثب داخل البلاد العربية الآسيوية ، ونظراً لكون هذه البلاد تشغل مساحة ذات أهمية كبرى للحرب ونظراً لكون سكانها قد أظهروا درجات مختلفة من التذمر من الحكم العثمانى ؛ فكان من الطبيعى أن تهاجم بريطانية الإمبراطورية العثمانية عن طريق رعاياها العرب ، بدفعهم إلى ثورة تحقق لها هدفين : تحطيم الوحدة العثمانية فتسهل بذلك انهيار الإمبراطورية داخلياً ، وخلق ظروف حرب أهلية تجبر الترك على تحويل قوتهم العسكرية نحو الثورة فتجعل هزيمة الترك العسكرية أسهل على يد الحلفاء .

وكانت مكة أحسن من دمشق بالنسبة لإنجلترا للقيام بالثورة نظراً لمكانة الأسرة الهاشمية فى العالم الإسلامى ولموقع الحجاز وسط القوات العثمانية فى البلاد العربية ، وكان الحسين الزعيم الوحيد الذى يستطيع أن يجرد الدعوة إلى الجهاد من قوتها الأساسية حين يمتنع عن تأييدها [٣] .

---

(١) Rasheed — Duddin Khan, The Arab Revolt, Op. cit., pp., 294-51.

(٢) المنار جزء ٦ مجلد ٢٠ – ١١ فبراير ١٩١٨ .

(٣) أنطونيوس ٢٢٠ .

وقد بدأت العلاقات بين الإنجليز والحسين منذ ربيع ١٩١٢[(١)] بعد تحرج مركز الأخير فى الحجاز بمقابلة جرت بين عبد الله بن الحسين وكتشنر (المعتمد البريطانى فى مصر ١٩١١) ليعرف منه موقف إنجلترا فى حالة تورطه بالمصاعب مع الدولة العثمانية ، كما طلب إمداده بالأسلحة (وقد حضر المقابلة ستورز السكرتير الشرقى فى دار المعتمدية) ولما سئل عن هدف الأسلحة قال إنها للدفاع ضد أى هجوم تركى[(٢)] .

واعتذر كتشنر بحجة أن لحكومته علاقات تقليدية مع الدولة العثمانية لا يبيح لها التدخل فى أمورها الداخلية ولا يمكن استخدام السلاح ضد دولة صديقة

ويروى عبد الله فى مذكراته أن ستورز قد أبلغه قبل أن يغادر مصر أن الحكومة البريطانية لا ترضى أبداً باستمرار أى حركة تسببها تركيا ضد السلام الحاضر فى بلاد الحج[(٣)] .

وبرغم تحفظ كتشنر فإن الفكرة قد أثارته وأعطى تعليمات فى ٢٤ سبتمبر (أيلول) ١٩١٤ (بوصفه وزير حربية) إلى دار الاعتماد فى القاهرة للاتصال بالشريف والتأكد منه عن الاتجاه الذى سيسير فيه عرب الحجاز إذا دخلت تركيا الحرب[(٤)] .

وفى ٣١ أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٤ بعد انضمام الدولة العثمانية فعلا إلى ألمانيا حمل رسول ستورز رسالة أخرى تتضمن أنه إذا ساعدت الأمة العربية إنجلترا فإن هذه تتعهد بأن لا يكون هناك تدخل فى بلاد العرب (ربما يقصد

---

(١) يقال إن علاقة الحسين بالإنجليز كانت قديمة بدأت منذ وجوده فى القسطنطينية إذ كونه علاقات طيبة مع السفير البريطانى فى أستانبول — Sir G. Louther

انظر : Rashed — Duddin Khan, op. cit., p. 244.

(٢) Storrs, Orientations, London, 1937, p. 142.

وتكررت زيارات عبد الله إلى القاهرة وكان فارس نمرصاحب ومحرر المقطم قد أطلع الدكتور زين زين على المكان الذى كانت تعقد فيه بعض الاجتماعات السرية بين عبد الله وستورز فى مكتبه فى بعض الغرف الخلفية من بناية المقطم فى القاهرة (مقابلة مع الدكتور زين فبراير « شباط » ١٩٦٨) .

(٣) مذكرات عبد الله، عمان ، ١٩٦٥ ص ٨٣ .

(٤) Storrs, Op. cit., p. 149.

الجزيرة العربية) وأن يمنح العرب كل مساعدة ضد أى اعتداء أجنبي [١] .

ومن الملاحظ أن الدعوة إلى الثورة قد وجهت مباشرة إلى الشريف حسين وعرب الحجاز ولم يكن فى نية بريطانيا حتى ذلك الوقت دعم ثورة عربية كبرى [٢] .

وأجاب الحسين بتحفظ برغم أن ذلك قد قوى ثقته ببريطانيا ، وأصبح موقفه حرجاً فالنزاع بينه وبين تركيا كان محصوراً إلى الآن فى شئون الحجاز ، أما الآن فالأمر قد يتعلق بمستقبل الولايات العربية فى الدولة العثمانية .

(د) اتصال الجمعيات العربية بالحسين ، وميثاق دمشق :

وجاء الحسين عرض آخر للثورة من قبل الجمعيات العربية السرية فى الشمال برسالة شفوية حملها فوزى البكرى فى يناير (كانون ثان) ١٩١٥ بعد أن حالت الأوضاع الجديدة فى الحرب دون القيام بعمل ذى شأن فى سوريا ، وتحول اتجاه الحركة نحو الحجاز لتكون منطلق الثورة وإلى الشريف حسين بالذات ليتولى قيادتها .

ولم يلب الحسين الدعوة مباشرة وأرسل فيصل فى مارس (آذار) فى مهمة

---

(١) Storrs, op. cit., p. 152.

بينما يروى عبد الله فى مذكراته ص ١٠١ — ١٠٢ أن بريطانيا على استعداد لإمداد الحركة العربية بكل ما هى بحاجة إليه للقيام بما يجر إلى استقلال العرب استقلالا تاماً . ونشر سليمان موسى فى كتابه (الثورة العربية حقائق وأسانيد ص ١٥-١٦) نسخة طبق الأصل عن الرسالة الأصلية جاء فيها « أن .. إنجلترا تعدكم وعداً صريحاً . . . بأن تضمن استقلال وكافة حقوق وامتيازات وسلطة وإشراف سيادة الشريف ضد كل عداء وتجاوز خارجى » .

ولم يشر كتشنر فى تقريره إلى (جراى) عن الاستقلال التام . انظر :

Kedourie, England and the Middle East, London 1956, p. 49.

(٢) فى يناير ١٩١٥ قام مكماهون (خلف كتشنر) يساعده ثلاثة خبراء فى الشئون العربية ريجنالد وينجيت الحاكم العام للسودان ، ورونالد ستورز السكرتير الشرقى ، وجلبرت كلايتون رئيس الاستخبارات العسكرية فى القاهرة ، بالاتصال بعدد من الزعماء العرب فى القاهرة منهم عزيز على المصرى ورشيد رضا، لإقناعهم بالتحالف مع بريطانيا ولم يصلوا إلى اتفاق لأنهم طالبوا بضمانات تكفل استقلال العرب ، وعندما أصبحت القضية العربية هامة ألحق مكماهون بمكتبه عدداً من الخبراء والرحالة وعلماء الآثار والموظفين فى مصر ، وشكل فى فبراير ١٩١٦ المكتب العربى فى القاهرة ، أوكل الإشراف عليه إلى كلايتون وعهد له بدراسة تطور السياسة البريطانية فى الشئون العربية .

رسمية إلى استانبول مع تعليمات باستشارة الزعماء القوميين فى دمشق لمعرفة مدى قوة الحركة العربية وموقفهم من العروض البريطانية .

وتشاور فيصل مع الأعضاء البارزين فى الفتاة والعهد، وأدعوه على قرار اتخذته الجمعية قبل أشهر وفحواه « إن غاية العرب هو الاستقلال حفاظاً على كيان البلاد العربية لاعداء للترك ، أما إذا كانت البلاد عرضة لخطر الاستعمار الأوربى فالجمعية تعمل مع أحرار العرب للدفاع عن البلاد العربية جنباً إلى جنب مع الترك »[1].

وأطلعهم فيصل على عروض إنجلترا وسألهم عن المساعدة التى تحتاجها سوريا لتشترك بالحركة التحريرية عند الاقتضاء فأجاب ياسين الهاشمى (من كبار ضباط العهد وعلى علم بقوى الجيش المرابط فى سوريا) : « إن سوريا لا تحتاج إلا إلى عزم الحسين على ترؤس الحركة التحريرية »[2].

وبعد عودة فيصل من استانبول فى مايو (آيار) سلمه زعماء الفتاة والعهد ميثاقاً يتضمن الشروط التى يطالب الزعماء العرب بتحقيقها كى يقوموا بثورة يعلنها الشريف تكون أساساً للعمل المشترك بينهم وبين إنجلترا ، وأرفقوا بها مصوراً يعين حدود البلاد العربية فى آسيا التى يجب أن يدور السعى على أساسها لنيل الاستقلال[3] .

(هـ) استمرار المفاوضات مع الإنجليز (مراسلات الحسين — مكماهون) :

وأهمية الميثاق أن الحسين استخدم نصوصه بعد ذلك حين استأنف مفاوضاته مع بريطانيا فى مطالبه الإقليمية التى قدمها فى مذكراته الأولى فى ١٤ يوليو (تموز) ١٩١٥ ، مع إضافة شرط الخلافة . وكان جواب مكماهون تكراراً لتعهدات عامة وأن تحديد المنطقة التى ستمنح الاستقلال فى رأيه سابق لأوانه[4] .

---

(١) قدرى ، مذكراتى عن الثورة العربية ، دمشق ١٩٥٦ ، ص ٣٨ .

(٢) المصدر نفسه ص ٤٦ .

(٣) أنطونيوس ص ٢٤٣ — تمتد الحدود شمالا من خط مرسين وأضنه إلى حدود إيران وشرقاً من حدود إيران إلى خليج العرب وجنوباً المحيط الهندى باستثناء عدن وغرباً على امتداد البحر الأحمر ثم المتوسط إلى مرسين .

(٤) كان باعتقاد الإنجليز أن الحسين لا يمثل إلا نفسه ولم تكن لديهم فكرة واضحة عن الجمعيات السياسية وقد تعرفت السلطات البريطانية فى مصر على حقيقة الشعور القوى عن طريق الشريف الفاروقى —

وأصر الحسين على تحديد المنطقة « لأنها للشعب بأسره وليست صادرة عن شخصه » فجاءت مذكرة مكماهون ٢٤ أكتوبر (تشرين أول) أهم وثيقة دولية اشتملت على العهود التى دعت العرب إلى إعلان اشتراكهم فى الحرب إلى جانب الحلفاء ، والواقع أن مكماهون لم يحدد منطقة الاستقلال العربى التى تتعهد بريطانيا بالاعتراف بها ودعمها بل قبل بالحدود التى وضعها الحسين عدا بعض التحفظات التى استثنت المناطق التركية والمناطق التى عقدت بريطانية مع زعمائها معاهدات فى الجزيرة العربية والمناطق التى لفرنسه مصالح خاصة غربى مناطق دمشق وحمص وحماه وحلب واحتفظت بريطانيا لنفسها بحق إقامة نظام إدارى خاص فى ولايتى البصرة وبغداد .

وقد تمت جميع المراسلات باللغة العربية بأسلوب غامض معقد، وكانت رسائل مكماهون التى تصدر من وزارة الخارجية البريطانية تترجم إلى العربية فى دار المفوضية فى القاهرة، كما أن رسائل الشريف بالعربية كانت تترجم إلى الإنجليزية[١]. وقد أخذ زعماء الحركة الوطنية على الحسين بساطة معالجته للقضية واستئثاره بالموضوع وعدم تنظيم علاقاته مع الإنجليز بمعاهدة صريحة[٢] .

=وهو ضابط عراقى لجأ إلى مصر أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٥ ونبه مكماهون إلى أن الحسين مقيد بقرارات جمعيات سرية . انظر داغر، مذكراتى على هامش القضية العربية ، القاهرة ١٩٥٩ ص ٨٣ .

(١) لم تنشر الحكومة البريطانية نسخة رسمية معتمدة للنصوص كاملة باللغة الإنجليزية بحجة أن نشرها يضر بالمصلحة العامة برغم أن أجزاء منها قد عرف بالكتب والصحف العربية ، حتى كان مؤتمر سان جيمس حول قضية فلسطين ١٩٣٩ فى لندن حيث نشرت من قبل الحكومة البريطانية تحت عنوان :
Correspondence between Sir Henry McMahon, His Majesty's High Commissioner at Cairo and the Sherif Hussein of Mecca, July 1915 (Cmd. 5957, Mis. No. 3, 1939).

وقد أصبحت قضية هذه المراسلات من أهم عوامل الخلاف بين العرب والإنجليز وبخاصة حول فلسطين إذ لم يثبت أن فلسطين منصوص عليها بصراحة أو ضمنا فى تحفظات مكماهون برغم أن الحكومة البريطانية ترى أن فلسطين هى ضمن المناطق المستثناة من سوريا .

انظر : الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين (١٩١٥ — ١٩٤٦) — الجامعة العربية إدارة فلسطين . ص ٣٩ — ٤٢ .

(٢) ذكر محب الخطيب فى مقابلة خاصة أن الحسين كتم المراسلات عن مستشاريه ولما علموا بها طلبوا منه تصديق الاتفاقية فى البرلمان البريطانى فقال إن الذين اتفقوا معى هى الحكومة نفسها وكان يشير إلى جيبه ويقول وعودهم هنا .

والواقع أن التفاهم الذى توصل إليه فى المراسلات فشل فى التوفيق بين وجهات النظر حول عدد من المسائل الهامة ولم تكن العهود واضحة أو محدودة المفاهيم والمعانى ، ودخل الحسين نتيجة لذلك فى صراع مع الدولة العثمانية جنباً إلى جنب مع الحلفاء .

(و) أحداث الثورة :

كان مركز الإنجليز العسكرى الحرج ، وإعدام المناضلين فى سوريا ولبنان وتفاقم الاستياء ضد الترك مع وصول الحملة التركية المتجهة نحو اليمن إلى المدينة قد أقنعت الأطراف المعنية أن الوقت قد حان لإعلان الثورة فى يونيو (حزيران) ١٩١٦ فى مكة دون أن تتم الاستعدادات كلها .

وكان منشور الحسين الأول للثورة[١] قد ركز على الناحية الدينية وجعل عداوته لفئة الاتحاديين الذين تسلطوا على الدولة وحرفوها عن سبيل الحق والدين ، لا للشعب التركى ولا للدولة العثمانية ، فحطم بذلك فكرة الجهاد الإسلامى .

واختلف رد الفعل للثورة حسب المناطق المختلفة : ففى الجزيرة العربية لاقت تأييد بعض الحكام، وفى مصر استقبلتها الدوائر الموالية لتركيا بامتعاض، فى حين استقبلتها الجاليات السورية والعراقية بحماس[٢]. وحاولت السلطات البريطانية فى العراق التقليل من شأنها برغم تسرب بعض أخبارها عن طريق الصحافة المصرية والأخبار الشفوية عبر الصحراء[٣] . وظل الرأى العام فى العالم الإسلامى فى الخارج يعتقد أن ثورة الحسين فى إضعافها تركيا قد خانت قضية الإسلام .

وسببت أنباء الثورة ذهولاً لدى الحكومة العثمانية ولم تنشر أخبارها إلا فيما بعد وبصورة مشوهة مع محاولة الإقلال من قيمتها ، ورافق ذلك ازدياد أعمال الإرهاب فى سوريا .

---

(١) موسى (سليمان) ، الثورة العربية الكبرى وثائق وأسانيد . عمان ١٩٦٦ ص ٦٧ - ٧٦ .

(٢) Storrs, op. cit., 163.

(٣) كانت وزارة الخارجية والحربية البريطانية مسئولتين عن الأمور السياسية والعسكرية فى مصر وفلسطين بينما حكومة الهند مسئولة عن الأمور السياسية والعسكرية فى العراق وكان هناك خلاف فى الرأى بينهما حول الإجراءات الإدارية والسياسية فى كلا المنطقتين برغم اتفاقهما على أهمية العرب للإنجليز خلال الحرب . .

وبعد النجاح الأول نودى بالحسين ملكاً على البلاد العربية فى نوفبر (تشرين ثان) ١٩١٦ برغم اعتراض الحلفاء، ولم يعترفوا به ملكاً على الحجاز إلا فى ينايرِ (كانون ثان) ١٩١٧[١].

إلا أن الثورة بدأت تتعثر بعد أن فقدت عنصر المفاجأة وتوالت المساعدات العسكرية والمالية من الحكومة البريطانية[٢]، برغم أنها كانت تجرى طوال الوقت بتردد وحذر. وعهد بالمسئولية المترتبة على الشئون العسكرية والسيطرة الفعلية على العمليات الحربية إلى عزيز على المصرى الذى بدأ بتكوين جيش مدرب نظامى ولكنه ما لبث أن ترك القيادة لجعفر العسكرى ونائبه نورى السعيد وهما من كبار الضباط العراقيين[٣]. وكان قد انضم للثورة العديد من الضباط الموجودين فى معسكرات الأسر فى مصر والهند وشكلوا نواة الجيش النظامى إلى جانب القوات غير النظامية، كما التحق بجيش الثورة عدد كبير من الضباط الإنجليز المدربين كخبراء على تعليم فنون القتال الحديث واستعمال المتفجرات. وقد ركزت الأضواء على لورانس أحد ضباط الاستخبارات فى الدائرة العسكرية التابعة للجنرال موراى القائد العام البريطانى فى مصر. والتحق لورانس بالثورة فى أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٦ يحدوه حب الاستطلاع والمغامرة، وعمل كمستشار لفيصل الذى تولى قيادة أحد جيوش الثورة الثلاثة (إلى جانب أخويه عبد الله وعلى)، وعرف باسم الجيش الشمالى وكان أكثر جيوش الثورة فعالية. وقد أصبح موضع ثقة اللنبي وهمزة الوصل مع فيصل وصاحب الحظوة لديه. برغم أن صداقته للعرب كانت نابعة من صميم نظرته إلى مصلحة بريطانية، واعترف أنه كان يعرف أن بلاده لن تنفذ وعودها للعرب

---

(١) وقد أصبح لقب الحسين كما يظهر فى كتبه الرسمية بين مجموعة أوراق محب الخطيب «الحسين ابن على شريف مكة وأميرها وملك البلاد العربية».

(٢) قدر Storrs أن الثورة قد كلفت دافعى الضرائب البريطانيين ١١ مليون جنيه منها مليون إلى الحسين بشكل معونة شهرية وكانت كلها بالذهب.

(٣) اختلفت الآراء حول أسباب تخلى عزيز على المصرى عن القيادة إذ يذكر أنطونيوس أن شغفه بالكفاءة عرضه للاحتكاك بالشريف. بينما يروى محب الخطيب، فى مذكرات لم تنشر بعد، أن السبب هو سوء ظن الحسين به وخوفه من أن القوة التى يريد أن يكون على رأسها قد يستعملها فى تكوين سلطة له يزاحم بها سلطة الحسين وأولاده.

بعد الحرب ولكنه كان يستغل أثمن ما عند العرب وهو حبهم للحرية كأداة من أجل نصرة بريطانيا[١]

ودبت الحياة فى الثورة من جديد وبدأت العمليات العسكرية تسير وفق خطة منظمة موضوعة، وتوسعت أعمال الجيش الشمالى نحو الوجه أقصى موانئ الحجاز الشمالية فى يناير (كانون ثان) ١٩١٧ وعقد التحالف مع زعماء القبائل التى تقطن أطراف بلاد الشام (عوده أبو تايه شيخ الحويطات ونورى الشعلان شيخ الرولا).

وكان احتلال العقبة فى يوليو (تموز) ١٩١٧ نقطة تحول فى الثورة العربية إذ تحولت إلى حرب متحركة كى تستولى على دمشق البعيدة ٦٠٠ ميل شمالا. وأصبحت بذلك جزءاً من الحرب العالمية الأولى إذ كونت الجناح الأيمن للقوات البريطانية الزاحفة على فلسطين بقيادة اللنبى.

وتوجهت بعثة إلى سوريا بقيادة الشريف ناصر ونسيب البكرى تدعو للثورة وتضع أسس العمل المشترك[٢]، ورافق لورانس هذه البعثة ويقال إنه وصل فى مغامرة عبر الخطوط التركية إلى دمشق حيث التقى برضا الركابى وطلب منه تشجيع الفرق العربية للانضمام إلى قوات الثورة[٣]. وتكاثر التحاق العرب المجندين فى الجيش العثمانى إلى صفوف الجيش العربى، وباقتراب صيف ١٩١٨ أصبحت معظم القوات فى جيش فيصل من السوريين يحاربون فى بلادهم.

ووضع اللنبى فى سبتمبر (أيلول) ١٩١٨ خطة هجوم نهائى على طول الجبهة ينتهى بالاستيلاء على دمشق، وعهد إلى القوات العربية بمهمة قطع المواصلات بين دمشق والجنوب باحتلال درعا النقطة الحيوية للمواصلات فيحمي بذلك جناح القوات البريطانية الأيمن ويشغل القوات التركية فى شرق الأردن ويمنعها من إرسال

---

(١) لورنس، أعمدة الحكمة السبعة معرب (بيروت ١٩٦٣) ص ٣٨٥.

(٢) رسالة وجهها فيصل إلى أهالى بلاد الشام «من مجموعة أوراق نسيب البكرى الخاصة». كما وجه نسيب البكرى علة رسائل إلى أهالى جبل الدروز وحوران لحثهم على الثورة.

(٣) كذب أكرم رضا الركابى فى مقابلة خاصة هذا الادعاء بأن والده لم يلتق بلورانس بعد لقائه الأول فى جرابلس ١٩١٣ (حين كان لورانس عضو بعثة حفريات) إلا فى دار البلدية فى دمشق يوم أعلنت الحكومة العربية فى أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٨، وقد ذكره لورانس بنفسه قائلا «ألا تذكرنى يا باشا»؟ فقال له رضا الركابى «أظن أنك عضو بعثة الحفريات» وكان ذلك أمام عدد كبير من الحضور، ومعنى ذلك أنهما لم يلتقيا منذ خمس سنوات.

الإمدادات إلى فلسطين[١] . وبعد احتلال درعا بدأ تراجع الجيش الرابع التركى تتعقبه القوات العربية النظامية ورجال القبائل . وانهارت الجبهة التركية فى نهاية سبتمبر (أيلول) ولم يتمكن الترك من تأليف جبهة حربية فى حوران ، كما لم يتمكنوا فيما بعد من تأليف جبهة جديدة فى دمشق .

وأخذت القوات البريطانية القادمة من جبال الجليل والقوات العربية إلى الشرق منها فى خطين متوازيين تزحفان فى عملية سباق تشكل دمشق نقطته النهائية[٢] .

وفى مساء ٣٠ سبتمبر (أيلول) كانت القوات جميعها قد أحاطت بدمشق ودخلت فرق من القوات العربية غير النظامية إلى دمشق لنقل الأخبار إلى السكان والدعوة لإقامة حكومة عربية وكان ذلك قد تم قبل وصول الرسل ، كما دخلت فى نفس الليلة فرقة من الخيالة الاسترالية عبر شوارع المدينة وهى تتعقب الترك المنسحبين عن طريق حلب شمالا[٣] .

وكان الدخول الرسمى للقوات العربية والبريطانية فى صباح أول أكتوبر (تشرين أول) حيث استقبلت بمشاعر البهجة والفرح وبلغ السرور ذروته بوصول فيصل إلى دمشق بعد يومين[٤] .

وقد أثيرت خلافات كثيرة فيما بعد حول من احتل دمشق أولا : الجيش العربى أو البريطانى ، وادعى كثير من الضباط فى خدمة اللنبى أنهم قد ارتكبوا خطأ كبيراً حين أوقفوا القوات البريطانية بتعليمات من اللنبى (وربما بتأثير من

---

(١) كان للترك ثلاثة جيوش تقابل الجيش العربى والبريطانى على جانبى الأردن الثامن والسابع فى الغرب والرابع فى الشرق ومقره عمان .

(٢) يذكر لورانس فى أعمدة الحكمة ص ٤٢٥ أنه كان يحث فيصل للإسراع نحو دمشق حتى لايتيح إلى اللنبى فرصة التفرد بالالتحام الأخير . بينما وجدت بين أوراق نسيب البكرى الخاصة خطة عسكرية أرسلها إلى فيصل فى معسكره فى الأزرق للزحف نحو دمشق قبل دخول الإنجليز إليها .

(٣) Times, History of the War, vol. XVIII pp. 251 — 52.

(٤) انظر : Robinson, Lawrence the Rebel, London, 1946, pp. 374 — 77.

حول وصف لورانس لمظاهر الفرح فى دمشق لدى دخول القوات الحليفة .

ومع ذلك فقد روى لى اللواء عبد الله عطفه (من المعاصرين لتلك الحدث) أن الاستقبال لم يكن كله ترحيباً بالقادمين الجدد إذ أصيب كثير من الذين لايقدرون الموقف بالذهول وخاصة بعد المجازر الهائلة بالجيش التركى إلى جانب ما شاهدوه من دخول الجيوش الأجنبية .

لورانس وزملائه فى المكتب العربى) ومكنوا العرب من دخول دمشق لأن ذلك قد أقنع العرب أكثر من أى تصريح آخر أن إنجلترا تساند فيصلا وجيشه ودفعتهم فيما بعد إلى رفض فكرة المصالحة مع فرنسا[١] .

كان احتلال دمشق ينبئ بقرب نهاية حرب طويلة ، إذ تبين أنه لم تبق معركة كبرى فى سوريا وكان هناك شك فى إمكان الترك استبدال جيوشهم المهزومة[٢] وانتهى احتلال سوريا قبل نهاية أكتوبر (تشرين أول) بحركتين حربيتين الأولى سارت على طول الساحل مارة بصور وصيدا إلى بيروت وطرابلس دون مقاومة ، والثانية اتبعت طريقاً داخلياً نحو حمص وحماه وحلب ، ولم يقم العرب بدور فى الأولى وإنما كان لهم نصيب وافر فى الثانية . وكانت المقاومة الوحيدة عند ضواحى حلب التى احتلت فى ٢٥ أكتوبر (تشرين أول) ، وصد هجوم تركى قام به مصطفى كمال شمال المدينة فى نفس سهل مرج دابق حيث انتصرت قوات سليم الأول قبل ٤٠٠ عام بنصر حاسم جعل من الترك أسياداً على سوريا[٣] .

وكانت آخر نقطة وصلها العرب شمالا هى محطة المسلمية قبل هدنة مودرس Mudros فى ٣٠ أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٨ .

ورغم أن قسما كبيراً من حوادث الثورة قد جرى وراء الحدود السوريه إلا أن السوريين قد لعبوا دوراً كبيرا فى أحداث الثورة ، فشارك الضباط والجنود ووجهاء البلاد والموظفون والمثقفون فى حملات الجيش العربى ، وجرت اتصالات مع شيوخ القبائل فى الصحراء لضمان موالاتهم للثورة والمشاركة فيها بعد أن حالت موانع كثيرة من قيام ثورة فعلية فى سوريا . وبعض من بقى من كبار العسكريين فى الجيش العثمانى كان على اتصال بفيصل من أجل الإعداد للثورة[٤] . وقام

---

(١) Kedourie, op. cit., pp. 121 — 22.

وكان الماجور Hubert Young أحد الضباط الإنجليز الذى رافق الثورة ومؤلف كتابه The Independent Arab يجيب على من يسأله من احتل دمشق أولا" بأنه طالما كان لدى فيصل مالا يقل عن ٦٠٠ رجل والجنرال شوفيل القائد الاسترالى مالا يزيد عن ١٥٠٠٠ لا يبقى مجال للشك » .

(٢) Falls, History of the Great War, London 1930, part II, p. 596.

(٣) Zeine, Arab-Turkish Relations, op. cit.

(٤) ذكر أكرم رضا الركابى فى مقابلة خاصة أن والده الذى كلف بالدفاع عن دمشق من قبل الأتراك قد أطلع الجيش البريطانى على خطة للالتفاف حول دمشق .

السوريون فى مصر والمهجر بنشاط كبير للدعاية للثورة عن طريق الصحف والمجلات والمساعدات المالية (١) .

ومع ذلك فقد وجد عدد لا بأس به فى سوريا ظل على ولائه للدولة العثمانية برغم قسوة المشانق وانتشار المجاعة ، بدافع الخضوع للخليفة معتبرين الثورة عليه كفراً حتى ولو باسم الوطنية ، وكان هذا تفكير الطبقات البسيطة التى لم ينتشر لديها الوعى القومى ، وبعض شخصيات معروفة حملت لواء تيار إسلامى قوى يطالب بالبقاء تحت الحكم العثمانى ويهاجم الثورة ، وبلغ من تمسكها بالدولة لسبب أو لآخر أن خاصمت الحركة الوطنية وقاومتها حتى اللحظة الأخيرة فى الوجود التركى فى سوريا . كما بقى الكثيرون فى الجيش العثمانى حتى الانسحاب من دمشق أو إلى حين وقوعهم فى الأسر وظلت عواطف بعضهم عثمانية (٢) .

ووجد فى لبنان أقلية مسيحية من الكاثوليك تعارض فكرة الدولة الواحدة التى تدعو إليها الثورة . وبينما كان مؤيدو الثورة يتطلعون إلى مساعدة بريطانيا كان دعاة الانفصال فى لبنان يتطلعون إلى دعم فرنسا حاميتهم التقليدية (٣) .

ولكن الرأى الغالب كان مع الثورة ؛ رأوا فيها بارقة أمل هى الأولى من نوعها لتخليص أرضهم من حكم دام أربعة قرون ، كما أن إعلان الثورة لمبدأى الوحدة والاستقلال (وهما الرابطة التى تجمع العرب بغض النظر عن الفروق الاجتماعية والدينية) كانت دافعاً قوياً وتعبيراً عن إحساس العرب بشخصيتهم المتميزة .

وجرت محاولات للاستخفاف بقيمة الثورة العسكرية من بعض الكتاب

---

(١) بين مجموعة أوراق محب الخطيب مجموعة المراسلات التى كانت ترد إلى جريدة القبلة ، (وكان هو رئيس تحريرها) من صحف سوريا من أنحاء مختلفة من المهجر لتأييد الثورة والملك حسين . مثال ذلك كتاب من جورج حداد رئيس تحرير جريدة القلم الحديدى فى سان باولو فى ٢٧ حزيران (يونيو) ١٩١٧ « بتقدير الحركة الوطنية فى الحجاز .. وتوافد الشبان من أجل التطوع وحمل السلاح قائلين : إننا الآن قد عرفنا أن لنا دولة عربية . . دعونا نلحق برفقائنا ونقاتل الطورانيين » .

(٢) Rasheed — Duddin Khan, The Arab Revolt, op. cit., p. 251.

وقد ذكر حسن الحكيم فى مقابلة خاصة (وكان موظفاً فى مكتب الوالى فى دمشق) « إنى أعترف علناً بأنى كنت حتى انسحاب الجيش العثمانى عثمانياً صادق العثمانية » .

(٣) Salibi, The Modern History of Lebanon, London 1959, p. 159.

للإنقاص من قيمتها وخدماتها فى أثناء الحرب لدوافع خاصة[١]، إلا أن البريطانيين أنفسهم قد اعترفوا بقيمتها العسكرية وقد وجدت القوات البريطانية الزاحفة نحو المقدس أنها تقاتل فى بلاد صديقة ؛ بينما وجد الترك الذين كانوا يدافعون عن ولاية من ولاياتهم أنهم يحاربون وسط شعب مرير العداوة[٢] وصرح لويد جورج فى رسالة إلى كلمنصو فى ١٨ أكتوبر (تشرين أول)١٩١٩« أن هدف تعهداتهم إلى الحسين كان جعل الثورة ممكنة ضد الترك فى مرحلة حرجة من سنوات الحرب لاختراق الجدار التركى الذى يمنع الاتصال الحيوى بين الحلفاء فى الغرب والجيوش الروسية فى الشرق[٣]»

٣ ـ الاتفاقيات والوعود المتناقضة أثناء الحرب العالمية الأولى

(ا) اتفاقية سايكس بيكو :

فى الوقت الذى كان فيه الحسين لا يزال يفاوض مكماهون ويستعد لإعلان تحالفه مع بريطانيا وثورته ضد الترك ، كانت إنجلترا تعقد صفقة جديدة مع فرنسا لتحديد مناطق النفوذ بينهما فى البلاد العربية منعاً لأى خلاف قد يحدث فى المستقبل[٤].

---

(١) Kedourie, p. 118.

(٢) أنطونيوس ص ٣٢٩ .

(٣) Documents on British Foreign Policy (1919 — 1939), *Ist*, Series, Vol. IV, 1919. London 1952 pp. 479 — 80.

(٤) كانت الإمبراطورية العثمانية قد دخلت منذ القرن التاسع عشر فى دور تفكك ولم تعش إلا بفضل تنازع الدول على اقتسام أجزائها برغم أنه سمح لكل منها أن تتدخل بطرق وأساليب مختلفة لاقتسام مناطق النفوذ . وقد انحصرت أطماع بريطانيا فى حماية رأس الخليج العربى كما كانت تحرص على حماية قناة السويس وإبقاء المواصلات مفتوحة نحو الهند ، وكانت ترقب بحذر امتداد النفوذ الألمانى من آسيا الصغرى نحو سوريا على شكل مشاريع إنشائية ومساعدات عسكرية . أما المطامع الفرنسية فكانت متركزة فى سوريا على شكل مصالح اقتصادية وادعاءات دينية ، وكان هم روسيه الوصول إلى المتوسط عن طريق المضائق والتدخل فى شئون الإمبراطورية لحمايتها للأرثوذكس ، واقتصر اهتمام إيطاليا على طرابلس الغرب كخطوة أولى نحو تحويل المتوسط إلى بحيرة إيطالية .

وبنشوب الحرب تحركت أطماع الدول ، وبرغم تضارب مصالحها شعر ساستها بضرورة الوصول إلى اتفاق ، إذ أصبح واضحاً أن هزيمة الإمبراطورية العثمانية ستؤدى إلى تقسيمها وهى عملية كانت ستتم بعد عشرات السنين .

وليست الاتفاقية المعروفة باسم سايكس بيكو سوى جانب من اتفاقية واسعة عقدتها دول روسيا وبريطانيا وفرنسا بين بعضها البعض لاقتسام أجزاء كبيرة من أراضي الدولة العثمانية نفسها ، وجرت المباحثات الخاصة بهذه الاتفاقية بين الدول الثلاث وتم التصديق عليها في شهر أبريل (نيسان) ١٩١٦[١] .

وقد عينت الحكومة البريطانية السير مارك سايكس (المعروف بدرايته بالمسائل الشرقية) كما عينت الحكومة الفرنسية جورج بيكو (قنصل فرنسا في بيروت قبل الحرب) مندوبين عنهما كي يقوما بمباحثات غايتها الاتفاق على نصيب كل منهما ضمن نطاق الاتفاقية الثلاثية الكبرى ، وتوصل المندوبان إلى اتفاق صادقت عليه حكومتاهما في شهر مايو (آيار) ١٩١٦ .

وفي هذه الاتفاقية احتفظت فرنسا لنفسها بمساحة كبيرة من أراضي الأناضول الجنوبية والجزء الشمالي من سوريا الطبيعية ولواء الموصل واحتفظت بريطانيا لنفسها بولايتي البصرة وبغداد ولواء كركوك بالإضافة إلى الجزء الجنوبي من سوريا الطبيعية ابتداء من غزة والعقبة في الجنوب الغربي إلى أن تلتقي بحدود العراق في وسط البادية ، واتفقت الدولتان على جعل فلسطين باستثناء الجزء المعروف بالنقب منطقة تخضع لحكم دولي خاص[٢] . وتضمنت الاتفاقية نصوصاً تقضي بإنشاء حكم مباشر لفرنسا في الساحل السوري (المنطقة الزرقاء) ولبريطانيا في ولايتي البصرة وبغداد (الحمراء) أما في القسم الشمالي من سوريا الداخلية وولاية الموصل المنطقة (١) فيصار إلى الاعتراف بدولة عربية مستقلة يكون لفرنسا الحق في تقديم المساعدات الاقتصادية والاستشارية لها ، وتنشأ كذلك دولة عربية مستقلة في منطقة النفوذ البريطاني الداخلية (المنطقة) يكون لبريطانيا حق تقديم المساعدة والمشورة[٣] .

ونرى أن الاتفاقية قد أهملت الحقائق الجغرافية والسياسية والنفسية وناقضت.

---

(١) Documents op. cit. pp. 241 — 51.

تتضمن كل المراسلات الدبلوماسية بين وزير خارجية روسيا والسفير الفرنسي في بتروغراد ووزير الخارجية البريطاني والسفير الفرنسي والسفير الروسي في لندن .

(٢) اتخذ هذا القرار نظراً لتضارب مصالح الدول الثلاث ولظروف فلسطين الدينية المقدسة ، وربما اتخذ أيضاً بضغط من الصهيونية تمهيداً لفصلها عن سوريا ووضعها ضمن نطاق النفوذ البريطاني .

(٣) أنطونيوس ص ٣٤٧ .

رغبات السكان وفكرة الوحدة . والأكثر خطورة أنها قد تعارضت مع وعود بريطانيا للحسين ولم تطلعه على اتفاقها مع فرنسا برغم أنها قد أطلعت فرنسا على اتفاقها مع الشريف [١] .

وقد حاولت بريطانيا فيما بعد أن تعطى تبريراً لموقفها المتناقض محتجة بظروف الحرب وعزمها على النصر بأى وسيلة حتى لقد أعلنت فيما بعد أن الاتفاقية هى محاولة عبقرية للتوفيق بين عهودها للعرب وواجبها نحو فرنسا .

وأراد الحلفاء أن يمهدوا لهذه الاتفاقية السرية بإرسال بعثة من سايكس وبيكو لمقابلة الحسين فى جدة والبحث حول مستقبل البلاد العربية . ويؤكد الحسين أنه لم يجر ذكر الاتفاقية بل تلميحات عامة حول التفاهم والتضامن الإنجليزى الفرنسى ومسألة قبول العرب الاعتراف لفرنسا بمنطقة نفوذ فى لبنان شبيهة بما توصل له حول العراق مع إنجلترا ضمن إطار السيادة العربية [٢] .

لقد بدأت بوادر شك بنوايا الغرب حتى قبل أن تكشف اتفاقية سايكس بيكو رسمياً من قبل وزارة الخارجية الروسية بعيد الثورة الشيوعية ضمن مجموعة الوثائق السرية فى محفوظاتها ، ونقلتها بعض الصحف البريطانية كما نوقش أمرها فى مجلس العموم البريطانى [٣].

وعلم العرب بفحوى الاتفاقية من رسالتين من جمال باشا إلى كل من فيصل

---

(١) Documents, Op. cit., p. 481.
وهذا يخالف ما أشاعته فرنسا فيما بعد فى مؤتمر الصلح أنها لم تكن مطلعة على عهود بريطانيا للحسين .

(٢) أنطونيوس ص ٣٥٦ – ٣٥٨ .
بينما يذكر رشيد رضا فى المنار جزء ٢٦ مجلد ٢٢ – ٦ يونيو (حزيران) ١٩٢١ ص ٤٥٣ أن أحد قواد فيصل قد جاء القاهرة وذكر أن الحسين قد وافق الإنجليز والفرنسيين على ما قرراه بشأن سوريا والعراق .

(٣) Parliamentary Debates, House of Common 5th series Vol. 100. December 1917, col. 1153.

وكان الإلحاح على وزير الخارجية (بلفور) بنشر مجموعة الوثائق السرية كاملة ولكنه رفض بحجة أن الحكومة لا تنشر إلا الوثائق التى تهم الرأى العام أما التى لها علاقة بحكومات حليفة فلا تستحق الاهتمام .

وجعفر العسكرى لعرض صلح منفرد والتخلى عن الحلفاء لأنهم يضمرون أغراضاً سرية تناقض استقلال العرب ، وأرسل فيصل الرسالتين إلى الحسين معبراً عن رأى من معه برفض متابعة الحرب مع الحلفاء[١] .

وقدم الحسين المراسلات إلى المندوب السامى البريطانى ليزوده بتفسير للاتفاقية السرية فأحالها إلى وزارة الخارجية ، ورفع نائب المعتمد البريطانى فى جدة إلى ملك الحجاز فى ٨ فبراير ١٩١٨ برقية باللغة العربية أكدت أن بريطانيا كسابق عهدها ستقف إلى جانب العرب فى كفاحهم من أجل التحرر « وتساعد الذين لا يزالون تحت نير الظالمين لينالوا حريتهم »[٢] .

فكتب الحسين إلى فيصل قائلا: « إن الوصول إلى هذه الأغراض قد أصبح معلقاً بشرفه وشرف عائلته وأنه يعتبره خائناً إذا ترك قتال الترك »[٣] .

وفشلت بذلك مساعى الصلح مع تركيا وبرغم أن المحاولات قد تجددت فيما بعد إلا أنها لم تصل إلى نتيجة[٤]

والواقع أن الثورة الشيوعية لم تكشف النقاب عن اتفاقية سايكس بيكو فقط بل أعطت بريطانيا الفرصة لتتحلل من البند الخاص بتدويل فلسطين وتصدر لليهود وعدها المعروف بإنشاء الوطن القومى اليهودى .

(ب) تصريح بلفور:

فقد أتاحت ظروف الحرب للصهيونية الاعتراف بأهدافها السياسية بعد دعاية مركزة استمرت ٢٠ عاماً تولى تنظيمها تيودور هرتسل ، فقد عقد المؤتمر الصهيونى الأول ١٨٩٧ ، وجعل هدف الحركة الصهيونية خلق وطن قومى لليهود

---

(١) أرسكين ، فيصل ملك العراق . بليموث ١٩٣٣ ترجمة عمر أبو النصر ص ٩٩ .

(٢) أنطونيوس ، الملحق (ج) ص ٥٨٣ .

(٣) أرسكين ، المصدر السابق ص ٩٩ .

(٤) يذكر محمد سعيد الجزائرى فى مذكراته (جهاد نصف قرن) ص ٨٧ – ٩٢ أن جمال باشا المرسينى قد طلب منه القيام بمهمة وسيط بينه وبين فيصل أواخر يوليو (تموز) ١٩١٨ ، واشترط فيصل انسحاب تركيا وإعلان استقلال العرب . . وتلاحقت الأحداث ولم تأت المباحثات بطائل . كما وجدت رسالة بين أوراق نسيب البكرى الخاصة من قيادة الجيش الرابع (دون تاريخ) تتوسطه للصلح .

فى فلسطين كحل « للمشكلة اليهودية فى العالم » ، وبرغم وجود معارضة يهودية لاترى فى فلسطين إلا مركزا روحياً حضارياً، تبنت الأغلبية آراء هرتسل السياسية بجعل فلسطين يهودية بنفس المعنى التى تكون فيها روسيا للروس وألمانيا للألمان[١] .

وبدأت الصهيونية فى تحقيق أهدافها بجهود منظمة للضغط على الحكومة العثمانية مباشرة أو عن طريق الدول الكبرى بمنح اليهود مزيداً من حق الاستيطان فى فلسطين . وبرغم أن العرب لم يكونوا على مستوى النشاط الصهيونى ولم يؤسسوا حركة رسمية إلا أنهم لم يجهلوا الخطر الصهيونى وتجلى رد الفعل بعد عام ١٨٩٠ على شكل احتجاج على شراء الأراضى والهجرة وهجمات عربية على المستعمرات الصهيونية كما أثار النواب العرب موضوع الهجرة اليهودية فى مجلس المبعوثان[٢] .

وأثار اشتراك الإمبراطورية العثمانية فى الحرب الأطماع الصهيونية ولاح لها أن انتصار الحلفاء قد يفتح باباً لتحقيقها ، فانتقل مركز الثقل فى الحركة الصهيونية نحو بريطانيا لكسب عطفها على القضية بعد أن قرب انهيار الإمبراطورية العثمانية؛ وكان على رأس زعماء الصهيونية فى إنجلترا حاييم وايزمان المولود فى روسيا والمحاضر فى الكيمياء فى جامعة منشستر . ورغم معارضة أغلبية اليهود الإنجليز (دعاة الاندماج) لهذا النشاط ذى الطابع القومى السياسى الذى رأوا فيه ما يهدد مركزهم كمواطنين[٣] ، فقد بدأت المفاوضات بين الحكومة البريطانية وبين الزعماء الصهيونيين فى فبراير (شباط) ١٩١٧ (بعد أن كانت المحاولات قد فشلت فى عهد وزارة أسكويت) ووضع الصهيونيون آراءهم فى قالب مشروع نهائى قدموه للحكومة لتصدر تصريحاً رسمياً بشأنه .

وكان لا بد من الحصول على دعم الحلفاء لهذا المشروع ، فكتب وايزمان إلى زعماء الصهيونية فى أمريكا طالباً دعم ويلسون الذى كان يرى أن التصريح سابق لأوانه برغم عطفه على الأفكار الصهيونية ، إلا أن « هاوس » الذى يمثل

---

(١) Kohn, Op. cit., p. 123 — 126.

(٢) صايغ (أنيس) الهاشميون وقضية فلسطين ، بيروت ١٩٦٦ — ص ٤٣ — ٤٧

(٣) Weizman, Trial and Error, London 1949, pp. 252 — 55.

ويلسون أبرق إلى الحكومة البريطانية بدعم فحوى التصريح[١] . وكان ذلك من أكبر العوامل التي دفعت بلفور وزير الخارجية إلى أن يصدر تصريحه المشهور في ٢ نوفبر (تشرين ثاني) ١٩١٧ .

وكان هناك فرق بين الاقتراح الصهيوني الأول والتصريح الذي نشر نهائياً : فالأول ينص على جعل فلسطين كلها وطناً قومياً لليهود ، والثاني ينص على إنشاء وطن في فلسطين مع تحفظات حول الحقوق المدنية والدينية لغير اليهود ، برغم أن الصهيونية تصر دوماً على أن تفسر التصريح بعبارات اقتراحهم الأول[٢] .

وفكرة الوطن القومي بالمعنى المقصود في التصريح ليس له سند في القانون أو العرف الدولي ، ولم تذكر الحكومة البريطانية في أي وثيقة رسمية إذا كان المقصود بالوطن القومي مجرد إيجاد وسيلة للتدرج نحو الدولة اليهودية ، أو أنه غاية في حد ذاته[٣] .

ولكن الشيء الخطير أن الحكومات البريطانية المتعاقبة قد تمسكت بالتصريح الذي أصبح عن طريق الانتداب إلزاماً دولياً ، والتصريح لم يراع رغبات سكان فلسطين ، فالجزء الرئيسي فيه يركز على اليهود (الأقلية) بينما لم يذكر العرب (الأكثرية) إلا باسم الطوائف أو الجماعات غير اليهودية مع الإشارة إلى حقوقهم المدنية والعربية دون التعرض إلى حقوقهم السياسية ، كما لم يعترف بالحركة العربية الناشئة التي كانت تندفع في ثورة تحررية في الشرق العربي .

ونسب التصريح إلى ظروف كثيرة فقيل إنه أعلن بسبب الموقف الحرج الذي كان يحيق بدول الحلفاء في أثناء الحرب ، أو أنه لكسب عطف اليهود في العالم نحو قضية الحلفاء ، أو لإثارة المصاعب على ألمانيا ، أو لضمان تأييد العناصر اليهودية في الولايات المتحدة .

ولكن مهما كانت قوة الدوافع من مالية وسياسية أو دينية وإنسانية (كما

---

(١) Weizmann, op. cit., p. 257.

وقد تلا التصريح مفاوضات بين الزعماء الصهيونيين والحكومة الفرنسية والإيطالية وحصلوا على موافقتهما برسائل موجهة إلى وايزمان شخصياً من قبل فرنسا فبراير (شباط) ١٩١٨ وإيطاليا مايو (آيار) ١٩١٨ ، فضمنوا بذلك قبول التصريح من قبل المؤتمر في فرساي .

(٢) Kohn, op. cit. pp. 128 — 29.

(٣) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، المصدر السابق ص ٨٨ .

يذكر البعض) تبدو ضرورات الاستراتيجية البريطانية ذات أهمية كبرى فى توجيه السياسة البريطانية فى صالح الصهيونية . لقد كان هم بريطانيا وضع قاعدة وطيدة تحمى قناة السويس من ناحية الشرق وكانت أهمية فلسطين فى التخطيط الاستراتيجى البريطانى تزداد مع تطور الحرب بعد أن أثبتت التجربة أن القناة ليست بعيدة عن الخطر ولا تشكل سيناء درعاً كافياً لها[1] .

وقد علم العرب بأخبار التصريح من الصحف فنشرت المقطم فى ٩ نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١٧ برقية من مراسلها فى لندن نص التصريح ونقلته المنار . وأثار فى مصر والعالم العربى خوفاً وشكوكاً من أهدافه الحقيقية ورأوا فيه إنكاراً لرغبات السكان فى فلسطين ولحريتهم السياسية ، وحاولت السلطة البريطانية تخفيف المخاوف برقابة ودعاية نشطة .

وإزاء هذا الموقف أرسل الحسين للحكومة البريطانية مذكرة يطلب تعريفاً لمعنى الوعد ومداه ، وعهدت وزارة الخارجية إلى القائد هو غارث من المكتب العربى فى القاهرة نقل رسالة من وزارة الخارجية إلى الحسين فى جدة فى أوائل يناير (كانون ثان) ١٩١٨[2] . وأكد هوغارث أن وجود اليهود فى فلسطين لن يتعارض مع حرية أهلها من الوجهتين الاقتصادية والسياسية ، وأن زعماء الحركة اليهودية مصممون على إنجاح الصهيونية بالصداقة والتعاون مع العرب .

ويذكر هوغارث أنه برغم قبول الحسين بإيجاد ملجأ لليهود فى فلسطين وتقديره قيمة التعاون العربى اليهودى ، إلا أنه لم يتنازل عن مطلب السيادة العربية .

وهكذا نجحت الحكومة البريطانية فى تبديد المعنى السياسى الذى انطوى عليه تصريح بلفور . وأرسلت لجنة صهيونية فى مارس (آذار) ١٩١٨ برياسة وايزمان تضم ممثلين من صهيونيى العالم وبها مراقبان رسميان من الحكومة البريطانية لدراسة الأوضاع فى فلسطين وإرساء الأسس لإقامة الوطن القومى اليهودى . وقد حاولت

---

(١) أنطونيوس ص ٣٦٩ .

(٢) الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين ، المصدر السابق ص ٧٧ . وكانت تعليمات هوغارث أن يبلغ الملك رسالة شفوية إلا أن الحسين قد دونها واطلع عليها أنطونيوس فيما بعد ، وظل النص الإنجليزى للرسالة مكتوماً حتى ١٩٣٩ ، عندما قامت الحكومة بنشره مع تقرير اللجنة الخاصة التى عينت للبحث فى مراسلات الحسين مكماهون .

اللجنة فى المقابلات التى أجرتها مع الشخصيات العربية فى مصر وفلسطين أن تخفف من مخاوف العرب وتقنعهم بفكرة التعاون مع التأكيد على المعنى الضمنى للتصريح بخلق مركز روحى معنوى فى فلسطين ، وسكتت المصادر عن رد الفعل العربى لهذه الزيارة[١] .

وهيأت السلطات البريطانية لقاء بين فيصل و ايزمان فى معسكر الأول فى الغويرة بين العقبة ومعان فى ٤ يونيو (حزيران) ١٩١٨[٢] . ويذكر وايزمان أن فيصلا كان مطلعاً على مضمون البرنامج الصهيونى « وقد لا يعرف تفصيلات مشروع الوطن القومى » . وقد أطلعه عن رغبة الصهيونية فى بذل جهدها لإزالة مخاوف العرب كما وعد بتحسين أوضاعهم لتنمية المشروعات التى تنوى الصهيونية القيام بها . ووعد فيصل أن ينقل الحديث إلى والده لأنه يتحمل بنفسه مسئولية السياسة العربية ، ولكنه أوضح أن فلسطين برغم مكانتها المقدسة فى العالم هى بلد عربى وأن أى استيطان يهودى يجب أن يكون تحت السيادة العربية . وفى رأى وايزمان أن تبادل الآراء قد تم بشكل مرض ، وبرغم أن الاجتماع لم يسفر عن أى اتفاق رسمى إلا أنه علق كبير أهمية على ترسيخ أسس الصداقة بينه وبين الأمير .

(ﻫ) وعود وتصريحات أخرى :

لم تستطع التأكيدات البريطانية أن تقضى على المخاوف التى كانت تعتمل فى نفوس كثير من الزعماء العرب بسبب ما رأوه من النشاط الفرنسى والصهيونى حول خططهم المقبلة . مما دفع بريطانيا وحلفاءها إلى إصدار تصريحات جديدة كانت ترافق زحف القوات العربية والحليفة فى سوريا ، وهى تؤكد عن عزم الحكومة البريطانية على احترام وعودها نصاً وروحاً بعد الحرب فبددت الشكوك

---

(١) رزوق ، إسرائيل الكبرى ، دراسة فى الفكر التوسعى الصهيونى بيروت ، ١٩٦٨ ص ٣٧٩ .

(٢) سجل وايزمان الاجتماع فى كتابه Trial and Error, pp. 234 - 36 وكذلك الضابط Joyce الذى كان يترجم الاجتماع سجل ما دار فى مقال فى : Arab Bulletin, June 18, 1918. ولم يدون فيصل شيئاً .

التي أثارتها سايكس بيكو وبلفور وتابعت قوى الثورة عملها[1] .

إذ بعد رسالة هوغارث بعدة أشهر جاءت رسالة أخرى إلى سبعة من السوريين العرب في القاهرة كانوا قد قدموا مذكرة إلى الحكومة البريطانية دون توقيع عن طريق المكتب العربي في القاهرة ، طلبوا منها تعريفاً واضحاً للسياسة البريطانية المزمع تطبيقها على البلاد العربية وشكل الحكومات التي ستقام بعد الحرب .

وجاء رد وزارة الخارجية في ١٦ يونيو (حزيران) ١٩١٨ ، وأرسلت نسخة منه إلى الحسين ، وكان هذا التصريح الذي عرف باسم التصريح إلى السبعة أهم بيان سياسي رسمي يوضح سياسة الحكومة البريطانية تجاه البلاد العربية الداخلة في الحدود المرسومة بمراسلات الحسين مكماهون ؛ فقد أعلنت فيه اعترافها باستقلال المناطق العربية التي كانت حرة ومستقلة قبل الحرب وكذلك المناطق التي حررها العرب بأنفسهم خلال الحرب . أما المناطق التي كانت ما تزال تحت سيطرة الترك أو تلك التي استولت عليها جيوش الحلفاء فقد أعلنت المذكرة أن سكانها سيفوزون بحريتهم واستقلالهم ونظام الحكم فيها سيكون مبنياً على رضى الأهلين[2].

ويبدو التصريح وكأنه يعارض اتفاقية سايكس بيكو إذ يبيح للعرب أن يحرروا المناطق التي لفرنسا مصالح فيها ، وتبدو وكأنها مستقلة تماماً من أي إشراف أو وصاية وهذا ما دفع العرب إلى الاعتقاد أن بإمكانهم الاعتماد على بريطانيا في نزاعهم المقبل مع فرنسا[3] .

---

(١) يذكر لورانس أنه كان يعلم أن وعود بريطانيا ستبقى حبراً على ورق في حالة كسبهم الحرب ، ولكنه كان يرى أن الحماسة العربية هي لأفضل أداة تستخدم في الحرب في الشرق ، لذلك كان يؤكد للعرب أن بريطانيا ستحترم وعودها ، ولما عرض عليه نوري الشعلان ملفاً حقيقياً لمستندات متناقضة ، طالباً منه أي التعهدات تستحق الثقة أجابه لورانس « إنه يتوجب الركون إلى آخر متناقضاتنا » .
« انظر أعمدة الحكمة السبعة ص ٢٠٨ » .

(٢) انطونيوس — ص ٥٨٧ — ٥٨٨ .

(٣) وقد ذكر الماجور Young في كتابه The Independent Arab London,1938 p. 211 :
أن الذي خول إعطاء هذا التصريح لم يكن يحلم بأن هذه القوة العربية الصغيرة التي كانت في بأبي اللسن والعقبة سوف تتمكن قبل مرور خمسة أشهر من الاستيلاء على حلب التي تبعد ٥٠٠ ميل . وأنه لما اطلع على الوثيقة لأول مرة في وزارة الخارجية توضحت له هذه الجهود الجبارة التي بذلها العرب في عملية سباقهم مع الخيالة البريطانية نحو دمشق .

وجاء خطاب ويلسون رئيس الولايات المتحدة فى Mount vernon فى يونيو (حزيران) ١٩١٨ الذى أعلن فيه المبادئ التى تتقيد بها حكومة الولايات المتحدة فى دخولها الحرب ومن جملتها أنها لا تعترف بأية اتفاقيات سرية بين الدول المتحالفة .

وكانت النقطة التى أنعشت آمال العرب وقوت ثقتهم بالمستقبل هى النقطة الثانية التى أعلنت أن الشعوب تملك حرية تقرير مصيرها . وإنه لن يفرض على أى شعب من الشعوب نوع من الحكم إلا برضاه واختياره ، وكانت هذه النقطة تحمل نفس مبادئ التصريح إلى السبعة .

وهكذا انتهت العلاقات التركية العربية بعد أن استمرت ٤٠٠ عام . ووجد العرب أنفسهم فى نهاية سبتمبر (أيلول) ١٩١٨ قد استعادوا عاصمة إمبراطوريتهم السابقة دمشق واعتبروا ذلك نصراً عربياً يثبت جدارتهم بإقامة حكومة مستقلة ؛ ولم تكن القوات البريطانية إلا أداة لتحقيق النصر .

ومهما قيل إن الدبلوماسية الماهرة هى التى دفعت العرب إلى الثورة ضد الدولة العثمانية إلا أن للثورة جذورها القومية وما فعلته بريطانيا هو أن استغلت ذلك لمنفعتها وجرت العرب إلى الدخول فى حرب قبل أن ينظموا علاقتهم معها بمعاهدات رسمية تضمن حقوقهم بعد الحرب .

ومع كل ما نسب إلى الحسين من أخطاء ، وبرغم النهاية السيئة للثورة العربية فقد كانت أول تحد عسكرى لليقظة القومية العربية فى آسيا ضد السلطة التركية ، أبرزت القضية العربية إلى حيز الوجود على ميدان السياسة العالمية .

والأحداث التى جرت على المسرح العربى خلال أعوام ١٩١٦ — ١٩١٧ — ١٩١٨ قد انتقلت بعد انتهاء الحرب إلى مؤتمر الصلح فى باريس وكان مصير الشرق العربى جزءاً من القضايا التى عرضت على المؤتمر وأثبتت مبادئ ويلسون أنها أحسن وسيلة للدعاية فى أثناء الحرب إلا أنها عديمة الجدوى لإرساء قواعد السلم [1] .

---

(١) Yale, Op. cit., p. 260.

الفصل الثاني
الحكومة العربية منذ تأسيسها وحتى انعقاد المؤتمر السوري العام
سبتمبر (أيلول) ١٩١٨- يونيو (حزيران) ١٩١٩

توجت الثورة العربية بدخول القوات العربية دمشق فى ٣٠ سبتمبر (أيلول) ١٩١٨ وإعلان الحكومة العربية فى قلب عاصمة العرب التاريخية وبذلك تحررت معظم أراضى آسيا العربية من الحكم العثمانى .

ولم يكن بيد حكومة الثورة العربية من مجموع الأراضى التى كانت للدول العثمانية إلا الحجاز ، ولم يكن فيه أثر لأجنبي ، والقسم الداخلى من سوريا وكانت القوات البريطانية ترابط فيه إلى جانب القوات العربية . أما فلسطين والعراق فكانت تحتلهما القوات البريطانية ، كما أن القوات الفرنسية قد نزلت فى ساحل سوريا الشمالى وعقد كثير من حكام الجزيرة العربية معاهدات مع حكومة الهند .

وقد خرجت سوريا من سنوات الحرب منهكة تعانى صعوبات اقتصادية كبيرة وترك انسحاب العثمانيين البلاد فى شبه فوضى . فكانت المهمة أمام العرب لإدارة شئون البلاد وإعادة تنظيمها كبيرة تتعدى الإمكانيات المتوفرة .

وقبل أن يتاح الوقت الكافى لتوطيد أسس هذه الدولة الجديدة التى أعلنت فى دمشق ، شغل القائمون على الحكم فى سوريا بقضية أكبر هى تسوية ما بعد الحرب التى تتعلق بالعالم كله ومن ضمنه سوريا .

وستثبت أحداث الاثنين وعشرين شهراً التى تلت الهدنة أن المشاكل السورية كثيرة التعقيد .

فالفرنسيون يلحون على تنفيذ اتفاقية ١٩١٦ وتأكيد حقوقهم التقليدية فى سوريا ، والعرب يحتجون على المعاهدات السرية ويطالبون بحقهم الطبيعى

فى الاستقلال والوحدة ، يحركهم الدافع القومى الذى توضح قبل الحرب الأولى ودعم بانتصار القوات العربية ووعود الحلفاء فى أثناء الحرب .

ووقع البريطانيون أمام التزاماتهم للطرفين ولكن همهم قبل كل شيء المصلحة البريطانية ، وكان مركزهم قوياً فى سوريا التى لاتزال دولياً جزءاً من أراضى العدو المحتلة إلى أن تتم التسوية النهائية .

وكلما مرت الشهور دون أن يتخذ أى قرار من قبل المؤتمر كانت المتاعب تزداد ، وإذا كان الوضع فى سوريا قد ازداد صعوبة فى هذه الفترة فلأنه يعكس بصورة رئيسية مصاعب مؤتمر السلم .

١- التطورات الداخلية

(أ) دخول القوات العربية دمشق والتحدى الجزائرى :

فى ليلة ٣٠ سبتمبر (أيلول) ١٩١٨ وصلت القوات العربية والإنجليزية ضواحى دمشق ، وتسربت إلى العاصمة قوات غير نظامية من جيش الثورة العربية إلا أن الدخول الرسمى للقوات العربية النظامية وطلائع قوات اللنبى كان فى صباح أول أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٨[١] .

وكان بين زعماء دمشق حزبان الأول يتبع الأميرين عبد القادر ومحمد سعيد الجزائرى ، والثانى يتبع أنصار فيصل ويتزعمه رضا الركابى وشكرى الأيوبى[٢].

---

(١) Falls, part II, op. cit., p. 591.

وليس هناك أى دليل للقصة التى تتردد غالباً بأن دخول القوات إلىدمشق قد تأخر إلى أن يتاح للأمير فيصل هذا الشرف إذ أن فيصلاً كان لا يزال فى معسكره فى الأزرق ، ولم يدخل دمشق إلا فى ٣ أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٨ وتولى الشريف ناصر ونورى الشعلان قيادة القوات العربية التى دخلت دمشق .

(٢) David, Ph., Un Gouvernement Arabe à Damas, Le Congres Syrien, Paris 1923, p. 9.

وكان الأميران من أحفاد الأمير عبد القادر الجزائرى وقد بلغ عدد الجزائريين فى نهاية الحرب حوالى ١٢ — ١٥ ألفاً واشتبه بأمر الأسرة حين نشوب الحرب لصلتهم بفرنسا . . ولاقى بعضهم النفى والإعدام . . ولكن فيما بعد استخدم الأخوان كوسطاء للصلح مع شريف مكة وانحاز عبد القادر إلى فيصل ولكنه تخلف عن الاشتراك فى عملية على جسر اليرموك (وكان هذا بدء النزاع مع لورانس) كما =

وكان الأخوان الجزائريان قد قاما منذ ٢٩ سبتمبر (أيلول) بتنظيم فرقة ميليشيا من المغاربة المستوطنين فى دمشق للمحافظة على الأمن وتنظيم الإدارة حين تأكد جلاء الجيش التركى عن دمشق وضواحيها ، واجتمع فى دار البلدية فى المرجة عدد من الوجهاء شكلوا مجلس شورى واختاروا الأمير سعيداً رئيساً للحكومة . وقد رفع العلم العربى الذى جاء به الأمير عبد القادر من مكة مكان العلم العثمانى[١] ، وكان قائد الجيش التركى جمال باشا المرسينى لا يزال بمقر قيادته فى فندق فيكتوريا .

وأرسل الأمير سعيد برقيات إلى المدن السورية المختلفة يعلن فيها انهزام الجيش العثمانى وقيام حكومة عربية فى دمشق تحت راية الحسين يطمئن بها الناس ويهدد من يخل بالأمن[٢] .

ويذكر محمد سعيد الجزائرى فى مذكراته[٣] أنه كان على اتفاق مع فيصل عند اجتماعهما فى وهيد غربى معان فى أغسطس (آب) ١٩١٨ على أن لا ينتظر قدومه ويعلن الاستقلال خشية أن تسبقه جيوش الاحتلال ، وإنه لما وصل الشريف ناصر إلى السراى كتب تفويضاً بإدارة الحكم إلى الأمير سعيد ريثما يصل فيصل .

وفى رواية لورانس عن الحادث أنه حين دخل دمشق أول أكتوبر (تشرين أول) أبلغه الأمير سعيد فى دار البلدية أنه قد ألف هو وأخوه حكومة وطنية نادت بالحسين ملكاً على العرب على مسمع ومرأى من الأتراك والألمان المنسحبين ، وأبلغه شكرى الأيوبى أن الأخوين قد عاضدا الترك إلى آخر لحظة فلما فقدا الأمل فرضا نفسيهما بقوة السلاح على لجنة فيصل المجتمعة اجتماعاً سريا وتوليا

= أرسل سعيد ثانية فى أغسطس (آب) ١٩١٨ بعروض جديدة للصلح وفشل ، واتهم الأخوان بميولهما إلى تركيا إلى آخر لحظة .

(١) ألوان العلم العربى الأربعة هى الأحمر (الثورة العربية) الأخضر (الفاطميون) الأبيض (الأمويون) الأسود (العباسيون) وكان قد اقترحها رجال الحركة العربية على الحسين (مقابلة شخصية مع محب الدين الخطيب) .

(٢) فى دار الوثائق التاريخية بدمشق صور عن البرقيات التى أرسلها سعيد الجزائرى إلى حكام ورؤساء بلديات سورية .

(٣) الرفاعى ، جهاد نصف قرن ص ١٠٣

مراقبتها بمعاضدة رجالهما المسلحين[١] .

وعمد لورانس – كما يذكر – إلى تصفية الأمر مع الجزائريين فى اجتماع عاصف أعلن فيه حل حكومة دمشق (بصفته مندوب فيصل) وإعلان حكومة عسكرية تستمد سلطتها من الحسين ناب فيها شكرى الأيوبى عن رضا الركابى (الحاكم العسكرى المقصود) مدة يوم واحد[٢] .

ولم يبق أمام الجزائريين إلا الانسحاب[٣] ، ولم يعرف تماماً سبب قرار لورانس التخلص منهما : قد يكون خشية من ميولهما الفرنسية أو أن سلطتهما فى دمشق ستنافس سلطة فيصل أو قد يكون لسبب شخصى . ولكن قدرى يرى « أن الوطنيين لم يرضوا عن قيام سعيد بتولى السلطة لأنه كان ضالعاً مع الترك فألحوا على الشريف ناصر بالعودة لاستلام السلطة وتنحية الأمير »[٤]. بينما يؤكد سعيد الجزائرى « أن هناك خطة مدبرة لوضع الحكومة تحت نفوذ الإنجليز وأصبح وجود الأميرين الجزائريين عقبة فى سبيل المطامع الإنجليزية »[٥] .

وحدثت بعد ذلك ثورة فجائية فى دمشق واندفعت قوات درزية وبدوية إلى المدينة وارتكبت أعمال نهب كبيرة وظلت الفوضى مستمرة حتى ظهيرة ٢ أكتوبر (تشرين أول) . ويعزو لورانس الثورة إلى تحريض الأخوين الجزائريين للدروز دفاعاً عن الذين متهمين رجال الحكم بأنهم صنائع بريطانية[٦] .

---

(١) Graves, Lawrance and the Arabs, London 1928, p. 372.

(٢) كان رضا الركابى من عائلة سورية معروفة وضابطاً فى الجيش التركى وقد بلغ زمن العثمانيين مناصب عسكرية وإدارية عالية ، وكان عضواً فى الحركة العربية برغم أنه ظل بمنصبه فى الجيش العثمانى . وقد كلفه فيصل بتشكيل الحكومة العربية التى تتسلم الأمور من السلطات العثمانية قبل وصول فيصل ، ولكنه كان يتولى قيادة القوات التركية التى تدافع عن دمشق . ويذكر أكرم رضا الركابى فى مقابلة شخصية أنه لا صحة لما يرويه لورانس من أن تعيينه كان على يده .

(٣) يذكر لورانس أنه لم يرغب فى القبض عليهما حتى لا يتخذ العرب فى المستقبل هذا مثلا يحتذى به فى تنفيذ سياستهم ، أعمدة الحكمة ص ٤٤٠ .

(٤) قدرى ، مذكراتى عن الثورة العربية ٧٣ – ٧٤

(٥) الرفاعى ، جهاد نصف قرن ص ١٠٥ – ١٠٨

(٦) Graves, p. 382.

وقامت القوات العربية النظامية بمهمة قمع الفتنة وملاحقة العصاة[١] وقد كلفت هذه الثورة فيما بعد الأمير عبد القادر حياته وسعيداً حريته[٢] .

وعادت دمشق إلى حياتها العادية ففتحت المتاجر ونشطت حركة المرور ، ويذكر مراسل التايمز أن أول أعمال الإدارة العربية كان إعادة نظام الإضاءة الكهربائية فى مساء ٢ أكتوبر (تشرين أول) كدليل لعودة السلام ، ثم تسيير الحافلات الكهربائية بعد توقفها منذ عام ١٩١٧[٣] .

وانسحبت القوات البريطانية إلى جنوب المدينة لسهولة وصول التموينات إليها من ميناء حيفا تاركة مهام الإدارة والأمن فى المدينة إلى العرب واتخذت إجراءات صحية مناسبة لمكافحة الأمراض التى انتشرت فى الجيش البريطانى وصفوف الأسرى واستدعى الأطباء السوريون للمساهمة[٤]

ويعزو لورانس إلى نفسه مهمة حكم دمشق ثلاثة أيام تولى فيها مسئولية حفظ الأمن وتنظيم الأعمال المدنية وإقامة حكومة عربية ثابتة « بحيث إنه لما غادر دمشق بعد ثلاثة أيام كان للسوريين حكومة استمرت مدة سنتين دون مشورة خارجية فى أرض محتلة خربتها الحرب»[٥] . ولكن ضخامة هذه الأعمال لا يمكن أن نعزوها إلى مجهود فرد واحد[٦] .

---

(١) فى مقابلة شخصية مع أكرم رضا الركابى نقلا عن مذكرات لوالده لم تنشر بعد :
« إن أسباب النهب والفوضى كانت لدخول بعض العصاة من المناطق المجاورة وبعض صعاليك المدينة حتى وبعض كبار التجار . . وكان رضا الركابى قد تأخر فى الوصول إلى دمشق فلما جاء إلى السراى وجد الفوضى . . عهد إلى محمد على التميمى بإدارة الأمن العام لقمع الفوضى ، كما نصب المشانق إرهابا وكان الناس حديثى العهد بمظالم جمال باشا . .

(٢) بعد مغادرة لورانس دمشق قتل عبد القادر فى ظروف غامضة؛ يذكر مراسل التيمس أن عبد القادر ذهب إلى فيصل طالباً منه الخروج للقائه ومعه سلاحه فأطلق عليه الحراس الرصاص . . ولكن Yale يذكر فى تقريره أن عبد القادر قتل فى شوارع دمشق على يد قوات الشريف فى محاولة للقبض عليه بعد أن استلم أخوه الشرطة . . . وكان فيصل يخشى نفوذهما . بينما يذكر أنيس صايغ فى كتابه (الهاشميون والثورة العربية ص ١٣٢) أن الذى خطط للقتل هو لورانس وأجل التنفيذ بعد رحيله حيث أشرف على جريمة الاغتيال ضابط بريطانى كان مع الثورة العربية هو كركر برايد .

(٣) The Times History of the War, Vol. XVIII, p. 252.

(٤) Falls, part II, op. cit., pp. 596, 600.

(٥) Graves, op. cit., pp. 379 — 380

(٦) فى مقابلة خاصة مع أكرم رضا الركابى أن دور لورانس مبالغ فيه وأنه منذ استلام رضا الركابى—

(ب) فيصل واللنبي في دمشق والتنظيمات الإدارية العسكرية :

في ٣ أكتوبر (تشرين أول) وصل اللنبي القائد العام إلى دمشق[١] وثبت الإجراءات التي اتخذت سابقاً حول الإدارة العسكرية المؤقتة للمنطقة الداخلية تحت حكم الركابي وبإمرة فيصل القائد العام للقوات العربية . كان قدوم فيصل إلى دمشق قد تأخر بسبب بعده عنها وقت احتلالها في معسكره بالأزرق ، وجاء إليها بقطار من درعا ، وكلف هيوبرت يونغ (أحد ضباط الجيش البريطاني المرافق للثورة العربية) باستقبال فيصل باسم اللنبي[٢] .

ووسط مظاهر الفرح والبهجة وصل إلى فندق فيكتوريا ليجتمع بالجنرال اللنبي لأول مرة وكانت مهمة لورانس أن يقدم كلاهما للآخر ويتولى عملية الترجمة بينهما[٣] .

وبعد المجاملات الأولية تداول الاثنان الموقف العسكري ، وكان قد بقي أمام القوات الحليفة إنهاء احتلال سوريا الوسطى والشمالية وذكر فيصل أنه بإمكان القوات العربية أن تواصل الزحف شمالاً بمساعدة القوات الإنجليزية[٤] .

ثم شرح اللنبي الإجرات المقترحة لإدارة البلاد إذ طالما كانت العمليات الحربية مستمرة فإن القائد العام يتولى المسئولية الكاملة حتى يتم عقد السلم وتظل سوريا خلال تلك الفترة جزءاً من أراضي العدو المحتلة . وتقام إدارة عسكرية عربية في

= الحكم أراد لورانس أن يتدخل فقال له : « إن تدخلك كان في الصحراء ، أما هنا فنحن دولة منظمة وعملنا مع كورنواليس ضابط الارتباط . » . ومنذ ذلك الوقت لم يرجع لورانس إلى دار الحكومة . . .

(١) Graves, p. 386.

كان يرافق اللنبي حين دخوله دمشق في سيارة رولز فخمة (حيث نزل في فندق فيكتوريا) . كلايتون وكورنواليس من دائرة الاستخبارات البريطانية في القاهرة . . .

(٢) Young, op. cit., p. 255.

(٣) يذكر مراسل التيمس دخول فيصل رسمياً إلى المدينة التي عادت ثانية إلى السيادة العربية ... وفضل أن يكون دخوله إليها بنفس الطريقة التي دخل بها الفاتحون العرب دمشق على ظهر حصان يرافقه ١٢ — ١٥ من أعوانه . . وكان لدخوله بهذه الطريقة أثر أكبر على السكان من أي موكب منظم

Times, Vol. XVII, p. 252.

(٤) حول عملية إنهاء تحرير سورية : انظر Falls, part II. op. cit., pp. 616 ff, and Wavell, Allenby, Soldier and Statesman, London 1946, pp. 245 ff.

المنطقة التى تقع شرق نهر الأردن من العقبة ، حتى دمشق ويعمل الحكام العسكريون والموظفون المدنيون من العرب تحت إدارة — فيصل قائد القوات العربية ، وهو نفسه مسئول أمام الجنرال اللنبى القائد العام عن طريق الجنرال جلبرت كلايتون G. Clayton الضابط السياسى الرئيسى فى القاهرة (مقر القيادة العامة) يساعده كورنواليس Cornwallis ضابط الارتباط البريطانى فى دمشق ويعين إلى جانبه ضابط ارتباط فرنسى للمشورة والإرشاد .

أما المنطقة التى تقع غربى نهر الأردن (فلسطين) فتوضع تحت الإدارة العسكرية الإنجليزية المباشرة كما يعهد إلى الفرنسيين بإدارة الشريط الساحلى تحت قيادة اللنبى[١] .

وبقيت منطقتا العراق والحجاز خارج هذه الإجراءات الأولى تحت حكم بريطانى عسكرى والثانية تحت سلطة الحسين .

ولما احتج فيصل على هذه الإجراءات أصر اللنبى على ضرورة قبولها إلى أن تتم التسوية النهائية[٢] .

وكانت الخطوط الرئيسية للتنظيم قد وضعت قبل الهدنة وباتفاق مع فرنسا فى لندن فى ٣٠ سبتمبر (أيلول) ١٩١٨ لحماية المصالح الفرنسية فى المنطقة التى خولتها لها اتفاقية سايكس بيكو ، وذلك بتعيين مستشار سياسى فى الشئون السياسية والإدارية فى المنطقة الزرقاء يقوم بمهمة الوسيط بين القيادة العليا والحكومات العربية المزمع إنشاؤها ، كما يحق له أن يعين مستشارين سياسيين فى المنطقة (أ) الداخلية ، وعلى القائد العام أن يبلغ المستشار السياسى خلاصة القرارات والتدابير ذات الطابع العسكرى[٣] .

ولكن اللنبى لم يشر إلى هذا الاتفاق بل أكد على عدم الاعتراف بأى ادعاء فرنسى فى الشرق وأن وجود القوات الفرنسية ليس مبنياً على ترتيبات سابقة بل

(١) Young, op. cit., p. 256.

(٢) Wavell, op. cit., p. 242.

(٣) Gontaut — Biron, Comment la France s'est instaleé en Syrie (1918 — 1919) Paris, 1922, pp. 65 — 66.

لتدابير عسكرية ، وهذا ما أمل به فيصل وغيره من المسئولين بإمكان إزاحة الفرنسيين فى المستقبل[١] .

وثبتت هذه الإجراءات فيما بعد بتقرير رفعه اللنبي إلى وزارة الحربية فى ٢٣ أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٨ حول تنظيم الإدارة العسكرية فى أراضى العدو المحتلة فى سوريا وهى ما تعرف بـ Occupied Enemy Territory بتقسيمها إلى ثلاث مناطق إدارية تحت إشرافه تتبع الخطوط الكبرى لنظام الإدارة العثمانى[٢]

١ — المنطقة الجنوبية : أوما تعرف باسم Occupied Enemy Territory South وتشمل متصرفية القدس المستقلة ولواء عكا ونابلس وأقضيتها وهى تحت الإدارة البريطانية[٣] .

٢ — المنطقة الشمالية : (فيما بعد أصبحت تسمى الغربية[٤] Occupied Enemy Territory North) وتشمل جبل لبنان وكل المنطقة الساحلية من عكا حتى إسكندرون وهى تحت الإدارة الفرنسية .

٣ — المنطقة الشرقية وتعرف باسم Occupied Enemy Territory East وقد وضعت تحت الإدارة العربية وكانت تشمل فى بدء التقسيم ولاية دمشق (بما فيها ألوية حماه ، حوران ، كرك) مع القسم الجنوبى من ولاية حلب[٥] . ثم

---

(١) Kedourie, p. 131.

(٢) كانت سوريا فى آخر العهد العثمانى تقسم إدارياً إلى ثلاث ولايات هى حلب (وتشمل ثلاثة ألوية حلب واورفه ومرعش) وولاية دمشق وتشمل ٤ ألوية (الشام — حماه — حوران — الكرك) وولاية بيروت ومتصرفتين مرتبطتين بوزارة الداخلية مباشرة هما القدس ودير الزور ومتصرفية ممتازة مرتبطة بالصدر الأعظم هى متصرفية جبل لبنان المستقل بموجب نظام خاص متفق عليه بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية. وكانت الولايات مقسمة إلى ألوية (سناجق) والألوية إلى أقضية والأقضية إلى نواح . وعلى رأس الإدارة فى كل لواء متصرف وفى كل قضاء قائمقام وفى كل ناحية مدير ناحية . انظر : الحصرى البلاد العربية والدولة العثمانية طبعة ثالثة بيروت ١٩٦٥ ص ٢٤٠ .

(٣) وضعت فلسطين تحت إدارة بريطانية بحتة برغم أن فرنسا كانت قد رغبت بعد احتلال فلسطين أن تكون تحت إدارة مشتركة . انظر : Esco Foundation for Palestine, p. 120Vol. I. Yale University Press, 1947.

(٤) عندما احتلت كليكيا فى ديسمبر (كانون أول) ١٩١٨ شكلت منطقة جديدة عرفت بالشمالية تحت إدارة فرنسية .

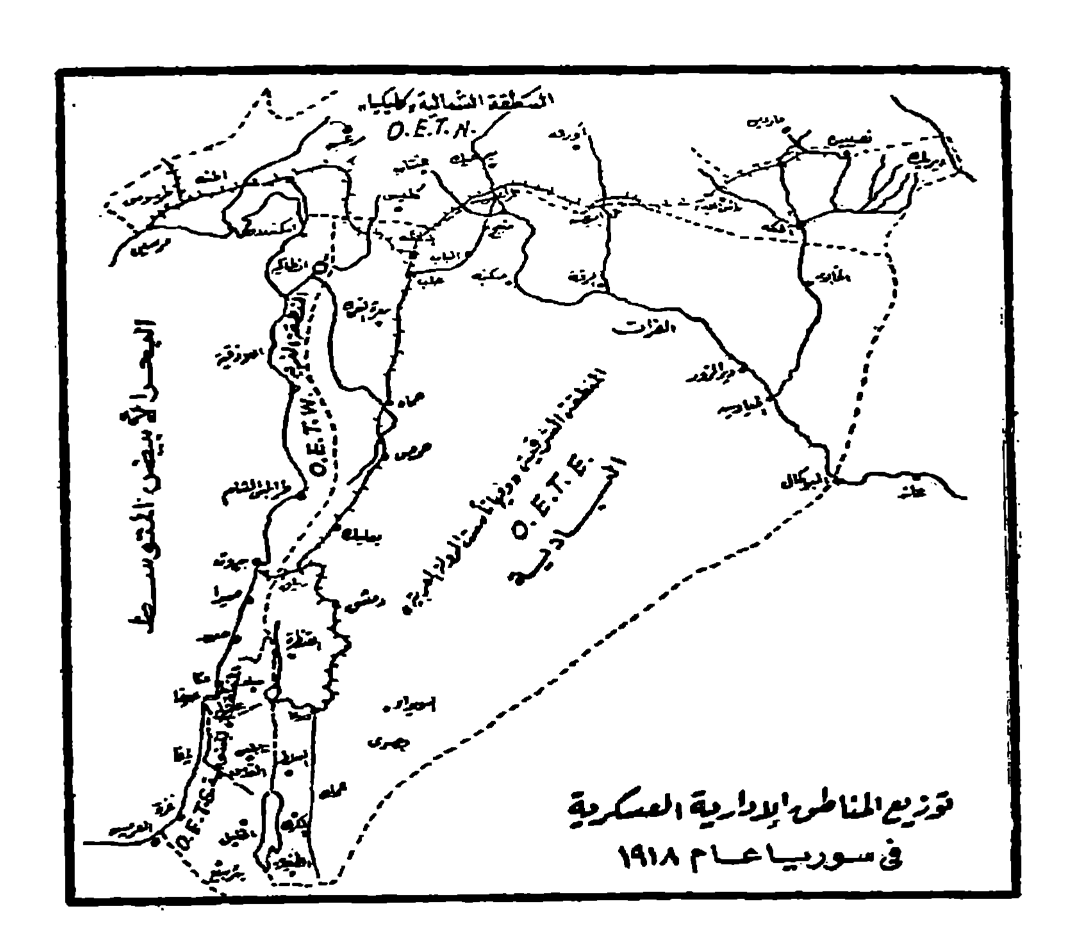
(٥) كان الجيش التركى قد جلا عن القسم الجنوبى من ولاية حلب الممتد من حدود لواء دير الزور شرقاً حتى ساحل إسكندرون غرباً وبقى قسمها الشمالى المأهول بأكثرية كردية وتركية وأرمنية مع أقلية عربية ضمن حدود تركيا .

عدل التقسيم فى أواخر سنة ١٩١٩ حيث تحولت حمص وجبل الدروز إلى إلى لواء (متصرفية أو سنجق التركية) كما أعيد لواء دير الزور إلى الحكومة العربية بعد حدوث خلاف مع السلطات البريطانية فى العراق .

وكانت الألوية مرتبطة بالولاية أو بمديرية الداخلية مباشرة .

وكانت هذه التقسيمات بالفعل تتوافق مع بنود اتفاقية سايكس بيكو فمنطقة الإدارة العربية (التى لا تعود بالحقيقة إلى وحدة إدارية من النظام العثمانى) تنطبق على المنطقتين ا ، ب ولكن جعلتا منطقة واحدة ألحق بها الأقضية الأربعة من البقاع وكانت تابعة للمنطقة الزرقاء .

وفى رأى الحكومة البريطانية أن هذا التقسيم قد أرضى المطالب الفرنسية



بالوقت نفسه قد حقق التزاماتها للعرب ، وستؤكد ذلك فى مباحثات مؤتمر السلم .

وكان وضع الجيش والحكومة فى المنطقة الشرقية حسب التنظيم الجديد من أغرب الأوضاع ؛ فالجيش من الوجهة القانونية لا يزال جزءاً من جيوش الحلفاء، وفيصل بصفته قائداً لقوة حليفة يعتبر مسئولا فى المسائل العسكرية أمام اللنبى ، والحكومة عسكرية تدير البلاد وفقاً للقواعد المقررة فى حقوق الدول لإدارة بلاد العدو المحتلة ترجع فى شئونها العليا السياسية والمالية وغيرها إلى مقر القيادة العامة[١] .

ويبدو هذا التناقض فى مرجع تعيين الركابى بين قائد القوات الحليفة الذى عينه حاكماً عسكرياً وبين فيصل الذى أعلن باسم والده فى بيانه إلى الشعب السورى يوم ٥ أكتوبر (تشرين أول) قيام « حكومة دستورية عربية مستقلة باسم الحسين شاملة جميع البلاد السورية » وعهد إلى الركابى بالقيادة العامة للحكومة[٢] .

ولكن الإدارة العربية فى هذه المنطقة كانت تتجاهل بالفعل تبعيتها إلى القائد العام وتهدف إلى إرساء قواعد حكومة قومية فى منطقة عربية حدودها سوريا كلها ، برغم كل مخططات ساسة أوربا أو مناقشاتهم ، وسعى فيصل ومستشاروه بذلك إلى إحداث أمر واقع اعتبروه شيئاً طبيعياً ومعقولا .

وعارض الفرنسيون منذ البدء إقامة هذه الدولة الجديدة دون مساعدة خارجية فى منطقة كان من المفروض أن تكون تحت النفوذ الفرنسى[٣] . واحتجوا أن اللنبى لم يتبع فى دمشق خطته بالحفاظ على الوضع القائم إلى أن تتم التسوية

---

(١) Wavell, op. cit., p. 257.

(٢) من بيان فيصل فى ١٥ أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٨ الحصرى يوم ميسلون ، ص ٢١٠ ويبدو أن الحسين لم يكن له إلا مظهر غامض من مظاهر السيادة على هذه الحكومة، برغم أن السلطات الفرنسية كانت تصر دوماً على إطلاق اسم الإدارة الشريفية على الإدارة العربية فى سوريا .

وروى أكرم رضا الركابى : أنه لما كثرت تدخلات فيصل فى الإدارة أصدر الركابى بيانه المشهور فى جريدة العاصمة عدد ٣٣ (٩ حزيران) ١٩١٩ كما يلى :

« أنا على رضا الركابى بما لى من السلطة المخولة إلى بصفتى المدير العام للقسم الشرقى من بلاد العدو المحتلة بتفويض من قبل القائد العام للحملة المصرية . . . إلخ » .

(٣) David, op. cit., p. 21.

النهائية ، بل اعترف ضمناً بالحكومة العربية وسمح برفع العلم العربي في دمشق وغيرها من المدن [١] .

وبينما احترم البريطانيون المشاعر العربية للاستقلال — على الأقل علناً — في منطقة الإدارة الشرقية ، ظل اللنبي يعتبر فيصلا قائداً تابعاً يصدر له التعليمات والأوامر ، بل عمد إلى قمع كل محاولة عربية للإشراف على المنطقة الزرقاء (الساحلية) .

(ج) إعلان الحكومات العربية في المناطق الساحلية :

كان اللنبي يقصد بذلك الإدارات والحكومات المؤقتة التي استلمت مسئوليات الحكم من القوات التركية المنسحبة في المدن المختلفة قبل وصول القوات العربية والحليفة ، ورفعت الأعلام العربية واعتبرت نفسها جزءاً من الحكومة العربية الواحدة ، وشكلت هيئات مسئولة مؤقتة لتأمين راحة السكان ومنع الفوضى إلى حين وصول القوات العربية .

في حماة تشكلت هيئة إدارية مؤقتة برياسة بدر الدين الكيلاني وعضوية بعض أعيان حماه [٢] ، وفي حلب رفع العلم العربي قبل أن يغادرها مصطفى كمال قائد القوة التركية إلى خارج حلب [٣] وشكل إبراهيم هنانو في شمال سوريا حكومة وجيشاً في كفر تخاريم (منطقة حلب) ووضع نفسه تحت تصرف الشريف ناصر الذي فوض له تحرير أنطاكية وتشكيل إدارة محلية في منطقتها جعل مركزها (الريحانية) ، وفي منطقة اللاذقية أعلنت حكومة تمتد من حدود طرطوس إلى حدود أنطاكية وتأسيس مجلس وطني عهد برياسته إلى رشيد طليع [٤] .

وأخذت الحكومة العربية التي أعلنت في بيروت شهرة أوسع ، فقد تلقى عمر

---

(١) Kedourie, op. cit., p. 127.

(٢) أوراق بدر الدين الكيلاني في دار الوثائق التاريخية بدمشق .

(٣) يروى إحسان الجابري في مقابلة شخصية « من الطريف أن مصطفى كمال لما تمكن من هزيمة الحلفاء في ضواحي حلب خشي أهل حلب انتقام الترك فعملوا إلى إخفاء الأشياء الثمينة » .

(٤) مقابلة شخصية مع محمد الشريقي وكان أمين سر المجلس الوطني الذي تأسس في اللاذقية وقد ألقى خطبة في دار الحكومة حين رفع العلم العربي عليها .

الداعوق رئيس البلدية برقية من الأمير سعيد الجزائرى فى دمشق يعلمه بتأسيس إدارة عربية مماثلة فى بيروت . واستلم الداعوق مع ثلاثة من أعيان بيروت وثيقة الانسحاب من الوالى التركى واتفقوا على تأليف الحكومة ووضعوا بياناً طبع فى جريدة لسان الحال عند الفجر (١) .

ورفع العلم العربى فوق دار الحكومة بعد أن وردت من دمشق برقية بأشكال العلم الجديد (٢) وشغلت الحكومة بضبط الأمن ووضع الأنظمة والقوانين التى تتناسب والوضع الجديد .

وقد روى نورى السعيد(٣) أن بعض أعيان بيروت بعثوا إلى القيادة العربية العامة فى دمشق يطلبون إرسال ممثل للشريف حسين لدعم الحكومة التى قامت فيها ، فأرسل شكرى الأيوبى مع قوة من ١٠٠ جندى ، وصلت بيروت فى ٤ أكتوبر (تشرين أول) بعد سير شاق على الخيول نظراً لتحطم الخط الحديدى بين المدينتين (٤) .

وقام الأيوبى بعد ذلك بزيارة بعبدا مركز متصرفية جبل لبنان حيث رفع العلم الجديد فى احتفال رسمى فى ٧ أكتوبر (تشرين أول) ، ودعى مجلس إدارة لبنان الذى عطل منذ علم ١٩١٥ إلى الاجتماع ثانية برياسة حبيب السعيد وحلف يمين الولاء لحكومة دمشق (٥) .

(١) نشرت جريدة الحياة اللبنانية عدد ١٠٧٠ — ٥ نوفمبر ١٩٤٩ بمناسبة وفاة عمر الداعوق صورة للبيان الذى أذاعه الداعوق معلنا قيام الحكومة العربية فى بيروت . وكان الأمير سعيد قد بعث ببرقية مماثلة إلى البطريرك المارونى إلياس حويك يطلب منه تأسيس حكومة عربية فى جبل لبنان ولكنه لم يجب بل انتظر تطورات أخرى . انظر :

Zeine, Struggle for Arab Independence, Beirut 1960, p. 37.

(٢) الرفاعى ، جهاد نصف قرن المصدر السابق ص ١١٨ .

وقد اقترح أن تكون اليد التى ترفع العلم ذات صلة بالشهداء فكان أن رفعته فاطمة المحمصانى أخت الشهيدين محمد ومحمود المحمصانى .

(٣) فى مقابلة خاصة مع الدكتور زين زين .

(٤) يذكر لورنس فى رسالة إلى وليام ييل W. Yale بأنه كان قد أخذ وعداً من فيصل وهيئة أركانه بترك لبنان وبيروت للفرنسيين . ولكن بعد الاستيلاء على دمشق فقد هو وفيصل السيطرة على السوريين الذين أخذوا المسئولية وتوجهوا مباشرة نحو الساحل . انظر :

Garnett, The letters of T.E. Lawrence, pp. 67 — 71.

(٥) Zeine, The Struggle for Arab Independence, op. cit., p. 38.

واحتج الفرنسيون لدى اللنبي لاستيلاء العرب على منطقة كانت قد خصصتها اتفاقية سايكس بيكو كجزء من المنطقة الفرنسية ، وكانت السفن الفرنسية التي وصلت إلى ميناء بيروت قادمة من بورسعيد في ٦ أكتوبر (تشرين أول) تحمل القوات الفرنسية المعروفة باسم Le Détachement Français de Palestine et de Syrie تراقب الموقف حتى قدوم القوات البريطانية البرية من ميناء حيفا على طول الساحل في ٨ أكتوبر (تشرين أول) حيث تمت عملية إنزال القوات الفرنسية إلى البر [١] .

وطلب إلى فيصل سحب ممثله في بيروت وحاول الاحتجاج لدى اللنبي « لأن سحب الحاكم العسكري من بيروت . . والذى ذهب بناء على طلب الشعب هو أمر لا يؤثر في كرامته الشخصية فحسب بل في القضية التي يحميها . . . » ولكن في حالة الإصرار على سحب الحاكم العسكري العربي طلب أن يستمر وجود العلم العربي مع أعلام الحلفاء وأن توضع الحكومة العربية والقوات العربية تحت تصرف الحاكم الذى سيعينه الجنرال اللنبي [٢] .

وفشلت جهود فيصل وانسحب شكرى الأيوبي وأزيحت الأعلام العربية من قبل القوات البريطانية نفسها وتنازلت حكومة الداعوق عن السلطة إلى الكولونيل de Piépape قائد القوات الفرنسية الذى عين حاكماً عسكرياً على بيروت .

وكذلك أبعد ممثلو الحكومة العربية في المناطق الساحلية الأخرى التي أعلنت السيادة العربية واستبدلوا بهم حكاماً فرنسيين. فاستدعى هنانو إلى حلب وانسحبت قواته من أنطاكية وحارم وسلمت للفرنسيين ، وفي اللاذقية نزلت القوات الفرنسية وأزيحت الأعلام العربية والتحق أعضاء حكومتها بحكومة دمشق [٣] .

(د) تأكيدات ووعود أخرى إلى العرب :

وقد أثارت هذه الإجراءات احتجاجات فيصل المتوالية حتى لقد « هدد بالتخلي عن قيادة الجيش العربي لو سمح للفرنسيين باحتلال الموانى . . لأن ذلك

---

(١) Zeine, The Struggle for Arab Independence, op. cit., pp. 38 — 39.

(٢) Robinson, p. 189.

(٣) مقابلة خاصة مع محمد الشريقي .

يعنى أن العرب سيعيشون فى بيت ليس له أبواب» وأوضح له اللنبى «أنه هو المسئول عن الإدارة بصفته القائد العام . . وأن الحكام الفرنسيين، الذين عينهم لا يجب أن ينظر لهم كفرنسيين بل كحلفاء» ؛ وقبل فيصل ذلك بشكل مؤقت بعد أن أبد له اللنبى «أن العصبة تهدف إعطاء الأمم الصغيرة حق تقرير مصيرها . . وأن الحلفاء ملزمون بحكم واجب الشرف الوصول إلى تسوية تطابق رغبات الشعوب التى يعنيها الأمر»[١] .

وقد وجدت الحكومتان الفرنسية والبريطانية أن من المناسب إصدار تصريح رسمى يدمج كل وعود الحلفاء إلى العرب ويعيد الثقة للمتشككين فى سياسة الحلفاء .

فصدر فى ٧ نوفمبر (تشرين ثان) بلاغ رسمى من قبل وزارة الخارجية البريطانية إلى السير ريجنالد وينجت المفوض السامى فى مصر ومنه إلى القيادة العامة ليوزع على الصحف فى جميع المناطق التى تحتلها القوات الحليفة[٢] .

ويظهر أن التصريح قد صيغ فى الأصل بالفرنسية والنص الذى ظهر بالإنجليزية ليس إلا ترجمة حتى الذى نشر كجواب على سؤال طرح فى مجلس العموم بتاريخ ٢٥ يوليو (تموز) سنة ١٩٢١[٣] .

وكان التصريح عملا فنيًا رائعاً قد صيغ بعبارات غامضة مستغلا مبادئ ويلسون لما كان لها من تأثير على الشعور القومى الذى سيطر على الشرق فهو يشير إلى « . . . أن السبب الذى من أجله حاربت فرنسا وإنجلترا فى الشرق إنما هو لتحرير الشعوب التى رزحت أجيالا تحت نظام الترك تحريراً تامًا . . وإقامة حكومات وإدارات وطنية تستمد سلطتها من اختيار الأهالى الوطنيين لها اختياراً حرًا . . وأجمعت فرنسا وإنجلترا على أن تؤيدا ذلك بأن تشجعا وتعينا على إقامة هذه الحكومات

---

(١) Baker, Woodrow Wilson and World Settlement, Vol. III.New York 1922. pp 1 — 19.

وكان اللنبى قد شرح هذه التأكيدات أمام الأربعة الكبار فى مؤتمر السلم فى الجلسة السرية فى ٢٠ مارس (آذار) ١٩١٩

(٢) Wavel, op. cit., p. 260.

(٣) Parliamentary Debates, House of Common vol. (145) 1921, pp. 35 — 36.

والإدارات الوطنية فى سوريا والعراق — المنطقتين اللتين أتم الحلفاء تحريرهما ، وفى الأراضى التى ما زالوا يجاهدون فى تحريرها . . .» [١] .

واعتبر البعض التصريح مستنداً رسمياً واعترافاً بنيل البلاد العربية المنفصلة عن تركيا استقلالها « إذ أنه يمنح حق تقرير المصير إلى الشعوب المحررة فى البلاد المنسلخة عن الدولة العثمانية؛ ورآه فيصل من المستندات التاريخية العظيمة لتشكيل وتنظيم حكومة عادلة قومية تحفظ حقوق جميع أهل البلاد » [٢] .

وبرغم كل الدعاية التى أثيرت حوله لكونه آخر تصريح لسياسة الحكومتين فهو لم يلغ التصريحات السابقة. واعترف وزير المستعمرات البريطانية أمام مجلس العموم فيما بعد أن التصريح لا يحتوى أى شىء يخالف الوعود الدولية السابقة [٣] .

وشعرت بعض الفئات فى سوريا وعلى رأسها جماعة العربية الفتاة أن التصريح يشتمل على المعونة والمساعدة من إنجلترا وفرنسا للحكومة العربية لا الاعتراف باستقلالها التام ، فقررت أن تعلن تمسكها بالاستقلال والوحدة وفقاً للأسس التى قامت عليها الثورة العربية [٤] .

(هـ) بداية التنظيم الداخلى :

كان أمام العرب مهام كبيرة لإعادة تنظيم كامل للإدارة بسبب ما تركه انسحاب الترك من فوضى ونتيجة لمآسى الحرب : فالبلد كانت شبه مقفرة وجهاز الإدارة مضطرب والأمن غير مستقر . وبادرت السلطات العربية إلى تنظيم الأعمال الحكومية الرسمية فى دمشق والمناطق الأخرى على أنقاض الإدارة العثمانية ووفق قوانينها ، خوفاً من أن تشل المصالح العامة [٥] .

---

(١) أنطونيوس ، ص ٥٩٠ — ٥٩١ .

(٢) الحصرى يوم ميسلون ص ٢١٣ من خطاب فيصل فى حلب ١١ نوفبر (تشرين ثان) ١٩١٨ .

(٣) Parliamentary Debates, House of Common, Vol, 145 (1921), pp. 35 — 36.

وكان وزير المستعمرات قد سئل عن مدى تأثير نصوص التصريح على السياسة الصهيونية فى فلسطين وإذا كانت الحكومة التى ستقيمها بريطانيا فيها ستستمد سلطتها من رغبة الشعب .

(٤) قدرى ، ص ٨٣ .

(٥) David, op. cit., p. 83.

وكان الرأس التنفيذى للإدارة هو الحاكم العسكرى العام يساعده مديرون عامون يتولون الإشراف على عدة مديريات للداخلية والمالية والعدلية والحربية والصحة والتعليم والأشغال العامة والزراعة والقبائل . كما أحدث مجلس شورى فى دمشق خول له دراسة وإعداد لوائح القوانين والأنظمة والقرارات وأصبح مرجعاً لكافة الدوائر الرسمية على شاكلة مجلس شورى الدولة فى الآستانة . وقد أعيد افتتاح المحاكم واستأنفت المجالس الإدارية والبلدية أعمالها ، وبدأت جباية الضرائب ، ونظراً لحاجة الدولة إلى الموارد تقرر مصادرة الأملاك العثمانية ، كما بذلت جهود للسهر على الأمن وإنقاذ من تضرر بالحرب وتعمير القرى وإصلاح الطرق وتوزيع الأغذية .

وأكمل التنظيم الإدارى بإنشاء ديوان الشورى الحربى برياسة ياسين الهاشمى عهد له بتنظيم الجيش العربى بعد حل جيش الثورة وعودة الضباط السوريين بعد الهدنة .

وقد ضم إلى خدمة الدولة كافة الموظفين العرب الذين تدربوا فى الإدارة العثمانية ووجدوا فى سورية أو تمكنوا من الوصول إليها ، أو استدعوا من الخارج لتسلم وظائف الدولة التى شغرت بسبب نزوح الموظفين الترك [١] .

وحرص الجميع على أن يكون فى مختلف المصالح أصحاب الخبرة والتجربة ، وأن يكون على رأس الدوائر اكفياء من خريجى المعاهد العالية [٢] . واضطر فيصل نظراً لحاجته إلى كفايات جديدة وبسبب نقص الجهاز الإدارى إلى أن يقرب إليه تلك العناصر التى أظهرت كفاية ودراية فى أثناء خدماتها فى ظل الترك ، وأن يبعد عنه رجال الثورة الذين ضحوا خوفاً من أن يثبت عجزهم عن تحمل المسئولية ، ولم يرض رجال الثورة المقربون هذا الإجراء الذى سلبهم أكثر سلطتهم [٣] .

وقد حاولت الحكومة أن تستفيد من خبرة بعض المستشارين البريطانيين

---

(١) يذكر طه الهاشمى فى مذكراته بيروت ١٩٦٦ص ٤٤ أنه وصلته رسالة وهو فى عدن من شقيقه ياسين يطلب منه أن يوافيه فى دمشق فرفض الاقتراح « لنفرته من حياة الوظيفة ... وتبكيت ضميره فى قبول الخدمة فى وقت لم يحسم فيه الخلاف ولم يظهر فى جو السياسة شىء يطمئن » .

(٢) رسالة من الشريف ناصر قائد الحملة الشمالية فى ١٩١٨/١٠/٢٣ إلى بدر الدين الكيلانى حماه .

(٣) أنظر قدرى ص ٨٣ ، الحصرى ص ٢١٤ — ص ٢١٥ .

والفرنسيين أو بعض السوريين الذين تدربوا على الإدارة فى مصر والسودان [١]

ويمكن أن نوصف الإدارة العربية بأنها استمرار للإدارة العثمانية ولكنها تدار باللغة العربية وتستوحى من الشعور العربى القومى فقد ظلت القوانين والتنظيمات العثمانية هى المعمول بها فى بدء عهد الاستقلال مع تعديل جزئى كان يظهر تدريجياً حسب مقتضى الحال ، واستمرت بذلك الدوائر الحكومية المختلفة على على العمل الذى جرى بسرعة دل على أهلية السوريين للحكم ، وكانت الأعمال تغطيها حسن النية برغم قلة الإمكانيات [٢] .

وبرغم الجهود الصادقة التى بذلت لتنظيم الإدارة ظلت الأوضاع الداخلية غير مستقرة خلال السنة الأولى تقريباً بعد الهدنة لعوامل عديدة منها : ازدواج السلطة فى المنطقة ، فالسلطات العسكرية البريطانية التى هى المرجع الأعلى فى البلاد كانت تعرقل تشكيلات الدولة وتحول دون تنظيم الأمور وإصلاحها بحرية [٣] ؛ كما كانت تشرف أحياناً على الصحافة وعلى البريد وعقد الاجتماعات العامة والسفر ، فكان محظوراً السفر إلى سوريا إلا لمن يوثق بمشايعته للحلفاء فى سياستهم .

وواجه الحكم العربى كذلك مصاعب مالية بسبب مآسى الحرب من جهة (رغم أن سورية الداخلية كانت أقل تضرراً من الساحل) وعدم وصولها إلى البحر الذى حرمها من دخلها من العائدات وجعلها أكثر اعتماداً على مساعدة الأجنبى [٤] .

ولكن أهم عامل فى عدم الاستقرار الداخلى هو التأخير فى تقرير مصير سورية المعروض أمام مؤتمر السلم ، فكانت المسائل السياسية تشغل الاهتمام الكلى

---

(١) عهد إلى الكولونيل جبرائيل حداد وهو أحد قادة الجيش البريطانى فى مصر ومن أصل سورى بإدارة الأمن العام فى سوريا ، وكذلك عهد إلى سعيد شقير من أصل لبنانى له خبرة فى الإدارة البريطانية فى مصر بتنظيم المالية .

ويذكر المؤلف Gontaut — Biron, p. 198 : أن الحكومة لم تستفد من الخبراء الفرنسيين رغم أن المنطقة الشرقية هى ضمن النفوذ الفرنسى .

(٢) مقابلة شخصية مع محب الدين الخطيب .

(٣) Tibawi, Syria from the peace conference to the Fall of Damascus, Islamic Quarterly, December 1967, p. 97.

(٤) تقدر المساعدة المالية التى كانت تقدمها الحكومة البريطانية بـ ١٥٠,٠٠٠ جنيه مصرى سنوياً .

للمسئولين السوريين برغم الحاجة الماسة إلى الإصلاح الإدارى ، وكثيراً ما كانت تؤجل بعض قضايا الإدارة الداخلية الملحة أمام تعقد المشاكل السياسية [١].

(و) النشاط السياسى والأحزاب السياسية :

ازداد النشاط السياسى فى هذا العهد ونجح الوطنيون فى إيقاظ الشعور القومى ونشر الفكرة الاستقلالية حتى إلى خارج حدود المنطقة الشرقية فى الجنوب والساحل، وهددت هذه الروح الجديدة السلطات الإنجليزية والفرنسية . وذكر سليم شاهين أحد أصحاب المقطم إلى رشيد رضا أنه قد أقام فى دمشق يوماً كاملا « بعثت فيه روح حياة عربية ووطنية جديدة . .» [٢] .

وصحيح أن الحركة القومية كانت تعانى من عوامل ضعف متعددة منها التحول عن فكرة الوحدة العربية إلى فكرة إيجاد سوريا المستقلة عن الحجاز ، وإيجاد دولة عراقية مستقلة عن الحجاز أيضاً [٣] . وظل كثير من عامة الشعب فى المدن والريف غير مبالين سياسياً ، وحتى بين الطبقات الواعية سياسياً كانت فكرة الولاء للجماعة أو الطائفة أو المنطقة أقوى من الفكرة القومية ، وظل الشعور الموالى للترك قوياً بين العائلات السنية القديمة الحريصة على الخلافة وبين الموظفين السابقين أو المحافظين الذين لا يثقون بدعاية الشبان .

إلا أنه يبدو أن الفكرة القومية قد انتصرت لفترة ما فوق الفروق الطائفية أو الإقليمية الضيقة[٤] ، والتفت الأغلبية حول الحركة العربية ، فلم نجد أى تنظيم سياسى فى هذا العهد يقوم على تعصب دينى أو يرفض انتماء جماعة معينة أو فئة معينة ، أو إقليم معين . واستغل فيصل كل مناسبة للتأكيد على مساواة

---

(١) Documents, op. cit,, p. 288.
تقرير من كلايتون إلى كرزن فى ٢٣ يونيو (حزيران) ١٩١٩ .

(٢) المنار ص ٣ م ٢٣ — ٢٩ مارس (آذار) ١٩٢٢ ص ٢٣٧ — ٢٤٠ .

(٣) كانت فكرة الوحدة العربية منذ البداية دعوة ضيقة تبغى توحيد الأقطار العربية فى آسيا فقط .

(٤) Nashabi, The political parties in Syria 1918 — 1939 (unpublished thesis) Beirut 1952, p. 73.

العرب فى الحقوق والالتزامات . فالعرب هم عرب قبل موسى وعيسى ومحمد [١] .
ويظهر تأكيده على المبدأ القومى فى خطابه أمام مؤتمر السلم فى فبراير (شباط)
١٩١٩ حين قال : « إن هناك فرقاً كبيراً بين حكومة تركية وأخرى عربية تقام فى
المنطقة» [٢] ، وفى مذكرته إلى داونج ستريت فى سبتمبر (أيلول) ١٩١٩ التى
ذكر فيها « رغم أنى من أعرق الأسر الإسلامية فقد تحملت السلاح ضد الخلافة
إلى جانب الحلفاء لتحقيق أمل الوحدة » [٣] .

وعرف الزعماء السياسيون أن الفروق الدينية يجب إزالتها قبل اتخاذ أى خطوة
نحو الوحدة . ولو كان الوضع فى سوريا قد ترك لتطور طبيعى لاختفى الانقسام
الدينى والإقليمى تماماً من على مسرح السياسة السورية .

وبدأ تلاشى نفوذ الأسر الوجيهة على الحياة السياسية ليحل محله نفوذ المثقفين
لا فرق بين مواطنهم ومذاهبهم ومراكزهم الاجتماعية [٤] ، وانتقل كثير من الضباط
والمثقفين من رجال الحركة العربية قبل الثورة وأثنائها إلى حكام وكبار موظفين
دون أن تكون لهم مصالح او ارتباطات محلية يتمسكون بها . حتى إن جرترود بل
فى زيارتها لسوريا فى أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٩ لم تجد بين الثلاثمائة أو
الأربعمائة ضابط عراقى الذين يعملون فى خدمة فيصل إلا واحداً أو اثنين
ينتميان إلى أسر عراقية ذات نفوذ [٥] .

وتضايق كثير من العائلات ذات النفوذ التى شغلت مركزاً مهماً فى العهد
العثمانى من سيطرة المثقفين الشباب من جميع الطبقات على مجرى الحركة السياسية
ودوائر الدولة فعمدت — دفاعاً عن مصالحها الخاصة أو طمعاً بالوظائف —

---

(١) من خطاب فيصل فى حلب ١١ نوفمبر تشرين ثان ١٩١٨ انظر الحصرى ص ٢١٤ :

(٢) Lansing, R., The Big. four and others of the Peace conference, London 1922, p. 171.

(٣) Documents, op. cit., p. 403.

(٤) يذكر داغر فى مذكراتى على هامش القضية العربية ، القاهرة ١٩٥٩ . ص ١١٠ أن من مظاهر ضياع هيبة الاستقراطية « أن عبد الرحمن اليوسف ومحمد العظم طلبا الانضمام إلى حزب الاستقلال لاسترداد مكانتهما فرفض الحزب ولكن فيصلاً وفق بعد جهد إلى إقناعه بأن يؤلف لجنة استشارية يكونان من أعضائها وألا يكون لهما إلا علاقة سمية » .

(٥) Kedourie, p. 159.

إلى إيجاد ثغرة لإثارة النعرة الإقليمية أو العصبية المحلية [1] .

ويذكر قدري أنه « لما كنا نود حكومة عربية ولم يدر بخلدنا الاكتفاء بسورية فقد عانينا وعانى الأمير معنا كثيراً للوقوف بوجه هذه الموجة من الاستياء »[2] حتى لقد تشكلت جبهة ضعيفة من الرجعية المتبرمة تناوئ بالحكم القائم وتحاول التعاون أحياناً مع فرنسا ، إلا أنها لم تستطع فى هذا العهد الوقوف أمام منافسة الجيل الجديد وظلت غير فعالة حتى غزو الجيش الفرنسي [3] .

لم تكن الأحزاب السياسية فى هذا العهد وليدة ظروف الحرب أو تسوياته إذ أن وراءها تاريخاً وتجربة تصلان إلى مطلع اليقظة العربية الحديثة قبل الحرب العالمية الأولى . وتشكلت أحزاب جديدة إلى جانب الفتاة والعهد اللذين قادا النضال ضد الترك قبل الثورة ووضعا ثقلهما إلى جانب الثورة مادياً ومعنوياً ، وتولت هذه الأحزاب أعباء النشاط السياسي فى هذا العهد وكان بعضها ينادى بفكرة الوحدة العربية بينما قصر البعض الآخر برامجه على سوريا ولم تكن الفروق بين الأحزاب واضحة ، فمبادئها متشابهة عدا التأكيد على بعض النقاط دون الأخرى . حتى لقد انتمى كثير من الأفراد إلى أكثر من حزب فى آن واحد . وغالباً ما كانت الأحزاب تعمل بانسجام من أجل المصلحة القومية ، وكان هذا ضرورياً خلال الفترة الحرجة التى تمر بها سوريا ، إلا أنه حال دون تطوير معارضة قوية أو إيجاد تنظيم حزبى واسع .

وقد شغلت حوادث العهد اهتمام كل الأحزاب السياسية ، لذلك احتوت برامجها حلولا للقضايا السياسية الملحة التى تكسب التأييد العام دون أن تتطرق إلى علاج للمشاكل الاجتماعية والاقتصادية ووضع برامج كاملة من أجل تخطيط المستقبل ، واعتقد رجال الأحزاب أنه يمكن حل ذلك بعد إنجاز الاستقلال وتأمين حرية العمل فى ظل دولة عربية مستقلة .

---

(١) مذكرات محمد كرد على جزء ١ ، ص ٢٣١ : « إن الركابى كان يعتمد على الغرباء فى إنشاء حكومته أكثر من اعتماده على أبناء البلد . . » .

(٢) قدرى ، ص ١٣٢ .

(٣) مقابلة شخصية مع إحسان الجابرى .

وقد تمتعت هذه الأحزاب بدعم شعبي واسع لما نادت به من مبادئ عامة كالاستقلال والوحدة ومعارضة تأسيس الوطن القومى اليهودى التى كانت مطلباً لغالبية الشعب فى سائر الطبقات ، وامتدت عضويتها نحو الجماهير بعد أن كانت مقتصرة على نخبة معينة ، ورغم نجاحها الجزئى فى تخطى الفروق الطبقية [١] ، فقد ظل الاتجاه العام فى الحياة الحزبية مقتنعاً بأن جماهير الشعب لا تزال جاهلة يجب أن توجه وتدفع ، وهذا يشرح الاتجاه نحو محاولة الأحزاب ضم شخصيات معروفة وهامة للمشاركة فى العمل الحزبى .

والواقع أنه يصعب أن نسمى هذه التنظيمات السياسية بأحزاب سياسية بالمعنى الحديث ، إلا أنه كان يمكن أن تصبح كذلك لو أتيح لها الزمن الكافى للتطور فى ظل نظام برلمانى ثابت [٢] .

جمعية العربية الفتاة :

وكان أعضاؤها المؤسسون قد اجتمعوا فى دمشق فى ١٩١٨/١٢/١٧ وانتخبوا الهيئة المركزية الجديدة للجمعية بالاشتراك مع فرع بيروت [٣] ووضعت تنظيماً جديداً يتناسب والوضع الجديد [٤] وقد تقرر « أن تبقى الجمعية سرية الآن نظراً للحالة السياسية العمومية » (مادة ٢ من النظام الأساسى) على أن يكون لها « حزب سياسى علنى » تدير بواسطته حركة الانتخابات العمومية وتطبيق مبادئها (المادة ١٧) . كما تقرر توسيع نشاطها بإيجاد تشكيلات وفروع لها فى جميع الأنحاء [٥] تساعدها على الوصول إلى غايتها التى هى « استقلال البلاد العربية استقلالا تاماً بجميع معانيه الحقوقية والسياسية وتأييد ذلك الاستقلال بجعل الأمة العربية فى مصاف الأمم الحية » (مادة ١) . وسعت إلى « تقوية الشعور العربى »

---

(١) Kohn, p. 115.

(٢) Nashabi, p. 54.

(٣) بين مجموعة أوراق محب الدين الخطيب سجل لوقائع بعض جلسات الهيئة المركزية .

(٤) بين مجموعة أوراق محب الدين الخطيب النظام الأساسى الجديد للجمعية وهو يتألف من ثمانية فصول و ٨٠ مادة .

(٥) تقرر فى الجلسة الثانية فى ١٩١٨/١٢/٢٢ إنشاء فرع فى القسطنطينية وأرسل له برنامج الاستقلال ومنشور الحلفاء ، كما أرسل بشير القصار إلى مصر لتأسيس فرع للجمعية على أن يكون وظيفته الظاهرية معتمداً تجارياً للحكومة العربية . « من مجموعة أوراق محب الدين الخطيب » .

بين طبقات الأمة العربية كافة مبدؤها فى ذلك « عربى قبل كل شىء وفوق كل شىء» (المادة ١٣) ، كما وسعت نشاطها بتأسيس « إدارة استخبارات للوقوف على كل عمل أو تدبير يقصد به تهديد الاستقلال العربى فى أى محل كان»[١] (مادة ١٦) . واتصلت بأعضائها البارزين فى الدول العربية لتقوية فكرة الوحدة والاستقلال لكل العرب ، كما كانت تساعد أحزاباً أخرى مادياً ، وقد ساعد على هذا النشاط كون أعضاء الفتاة على الأغلب من الأثرياء الذين عملوا على دعم ميزانية الجمعية بالتبرعات والهبات .

وغيرت الفتاة منهجها فصارت تعقد اجتماعات شهرية يشهدها أعضاؤها القدامى وسموا بالمؤسسين (أى الذين دخلوا قبل دخول الجيش العربى) لبحث مختلف الشئون وتوجيه الانتقادات للهيئة المركزية بحيث تسقط إذا لم تنل ثقة الأكثرية ويجدد انتخابها . وظل الأعضاء الجدد (العاديين) أى الذين انتسبوا بعد الهدنة يتلقون القرارات والتوجيهات بواسطة مندوبين موزعين على المدن السورية ومعتمدين فى بعض الأقطار العربية [٢] فحفظت للجمعية بذلك بعض السرية برغم أن أسمها وكثيراً من أعضائها ونشاطها لم يعد سراً .

وتمتعت الفتاة بنفوذ ضخم فى الدولة فى الشئون الداخلية والخارجية فكانت الهيئة المركزية « تبذل جهدها فى تسيير الحكومة وفقاً لخطتها السياسية وتسعى أيضاً أن تأتى برجال أكفاء إلى الحكومة ، ذوى أخلاق فاضلة وإخلاص لمبدأ الاستقلال العربى بقطع النظر عن ارتباطهم بالجمعية أو عدمه » (المادة ١١ من النظام الأساسى) .

---

(١) وقد تقرر أن تكون لإدارة الاستخبارات فروع بمخصصات معينة «وكان مقطوع تخصيص الاستخبارات من دار الإمارة هو ٣٥٠٠ ليرة منها ١٣٨٠ لبيروت وملحقاتها ، والمنطقة الفرنسوية شمال حلب ٣٠٠ ليرة ، وفلسطين ٣٠٠ ليرة ومصر ١٥٠ ليرة » . «مجموعة أوراق محب الدين الخطيب » .

(٢) بين أوراق محب الدين الخطيب كراس يتضمن أسماء أعضاء الفتاة المؤسسين والعاديين وأرقام تسلسلهم وتاريخ انتسابهم وواسطة الانتساب ، ويدل على أن بعض الأعضاء الذين انتسبوا بعد ١٩١٨ رشحتهم لجنة مخصوصة ليكونوا من المؤسسين . وحسب الكراس يظهر أن عدد أعضاء الفتاة حتى ١٩١٥ كان (٨٦) عضوا وحتى مارس (آذار) ١٩٢٠ بلغ عددهم (٢٠٢) .

كما كانت قوية بين فئات الجماهير فى الداخل ويمكنها أن تحركهم بسهولة وانبثق عنها هيئات حزبية قامت بوحيها وعملت بتوجيهها .

وكان من شأن النفوذ الذى تمتعت به أن أصبحت عرضة لحملة انتقادات وهذا « أمر طبيعى فى أى تنظيم يتبنى عهداً وتكون حكومته منها » [١] . وقد يكون ذلك لتساهل الفتاة فى تطبيق شروط الانتساب أو « لوجود تيارات معارضة خارج تنظيم الفتاة ممن اعتاد الوجاهة ومن كان يرغب فى الوظائف ولم ينلها بسبب العهدة بها لمن أحق من شباب العرب » [٢] .

وظلت الفتاة مؤيدة لسياسة فيصل والحلفاء حتى نهاية ١٩١٩ حيث حدث الخلاف بعد اتفاقه مع كلمنصو مما كان العامل الرئيسى لنمو كثير من أحزاب المعارضة ، ولكنها فى نهاية العهد شعرت ككل الفئات السياسية بالحاجة لتوحيد الجهود لمقابلة التهديد . والواقع أن الحركة القومية تدين للفتاة فى أحرج السنوات وأشدها خطراً ، وزالت الفتاة كغيرها من التنظيمات السياسية بعد ١٩٢٠ .

حزب الاستقلال :

وكان من نتاج الفتاة ، ويعمل كمظهر خارجى بكل ما تود الفتاة عمله فى مختلف الميادين لنشر المبادئ الوطنية وتقوية الشعور العربى بين طبقات الأمة وتنظيم الأعمال السياسية وعقد الاجتماعات والمظاهرات والإشراف على الصحف التى كان يصدرها بعض أعضاء الجمعية أو من يؤيدهم ، وأصبح العمود الفقرى للحياة الحزبية فى سوريا والمسيطر على البلاد بحيث لم يقرر عمل أو وزارة أو توضع خطة إلا بالاتفاق معه [٣] .

وقد كان الارتباط وثيقاً بين التشكيلين ، فالحزبان يتشاركان بنفس الأعضاء ولم يكن له برنامج متميز عن الفتاة [٤] فالقرارات والاتجاهات والأعمال متفقة .

---

(١) دروزه حول الحركة العربية الحديثة ، صيدا ، ١٩٥٠ ، ص ٨٧ .
(٢) قدرى المصدر السابق ص ٨٢ .
(٣) داغر ص ١٠٧ .
(٤) بين أوراق محب الدين الخطيب وثيقة تتضمن البرنامج السياسى لحزب الاستقلال العربى .

وقد تمتع بشهرة كبيرة وانتشار واسع اختفت وراءها شهرة الفتاة ، وأسس له فروع في المدن السورية .

وقد فتح باب الدخول إليه بمقياس واسع ، وانضم له إلى جانب أعضاء الجمعية الكثيرون من الزعماء والأعضاء ممن لا يحسن أن يكونوا فى نطاق التشكيل السرى ولكن يمكن الاستفادة منهم والتعاون معهم [١] . وانتخبت له هيئة إدارية كثيرة العدد تتسع لتمثيل أعضاء الحزب على مختلف فئاتهم وتخضع لتوجيهات الهيئة المركزية للفتاة ، ويذكر داغر أنه بلغ من انضم إلى حزب الاستقلال وخاطبت هيئته الإدارية لجنة كنج كرين ٧٥ ألفاً [٢]

النادى العربى :

أنشئ النادى العربى فى دمشق بعد انتهاء الحرب ، وكان الركابى من جملة مؤسسيه ، وبرغم أنه قد أسس ليكون له فروع فى العالم العربى إلا أن نشاطه قد انحصر فى سوريا وكانت قيادته المركزية فى دمشق مع فروع فى حلب وحمص .

واستوحيت فكرته من فكرة المنتدى الأدبى مع زيادة انطلاق وحرية متسقة مع طبيعة العهد القومية . واقتصرت عضويته على الطبقة المثقفة ، ومعظم أعضائه ينتمون إلى أحزاب سياسية برغم أنه قد أعلن عن حياده السياسى كما ذكر ضابط الارتباط البريطانى كورنواليس فى تقريره فى ١٦ مايو (آيار) ١٩١٩ [٣] « إن النادى العربى فى دمشق قد وضع لافتة على مدخل مقره يحظر فيه بحث الأمور السياسية

---

(١) يذكر النشابى فى رسالته عن الأحزاب السياسية فى سورية ص ٢٦ نقلا عن نبيه العظمة فى مقابلة جرت معه فى ١٩٥٢ أن موافقة أعضاء حزب الاستقلال كانت تؤخذ بطريقة غير دقيقة إذ توضع خطوط سياسة الحزب على رأس عريضة توزع على كل البلاد وتجمع توقيعات الموافقين .

(٢) داغر ص ١٠٧ .

ويذكر نبيه العظمة (وكان مسئولا عن تسجيل الأعضاء) بأن عدد الاستقلاليين قدر بـ ٢٢٫٠٠٠ قسموا إلى أعضاء مؤازرين وأعضاء فعالين ولم يتجاوز عدد الآخيرين ٢٥٠٠ عضو .

(٣) Documents, op. cit., p. 264.

ويضيف التقرير أن فيصلاً كان يعرف أنه من الأسهل وقف شلالات نياجرا عن أن يوقف السوريين عن التكلم بالسياسة ، لذا فقد سمح باستمرار المناقشات فى بيوت الأعضاء .

أو عقد الاجتماعات السياسية نظراً لأن أهداف النادى اجتماعية علمية فقط» .

إلا أن النادى بالفعل غدا نادياً قومياً سياسياً ثقافياً وأصبح « مركز الحركة والنشاط ومدرسة التربية الوطنية السياسية»[١] ، ففيه تعقد الاجتماعات العامة وتلقى الخطب ، ومنه تقوم المظاهرات . وأصبح النادى العربى فيما بعد المسيطر على الحياة العامة كلها .

وكانت دعايته موجهة بشكل خاص ضد فرنسا ، ويساهم مع بقية الأحزاب ، ولذلك فإن كثيراً من المراقبين الأجانب يخلطون بين تنظيم النادى والفتاة والاستقلال ويعطون النادى خصائص تنطبق على الحزبين السابقين .

وقد اتهم أعضاؤه فى حلب بأن لهم علاقة بالنشاط المعادى لفرنسا فى كليكيا[٢] .

حزب العهد :

وكان الحزب قد ظهر كتنظيم عسكرى قبل الحرب لدعم الفكرة القومية ، وكان أعضاؤه البارزون خلال الحرب قد انضموا إلى قوات الثورة العربية . وبعد الحرب تابع نشاطه وضم إلى جانب أعضائه القدامى كثيراً من الضباط فى الجيش العربى كما انضم إليهم قليل من المدنيين من موظفى الدولة[٣] .

وكان مقر الحزب العام فى دمشق قد انقسم إلى فرعين عهد سورى وعهد عراقى لأن ذلك أكثر ملاءمة للتطورات الجديدة ولمقاومة التدخل الأجنبى نظراً لأن سوريا كانت تقاوم التدخل الفرنسى ، والعراق يقاوم الاحتلال البريطانى وقد لا يكون ذلك دليل سوء تفاهم بين الفرعين أو قيام نعرة إقليمية . فقد استمر التعاون بينهما ، وظل العهد السورى على علاقات مستمرة مع الفرع فى العراق

---

(١) داغر المصدر السابق ص ١٠٧ .

(٢) Gontaut — Biron, op. cit., pp. 194 — 95.

وقد ذكر المؤلف بأن « النادى العربى هو جمعية سرية ذات ميول معادية للأجانب ، هدفها إنشاء دولة عربية كبرى تمتد من الحجاز إلى الخليج الفارسى . ولكن تركزت جهودها بادئ الأمر فى سورية وكانت تضم كل الموظفين الكبار فى الحكومة العربية والفارين من الجيش التركى . ونشاط النادى يبرهن أن تنظيمه ليس مرتجلا .. ومن مركزه فى دمشق كان يتصل بكل التشكيلات السياسية الأخرى » . وهذه خصائص تنطبق على الفتاة والاستقلال .

(٣) روى حسن الحكيم ذلك فى مقابلة خاصة وكان من بينهم .

من أجل المطالبة باستقلاله كما أن بعض الضباط العراقيين ممن ينتمون إلى العهد العراقي استمروا في العمل في دمشق [١] .

ولعب الحزب في بعض الأحيان دور المعارضة للفتاة وحزب الاستقلال إلا أن موقفه في الأحداث المهمة كان منسجماً مع موقف الفتاة ، بل لقد انضم كثير من أعضائه بعد عام ١٩١٨ إلى الفتاة وساهموا في نشاطها وحركاتها إلا أنه لم يكن له نشاط كبير في هذا العهد لأن عضويته ظلت محدودة ومقتصرة على الجيش تقريباً .

الأحزاب السورية في مصر :

كانت التضحية التي تناضل سوريا من أجلها . بعد الحرب تشغل أذهان المهاجرين السوريين . الذين يبلغون مئات الآلاف في مصر والمهجر . وقد رأوا في استقلال سوريا فخراً قومياً لهم ، فعطفوا على الحركة داخل سوريا وشجعوها في صحفهم ونواديهم و بأموالهم [٢] .

وأصبحت مصر بعد الحرب مركزاً لنشاط السوريين السياسي فشكلوا تنظيمات سياسية ضمت عدداً من المثقفين السوريين فيها . ولم تختلف الأحزاب السياسية في مصر عن تلك التي شكلت في سوريا إلا في بعض المظاهر منها : إن الأحزاب السياسية في سوريا اعتنت بشكل مباشر بما كان يجري حولها ، لذلك توزعت جهودها بين الأحداث المتعددة وبينها المهم وغير المهم ، وكان لا بد لها من إرضاء الرأي العام الذي كان ينفعل في كثير من الأحيان بقضايا ثانوية ، بينما تحررت الأحزاب السياسية في مصر من ضغط الرأي العام وأصبح بإمكانها أن تعطي حكماً سليماً مبنياً على دراسة عميقة ، وتمتعت بجهاز متماسك بسبب عضويتها المختارة وعددها المحدود . إلا أن هذا لا يعني أنها كانت أكثر فعالية من الأحزاب في سوريا ، إذ لم يكن لها تأثير قوي على معظم القرارات السياسية [٣] .

---

(١) Documents, op. cit. pp, 568 — 69.

(٢) Gontaut — Biron, op. cit., 186.

(٣) Nashabi, op. cit., p. 73.

وكان حزب الاتحاد السورى أهم هذه الأحزاب وقد ظهرت نواته بعد كشف اتفاقية سايكس بيكو وتقديم عدد من السوريين مذكرة استفسار إلى الحكومة البريطانية ردت عليها بمذكرة جوابية فى ٢٢ يونيو (حزيران) ١٩١٨ عرفت باسم التصريح إلى السبعة . وقد اجتمع عدد من السوريين فى مصر بعد ذلك لمناقشة المشاكل السياسية التى تواجه العرب وأنهوا اجتماعاتهم بإعلان تشكيل الحزب رسمياً فى ١٩ ديسمبر (كانون أول) ١٩١٨ .. ووضع له منهج فى ١٤ مادة ينص على وحدة سوريا الطبيعية واستقلالها التام والناجز بضمان عصبة الأمم وإدارتها على أساس المبادئ الديمقراطية اللامركزية [١] .

وفكرة الحزب ظاهرة جديدة فى سير الحركة العربية التى كانت قائمة على أساس أهداف استقلال البلاد العربية العثمانية ووحدتها دون تفريق بين الشام والعراق والحجاز . وقد فاق هذا الحزب غيره فى بث دعوته فى سوريا والمهجر ووظف له عمال للإدارة والترجمة والنسخ واستعان على عمله بسخاء رئيسه ميشيل لطف الله أخيه جورج الذى تبرع له فى أول تأسيسه بـ ٢٠٠٠ جنيه وكان الحزب يرسل برقيات الاحتجاج إلى أوربة وأمريكا ، ويبث دعوته فى البلاد السورية وفى الخارج ، وكان هو أول حزب يطلب من المؤتمر إرسال لجنة تحقيق للتأكد من رغبات السكان قبل تقرير مصيرها النهائى [٢] .

وازداد نشاطه فى أثناء مجيء اللجنة الأمريكية فأسس فرعاً له فى دمشق برياسة عبد الرحمن الشهبندر (وما لبث أن اندمج فى الحركة السياسية هناك) . واضطر الحزب أن يعدل بعض بنوده تعديلا يتفق مع الجو الذى كان سائداً فى دمشق . وبرغم أن الحزب قد مثل دور المعارضة للفتاة إلا أنه لم يبرز ولم يتسع كثيراً خلال العهد وسيزداد نشاطه بعد ميسلون .

---

(١) المنار جزء ٤ مجلد ٢١ — ٢٨ يونيو (حزيران) ١٩١٩ ص ٢٠٢ . وكان ميشيل لطف الله رئيساً للحزب ورشيد رضا وكيلا له برغم أن مذهبه السياسى كان يقول: « بوجوب اتحاد جزيرة العرب بالولايات العربية العثمانية ».

ويتبين من مناهج الحزب واشتراك فريق من أعضاء حزب اللامركزية السابق فيه أنهم قد ظلوا فى نشاطهم الجديد متأثرين بفكرة حزبهم القديم .

(٢) Tibawi, op. cit., p. 86.

والواقع أن هذا النشاط السياسي ونشر الأفكار الاستقلالية لم يرق للسلطات الفرنسية والبريطانية فحاول اللنبي فى خطابه فى النادى العربى فى دمشق فى ٢٣ فبراير شباط ١٩١٩ أن ينصح الوطنيين « بلزوم جانب الاعتدال للحصول على أمانيهم الوطنية المعتدلة » (١) .

واحتج بيكو لدى اللنبي على هذا التهديد الوطنى فوعده « بأن عودة الأمير من أوربا ستسكت المتطرفين » (٢) .

٢ ـ العلاقات الخارجية

(١) العلاقات مع المناطق المجاورة :

١ ـ المنطقة الغربية

بعد أن نزلت القوات الفرنسية فى المنطقة الساحلية الغربية (٣) فى ٨ أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٨ وأبعد ممثل الحكومة العربية بناء على أوامر اللنبي أصبحت إدارة المنطقة الغربية أو ما تسمى Occupied Enemy Territory West تحت إشراف سلطة اللنبي العسكرية بصفته القائد العام حسب التقسيم الإدارى الجديد الذى وضعت أسسه منذ أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٨ . وقد عين الكولونيل M. Coulondre حاكماً عسكرياً على بيروت ، كما عينت الحكومة الفرنسية جورج بيكو مفوضاً سامياً لها ناب عنه مؤقتاً ممثله De Piépape وعين حكام عسكريون فى جميع المناطق سموا مستشارين إلى جانب الموظفين الوطنيين .

وفى جبل لبنان (٤) أعلن فى احتفال جرى فى بعبدا (فى ٢٥ أكتوبر

---

(١) العاصمة عدد ٣ ، ٢٥ فبراير (شباط) ١٩١٩ .

(٢) سعيد (أمين) ، الثورة العربية الكبرى جزء ٢ ص ٤٥ .

(٣) كان الاحتلال العسكرى الكامل للمنطقة الساحلية قد تأخر بسبب امتناع تركيا عن الانسحاب واحتلال القوات العربية أنطاكية وحارم قبل وصول القوات الفرنسية ، ولكن أنهى الاحتلال فى أواخر ١٩١٨ باحتلال الإسكندرون وأنطاكية .

(٤) فى عام ١٨٦١ و بعد صراع بين الموارنة والدروز أصبح جبل لبنان متصرفية مستقلة ذاتياً ضمن الإمبراطورية العثمانية بناء على بروتوكول وضعته الدول الكبرى وألغى جمال باشا هذا النظام عام ١٩١٥ .

– تشرين أول – ١٩١٨) تثبيت مجلس إدارة لبنان برياسة حبيب باشا السعد [1] .

وكانت العناصر الوطنية التي تشارك في إدارة المنطقة الغربية أقل مما كانت في العهد العثماني ، ومعظمهم كانوا من الموارنة وهم أقلية في المنطقة، ولكن لهم نفوذ أكثر من أي فئة أخرى كالدروز والمسلمين السنة والطوائف المسيحية الأخرى .

وكان احتلال العرب لسوريا الداخلية – والتي اعتبرته بريطانية الحد الأدنى للوفاء بعهودها إلى مكماهون – بالنسبة للفرنسيين أمراً مؤقتاً وغير ضروري : فهو قد حرمهم من مساحات كبيرة في الشرق وأبعد قواتهم عن البقاع ، واحتجوا على أن ضابط الارتباط الفرنسي في الداخل ليس له سلطة فعلية ، كما أنهم قد أجبروا على إظهار الود للأمير فيصل وهو في طريقه إلى أوربة عبر بيروت وراقبوا بفتور حماس المسلمين في المنطقة الغربية لقضية الوحدة وتدفق وفودهم إلى دمشق .

كان هذا موقف السلطات الفرنسية في الساحل بينما كان المسئولون العرب يضعون في خططهم لتوحيد سوريا إعطاء وضع خاص للبنان كما صرح بذلك فيصل أمام مؤتمر الصلح وأمام وفد لبناني جاء لتهنئته في مايو (آيار) سنة١٩١٩ [2].

وقد واجه الفرنسيون منذ بداية إدارتهم مصاعب بالغة ، وكان لتفوق القوات البريطانية (بما يعادل جندي فرنسي واحد مقابل ثلاثة من البريطانيين) [3] ما يحط من ادعاءاتهم في الشرق ، وخاصة أن العرب ومعهم عدد لا بأس به من البريطانيين في الشرق يرون أنها لم تفعل شيئاً في الحملة ضد الدولة العثمانية [4] .

واتهم الفرنسيون حلفاءهم البريطانيين أو على الأصح موظفي الاستخبارات

---

(١) قد وصف الاحتفال في جريدة لسان الحال ٢٦ أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٨ عدد ٧١٦٠/١٢ وكان حبيب السعد هو نفسه الذي أقسم يمين الولاء إلى الحكومة العربية منذ ثمانية عشر يوماً وكان يشغل المنصب نفسه في العهد العثماني .

(٢) الريحاني : ملوك العرب جزء (١) بيروت١٩٢٤ ص ٣٠٩ .

(٣) Haut Commissariat de la Republique Française, En Syrie et Le Liban, Paris 1922, p. 42.

(٤) قال الأمير زيد إلى مندوب فرنسي تمسك بحقوق فرنسا : « أرني قبراً لأي جندي فرنسي مات في الجزيرة العربية لتحريرها . . وأنا أسمع إلى جدالك بينما سأريك قبور مئات الجنود العرب والهنود والإنجليز » .

انظر : Parliamentary Debates, House of Commons, Vol. 132, Col. 160.

البريطانية أنهم يمدون العون إلى نشاط الحكومة العربية المعادى لفرنسا على أمل الحلول مكانها ، وأنهم يرون التحالف بينهم وبين فرنسا أمراً مقتصراً على أوربة وليس له علاقة بشئون الشرق [١] .

وحاولت فرنسا تعزيز مركزها فى المنطقة الغربية بكل الوسائل : فأعلن كولوندر بأن فرنسا جاءت لبنان لحماية أصدقائها الموارنة ودعم مصالحهم وأثبت الموارنة أنهم حلفاء مخلصون لفرنسا فى مؤتمر الصلح . وكان الاضطهاد الذى ناله الموارنة فى سنوات الحرب قد أكد معارضتهم للوحدة مع سوريا ومطالبتهم بلبنان الكبير المتجه بأغلبيته الكاثوليكية نحو الغرب وخاصة أن كثيراً منهم قد تلقى تعليمه فى فرنسا . مع أن عدداً لا بأس به من الموارنة ومن الأغلبية المسيحية غير الكاثوليكية قد ساند الوحدة العربية والنهضة الثقافية وقاوم الحكم العثمانى فى الماضى . وحاولت استخدام الإغراء المادى فحمل كولوندر معه خمسة ملايين وخمسمائة ألف جنيه خصصتها فرنسا للدعاية ، وبذلك ابتاعت فرنسا الانتداب « بالجنيهات المصرية قبل العاطفة والتقاليد الفرنسية المارونية » [٢] .

وعملت على تعزيز قوتها العسكرية التى أنقصت بسبب نقل وحداتها إلى كليكيا ، ومنذ نزل بيكو فى بيروت كمفوض سام فى الشرق فى ٦ نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١٨ أبرق إلى باريس بأنه « طالما كان الجيش البريطانى يحتل البلاد فإن الشعب سيظل مواليا لأعدائنا والعلاج الوحيد هو إرسال ٢٠٠,٠٠٠ جندى إلى سوريا » [٣] .

وبرغم توزع القوات العسكرية فى كل مكان فى المنطقة الغربية فقد ظلت المناطق الداخلية من جبال العلويين ولبنان الجنوبى خارج السيطرة الفرنسية ، وكانت

---

(١) Goutant—Biron, op. cit., 195.

والمؤلف كان ضابطاً فرنسياً مسئولا فى تلك الفترة وقد كتب عن الأساليب التى اتبعتها بريطانيا لتقويض مركز فرنسا فى سوريا ، وبرغم أن أقواله لا يمكن الوثوق بها تماماً ، إلا أنه يكشف موقف الضباط والموظفين الفرنسيين فى تلك الفترة .

(٢) الرياشى (إسكندر) ، قبل وبعد (لبنان ١٩١٨ — ١٩٥٢) .
جريدة الحياة عدد ١٠٠٣ — ١٧ نوفمبر (تشرين ثان) ١٩٥٢ .

(٣) Garnett, op. cit., p. 276.

محاولتهم لفرض سلطتهم تواجه بأعمال مقاومة وصلت حد القتال المسلح .

ولا يمكن أن تعزى هذه الأعمال جميعاً إلى تحريض من دمشق ، فكثير منها كان له جذور فى الشعور التقليدى المعادى لفرنسا ، ونتيجة للمرارة التى خلقتها حوادث ١٩١٨ حين استبدلت الإدارة العربية بالفرنسية وما يتبع ذلك من إجراءات فرنسية أثارت نقمة العاملين للاستقلال والوحدة (١) .

وبدأ أول اضطراب جدى فى منتصف مايو (آيار) ١٩١٩ بهجوم على المراكز والفرق الفرنسية فى الساحل نظمته قوات صالح العلى . وازدادت اضطرابات الحدود فيما بعد إلى الحد الذى يهدد أمن المنطقة الغربية ويستدعى تدخل الحكومة العربية فى حين سكتت السلطات البريطانية عنها .

وظن الفرنسيون أن البريطانيين يزاحمونهم على حقهم فى سوريا ، وظن العرب — بسكوت البريطانيين عن نشاطهم ضد السلطات الفرنسية — أنهم يعطفون على قضيتهم ، فتصرفوا على أساس تفاهم خاطئ لم تبذل بريطانيا أى جهد فى تصحيحه (٢) .

٢ — المنطقة الجنوبية (فلسطين)

وضعت فلسطين تحت الإدارة العسكرية البريطانية المباشرة حسب إجراءات اللنبي فى أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٨ واعتبرت المنطقة الجنوبية من أراضى العدو المحتلة Occupied Enemy Territory South .

وقبل العرب هذا الإجراء لأنه مؤقت إلى أن تتم التسوية النهائية طالما أن فلسطين هى جزء من الدولة العربية الواحدة . وكان اللنبي يرى أن لا يحدث أى تغيير فى الأنظمة والقوانين الموجودة حتى قرار مؤتمر السلم ، واعتبر أن أى تشجيع من وزارة الخارجية البريطانية للصهيونية سابق لأوانه ، ولا يعنى هذا أنه لم يكن يعطف على آمال اليهود فى زيادة الهجرة ، إلا أنه كان يعبر عن تخوفه من أعمال العنف التى قد يقوم بها شعب فلسطين لو ظهر أى تسامح رسمى للمشاريع الصهيونية (٣) .

(١) Garanett, op. cit., p. 279.

(٢) Tibawi, op. cit., p. 98.

(٣) Wavell, op. cit., pp. 261 — 62.

وأصبح اللنبي بذلك هدفاً للانتقاد الصهيوني ، فاتهم مع جهازه الإدارى العسكرى بالموقف المعادى وغير المتعاطف مع الآمال الصهيونية ، وأنه كان يرى فى إصدار تصريح بلفور خطأ ارتكبته الحكومة البريطانية [١] .

ولكن الواقع أن السياسة البريطانية قد ذهبت فى تطرفها لدعم الصهيونية فى فلسطين أكثر من الفرنسيين فى دعم الموارنة ومنحتهم مركزاً ممتازاً على حساب الأغلبية . فقد كان من بين كبار الموظفين (وجميعهم بريطانيون) تسعة يهود : اثنان منهم على الأقل من الصهيونيين الكبار ، ولم يتسلم أحد من العرب مركزاً تنفيذياً ومن عين منهم فى مصالح استشارية كان من خارج فلسطين ممن جاءوا مع الجيش البريطانى من مصر والسودان [٢] .

وكان للصهيونية وسائل كثيرة فى التأثير على ساسة بريطانيا وعلى وزارة الخارجية بالذات ، وأرسل وايزمان مذكرات طويلة حول المطالب الصهيونية مع اتهامات مبالغ فيها موجهة إلى الموظفين الإنجليز وعلى رأسهم رونالد ستورز الحاكم العسكرى . وقد بدأ رد الفعل العربى فى وقت مبكر وبشكل سلمى فقد قدم طلب رسمى من عرب فلسطين إلى مؤتمر السلم يطلبون فيه تمثيلهم للظهور أمام الهيئة الدولية ولم يلب هذا الطلب بعكس الصهيونيين الذين مثلهم وفد منظم .

وعقد مؤتمر قومى بين ٢٧ يناير (كانون ثان) و ١٠ فبراير (شباط) ١٩١٩ — يمثل غالبية العاملين فى الحقل السياسى وأعضاء الحركة العربية ، ووضع ميثاقاً يطالب بإيجاد حكومة فلسطين المستقلة المرتبطة مع بقية سوريا باتحاد فيدرالى ، وإلغاء كافة التعهدات التى أبرمت بخصوص فلسطين وقدمت المقررات إلى مؤتمر السلم [٣] . ووردت تقارير عن احتجاجات من فلسطين وخارجها رفعت إلى المؤتمر والصحافة البريطانية لم يكن لها أى تأثير على الأوساط الرسمية .

وحاولت الحكومة البريطانية تهدئة الاحتجاجات ضد السياسة الصهيونية فأرسلت سايكس إلى سوريا ومن حلب أرسل إلى وايزمان (عن طريق وزارة

---

(١) Esco, op. cit., p. 127.

(٢) Tibawi, op. cit., p. 99.

(٣) صايغ (أنيس) الهاشميون وقضية فلسطين (ص ٧٠

الخارجية البريطانية في يناير (كانون ثان) ١٩١٩ برقية يشرح فيها الشعور المعادي للصهيونية في سوريا [١].

وبحث الحكومة البريطانية عن موافقة فيصل على سياستها في فلسطين بدفعه إلى الاتفاق مع الزعماء الصهيونيين في أثناء وجوده في أوربة للتوفيق بين المطالب الصهيونية والعربية . ولكن بعد عودته تحقق من صعوبة إيقاف مقاومة الفلسطينيين للسياسة الصهيونية [٢] وبخاصة بعد أن توضحت أهدافها بتأسيس حكومة يهودية وبعد خيبة الأمل بتسوية القضية العربية في مؤتمر السلم . وستتطور ردود الفعل السلمية إلى ثورات مسلحة تستدعي تدخل الحكومة العربية في دمشق .

٣ ـ العلاقات مع العراق :

بقيت العراق خارج إجراءات اللنبي الإدارية تتبع الإدارة العسكرية البريطانية لحكومة الهند التي حاولت كبح مظاهر الشعور القومي بعد الهدنة ، وامتنعت عن إعطاء أي دليل على التصريحات البريطانية .

وبدأت المعارضة المنظمة، وكان مصدرها الرئيسي في نظر السلطات البريطانية الضباط العراقيين الذين يعملون في دمشق ، وكانوا سابقاً ضباطاً في الجيش العثماني وأعضاء في جمعيات سرية عربية وساهموا في الثورة العربية وأصبحوا من أركان الحكم العربي فيما بعد ، وقد عملوا الآن على إنقاذ العراق من الإدارة الأنجلو هندية لإقامة حكم عربي فيها فشاركوا في أعمال المقاومة داخل العراق وعلى حدودها [٣].

وكانت منطقة دير الزور [٤] أصلح منطقة يسهل الاتصال منها بالعراق

---

(١) Tibawi, op. cit., 82.

ويذكر في برقيته : « رأيت أعضاء النادي العربي وأشعرتهم أن مثل هذه السياسة ستهدم قضيتهم وسوف لن يكون لي شأن بالحركة العربية إذا استمرت هذه السياسة » .

(٢) Documents, op. cit., p. 290.

من تقرير ضابط الارتباط البريطاني في دمشق في مايو (آيار) ١٩١٩ وكان فيصل قد استشاره عن موقف الموظفين البريطانيين في حال قيام ثورة فلسطينية . .

(٣) Ireland, Iraq, A study in political Development, London 1937. pp. 242 — 43.

(٤) كانت مركز أحد الألوية التركية سابقاً ومرتبطة باستانبول مباشرة . وتقع على مفترق الطرق بين ولايتي حلب وبغداد ، ومعظم سكان اللواء قبائل وعشائر من أهمها شمر وعنزة وعكيدات .

ولم تكن الحدود بين العراق وسوريا معروفة بعد، فقام نزاع حول هذه المنطقة بين السلطتين العربية والبريطانية . وكان الجيش العربى قد احتل دير الزر وألحقها بالحكومة العربية فى أوائل ديسمبر (كانون أول) ١٩١٨، إلا أن ويلسون الحاكم العام فى العراق أصدر — بإذن من حكومته — أمراً باحتلال المنطقة وأسفر الخلاف عن ضمها إلى منطقة النفوذ البريطانى مؤقتاً حتى يصدر قرار مؤتمر السلم [١] .

وبدأت المقاومة بتحركات رمضان شلاش (وهو ضابط فى الجيش السورى وعضو نشيط فى العهد ومن قبيلة البوسرايا فى لواء دير الزور) على طول الحدود السورية العراقية لجمع شمل القبائل من أجل الانضمام إلى الحكومة العربية وستتطور هذه العملية فيما بعد إلى مقاومة مسلحة .

ونظمت الاحتجاجات السياسة فى مارس (آذار) ١٩١٩ فى الموصل بإيعاز من أعضاء جمعية العهد وعلى رأسهم جميل المدفعى وهو مواطن من الموصل وعضو فى الحكومة العربية [٢] . كما قدم الضباط العراقيون فى دمشق مذكرة إلى القيادة البريطانية فى سوريا وأخرى إلى وزارة الخارجية البريطانية يطالبون بنظام حكم قومى فى العراق . ودعى ناجى السويدى (وهو محام بغدادى) إلى بغداد من قبل ويلسون حاكم العراق العام كى يتولى منصباً استشارياً ولكنه عاد إلى سوريا احتجاجاً على إدارة ويلسون . وأكد هذا الحادث للضباط العراقيين فى سوريا أن السلطات البريطانية تعتبرهم أعداء نشطين يسعون لتقويض النفوذ البريطانى [٣].

وكتب فيصل إلى كلايتون بعد زيارة ويلسون لدمشق فى مايو (آيار) ١٩١٩ محتجاً على قسوة السلطات البريطانية فى العراق وطلب إيجاد اتفاق بين بريطانيا والعرب حول استقلال العراق بدون الرجوع إلى مؤتمر السلم ، ولكنه ليس استقلالا كما طلبه العراقيون بل يعترف لبريطانيا بنوع من الإشراف [٤] . ورد كرزن فى ٢٤ يونيو (حزيران) ١٩١٩ بأن « الدعاية الفيصلية فى العراق من أجل الاستقلال

---

(١) العمرى ، تاريخ مقدرات العراق السياسية جزء ٣ ص ٣٣٦ — ٣٣٨ .

(٢) Ireland, Iraq, op. cit., p. 256.

(٣) Young, op. cit., p.277.

(٤) Documents, op. cit., p. 277.

التام تسبب قلقاً فى لندن وبغداد » مع تعليمات بالضغط على فيصل وهيئة أركانه بالحد من نشاطهم وخاصة أن الجيش لا يزال يتلقى المساعدات المالية من الميزانية البريطانية (١) .

ولا شك أن جهود العراقيين فى سوريا قد لعبت دوراً هاماً فى إثارة الشعور القومى فى العراق ، إلا أنها لم تكن العامل الوحيد فى معارضة السياسة البريطانية ، فقد كانت العوامل الداخلية فى العراق نفسها تمهد لانفجار ثورة مسلحة حتى لو وقف الضباط العراقيون فى سوريا جانباً (٢) .

٤ ــ العلاقات مع تركيا :

كانت القوات الفرنسية قد احتلت مقاطعة كليكيا أواخر ١٩١٨ ودعيت منذ يناير (كانون ثان) ١٩١٩ بالمنطقة الشمالية من أراضى العدو المحتلة Occupied Enemy Territory North وبلغت طلائعهم ماردين والجزيرة وديار بكر ، بعد أن واجهت صعوبات كبيرة بسبب تأخر انسحاب القوات التركية منها وحلول القوات الفرنسية محلها (٣) .

وقد بدأت الاضطرابات فيها بتحريض من بعض رجال الجيش التركى المسرح وبعض قوات الحدود الذين استعانوا بالسلاح الموجود فى المخازن التى تركها الجيش التركى ، وانضموا إلى قوات مصطفى كمال فى هضبة الأناضول وشكلوا نواة الجيش الوطنى الذى سيتولى القتال فيما بعد ضد القوات الفرنسية .

واتهمت السلطات الفرنسية جمعية الاتحاد والترقى بإثارة الاضطرابات فى كليكيا ومناطق الأكراد فى ماردين وديار بكر ، كما اتهمت معظم الضباط والموظفين العرب فى الحكومة العثمانية السابقة ، الذين أصبحوا الآن زعماء حزب الاستقلال بموالاتهم على درجات متفاوتة للترك وعقد روابط وثيقة ، وذكرت أنها قد وضعت يدها فى نهاية ١٩١٨ على الخيوط التى تربط الحركة الشريفية بالاضطرابات

---

(١) Ibid, pp. 296 — 97.

(٢) Ireland, op. cit., p. 244.

(٣) Haut Commissariat de la République Française, op. cit., p. 38.

فى كليكيا وكردستان ، واتهمت النادى العربى فى حلب بتوزيع بيانات تدعو الأمة العربية للقتال مع جيرانهم ضد الحلفاء من أجل حقوقهم المقدسة

وستزداد ثورة كليكيا حدة وتتطور معها العلاقات العربية التركية بعد أغسطس (آب) ١٩١٩ .

(ب) عرض القضية العربية على مؤتمر السلم :

١ – تمهيد : موقف القوى المتعددة على أبواب مؤتمر السلم :

كان النصر العسكرى فى نهاية عام ١٩١٨ بداية مشاكل سياسية معقدة بين العرب والحلفاء من جهة وبين الحلفاء أنفسهم من جهة أخرى . فقد واجهت دول الحلفاء المنتصرة (فرنسا وإنجلترا والولايات المتحدة خاصة) النمو المتزايد للفكرة القومية بين الشعوب التى كانت تخضع للنفوذ الاستعمارى فى آسيا وأفريقيا . وتطلعت الآن إلى قرار مؤتمر السلم الذى سيعقد فى باريس ليحقق لها الاعتراف بمطلبها فى الاستقلال ، أو على الأقل مبدأ حق تقرير المصير الذى اعتبر مبدأ لتسوية ما بعد الحرب .

وبرغم اختلاف الأوضاع تماماً بعد الحرب وقبول مبادئ ويلسون وبرغم اختفاء روسيا كعامل فى التسوية وافتضاح بعض المعاهدات السرية.[1] إلا أن الادعاءات التى قدمت إلى المؤتمر من قبل الدول الكبرى كانت هى نفس ادعاءات المعاهدات السرية ، مع فرق فى الشكل وليس فى المضمون .

وكانت القضايا المتعلقة بمصير الإمبراطورية العثمانية من أهم المشاكل المعقدة أمام المؤتمر إذ كان مصيرها كحليفة لألمانيا فى الحرب الأولى يهم كل الدول العظمى. ونظراً لأن للدول الكبرى مصالح فى أجزاء مختلفة منها فقد اختلفت آراؤهم حول

---

(١) فى ١١ مايو (آيار) ١٩١٨ نشرت صحيفة The Herald البريطانية كل المعاهدات السرية بعد أن نشرتها الوثائق البولشفية ، وانتقدت الصحيفة هذا الوضع بشدة فى بلد ادعى أنه يحارب من أجل أهداف ديمقراطية كما وضعت فى أعمدة متوازية سلسلة مقارنات بين أهداف الحرب كما أعلنها مسئولون رسميون من الحلفاء وأهداف المعاهدات السرية » .

انظر : Baker, Woodrow Wilson and world settlement, Vol. I, p. 12.

مصيرها النهائى وتأخر اتخاذ قرار بشأنها[١] ، ومن الطبيعى أن يتأخر تقرير مصير البلاد العربية التى كانت جزءاً من البلاد العثمانية .

وكان الهلال الخصيب أو على الأصح سوريا وحدها موطن النزاع وموضوع مشاحنات فرساى ، فى حين ظلت الجزيرة العربية باستثناء بعض المصالح المحددة خارج نطاق مؤتمر السلم .

وقد أتاح عرض المطالب العربية أمام مؤتمر السلم تنازع عدة عوامل متناقضة ؛ فهناك أمل العرب فى الوحدة ، والاستقلال ، ثم وعد بلفور وكراهية العرب للمشاريع الصهيونية ، ومعاداة عرب سوريا عموماً للفرنسيين وعدم رغبة بعض الضباط البريطانيين التخلى عن سوريا حسب سايكس بيكو ، وكره الفرنسيين أى تسوية تتعارض مع مطامعهم التقليدية فى سوريا .

إلى جانب ذلك كانت الحكومة البريطانية قد أعطت تعهدات متناقضة للفرنسيين والعرب وهى تعهدات اعتبرتها بريطانيا ضرورية من أجل التعاون ضد عدو مشترك، ولعب العرب فى ذلك دوراً أكثر أهمية مما لعبه الفرنسيون .

فقد أثار العرب ضد السلطة العثمانية بعد أن دخلوا فى مفاوضات مع بريطانيا حول التسوية المقبلة لبلادهم وأكد لهم مراراً أن مطالبهم الشرعية للاستقلال والوحدة ستحترم وتدعم بعد الحرب ، ولم يكن الحسين يتكلم باسم الحجاز ولكن باسم عرب آسيا لتحريرهم من الحكم العثمانى [٢] .

وتصور العرب أن الهدف الذى قاموا من أجله قد تحقق بعد أن قاموا بنصيبهم كاملا فى الاتفاقية بينهم وبين الحلفاء وبريطانيا بالذات . . ولكن تبين على أبواب المؤتمر البون الشاسع بين ما يطالب به العرب وبين ما ترضى الحكومة البريطانية أن تعترف به .

---

(١) Longrigg, Syria and Lebanon under French Mandate, Oxford, 1958, p. 72.

عقدت معاهدة السلم بين الأتراك والحلفاء فى سان ريمو أبريل (نيسان) ١٩٢٠ ووقعت من قبل الحكومة التركية التى شكلت فى سيفر فى ١٠ أغسطس (آب) ونقضت من قبل حكومة أنقرة بعد أسابيع ولم توقع معاهدة السلم النهائية إلا فى ٢٤ يوليو (تموز) ١٩٢٣ . وبذلك استغرق عقد السلم مع تركيا مدة أطول من فترة الحرب بتسعة أشهر .

(٢) Parliamentary Debates, Vol. 132, p. 146.

وكانت تحدد السياسة البريطانية حول سوريا والعراق أربعة التزامات جرت خلال الحرب هي مراسلات الحسين مكماهون ١٩١٥ـ ١٩١٦، اتفاقية سايكس بيكو ١٩١٦ ، تصريح بلفور نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١٧ والتصريح الفرنسي البريطاني نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١٨ ، مع بيانات إضافية صدرت إلى ممثلي العرب ١٩١٨ منها رسالة هوغارت ، والتصريح إلى السبعة وتأكيدات اللنبي (١) .

إلا أنه بعد هزيمة الدولة العثمانية لم يعد للحسين الفائدة التي كانت له في أثناء الحرب ، ولم ترغب الحكومة البريطانية ببحث القضية العربية مباشرة ، واعتبرت مؤتمر السلم تبريراً للتأخير والتنصل من المسئولية . وخاصة أنه لم يكن لها مصالح سياسية مباشرة في سوريا (باستثناء فلسطين) إلا ما كان له علاقة بالحفاظ على الأمن، كما أنها تقع تحت ضغط الصهيونية والمصالح الإمبراطورية . ومع ذلك اعتبر العرب الحكومة البريطانية صديقتهم الوحيدة في تلك الفترة ومنها يستمدون النصح والمشورة .

وتمسكت فرنسا بنصوص اتفاقية سايكس بيكو وبرغم أنها قبلت التغيير في التوزيع إلا أنها لم تشأ التخلي عن مبدأ الاتفاقية ، فاعتبرت كل النصف الشمالي من سوريا ضمن منطقة نفوذها دون أن ترتبط بالوعود التي أعطتها حليفتها للحسين . وعارضت منذ البدء إقامة إدارة عربية مستقلة في الداخل وادعت بأنها قد حرمت تماماً من حقوقها لمصلحة إنجلترا ، وتمسك بيشون وزير خارجيتها بحقوق فرنسا التقليدية ومصالحها في الشرق المبنية على أساس امتيازات دينية وأعمال ثقافية واقتصادية للمطالبة بحق سياسي وإشراف إداري حقيقي لا يقتصر على الشريط الساحلي بل يمتد إلى داخل سوريا كلها (٢) .

وكان مركز فرنسا حين عرضت القضية العربية على المؤتمر ضعيفاً : فالإدارة

---

(١) Documents, op. cit, pp. 340 — 349.

الجزء الثاني من مذكرة بلفور في أغسطس آب ١٩١٩ حول السياسة البريطانية المتعلقة بسوريا وفلسطين والعراق .

(٢) Cumming, Franco-British rivalry in the post-War Near East London, 1931 p. 67.

العربية فى الشرق تتمتع بشعبية كبيرة ، والقوات البريطانية تشغل مساحات كبرى فى مناطق النفوذ الفرنسي ووجهت إلى بريطانيا سلسلة اتهامات معادية فى بيروت وباريس ، بأنها قد خلقت قومية عربية معادية لفرنسا خلال الحرب ولم تقدر حقوق فرنسا التقليدية [١].

وجاء ويلسون ، الحديث العهد بالدبلوماسية الأوربية ، يقترح باسم كل الشعوب الضعيفة التى تبحث عن العدالة فى مؤتمر السلم ، مبادئ غير مبادئ سايكس بيكو لتسوية مسألة الشرق ، كان قد عرضها على العالم فى أحاديث ورسائل إلى الكونجرس تمثل موقف أمريكا نحو السلم المقبل . وتمسك بمبدأ رضى المحكومين كقاعدة أساسية لتشكيل أى حكومة ، وحق تقرير المصير كمبدأ إلزامى فى المنازعات الإقليمية ، ودعا إلى خلق منظمة دولية تمنع الحرب فى المستقبل [٢] . وكان هو الوحيد فى مؤتمر السلم الذى يمكنه أن يقول ذلك لأنه لم يكن لحكومة الولايات المتحدة أى مطامع سياسية أو إقليمية ، برغم ما يدور من شائعات فى الدوائر الفرنسية والسورية أن أمريكا ستقبل — أو على الأقل تبحث — أمر الانتداب على الشرق الأوسط .

وكان المراقبون الأمريكيون فى سوريا وخاصة الدائرة حول الدكتور Bliss (مدير الكلية البروتستنتية فى بيروت) لا بأس به فى جلسات المؤتمر .

وواجهت سياسة ويلسون الجديد دول العالم القديم بمشاكلها وسياستها التى تمت محادثاتها حول التسوية فى أثناء الحرب على شكل معاهدات سرية وظلت هذه القوى فى الحكم بعد نهاية الحرب .

ووقفت الحركة الصهيونية كاتجاه آخر يعارض تحقيق المطالب العربية فى المؤتمر ، وكان زعماؤها قد أقدموا على توسيع نشاطهم بعد أن مالت كفة الحلفاء إلى النصر بعقد اجتماعات ومؤتمرات بتوجيه من وزارة الخارجية البريطانية ، للتباحث بشأن أهداف الوطن القومى وبرامجه ووضع الخطوط العريضة للحكومة المؤقتة فى فلسطين استعداداً لمؤتمر الصلح المقترح . وكان الصهيونيون قد كسبوا إلى جانب

---

(١) Longrigg, op., cit, p., 74.

(٢) Baker, op. cit., Vol. I, p. 12.

الدعم البريطانى دعم الوفد الأمريكى الرسمى وعلى رأسه ويلسون الذى ذكر أن « الوطن القومى اليهودى كان أحد اثنين من المنجزات الجديدة التى انبثقت عنها الحرب إلى جانب العصبة »[١]. وأوصى ميلر المستشار القانونى للوفد الأمريكى فى فبراير (شباط) ١٩١٩ « بأن على المؤتمر أن يضمن للصهيونيين كل مساعدة ممكنة ، كما أن على العصبة ان تعترف بفلسطين دولة يهودية» [٢].

فهل كان من الممكن التوفيق بين موقف الصهيونية ومطالب العرب الشرعية علماً بأن السكان لم يتجاوزوا ١٠٪ من سكان فلسطين ؟

٢ – فيصل فى أوربا قبل افتتاح مؤتمر السلم :

أمام إلحاح اللنبى بضرورة احترام التأكيدات التى أعطيت إلى فيصل أصبح من المرغوب دعوة الحسين لإرسال ممثل عنه إلى المؤتمر : وجاءته الدعوة عن طريق وزارة الخارجية البريطانية تقترح عليه أن يبلغ حكومات الحلفاء « رغبته بإرسال ممثل عنه إلى مؤتمر السلم على أن يكون فيصلا» ، حتى تظهر الدعوة وكأنها من عمل الحسين فتتجنب بذلك أى نزاع محتمل مع فرنسا [٣] .

ونظراً لعدم وجود مؤتمر قومى يمثل الشعب تمثيلا صحيحا ويصدر إلى فيصل التوجيهات ، ظل الموجه الوحيد له هو وعود بريطانيا الحسين ، مع أنه لم يزود بنصوصها ولم تكن له صلاحية المفاوضة خارج حدودها أو تعديلها أو رفضها ، كما أنه لا يمكنه تحمل مسئولية اتخاذ قرارات دون الرجوع إلى والده [٤] .

وظل الوفد العربى المرافق لفيصل هو الوفد الوحيد الذى يمثل القضية العربية فى مؤتمر السلم مع أنه كان فى خطة العربية الفتاة أن ترسل وفداً منتخباً من المناطق المختلفة فى سوريا [٥] . وهذا ما دفع فيصلا فيما بعد أن يتسلح بتفويض من

---

(١) Jeffries, Palesine the reality, London 1939 p. 243.

(٢) Howard, The King Crane Commission, Beirukt, 1963 p. 12.

(٣) Tibawi, op. cit., p. 78.

(٤) Jeffries, op. cit ·, p. 254.

يذكر المؤلف أن كل الأعمال الرسمية كانت توقع باسم الحسين رغم أنه لم تعرض أى قضية حجازية .

(٥) أوراق محب الدين الخطيب (سجل قرارات الهيئة المركزية للعربية الفتاة) .

السوريين بالتكلم باسمهم فى المنطقة التى تحت إدارته بقرار اتخذه المجلس البلدي فى دمشق [١] ، ولكنه فشل فى أخذ تفويض مماثل من شعب لبنان وفلسطين لممانعة السلطات الفرنسية والإنجليزية .

وكان استقبال فيصل فى فرنسا مزيجاً من التهذيب والجفاء . . فقد جعله الفرنسيون ينتظر طويلا قبل أن يستقبله بوانكاريه رئيس الجمهورية فى باريس فى ٧ ديسمبر (كانون أول) ١٩١٨ ، ولكنه دعى لزيارة ميادين القتال بصفته زائراً وقائداً لأحد جيوش الحلفاء وليس ممثلا للعرب ، وأقيمت له الاحتفالات ، وأنعم عليه بالأوسمة [٢] .

وانتقد بعض المسئولين الفرنسيين هذا التصرف بأنه كان من الأفضل أن لا تؤخر المحادثات الجدية مع فيصل ، بل أن تبدأ مباشرة معه للتأثير عليه وإخراجه من دائرة النفوذ البريطانى [٣] .

وفى ١٠ ديسمبر (كانون أول) وصل لندن برفقة لورنس [٤] ، وكان استقباله

---

(١) العاصمة عدد ١ (١٧ فبراير «شباط ١٩١٩» ص ٥)

(٢) مقابلة شخصية مع عونى عبد الهادى ، الذى كان من العاملين فى الحركة العربية وأحد مؤسسى العربية الفتاة وكان يقيم فى فرنسا فى أثناء الحرب ، واستدعاه أحمد قدرى لمقابلة فيصل حيث ألحق بالوفد العربى الذى يضم إلى جانب الدكتور قدرى ، رستم حيدر ونورى السعيد . . . وقد أخبر الأمير عن نظرة فرنسا للعرب وأطماعها كما ظهرت فى الصحف وأجاب فيصل « إن هذا قد تغير بعد التضحيات التى بذلها العرب فى الحرب » . فرد عونى : « ليس بمقدرة فرنسا التخلى عن سياستها الاستعمارية التى اعتنقتها منذ مائة سنة لأنها فقيرة بالرجال والموارد » .

ويضيف عونى عبد الهادى : «فى ٨ ديسمبر دعاه وزير الخارجية إلى تناول الغداء ثم إلى حفلة شاى فى الشانزليزيه ولم تتخللها أحاديث سياسية مما أثر فى نفس فيصل وزاده سوءا منظر الراقصات. أثناء الحفلة وقد لاحظته مطأطىء الرأس وقال لى : "أنا لم أحضر فرنسا للهو بل لخدمة بلادى" . كما أنه بعد عودة فيصل من لندن إلى باريس فى ٦ يناير (كانون ثان) ١٩١٩ خصصت له الحكومة قصر الكونتس دى كليرمان تونير فى ميدان الشانزليزيه وتوافد كثير من الأدباء والصحفيين والطبقة الأرستقراطية إلى زيارة الأمير ، وكان على رأسهم أناتول فرانس (الذى أعجب بوجه فيصل الذى يشبه وجه المسيح ولباسه الشرقى الذى يثير شاعرية الشعراء) وكذلك أولار مدير جامعة السوربون . وحاول فيصل أن يستغل هذه المناسبات للدعاية للقضية العربية» .

(٣) Gontaut — Beron, op. cit., p. 91.

(٤) يروى عبد الهادى :

« كان على فيصل منذ لحظة وصوله أن يعتمد على لورنس — ليس كترجمان فقط — رغم شكوك الحسين وشكوكنا نحن. وكان قد رافقه فى فرنسا منذ وصوله إلى مرسيليا فى ١٩١٩/١١/٢ وغادرها =

حاراً من أصدقائه ومن الحكومة نفسها ، وأنعم عليه بالأوسمة كما جرت له الاستقبالات الرسمية [١] .

ولما بدأت محادثاته الرسمية مع وزارة الخارجية البريطانية فى ١١ ديسمبر (كانون أول)١٩١٨ — التى تولاها بلفور شخصياً — كانت مشكلة فيصل الرئيسية هى الادعاءات الفرنسية فى سوريا ، والبحث عن دعم بريطانى لمقاومتها لأنه لا يمكنه تأمين هذا الدعم من دولة أخرى . ولم يذكر بلفور فى التقارير التى كتبها عن المحادثات فيما إذا كان فيصل قد تباحث معه حول السياسة البريطانية المقبلة فيما يتعلق بفلسطين والعراق ، بل ذكر فقط « أن فيصلا كان عنيفا ضد فرنسا بقدر ما كان صريحاً مع بريطانيا ، وأن الفرنسيين إذا أظهروا خطة عدوانية فسوف يهاجمهم فى الحال برغم أنه يعرف أن ليس بإمكانه مقاومة قوة فرنسا ولكن يفضل هو وشعبه الهلاك فى النضال عن الرضوخ لتسلط أجنبى . . وإذا كان لا بد من خضوعهم فهم يفضلون حكومة تركية سيئة » [٢] .

وكان بلفور يعرف فى ذلك الوقت أكثر مما يرغب فى كشفه إذ أن كلمنصو كان فى لندن قبل أسبوع من قدوم فيصل ، وعمل صفقة مع لويد جورج وافق فى أثنائها على إجراء تعديل فى توزيع مناطق النفوذ بحسب اتفاقية سايكس بيكو. ومقابل دعم بريطانيا لمطالب فرنسا فى سوريا أمام مؤتمر السلم كان كلمنصو مستعداً للوصول إلى تسوية تنازل بموجبها عن منطقة الموصل التى هى فى منطقة النفوذ الفرنسى إلى بريطانيا [٣] ، ورضى أن يستبدل الإدارة الدولية فى فلسطين بإشراف

= بناء على طلب الحكومة الفرنسية ثم عاد واستقبله على المركب الذى أقله إلى إنجلترا فى ٩ ديسمبر (كانون أول)، وبقى فى لندن برفقته إلى أن غادرها فى ١١ يناير (كانون ثان) ١٩١٩ ، ولازمه كظله فى باريس ، ونزل فى نفس القصر الذى نزل فيه .

(١) يذكر عونى فى مقابلة شخصية أن فيصل قد نزل فى الكارلتون فى لندن وكان موضع احترام وتكريم الإنجليز من كافة طبقاتهم وتسابق كبار الشخصيات لإقامة المآدب ، وكانوا يتجنبون بحث الشئون الخارجية لأنها من اختصاص رجال الدولة ، فكان فيصل يقول دوماً « أنا لم أحضر من أجل المآدب والكلمات » .

(٢) Tibawi, op. cit., p. 79.

(٣) فى ذلك الوقت لم يكن قد اكتشف بعد بترول صالح للاستعمار تجارياً فى منطقة الموصل ، كما أن حقل كركوك الذى اكتشف سنة ١٩١٧ كان يقع معظمه خارج المنطقة (أ) منطقة النفوذ الفرنسى وكتعويض لهذا التنازل حصلت فرنسا فى محادثات ١٩١٩ على أخذ حصة ألمانيا وهى ٢٥ ٪ من شركة Turkish Petroleum Co., (أصبح اسمها شركة بترول العراق) ولم تكن لها أى حصة فى السابق ، وصدق على هذا فى سان ريمو أبريل (نيسان) ١٩٢٠ . . انظر : Lorgrigg, op. cit., p. 86

بريطاني . ورغم أن التفاهم لم يكن رسمياً إلا أنه كان مقدمة للإجراءات التي تمت الموافقة عليها بعد مفاوضات طويلة في مؤتمر السلم .

ولم يطلع فيصل على تفاصيل هذه الخطط السياسية إلا أنه شعر من مجرى مباحثاته أن بريطانيا ليست مستعدة للنزاع مع فرنسا حول سوريا مهما كانت تعطف على الأماني العربية [١] . ولا يمكن تأمين دعم بريطاني — وهو الدعم الوحيد إلى الآن نظراً لأن بقية الدول مشغولة بشئونها الخاصة وليس لها مصالح مباشرة في سوريا — ضد الادعاءات الفرنسية ، الخطر المباشر للدولة العربية في سوريا ، إلا بالتنازل عن بعض المصالح العربية التي نصت عليها تعليمات والده . واضطر أن يأخذ بعين الاعتبار أموراً لا يمكن أن تفرض عليه كعربي وأولها التفاهم مع الصهيونية .

ولا يعرف بالضبط ما الذي تم بين الأمير ووزارة الخارجية والضغوط التي تعرض لها في لندن حتى تمكنت الحكومة بشخص لورنس من إقناعه بعقد اتفاق في ٣ يناير (كانون ثان) ١٩١٩ مع زعماء الصهيونية يضمن التعاون معهم في فلسطين . ويبدو أن وزارة الخارجية كانت تحتاج إلى اعتراف من فيصل بسياستها حيال الصهيونية دون الرجوع إلى عرب فلسطين قبل عرض القضية على المؤتمر ، كما أن فيصلا كان يرى في الحكومة البريطانية صديقته الوحيدة التي يتلقى منها النصح والمشورة . وقد أدلى فيصل بحديث في مارس (آذار) ١٩٢٠ إلى الصحفي البريطاني Jeffries ذكر فيه « أن العرب قد حرموا من الوصول إلى المتوسط وأنه كان يطالب بالوفاء بالوعود التي أعطيت لوالده ولكن أيدي حكومية رسمية كانت تقبض عليه وتدفعه في صداقة جديدة نحو الدكتور وايزمان [٢] » .

ولا توجد إلا رواية وايزمان عن المباحثات ، ولو غضضنا النظر عن طبيعتها المتميزة لبرزت حقيقة واحدة ، وهي أن كلا من فيصل ووايزمان كان ضد سايكس بيكو ، ويظهر أنه بإيعاز من وايزمان أو لورنس رأى فيصل أنه إذا توصل إلى

---

(١) Hourani, op. cit., p. 50.

(٢) Jeffries, op. cit., p. 249.

تفاهم مع الصهيونيين فسيوحدون جهودهم للحد من أطماع فرنسا فى سوريا [١] .

والاتفاق هو مشروع (بالإنجليزية) قدمه وايزمان إلى فيصل عن طريق لورنس (وبخط يد الأخير) الذى قدم إيضاحاً شفهياً عن محتوياته[٢] . ولكن فيصلا سجل ذلك الشرط المعروف بخط يده وبالعربية فى الفراغ الذى يلى آخر مادة وكان كالآتى : « يجب أن أوافق على المواد المذكورة أعلاه بشرط أن يحصل العرب على استقلالهم كما طلبت بمذكرتى المؤرخة فى ٤ يناير (كانون ثان) ١٩١٩ المرسل إلى وزارة الخارجية البريطانية ، ولكن إذا وقع أقل تعديل أو تحويل فيجب ألا أكون عندها مقيداً بأى كلمة وردت فى هذه الاتفاقية . . ويجب أن لا أكون مسئولا بأية طريقة »[٣] .

وقدم لورنس إلى وايزمان على قطعة من الورق ترجمة غير محكمة للشرط « بأنه إذا سويت قضية العرب كما طلبت فى مذكرتى المقدمة إلى وزارة الخارجية فأنا سأنفذ ما هو مكتوب فى هذه الاتفاقية وإنه إذا حدث تغيير فأنا لن أكون مسئولا عن الفشل فى تنفيذ هذه الاتفاقية » [٤] . وأضاف وايزمان بيده إلى ترجمة لورنس كلمة ٤ يناير بعد كلمة مذكرتى [٥] . وألحق توقيع وايزمان وفيصل

---

(١) Documents op. cit., pp. 421 — 422.
من تقرير لضابط الارتباط البريطانى فى دمشق (كورنواليس) حول حديث أدلى به فيصل فى ٢٥ سبتمبر (أيلول) ١٩١٩ .

(٢) ذكر عونى عبد الهادى وكان عضو الوفد العربى ، الذى لم يشترك أحد منه بالمحادثات برغم وجودهم جميعاً فى فندق كارلتون الذى اجتمع فى إحدى غرفه فيصل ولورنس ووايزمان ، أن فيصلا وقع الاتفاقية دون أن يعرف محتوياتها لأنها بالإنجليزية وليس لها نص عربى وقد لا يكون لورنس قد ترجم كل محتوياتها .

(٣) أنطونيوس ص ٥٩٢ وهذا الشرط هو الترجمة العربية للشرط الذى أورده أنطونيوس باللغة الإنجليزية فى كتابه Arab Awakening .

ويذكر المؤلف أنه ترجمه عن صورة فوتوغرافية عن الأصل . . (ولم يذكر أين وجد الأصل) ويذكر الصحفى البريطانى Jeffries فى كتابه Palestine the reality, p. 249 أنه قد حصل على ترجمة موثوق بها من شرط فيصل بين أوراق فيصل الشخصية .

(٤) Weizmann, pp. 308 — 309.

(٥) Jeffries, p. 225 — 253.
لم يوضح وايزمان ما هو منشور فى مذكرة ٤ (يناير كانون ثان) مع أن الاتفاقية مبنية على هذا

إلى التحفظ كما إلى الاتفاقية الأصلية ، وتركت هذه الورقة لتستخدم فى المستقبل [(١)] .

ويبدو أن فيصلا قد قبل فى الاتفاقية تفاهما بين أهداف العرب والصهيونية وتساهلا مع البرنامج الصهيونى فى فلسطين أو على ما قيل القبول بمضمون تصريح بلفور : فقد اتفق الطرفان على أن تتخذ كافة الإجراءات لتنفيذ وعد ٢ نوفمبر : فى دستور إدارة فلسطين (مادة٣) وأن تتخذ كل التدابير الضرورية لتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين على أن تحفظ حقوق الفلاحين والمزارعين العرب (مادة ٤) ، وأن ترسل المنظمة الصهيونية لجنة لدراسة أوضاع فلسطين وإمكانياتها ومدى استثمارها لصالح العرب واليهود (مادة ٧) وأن تكون الحكومة البريطانية هى الحكم فى حالة نشوب خلاف بين الطرفين . (مادة ٩) [(٢)] .

ورغم الأهمية الكبرى التى يعزوها وايزمان إلى الاتفاقية وأنها كانت سبباً للموقف الإيجابى الذى اتخذه الأربعة الكبار فى مؤتمر السلم [(٣)] ، إلا أنه لو دققنا فى الاتفاقية لوجدنا أن كل ما ادعاه الصهيونيون قد وافق عليه فيصل بشكل شخصى ، وأنها كانت مجرد اقتراح لم تتقدم على الإطلاق لتصل إلى مرحلة المعاهدة . ونظراً لأنها لم تعرض على الحسين أو على الحكومة العربية فليس لها أدنى قيمة فى التعبير النهائى عن السياسة العربية وأن مجرد انتظار وايزمان سبعة عشر عاما لنشر الاتفاقية

= الأساس . وبعد بحث المؤلف عن وثيقة ٤ يناير علم من المصادر الرسمية أن المذكرة هى مطالب فيصل التى قدمت إلى مؤتمر السلم وليس مباشرة إلى حكومة جلالته لأن وزارة الخارجية تتلقى نسخة عن الوثيقة التى تقدم إلى مؤتمر ، وفى شرط فيصل لم يلاحظ هذا الفرق الدبلوماسى ، ومن الثابت أن فيصلا رفع مذكرته فى ١ يناير وليس فى ٤ منه .

(١) قدمت هذه النسخة وبدون ملاحظة فيصل العربية أو ترجمة لورنس إلى ميلر عضو الوفد الأمريكى لمباحثات السلم كوثيقة رسمية ضمها إلى مجموعته .

My Diary of the conference of Paris with Documents, Vol. I. New York (1924) p. 67.

ولم ينشر لا وايزمان ولا أى مصدر صهيونى آخر إلى هذه الاتفاقية حتى نشرها وايزمان فى التايمز Times ١٠ يونيو (حزيران) ١٩٣٦ وفى بالستاين بوست Palestine Post مع ترجمة لورنس ووردت فى تقرير اللجنة الملكية ١٩٣٧ .

(٢) أنطونيوس ص ٥٩٢ — ٥٩٤

(٣) Weizmann, p. 308.

كانت فيها فلسطين تعانى القلق والدماء دليل كاف على أن لا قيمة لها [١] .

وكما أخبر فيصل الصحفى Jeffries شخصياً - فى مارس (آذار) ١٩٢٠ بأنه لم تكن لديه أفكار واضحة عما تعنيه المقترحات أو عن المشاريع الجديدة للصهيونية، وكل ما أخبر به هو خطة لإيجاد مستعمرات يهودية لها حكم ذاتى وبشروط ستسوى فيما بعد . ورأى أنه بالإمكان إيجاد تعاون بين العرب واليهود، وبخاصة بعد ما علمه من تأكيدات هوغارت ووايزمان ولورنس بأن اليهود لا يسعون إلى إقامة دولة مستقلة فى فلسطين وأن هدفهم إنعاشها فقط دون أن يؤثر ذلك على مصالح العرب المشروعة[٢] . ولم يكن فيصل يعنى مطلقاً موافقته على فصل فلسطين عن سوريا أو اتخاذها وطناً قومياً لليهود ، كل ما كان يمكن أن يقبل به نوعاً من اللامركزية الواسعة وإعطاء امتيازات لبريطانيا ومنح اليهود حقوقاً متساوية . ولذلك لما توضح أن خطة بريطانيا هى الوصاية على فلسطين فقط وليس على سوريا الموحدة تمهيداً لتنفيذ تصريح بلفور تغيرت سياسة فيصل تجاه الصهيونية وخاصة بعد قرارات المؤتمر السورى بمعارضة الصهيونية وخيبة الأمل بقرارات مؤتمر السلم [٣] .

ولكن ذلك لا يعفيه من المسئولية حين انفرد وحده بوايزمان ولورنس ليوقع اتفاقية كتبت بلغة إنجليزية مهما كانت ثقته بلورنس وإقناعه إياه أنه هو كل شىء فى بريطانيا ، وعلاقة لورنس بالاتفاقية حجة كبيرة ضد فيصل وخاصة أنه كان وثيق الصلة بالسياسيين البريطانيين المنحازين للصهيونية .

وأهمية الاتفاقية أنها كانت إحدى وثيقتين تنسبان إلى فيصل ويملكها الصهيونيون كدليل على حصولهم على موافقة العرب على الخطط الصهيونية قبل البدء بتنفيذها .

---

(١) وقد ذكر مساعد ضابط الارتباط فى القدس فى رسالة له فى ١٢ أغسطس (آب) ١٩١٩ أن الاتفاقية لا تستحق الورقة التى كتبت عليها أو الجهد الذى بذل من أجلها فى المحادثات، وحذر قائلا : إنه بإمكان فيصل أن يعقد اتفاقيات متناقضة مع الفرنسيين والصهيونيين ومعنا ويتلقى الأموال من الجهات الثلاث ثم يتنصل منها . . وهذا سبب إضافى يجعل الاتفاقية لاقيمة لها »..

Rasheed — Duddin — Khan The peace settlement Islamic Culture 1968 (April, Tuly)

(٢) بذل أنطونيوس جهداً كبيراً فى تبرير عمل فيصل ص ٣٩٥ — ٣٩٦

وعلق عونى عبد الهادى أن ثقة فيصل الزائدة بلورنس جعلته يعتمد على تأكيداته بأن الاتفاقية لا تبغى إلا إيجاد وطن روحى لليهود والسماح لهم بالعيش فى سلام فى فلسطين وأنه ليس لديهم مطامع سياسية .

(٣) من مجموعة أوراق عونى عبد الهادى عدة رسائل بخط فيصل كان قد أرسلها إلى الحكومة البريطانية خلال عام ١٩٢٠ تثبت فكرته الحقيقية حول معنى الاتفاقية . انظر الفصل الرابع .

والوثيقة الثانية هى التى نسب إلى فيصل أنه وجهها إلى فيلكس فرنكفورتر E Frankfurter. [١] بعد احتجاج زعماء الصهيونيين على تصريح أدلى به فيصل إلى صحيفة الماتان Matin فى مارس (آذار) ١٩١٩ بمعارضته تأسيس وطن قومى لليهود، وطلبوا توضيحاً خطياً يعبر عن موقف فيصل تجاه الصهيونية . وجاء التوضيح على شكل رسالة تؤكد التفاهم المتبادل بين أهداف العرب واليهود الذين هم « أولاد عمومة فى العرق يعانون مظالم متشابهة على يد دول أقوى منهم . . ». وعطف العرب وخاصة المثقفين منهم على الحركة الصهيونية . . وموافقة الوفد العربى فى باريس على مقترحات المنظمة الصهيونية . . وعن سعى الطرفين للعمل من أجل إحياء الشرق الأدنى ، « والتعاون لإزالة المرارة التى خلفتها المؤامرات التركية بين سكان المستعمرات اليهودية والفلاحين العرب وذلك بالإرادة المشتركة والمعرفة الكاملة » [٢] . . .

وتعتبر هذه الرسالة مثل الاتفاقية السابقة خطة استراتيجية للحصول على وثيقة عربية بالموافقة على الخطط الصهيونية . وكان فيصل الذى يقع تحت تأثير وضغط الحكومة البريطانية — كما يبدو — هو الوسيلة الوحيدة لاستمالة العرب مع أنه بالفعل كان عاملا ثانوياً ، لأن الحلفاء كان بيدهم كل شىء [٣] .

---

(١) هو عضو الوفد الصهيونى الأمريكى إلى مؤتمر الصلح وقاض فى المحكمة العليا وأستاذ فى جامعة هارفارد .

(٢) Weizmann, p. 307, Esco, op. cit., p. 142.

وقد أبرز الصهيونيون الرسالة أمام لجنة شو ١٩٢٩ (نسخة عن الرسالة وليس الأصل وتوقيع فيصل عليها بالإنجليزية) وقد طلب عونى عبد الهادى بصفته عضو الوفد العربى أمام اللجنة المذكورة من فيصل فى بغداد توضيحاً حول الرسالة ، وكان رد رستم حيدر رئيس ديوان الملك (وكان عضوا فى الوفد الحجازى ١٩١٩) « إن جلالته لا يذكر أنه قد كتب أى شىء من هذا النوع ، وقد تحدى عونى عبد الهادى الوفد الصهيونى ١٩٢٩ إبراز الرسالة الأصلية . وكذلك لم يجد الصحفى البريطانى Jeffries أى أصل عربى (إن كان لها أصل) بين أوراق فيصل » .

وهذا ما يدفع إلى اتهام لورنس بوضع هذه الرسالة دون علم فيصل . . .

(٣) وكان فيصل قد شكا بمرارة إلى سكرتيريه فى باريس عن محاولات وايزمان للتقرب منه قائلا : « ماذا يريد هذا الرجل منى، إنى سأعمل كل شىء للتخلص منه ، إنه يمزقنى بأحاديثه الطويلة . »

٣ ـ افتتاح مؤتمر السلم وعرض القضية العربية :

افتتح مؤتمر السلم رسمياً فى ١٨ يناير (كانون ثان) ١٩١٩ وكان الجهاز المشرف على المؤتمر حتى منتصف مارس (آذار) ١٩١٩ مجلس العشرة المؤلف من رؤساء الدول ووزراء الخارجية للدول الكبرى : الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وإيطالية واثنين من الساسة اليابانيين . وانقسم مجلس العشرة بعد ذلك إلى مجلسين الأول لرؤساء الدول أو الأربعة الكبار والثانى لوزراء الخارجية أو مجلس الخمسة ، وكان المجلس الحربى الأعلى له نفس العضوية إلا أنه مختص بالأمور ذات الطابع العسكرى .

ورغم المبادئ السامية التى أعلنها ويلسون حول تطبيق العدالة وروح الدبلوماسية المفتوحة والمساواة بين الأمم وحقها فى تقرير مصيرها فقد جرت معظم تسويات مؤتمر السلم وراء أبواب موصدة ، واتخذت القرارات من قبل مجلس العشرة أو الأربعة قبل أن تعرض على وفود الأمم المختلفة التى يهمها مباحثات السلم . وسمح لهذه الوفود بالتكلم أمام المؤتمر وعرض قضاياها كما مثلت فى لجان مختلفة ، ولكن دون أن يكون لها سلطة لتقرير أو إبداء رأى أو اعتراض على خطة وخاصة إذا تناقضت مع مصالح الدول الكبرى .

وكان استياء وفود الأمم الصغيرة يزداد بمرور الأسابيع وهى تنتظر قرار الدول الكبرى ، وخاصة بعد أن فقد ويلسون مركزه القيادى الذى كان يمكن أن يحتله بين الأمم الصغيرة وخضع لرأى القائلين بتفوق الدول الكبرى[١] .

وكانت مشكلة مصير الدولة العثمانية وتقسيمها من أهم القضايا التى طرحت فى باريس وقد اتخذ مؤتمر السلم قراراً فى ٣٠ يناير (كانون ثان) ١٩١٩ بعد أسابيع من افتتاح المؤتمر بفصل أجزاء معينة من الإمبراطورية العثمانية تشمل سوريا وفلسطين والعراق وأرمينيا وكليكيا وأجزاء أخرى من آسيا الصغرى ووضعها تحت إشراف العصبة عن طريق حكومات تعمل كدول منتدبة تستطيع أن تأخذ على عاتقها رفاهية هذه الشعوب وتقدمها . « ونظراً لأن بعض الشعوب التى كانت خاضعة للإمبراطورية العثمانية قد وصلت إلى درجة من التقدم يمكن معها الاعتراف

(١) Lansing, The big four and others of the Peace Conference, pp. 92 — 97.

مؤقتاً بكيانها كأمم مستقلة خاضعة لقبول الإرشاد الإدارى ، والمساعدة من قبل الدول المنتدبة حتى ذلك الوقت الذى تصبح فيه هذه الشعوب قادرة على النهوض وحدها . . وأن يكون لرغباتها المقام الأول فى اختيار الدولة المنتدبة .

وكان هذا القرار أساساً للمادة (٢٢) من ميثاق عصبة الأمم الذى أنهى وضع مسودته النهائية فى ٢٨ أبريل (نيسان) ١٩١٩ [١] .

ونظام الانتداب هو تجربة سياسة غربية وصيغة مهذبة اخترعت لإرضاء ويلسون وغيره من المثاليين الذين أوجدوا العصبة كتطبيق لمبدأ حق تقرير المصير بحيث إن الدولة المنتدبة التى تختارها الشعوب المنتدبة لن تحصل على أى سيادة أو مصلحة ذاتية بل همها أن تساعد الشعب الذى يعهد به إليها من قبل العصبة: والواقع « أن الانتداب ليس إلا شكلا منافقاً استخدم لتغطية الإمبريالية القديمة بهالة من الطهارة لا تستحقها » [٢] . وعبر كرزن فى يونيو (حزيران) ١٩٢٠ عن الموقف الرسمى للحكومة البريطانية إزاء الانتداب حين أعلن أمام مجلس اللوردات أنه « من الخطأ أن نعتبر منح الانتداب حقاً من حقوق العصبة .. إنه ليس كذلك . . بل من حق الدول التى فتحت تلك البلاد . . . » [٣] .

فى هذا الجو عرضت القضية العربية على المؤتمر وكانت فرص فيصل فى النجاح ضئيلة . ووجد نفسه وسط عالم غريب يجاهد أمام قوى أقوى منه وإلى جانبه لورنس الذى رشحه بلفور مستشاراً فى الوفد البريطانى ، وربط نفسه بالوفد العربى دون صفة رسمية برغم أن الفرنسيين كانوا معادين لوجوده وبعض الزعماء العرب يشكون فى خططه .

وسعى هذا الوفد البريطانى كى يكسب للوفد العربى مقعداً فى مؤتمر السلم

---

(١) يؤلف ميثاق العصبة الجزء الأول من معاهدة فرساى ٢٨ يونيو (حزيران) ١٩١٩

Hurwitz, Diplomacy in the Near and Middle East. Vol. II, pp. 61 — 62.

وقد وزعت الانتدابات فى الشرق فى مؤتمر سان ريمو أبريل(نيسان) ١٩٢٠، ونشرت صكوك الانتداب فى معاهدة سيفر أغسطس(آب) ١٩٢٠ ، ، كما أقر الانتداب رسميا على سورية ولبنان فى ٢٤ يوليو (تموز) ١٩٢٢ .

(٢) Sforsza, The Near East in World Politics (Ireland, ed.). The Near East — Problems and Prospects (Chicago 1942), pp. 12 — 13.

(٣) Ireland, Iraq, p. 263.

بعد معارضة كلمنصو وبيشون فكسب له مقعدين فى المجلس [١] . وأخذ فيصل ذلك دليلا على بداية متفائلة لكل معارك المستقبل مما دفعه إلى الاعتقاد بأن البريطانيين هم وحدهم أصدقاء العرب ، وجعله يعتمد على لورنس لأنه كان حلقة الاتصال بينه وبين رجال السياسة البريطانية . واعتبر فيصل ممثلا لمملكة الحجاز فقط وليس للبلاد العربية ، برغم أنه فى أعين الوفود المشتركة اعتبر ناطقاً باسم الشعب العربى الذى اشترك فى الثورة ورفض الحسين إلا أن يكون ممثلا « للحكومة العربية» التى تعنى الحجاز والحكومة التى أقيمت باسمه فى دمشق وأى حكومة محتملة ستقام فى العراق [٢] . وكان الأمل يحدو فيصلا بأنه سيخرج من المؤتمر ممثلا للملك العرب .

وبدأ النظر فى القضية العربية رسمياً فى ٦ فبراير (شباط) ١٩١٩ فى مبنى وزارة الخارجية الفرنسية Quai d'Orsay أمام مجلس العشرة . وكان خطاب فيصلا [٣] توسيعاً لمذكرتين رفعهما الوفد العربى إلى مؤتمر السلم ، الأولى فى ١٩/١/١ [٤] والثانية فى ١٩١٩/١/٢٩ [٥] .

---

(١) ذكر عونى عبد الهادى فى مقابلة خاصة أن Gout الوزير المفوض فى وزارة الخارجية للشئون الشرقية كان قد جاء يبلغ فيصلا أسف الحكومة الفرنسية لعدم إمكان تمثيل الحجاز فى مؤتمر السلم لأن الدول لم تعترف بحكومة الحجاز وأضاف (جو) أن إلغاء مقعده كان متعمداً من إنجلترا وأنه من الأفضل له أن يتوقف عن الإصغاء لنصائح البريطانيين فى العراق وسوريا . واغتم فيصل وأخبر لورنس الذى لم يعلق على شيء ولكنه غادر الفندق ليعود بعد فترة ويقول : « سيدى لويد جورج يهديك سلامه .. ويقول لك « لقد خصص لك مقعدان فى المؤتمر بدلا من واحد » وقد تم الاتفاق على أن يكون محمد رستم حيدر المندوب الثانى وعين كل من نورى السعيد وأحمد قدرى وعونى عبد الهادى أعضاء مساعدين للوفد ليعملوا فى لجان المؤتمر .

(٢) Tibawi, p. 78.

لم يتحدث فيصل عن قضية العرب فى أفريقية برغم أنه الوفد العربى الوحيد أمام المؤتمر فى وقت كانت فيه الحركة الوطنية فى مصر تناضل للوصول إلى مؤتمر السلم .

(٣) ذكر عونى عبد الهادى فى مقابلة شخصية : أن لورنس كان يترجم بعض فقرات الخطاب دون أن يعرف أحد من الوفد العربى ما يقوله لجهلهم بالإنجليزية كان كما أنه لايعرف العربية أحد فى المؤتمر غير لورنس . وليس من الواضح إذا كان لورنس قد قدم ترجمة رسمية للخطاب رغم أن الوفد العربى اشترط أن تكتب الترجمة حتى لا تتكرر مأساة اتفاقية فيصل وايزمان .

(٤) Zeine, Struggle for Independence, Appendix C. pp. 248 — 51.

(٥) من الملاحظ أن أنطونيوس لم يتعرض إلى ذكر المذكرة الأولى .

وفى المذكرة الأولى عرض فيصل المطالب العربية على أساس مبادئ عامة منها : حق الشعوب الناطقة بالعربية فى آسيا (اعتباراً من الخط الممتد شمال الإسكندرون ديار بكر حتى سواحل الهندى جنوباً) بالاستقلال والوحدة لأسباب عديدة : فالسكان عرب ينطقون لغة واحدة وينتمون إلى عنصر واحد تقريباً . . ويسكنون أرضاً لها حدود طبيعية تؤكد وحدتها ، كما أن منافع البلاد متحدة ، وهى قد وعدت من قبل الدول المتحالفة بالحرية والاستقلال نظراً لما ساهمت به أثناء الحرب (ولم تشر المذكرة إلى مراسلات الحسين مكماهون بالتحديد)[1] . وفى رأى فيصل أن هذه البلاد يصعب دمجها فى إطار حكومى واحد لتباينها الاجتماعى والاقتصادى فاقترح تعيين مصير كل جزء منها : فسوريا نظراً لتطورها السياسى والاقتصادى طلب منحها استقلالا ذاتياً ، ولا بأس من الاستعانة بأخصائيين أجانب تابعين لها على أن لا يسمح لأى دولة أجنبية بالنفوذ السياسى . أما الجزيرة العليا والعراق فمع طلبه بحكومة عربية فيهما لا يرى مانعاً من أن تشرف إحدى الدول الكبرى على مساعدتهما لتطوير أمورهما الداخلية . ولم يشأ أن يفتح باب المناقشة فى مصير الحجاز ونجد واليمن . ومع أن أغلبية سكان فلسطين من العرب وصلتهم وثيقة مع اليهود فقد طالب بوصاية إحدى الدول الكبرى لمنع أى منازعات قد تحدث فى المستقبل بين العنصرين[2] .

ولكنه أوضح أن هذه الفروق الاجتماعية والاقتصادية لا تشكل عقبة أمام الوحدة التى هى هدف الحركات القومية « فالجهل هو العقبة الوحيدة الذى تسببت فى جوده الحكومة التركية » ولو منحت الاستقلال فإن المؤثرات الطبيعية للعرق واللغة والمصالح ستقرب الجماعات العربية المختلفة فى أمة واحدة؛ وفى النهاية

---

(١) ويذكر عونى عبد الهادى أنه فى اليوم الثانى للخطاب نشرت Le Temps (وهى الجريدة الرسمية للحكومة الفرنسية) مقالا لأندريه تارديو رئيس تحريرها أشار فيه إلى الرسائل بين الشريف ومكماهون وأبلغ عونى فيصلا المقال ، فأنكر أنه وصل سمعه شىء عن المراسلات وانتدبه للسفر إلى لندن لحمل نسخة منها ودهش فيصل لها وعجب لإخفاء والده لها .

وكانت أول مرة تشير فيها الصحف العربية إلى مقاطع من المراسلات فى يناير (كانون ثان) ١٩٢٠ .

(٢) وقد اتخذت هذه الفقرات دليلا على ارتباط فيصل ببريطانيا ومعرفته خططهم فى فلسطين انظر : Esco, p. 189 .

ناشد الدول الكبرى قائلا : « لا تفرضوا حضارتكم علينا بالقوة ، بل عليكم أن تساعدونا فى انتقاء ما ينفعنا من تجربتكم » [١]

وقد أكدت المذكرة الثانية فى ١٩١٩/١/٢٩ على طلب الاستقلال والوحدة وأرفق بالمذكرة النقطة الثانية من خطاب ويلسون فى مونت فرنون يوليو (تموز)١٩١٨ التى تنص على أن تسوية أية مسألة ستبنى على أساس القبول الحر لهذه التسوية من قبل الشعوب المعنية مباشرة . .

وفى المناقشة بعد الخطاب [٢] سأل لويد جورج فيصلا عن مدى المساعدة التى قدمها الجيش البريطانى فى سوريا والعراق أثناء الحرب ، وكذلك تعرض بيشون إلى نفس السؤال [٣] كما سأله ويلسون إذا كان يرغب فى انتداب أو أكثر ؛ فقال : « إن هذا من شأن والدى أما أنا فقد جئت لأمثل والدى لأطالب بالاستقلال والوحدة » . وقد انتهز فيصل الفرصة للتنديد باتفاقية سايكس بيكو والمطالبة باتخاذ خطوات إيجابية للتحقق من رغبات الشعوب المعنية حتى يمكن الوصول إلى تسوية عادلة مؤكداً مبدأ موافقة المحكومين ،واعتمد فى ذلك على مبادئ ويلسون والتصريح المشترك .

ولكن مهما كانت صحة مطالبه من حيث المبدأ ومهما كان قيمة الأثر الذى أحدثه على سامعيه بطريقته الهادئة التى عرض بها مطالبه [٤] فقد كان المسيطرون على المؤتمر قد خططوا مستقبل الشرق العربى قبل أن يستمعوا له .

---

(١) وجدت بين مجموعة أوراق عونى عبد الهادى وثيقة من أوراق الوفد الحجازى فى مؤتمر السلم تلخص القسم الأول من المذكرة حول حق الأجزاء العربية فى الاستقلال والوحدة ولكنها لا تتعرض للقسم الثانى الذى يعين مصير كل جزء على حدة وهذا ما يدعو عونى عبد الهادى إلى أن ينفى وجود المذكرة كلها ولا يقبل إلا بمذكرة ١/٢٩ التى تطالب بالاستقلال الكلى للمنطقة ومن ضمنها العراق وفلسطين التى طلبت مذكرة ١٩١٩/١/١ — وصاية عليهما ، وقد يكون للورنس دور فيها لإرضاء الصهيونية .

(٢) استقيت معلومات هذه المناقشة من عونى عبد الهادى .

(٣) حين سأل بيشون فيصلا عن مدى مساعدة الجيش الفرنسى أجاب فيصل أنه لم يزد عن ٢٠٠ جندى و ٤ مدافع جبلية . . وقد تناولت الصحف الفرنسية فى اليوم التالى بيشون باللوم على سؤاله .

(٤) Lansing, op. cit., pp. 169 — 70.

قال عن فيصل إن طريقته فى الخطابة ونبرات صوته تفوح منهما عطر الصراحة .

ولم يكن فيصل الوحيد الذى أثار البحث حول مصير سوريا، إذ بعد خطابه بأسبوع ١٣ فبراير (شباط) ظهر أمام مؤتمر العشرة الدكتور بلس Bliss « مدير الكلية البروتستنتية السورية فى بيروت وعرض بطريقة مقنعة أمل الشعب فى سوريا فى مبادئ ويلسون والتصريح المشترك ، وطلب إرسال لجنة تحقيق إلى سوريا للحصول على بيان دقيق عن وجهة نظر السوريين [1] .

وكان الدكتور بلس قد شرح إلى ويلسون رفض السوريين للادعاءات الفرنسية : وتقبلهم لأى مساعدة أمريكية نظراً لعدم وجود مطامع سياسية لها فى المنطقة .

وبدعم وإيعاز من فرنسا ظهرت أمام المؤتمر وفود سورية أخرى لتأييد خطط فرنسا أولها وفد الجمعية السورية المركزية Comité Central Syrien برياسة شكرى غانم [2] وكان يدعى أنه يتكلم باسم السوريين جميعاً وباسم عشرات الجمعيات السورية فى العالم « وأنكر الوفد على فيصل نظام حكمه فى دمشق واقترح دولة سوريا بحدودها الطبيعية تحت انتداب فرنسى . لأن إلحاقها بالجزيرة يعد خطأ سياسياً . . . » [3].

وسمح لوفود أخرى تطالب بتوسيع لبنان وبالحماية الفرنسية بالتكلم أمام المؤتمر وكانت غاية فرنسا من إرسال هذه الوفود ومارافقها من برقيات ، الضغط على آراء أعضاء المؤتمر .

وبرغم أن الصهيونيين لا يمثلون دولة ، والسكان اليهود لا يشكلون إلا ١٠٪ من سكان فلسطين فقد أرسلوا وفداً استقبل بود فى باريس للحصول على تأكيد دولى لوعد بلفور وتأمين ضمه إلى نص معاهدة السلم وميثاق العصبة .

---

(١) Zeine, The struggle for Arab Independence, Appendix F. pp. 255 — 259.

(٢) كانت الجمعية تصدر جريدة المستقبل فى باريس بإشراف من وزارة الخارجية الفرنسية لخدمة فرنسا فى مستعمراتها العربية والإفريقية ويديرها مسيحيون من سوريا ولبنان . . وقامت الجمعية فى يناير (كانون ثان) ١٩١٨ — بالدعاية لاتفاقية سايكس بيكو .

(٣) Shotwell, At the Paris Peace Conference, New York 1937, pp. 171 — 172.
ويذكر « أن تقرير شكرى غانم استغرق ساعتين ونصف لتقديمه وترجمته وقد مرر Westernman ورقة إلى ويلسون ذكر فيها أن شكرى غانم كان غائباً عن سوريا مدة ٣٥ عاماً قضى معظمها فى فرنسا وهذا ما أفقد ويلسون الاهتمام بسماع بقية الكلمة . . . » .

وكانت المنظمة الصهيونية قد رفعت مذكرتها إلى مؤتمر السلم فى ٣ فبراير (شباط) ١٩١٩ وأشرف على وضع مسودتها لجنة استشارية يرأسها هربرت صموئيل نفسه وطالبت المذكرة بحق الشعب اليهودى التاريخى فى إقامة وطن قومى فى فلسطين على أن يعهد إلى بريطانيا بالانتداب من قبل العصبة لوضع فلسطين فى ظروف سياسية واقتصادية تكفل إنشاء الوطن القومى ، وتعمل على تشجيع الهجرة والاستيطان وتوسيع الحكم الذاتى . . وألحق بالمذكرة الحدود التى تقترحها المنظمة الصهيونية لفلسطين (١) .

وظهر الوفد الصهيونى أمام مجلس العشرة فى ٢٣ فبراير (شباط) ١٩١٩ وعرض سوكولوف حق اليهود إقامة وطن قومى على أساس وعد بلفور وطلب انتداباً بريطانياً يؤمن هجرة يهودية وحكومة محلية . كما بحث وايزمان المركز الاقتصادى للشعب اليهودى ، وطالب بإيجاد إدارة فى فلسطين تكفل تشجيع الهجرة اليهودية على أن تصبح فلسطين يهودية بقدر ما إنجلترة هى إنجليزية (٢) .

وتأخر اتخاذ قرار بشأن سوريا التى كانت تمثل قمة المساومات والمتناقضات والتحالفات السرية فى المؤتمر ، ودعا لويد جورج إلى اجتماع سرى للمجلس الأعلى للأربعة الكبار فى شقته فى باريس فى ٢٠ مارس (آذار) ١٩١٩ (٣) . وكان من أهم الاجتماعات الحاسمة فى المؤتمر ظهر فيها أول نزاع رئيسى بين الولايات المتحدة من جهة وفرنسا وبريطانيا من جهة أخرى . . وقد طالب بيشون وزير خارجية فرنسا بالتمسك الكامل بالمعاهدات السرية وأن تعامل سوريا كوحدة على أن تكون فرنسا المنتدبة عليها ، مع رفض أى ادعاء سياسى لبريطانيا فى المنطقة ورفض التقيد بالتزامات بريطانيا نحو الحسين محتجاً بأنه لم يطلع عليها إلا منذ أسابيع .

وتمسك لويد جورج بنصوص مراسلات الحسين مكماهون التى لها وضعية

---

(١) Hurwitz, op. cit., Vol. II, pp. 45 — 50.

ومن الملاحظ أن المذكرة وضعت فى مقدمتها الفقرات الخاصة المتعلقة بفلسطين من مذكرة فيصل فى ١/١/١٩١٩ .

(٢) Weizman, pp. 305 — 306.

(٣) لمعرفة وقائع مادار فى الاجتماع السرى انظر : Baker, op. cit., Vol. III, pp. 1-19

المعاهدة وشرح للمؤتمر أن الحسين قد دخل الحرب على أساس الالتزامات التى تضمنتها ، وأن فرنسا قد قبلتها عن طريق بيكو فى ٢٣ نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١٥ حيث اعترف فى اتفاقية ١٩١٦ بأن منطقة المدن الأربعة (دمشق حلب حمص حماة) تقع ضمن الحدود التى وعدت بريطانيا أن تدعم الاستقلال العربى فيها .

وأكد اللنبي فى المؤتمر على قيمة المساعدة العربية فى الحرب وأنه قد أعطى تأكيدات لفيصل بعد الحرب بأن كل الإجراءات فى المنطقة مؤقتة ريثما تتم التسوية النهائية ، وأن هدف العصبة هو إعطاء الأمم الصغيرة حق تقرير مصيرها ، وحذر المجتمعين بأن فرض فرنسا على سوريا سيثير مشاكل قد تؤدى إلى حرب بين الفرنسيين والعرب ، ولو تولى فيصل قيادة العمليات فقد يتطور الأمر إلى حرب تغطى المنطقة كلها وسينضم لها عرب الحجاز مما سيربك القوات البريطانية فى فلسطين ومصر .

وكى يوفق الرئيس ويلسون بين مطالب الدولتين ومبدأ تقرير المصير أعلن عن إرسال لجنة تحقيق من هيئة خبراء من الدول الكبرى لمعرفة رغبات السكان فى المنطقة والتحقق من الوضع وعلى أساس الوقائع المكتشفة يمكن إرساء العدالة وتأمين السلام وذلك كى يقنع العالم بأن المؤتمر حاول جهده لإيجاد أساس موضوعى ممكن للتسوية القادمة .

وفكرة إرسال المؤتمر لم تكن أمراً جديداً بل عرضه فيصل فى خطابه أمام المؤتمر وطالب به الوفد العربى مراراً[1] ، كما اقترحه بلس أمام مجلس العشرة ،

ووضع الرئيس ويلسون تعليماته إلى اللجنة المقترحة ووافق المجلس الأعلى عليها رسمياً فى ٢٥ مارس (آذار) ١٩١٩. وتطلب هذه التعليمات من اللجنة« زيارة الشرق الأدنى والتعرف بقدر إمكانياتها على حالة الرأى العام وعلى الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمنطقة وتكوين رأى حول تقسيم المنطقة وتوزيع الانتدابات

---

(١) بين أوراق عونى عبد الهادى رسالة موجهة من سكرتير الوفد الحجازى فى باريس فى ١٥ مارس (آذار) ١٩١٩ كرد على رئيس تحرير (Debats) الذى أظهر عداوة تامة « لإرسال هيئة ائتلافية إلى الشرق لاستشارة الشعب فى نوع الحكومة والتعبير عن رأيه بحرية . . بينما أظهر موافقته لإرسال بعثة مماثلة إلى الفيوم Fiume » (بين يوغوسلافيا وإيطاليا) .

فيها بحيث يمكن توطيد النظام والسلام وتطوير شعوب هذه البلاد[١] » .

ورغم أن اقتراح ويلسون هذا كان أفضل ما يمكن للمؤتمر أن يفعله إلا أنه لا يشير إلى طريق حل واضح نظراً لأن الأوضاع التى اكتسبتها الدول الكبرى فى السابق أصبح من الصعب تغييرها فتعطلت اللجنة بذلك قبل أن تباشر مهامها .

ومع ذلك كان لاتخاذ هذا القرار أثر كبير فى البلاد[٢] وعلى فيصل بالذات لأنه كان يثق تماماً بنتائجها . وكان هو نفسه قد بدأ يتبنى خطة جديدة بالتحول نحو الولايات المتحدة بعد أن عرف أن اتفاقية سايكس بيكو قد ظلت خطة العمل فى أذهان ساسة فرنسا وإنجلترا ، أن ويلسون ينطق باسم الشعوب الضعيفة التى تبحث عن العدالة . وقد أبلغ ييل Yale فى حديث له فى ١٣ فبراير (شباط) ١٩١٩ « أن أمريكا هى أكثر الدول التى لا مصلحة لها . . إنه بالفعل يفضل الولايات المتحدة لكنه لا يجرؤ أن يقول ذلك صراحة لأنه لم يتلق أى تشجيع منها »[٣]

وأبلغ هاوس House عضو الوفد الأمريكى لمباحثات السلم فى ٢٩ مارس (آذار) ١٩١٩ « أنه قد أرسل من قبل شعبه كى يختار إحدى الدول الكبرى كدولة منتدبة . . وهو يميل إلى إنجلترا كثيراً . . ولكنه يريد أن يعرف إذا كانت الولايات المتحدة تقبل مهمة الانتداب على سوريا»[٤] .

وكان غاية ما تمكن الأمير من الحصول عليه هو الوعود لطيبة من الوفد الأمريكى ، وقبل أن يغادر فيصل أوربة دون أن يتخذ مؤتمر السلم قراراً حول مستقبل البلاد العربية أصبح واضحاً أن اعتماده على بريطانيا ليس له فائدة ، لأن أى مساعدة يأملها من بريطانيا سوف تتوقف خوفاً من نزاع مع فرنسا على حسابه فكان أحسن الطرق حسب نصيحة بريطانيا هو التوصل إلى تفاهم مع فرنسا .

---

(١) Moslem World, Vol. 32, April 1942, p. 126.

(٢) « العاصمة » عدد ٢٠ فى ٢٤ أبريل (نيسان) ١٩١٩ . . .
جاء فيها « إن هذا دليل على حسن نية المؤتمر وعزمه على منح البلاد استقلالها وأهمية أهلها للحكم الذاتى » .

(٣) Kedourie, op., cit., p. 142.

(٤) Garnett, op. cit., p. 275.

وكانت محادثات فيصل كلمنصو بين شخص تخلى عنه حليفه وآخر حصل على الورقة الرابحة من يد نفس الحليف [1] . واتفقا فى نهايتها شفهياً على « أن يستعمل فيصل جهوده مع شعبه من أجل تأمين انتداب فرنسى على سوريا مقابل أن تعترف فرنسا باستقلال سوريا » كما أسر إلى كلايتون بعد عودته فى مايو (آيار) ١٩١٩ [2] .

إلا أنه فى رسالته إلى كلمنصو قبل رحيله بفترة قصيرة ٣٠ أبريل (نيسان) ١٩١٩ لم يشر إلا إلى الشعور العميق الذى يوجد بين شعب فرنسا وشعب سوريا وعن « حاجتنا للوصول إلى تفهم كامل حول الأمور التى تهمنا » [3] .

ويقول الريحانى [4] « لولا أمر واحد لكان قد قبل كل ما عرض عليه كلمنصو . إنه ويلسون الذى خدع الأمير كما خدع غيره من الناس والأمم والشعوب» .

لقد توقع فيصل حلاً أفضل على يد لجنة تحقيق دولية . .

ورغم الآمال الغامضة التى بدأ فيصل يعقدها على دعم الولايات المتحدة لمبدأ حق تقرير المصير فإن قضيته قد فشلت فى باريس كما فى لندن . فقد سويت القضية العربية أو كانت على وشك التسوية بين الدولتين الكبيرتين وبدت قضية استشارة رغبات السكان عديمة الجدوى .

ونداء فيصل إلى الضمير العالمى وإلحاحه على مطلبى الوحدة والاستقلال للبلاد التى حررت من الحكم العثمانى وسكوته عن فلسطين والعراق لم يجد شيئاً .

ولا يمكن أن نعزو فشله فى المحافل الدولية فقط إلى جهله بالدبلوماسية والعلاقات

---

(١) يروى عونى عبد الهادى قصة لقاء فيصل كلمنصو للمرة الأولى وكان يرافقه أعضاء الوفد العربى بدون لورنس حيث قال كلمنصو: « أريد منك أن تثق أن فرنسا الصديقة القديمة لسوريا ليس لها أى مطمع استعمارى فى سوريا وكل ما ترغب فيه هو مد يد المساعدة لها والدفاع عن حريتها واستقلالها . وأريد منك أن تضع يدك فى يدى ونسير معاً لخدمة سوريا . » فأجاب فيصل: « عندى أنك ستبقى إلى الأبد رئيساً لوزارة فرنسا وأنا أمد لك يدى ، ولكن أخشى أن يتولى غيرك رئاسة الوزارة ولا يكون مثلك عدواً للاستعمار . . . . » .

(٢) Documents, Op. cit., p. 265.

(٣) Documents, pp. 252 — 63.

كان بلفور قد أرسل نسخة من هذه الرسائل إلى لورد كرزن فى وزارة الخارجية فى لندن .

(٤) الريحانى ملوك العرب ص ٣٠٦ .

الدولية أو سذاجته أو اعتماده على لورنس . . أو رفض والده أن يمنحه سلطات كاملة . . وعدم وجود أصدقاء له فى أوربة سوى البريطانيين [١] . لقد كان فشله لكون المطامع الفرنسية التقليدية وادعاءات بريطانيا لا يمكن أن تلتقيا إلا فى اقتسام البلاد العربية .

ويظهر أن فيصلا كان يعرف جيداً أنه قد فشل نهائياً ليس فى تنفيذ سياسة والده فى الاعتراف بمطالبه . . بل فى ضمان الحد الأدنى من الاستقلال فى سوريا الداخلية . . كما أسر بذلك إلى مسز أرسكين [٢] . . وكما أطلع أنطونيوس ١٩٣٣ على انطباعاته وخيبة أمله فى زيارته الأولى لأوربة .

ومع ذلك لم يبح بخيبة أمله ومخاوفه إلا لنفر يسير من أعوانه ، أما فى أحاديثه القليلة بعد عودته إلى العاصمة فكان يؤكد على « حسن نيات الحكومات الأربعة المعظمة وصدقهم فى أقوالهم وتمسكهم بالمبادىء السامية التى جعلوها دستوراً لأعمالهم » [٣] . ولم يتحدث عن أطماع أوربة بل قال . . « لا يمكننى أن أفرق بين الواحدة والأخرى فى حسن النية » . . « إن أوربة اعترفت بنزاهة أمانيكم وأزمعت على منح سورية الاستقلال الذى تصبوا إليه » [٤] .

وكان عليه أن يواجه القلق السياسى والحماس الوطنى الذى كان أكثر تطرفا مما يتوقعه ، وأن يهيىء الأمور حتى تواجه اللجنة التى يتوقعها برغبة عامة فى المنطقة التى يديرها .

---

(١) أنطونيوس ص ٣٩٤ .

(٢) ارسكين ، ص ١١٩ — ١٢٢ .

(٣) الحصرى يوم ميسلون ص ٢١٧ من بيان فيصل إلى الشعب بعد عودته إلى دمشق فى ١ مايو (آيار) ١٩١٩ .

(٤) المصدر نفسه ص ٢٢١ من خطاب فيصل فى دار الحكومة فى ٥ مايو (آيار) سنة ١٩١٩ .

الفصل الثالث

الدورة الأولى للمؤتمر السوري العام

يونيو (حزيران) ١٩١٩- ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٩

١ ــ الأوضاع في سوريا بعد عودة فيصل من باريس :

وجد فيصل عند عودته فى أبريل (نيسان) ١٩١٩ قلقاً متزايداً على مصير البلاد ، وبدأ الشك يحوم حوله لتحفظه من جهة ، ولأخبار مفاوضاته السرية والشخصية من جهة أخرى .

فكان عليه أن يوفق بين المطالب القومية الملحة وميله هو إلى الاعتدال لإنقاذ جزء من هذه المطالب على الأقل . وحتى يمنع تشكيل حزب معارض ويكسب المتطرفين إلى جانبه تولى هو قيادة الحملة السياسية التى بدأت قبل قدومه للإعداد لقدوم لجنة التحقيق الدولية[١] .

وتلقى تفويضاً من وفود أعيان سوريا لإدارة سياسة البلاد الداخلية والخارجية وذلك فى اجتماع كبير عقد فى دار البلدية فى ١٤ مايو (آيار) عاهدهم فيه على الاستقلال كما أخذ الموافقة على تأسيس مجلس منتخب يضع القوانين فى سوريا[٢] .

وشجع حملة صحفية من أجل التطوع والتجنيد الاختيارى، ويذكر تقرير ضابط الاتصال البريطانى فى دمشق فى ١٦ مايو (آيار) «أن فيصلا قد طلب الموافقة من القائد العام على تجهيز جيش قوامه ١٤,٠٠٠ جندى يتمكن به من محاربة فرنسا عند الضرورة . . فالشعور ضد فرنسا قوى بين الناس» . . . وأضاف بأنه ليس فى نيته أن ينفذ سياسة كلمنصو باستعمال جهوده لتأمين انتداب فرنسى مقابل الاعتراف بالاستقلال[٣] . وأكد إلى كلايتون فى ٢٠ مايو (آيار) أن سوريا

---

(١) Documents, p. 264.

(٢) Ibid, Vol. IV, p. 267.

(٣) Ibid, p. 265.

تعارض التدخل الفرنسى بأى سبيل . وفى تقرير من ضابط الاتصال البريطانى فى حلب فى ٢٣ يونيو (حزيران) أن الأمير لم يقم بثورته هو والعرب كى يرى بلاده تسلم إلى فرنسا، وهو مصمم على قيادة بلاده بقوة السلاح إذا أرادت فرنسا فرض الحماية بالقوة[١] .

ومع ذلك فقد حاول أن يحتفظ بعلاقات ودية مع فرنسا وخاصة بعد أن جاء بيكو إلى دمشق وهو يتوقع نتائج حسنة من مفاوضات فيصل مع كلمنصو . وقد دار البحث بين بيكو وفيصل فى ١٧ مايو (آيار) ثم فى ١٨ يونيو (حزيران) حول إيجاد صيغة للتفاهم . وكان الأمير يصر على إلغاء سايكس بيكو، وإنشاء إدارة وطنية فى الساحل ترتبط مع الداخل بوحدة أو اتحاد ، مع إدخال الموصل وفلسطين ضمن الدولة السورية على أن تنحصر المساعدة الفرنسية بالأخصائيين والمستشارين ، ولكن المباحثات فشلت وأثبتت الهوة العميقة بين الآراء العربية والفرنسية [٢] .

وقد حذر كلايتون فيصلاً من هذه السياسة المزدوجة التى قد تنقلب عليه وتهدد العلاقات الفرنسية البريطانية وحتى العربية البريطانية ، لذلك قرر فيصل انتظار قدوم اللجنة[٣] .

وكان السوريون بالفعل يعلقون أهمية كبرى على اللجنة الدولية ويرون أنها ستقرر مصير البلاد ، وزاد قلقهم بعد أن سرت الشائعات بأنها غير قادمة ، فرفع الوفد (الحجازى) فى مؤتمر الصلح فى باريس فى ١٤ مايو (آيار) إلى رئيس المؤتمر مذكرة يطلب فيها الإسراع بإرسال اللجنة الائتلافية إلى الشرق حسب ميثاق العصبة (المادة ٢٢) ، ويأمل الوفد «ألا يقرر المؤتمر شيئاً قبل أن تدع الشعوب فى الشرق العربى لإبداء رغباتهم حول مصير بلادهم»[٤] .

وتلقى ويلسون برقية من فيصل فى ٢٢ مايو (آيار) يقول فيها إن «كل فرد

(١) Ibid, p. 291.

(٢) Goutant — Biron, op. cit., p. 236.

(٣) Documents, op. cit. p. 365.

(٤) من مجموعة أوراق عونى عبد الهادى .

فى سورية ينتظر بتلهف قدوم اللجنة»[١] . كما رفع اللنبى إلى وزارة الحربية فى لندن وإلى بلفور فى باريس برقية كان قد بعثها فيصل فى الأسبوع الأخير من مايو (آيار) يبين فيها قلقه لتأخر اللجنة ، وانتشار شائعة فى بيروت عن قدوم جيش فرنسى إلى سوريا بقيادة جورو . وهدد فيصل بأنه سيعتبر نفسه غير مسئول إذا ما زاد عدد القوات الفرنسية جندياً واحداً . وقد عدد اللنبى المصاعب التى يتوقعها إذا ما ثار فيصل : إذ أن بإمكانه أن يثير القبائل المحاربة فى شرق الأردن لتهديد سلامة قواته فى فلسطين وسيناء ، وقد يحدث اضطرابات فى مصر والسودان ويصعب عليه معالجة الموقف بعدد القوات التى تحت تصرفه[٢] .

وكان رد بلفور إلى اللنبى «بأن اللجنة ليست لها صلاحية تقرير مستقبل البلاد فالقضية كلها بيد الدول الكبرى»[٣]. إلا أن برقية اللنبى إلى فيصل كانت أقل عنفاً من رد بلفور حين أكدت بأن القسم الأمريكى فى اللجنة قد غادر أوربة بالفعل[٤] .

وكان ذلك كفيلا بإنهاء الأزمة ، وسواء كان فيصل قد خدع أولا فقد تراجع عن التهديد ، واستمر العمل فى التحضير لقدوم اللجنة .

وقد جاءت تقارير تدل أنه لا توجد خطة موحدة فى البلاد لاتخاذها أمام اللجنة ، ورغم أن السواد الأعظم من السوريين كان يطلب الاستقلال المطلق الناجز إلا أنه راجت فكرة بين الكثيرين بأن الانتداب أمر محتم ولكن بمعنى «المساعدة فى الشئون الاقتصادية والمالية التى لا تتنافى مع الاستقلال المطلق لا بتشريع ولا تنفيذ»[٥] . حسب المادة ٢٢ من ميثاق العصبة .

وكان فيصل كغيره من المسئولين لا يزال متعلقاً بالاعتقاد بأن بريطانيا ستستخدم نفوذها مع فرنسا لمصلحة العرب ، وخاصة لما كان يتظاهر به الموظفون والضباط

(١) Moslem world, vol. 32, op. cit., p. 131.

(٢) Documents, op. cit, pp. 250, 256 — 57.

(٣) Ibid, p. 259.

(٤) Ibid, p. 287.

(٥) المنار جزء ٤ م ٢١ — ٢٨ يونيو (حزيران) ١٩١٩ .

البريطانيون فى المنطقة من صداقة ودعوة بأن بريطانيا ستعمل من أجل دعم وحدتهم واستقلالهم [١] .

وفى محاولة من فيصل للاحتفاظ بوحدة سوريا والتخلص من أطماع فرنسا حاول دون جدوى أن يرضى بريطانيا بمنحها الانتداب على سوريا كلها ومن ضمنها فلسطين [٢] . وكان قد أسر إلى كلايتون فى ٢٠ مايو أنه يرحب ببريطانيا كدولة منتدبة ولكنه غير واثق إذا كانت ستقبل الانتداب وهو لم يتلق جواباً واضحاً من رئيس الوزارة [٣] . وتساءل فيما بعد عن سبب تخلى الحكومة البريطانية عن مساعدته بعد أربع سنوات من تكاليف الدم والمال . وإنه إذا كانت فى نية بريطانية التخلى عن مسئولياتها فإن سوريا تطلب الاستقلال التام لأن فرض انتداب فرنسى هو موت قومى ، وخاصة أن مركز الأسرة الشريفية قد أصبح صعباً بعد أن اتهمهم المسلمون بتحطيم الإمبراطورية الإسلامية ، وكان لا بد من تبرئة مركز الأسرة وتجنب أى ارتباط يثير اتهامات جديدة [٤] .

وكان فيصل قد فسر برقية جاءته من اللنبى « بأن حكومة جلالته ستعطى وزناً كبيراً لتوصيات اللجنة » على أنها تعنى أن فى نية الحكومة البريطانية تولى الانتداب على سوريا إذا لم تفعل دولة أخرى ذلك [٥] .

وهذا ما دفع بلفور إلى إرسال برقية إلى اللنبى فى القاهرة فى ٢٦ يونيو (حزيران) كى يفهم فيصلا بأنه « مهما حدث وفى أى الظروف فإن بريطانيا ترفض أن تتولى الإشراف على سوريا لأنه لا يمكنها أن تضيف إلى مسئولياتها الأخرى إزاء الشعب العربى مهمة الانتداب . . على أن لا يفسر هذا الرفض بأنه تخلى عنه وعن القضية العربية » [٦] .

وبرغم أن الحكومة البريطانية كانت قد تركت بالفعل اهتمامها بسوريا كلها

---

(١) Kedourie, op. cit., p. 124.

(٢) Documents, op. cit., p. 277.

(٣) Ibid, p. 265.

(٤) Ibid, pp. 291 — 92, 298 — 99.

(٥) Ibid, p. 276.

(٦) Documents, pp. 298 — 99.

وسعت فقط إلى ضمان الانتداب على فلسطين . . لم تكن لهجة الموظفين والضباط البريطانيين فى المنطقة كلهجة بلفور فقد حاولوا كسب الرأى العام العربى باختيار بريطانيا لمساعدة سوريا .

والواقع أن الإلحاح على طلب المساعدة البريطانية كان يصطدم بمعارضة (الفتاة) وتنظيماتها التى ترفض أنصاف الحلول وتصر على الاستقلال التام . وهذا ما سبب خلافاً فى الرأى العام ، وللتوفيق بين الاتجاهات المتعددة تقرر اختيار الولايات المتحدة لتقديم المساعدات الاقتصادية والمالية ، نظراً لثروتها المادية والعلمية ورغبتها فى مساعدة الشعوب الصغيرة وعدم وجود مطامع استعمارية لها ، فإذا تعذر فبريطانيا ، على أن لا يكون فى ذلك مساس بسيادة البلاد واستقلالها[١] .

هكذا كان الوضع العام فى سوريا قبل افتتاح جلسات المؤتمر السورى فى دمشق فى أوائل يونيو (حزيران) ١٩١٩ :

٢ – انتخابات المؤتمر السورى العام ومقرراته :

كان فيصل قد أشار فى خطابه فى دار البلدية فى ١٤ مايو (آيار) إلى تأسيس مجلس منتخب من كافة المناطق السورية يكون الوسيلة الوحيدة لإقناع اللجنةالدولية بشرعية المطالب العربية . ولم تكن الدعوة لعقده حركة شخصية لأن الحركة الوطنية كانت تسير فى هذا الاتجاه ، وخاصة بعد أن عرف كثير من الزعماء المسئولين ما واجه فيصلاً من صعوبات فى أوربة ، وما تعرض له من ضغط سياسى كان بالإمكان أن يكون أقل عنفاً لو أن معه وفداً يمثل جميع الأمة[٢] . كما شعروا بضرورة تزويد نظام الحكم بقاعدة دستورية تبين للجنة القادمة رأى الشعب

---

(١) داغر ص ١٠٣ – ١٠٣ ، ص ١٣١ – ١٣٢ .

وقد روى المؤلف أنه حضر اجتماعين فى دار البكرى بسط فيصل رأيه واستشهد بمحادثات بينه وبين رجال السياسة الإنجليزية والأمريكان . . . «وأنه مما ساعد على نجاح المساعى التى بذلت لحمل البلاد السورية على قبول المساعدة أن عمال فرنسا والمتصلين بها فى سوريا كانوا يسعون لحمل الأمة على المطالبة بالاستقلال التام فنشأت فكرة عملت بعض المقامات على ترديدها بإيهام دعاة الاستقلال التام ورافضى المساعدة بالخيانة والعمل لمصلحة فرنسا . . . » .

(٢) Jeffries, op. cit., p. 299.

فى مصير البلاد ثم تعين شكل الحكومة وتقرر قانونها الأساسى [١] . وخاصة بعد أن بدأ الشك يتسرب حول ماهية القرار النهائى الذى ستنبثق عنها مداولات مؤتمر السلم .

فتقدم عدد من المسئولين من أعضاء الاستقلال باقتراح تشكيل مؤتمر وطنى يتكلم باسم الشعب السورى كله عن طريق انتخابات شرعية تجمع ممثلين عن المناطق السورية الثلاث على قدم المساواة [٢] . ومنح فيصل تلك الحركة دعمه وتعاون معها وربما وجد فيها أحسن سبيل لتوطيد مركزه من جديد بعد أن بدأ يتضعضع لعدم حصوله من مؤتمر السلم على الوفاء بوعود الحرب .

وكانت الصعوبة الكبرى التى واجهت الجميع هو انتخاب الأعضاء ، إذ أن السلطات العربية لم تكن ممثلة فى مناطق الاحتلال الفرنسى والبريطانى ، والقوات المحتلة نفسها لم تكن لها صلاحية دعم الانتخابات ، كما أن اللنبى قد أصدر تعليمات بمنع أى تجمهر انتخابى فى المنطقة الغربية والجنوبية مع تحديد لصلاحيات المؤتمر فى المنطقة الشرقية [٣] .

ونظراً لاعتقاد الجميع بأن اللجنة ستصل قريباً جرت انتخابات سريعة فى المنطقة الشرقية (حيث كان التشريع العثمانى لا يزال سائداً) وفقا لقانون الانتخاب العثمانى [٤] . وانتخب النواب المنتخبون الأولون الذين انتخبوا المبعوثين فى الدورة الأخيرة لمجلس المبعوثان العثمانى فى مطلع الحرب العالمية الأولى حتى إن أعضاء كثيرين كانوا فى الحقيقة نواباً سابقين فى مجلس المبعوثان . أما فى المناطق الغربية والجنوبية فقد شارك ممثلوها فى المؤتمر بمضابط توكيل من الأعيان والزعماء [٥] دون أن تجرى أى انتخابات ، ولكن بعض النواب الذين مثلوا المنطقة الغربية منعتهم السلطات الفرنسية من السفر إلى دمشق .

---

(١) المنار جزء ٥ مجلد ٢٣ — ٢٧ مايو (آيار) ١٩٢٢ ص ٣٩ .

(٢) David, p. 53.

(٣) Loc. cit,

ويعلق المؤلف على منع إجراء الانتخابات فى مناطق الاحتلال الأجنبى بأنه « يهدف إلى تعطيل عمل المؤتمر فى المستقبل بالادعاء بأنه لا يمثل إلا جزءا من سورية وإنه ليست له صلاحية المطالبة باستقلال سوريا كلها » .

(٤) Ibid, p. 62,

(٥) Jeffries, p. 192.

وكان الذين حضروا جلسة الافتتاح ٦٩ مندوباً من أصل ٨٥ ، من بينهم عدد من المندوبين المسيحيين يفوق فى نسبة التمثيل عدد السكان المسيحيين فى البلاد[١] .

ومع أن الانتخابات قد جرت بسرعة ، ولم يراع النهج المألوف فى الإجراءات الانتخابية تماماً فى كل المناطق، فما لا ريب فيه أن المؤتمر كان مجلساً تمثيليا بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة . ومقرراته تعد معبرة عن الآراء والعواطف التى كانت تسود الأكثرية ، وقد أقر بذلك أعضاء اللجنة الأمريكيين ، وهى نتيجة توصلوا لها بعد تحقيق واسع بين العرب وعن طريق اتصالاتهم الشخصية مع أناس ليس لهم مصلحة من غير العرب .

وقد وجد من دراسة إحصائية لأعضاء المؤتمر أن معظمهم من العناصر الشابة المثقفة « وهى التى تعتقد فى نفسها كما يعتقد بها الآخرون أنها خير من يمثل الأمة»[٢] .

وأعلن المؤتمر فى أول اجتماع رسمى له [٣] فى مقر النادى العربى أنه يمثل سوريا كلها وأشار فيصل فى خطاب الافتتاح إلى إيفاد اللجنة الأمريكية ، وتمنى للمؤتمر بصفته ممثلا لسوريا بمناطقها الثلاث أن يوفق فى التعبير عن رغبات الأمة لدى وصول اللجنة .

وكان المؤتمر مدعوماً من الأحزاب القومية : حزب الاستقلال العربى الذى كان له النفوذ الأكبر فى المنطقة الشرقية ويطالب باستقلال البلاد العربية مع تكوين اتحاد فيما بينها ، وحزب الاتحاد السورى الذى كانت تتخلص ميوله بمبدأ « سورية

---

(١) أنطونيوس ص ٤٠٥ .

ويدعى David, pp. 54 62 أن المسيحيين فى المناطق المحتلة الذين يشكلون أقلية فى فلسطين وأغلبية فى لبنان والمنطقة الساحلية رفضوا الانضمام إلى السياسة (الشريفية) وأن من مثل فى المؤتمر من بيروت والمنطقة الساحلية والبقاع هم من أعضاء الحزب (الشريفى) ولم يمثل فى فلسطين إلا المسلمين تقريباً عدا واحد أرثوذكسى .

Winder, Syrian Deputies and Cabinet Ministers 1919-1959.

(٢) Middle East Journal, Autumn 1962, Winter — Spring, 1963. Part I, pp. 407 — 29, Part II, pp. 35 — 54.

(٣) اختلف فى تاريخ جلسة الافتتاح : الحصرى ٣ يونيو (حزيران) ، David- ٢ يونيو (حزيران) ، سعيد ٧ يونيو (حزيران) .

للسوريين» ، كما ظهرت فئة من الأقلية توالى الانتداب الفرنسى لم يكن لها صوت مسموع داخل المؤتمر[١] .

وتمخضت مداولات المؤتمر عن مجموعة قرارات عمل الأعضاء فيها جهدهم لتأكيد استقلال سوريا التام[٢] ضمن وحدة عربية مستقلة دون حماية ولا وصاية ، مع إظهار احتجاجهم على المادة (٢٢) من ميثاق العصبة التى تجعل سوريا فى عداد الأمم المحتاجة إلى الانتداب ، ولما كانوا يعرفون أن انتداب دولة من الدول الكبرى لمساعدة البلاد على السير فى سبيل الاستقلال أمر سيفرض عليهم وكان اعتراضهم على فكرة الانتداب تخوفهم من أن ينقلب ليصبح ستاراً لاحتلال غير محدد ، أظهروا الحكمة فى اختيار الدولة المنتدبة فطلبوا الاستعانة بالولايات المتحدة لأنه لا مطامع استعمارية لها ، على أن لا يكون لذلك معنى الوصاية أو الحماية أو أى مساس بالاستقلال والوحدة بل استعانة فنية واقتصادية ، وإن تعذر فإنجلترا ، مع رفض الاستعانة بفرنسا وإنكار ما تدعيه من حقوق ومصالح ، كما طلبوا حكومة نيابية لها صفة اللامركزية مع الأخذ بعين الاعتبار لحقوق الأقليات وتأمين المساواة بين كل المواطنين . واحترام الوضع الخاص للبنان . كما أصروا على أن يكون فيصل ملكاً على البلاد السورية بأجمعها لأنه يحوز ثقتهم « ويجاهرون بالاعتماد عليه» . وقد طلبوا نفس المطالب بالنسبة للعراق على أن لا تكون هناك حواجز اقتصادية بين البلدين مع الاحتجاج على كل معاهدة سرية بتجزئة سوريا أوكل وعد يرمى إلى تمكين الصهيونية فى فلسطين ، مع ضمانة لليهود بالتمتع بحقوقهم العامة .

وبينوا فى نهاية المقررات ثقتهم الكبرى بمؤتمر الصلح وبمبادئ الرئيس ويلسون وطلبوا السماح بإرسال وفد يمثلهم فى المؤتمر للدفاع عن حقوقهم[٣] .

ورغم ما وجه إلى هذه القرارات من انتقاد لأنها ناقضت أهداف الثورة العربية حين اقتصرت على طلب دولة مستقلة فى سوريا فقط ، وقبلت بمبدأ المساعدة

(١) David, p. 72.
الحكيم ، سوريا والعهد الفيصلى ، بيروت ، ١٩٦٦ ص ٨٨ .

(٢) حدود سوريا الطبيعية شمالا طوروس وجنوبا رفح وشرقاً الفرات وغرباً المتوسط .

(٣) أنطونيوس ، ٥٩٦ – ٥٩٩ .

الأجنبية . وفي ذلك إقرار بمبدأ الانتداب[١]. إلا أن أهمية هذه القرارات أنها تحوى تعبيراً جازماً عن موقف العرب فى قضايا الساعة يومئذ ، وكما ورد فى تقرير للجنة الأمريكية «أن برنامج دمشق (قرارات المؤتمر) كانت أكثر الوثائق أهمية التى عرضت على اللجنة الأمريكية.. ولما كانت نتيجة لعملية سياسية واسعة وشاقة فإنها تشكل أساساً يمكن السوريين أن يجتمعوا عليه . . وهى أثبت أساس لنظام قوى فى سوريا . . ولا شك أن النقاط الأساسية فى هذه القرارات – أو ما يسمى ببرنامج دمشق – يمثل الإرادة الشعبية كما يمكن التعبير عنها فى أى بلد »[٢] .

وكانت مهمة أعضاء المؤتمر السورى الأولى عرض هذه القرارات على اللجنة الأمريكية حين وصولها . . وتعريفها على رغبات الشعب مستمدين سلطتهم من الشعب عن طريق الانتخاب .

٣ – لجنة كنج – كرين : تحقيقاتها وتوصياتها :

كانت سياسة الدول الأوربية إزاء المطالب العربية قد تحددت تقريباً بين مارس (آذار) يونيو (حزيران) ١٩١٩ . . فاتخذت فرنسا موقفاً استعمارياً صارماً ، وتأرجحت إنجلترا بين مصالحها الاستعمارية أولا والتزامها نحو فرنسا والعرب ثانيا والفكرة العالمية المثالية التى تزعمها ويلسون ثالثاً .

وقد ظهر واضحاً منذ جلسة ٢٠ مارس (آذار) ١٩١٩ أن فرنسا-لا ترغب لأى لجنة بالدخول إلى البلاد من أجل التحقيق إلا إذا شمل العراق وفلسطين كما سيشمل سوريا . . حتى لقد اعتقد بعض ساسة فرنسا أن اقتراح إرسال اللجنة الدولية هو مؤامرة من وزارة الخارجية البريطانية للتخلص من حق فرنسا فى الانتداب وخاصة لمعرفتها بإجماع الرأى العام فى سوريا ضد مصلحتها .

وبرغم أن الحكومة البريطانية قد وافقت على إرسال اللجنة وعينت أسماء الأعضاء فيها[٣] ، إلا أنها وقفت من القضية موقف الفتور وليس المعارضة التامة نظراً

(١) Longrig, p. 90.

(٢) Howard, p. 119.

(٣) تألف الوفد البريطانى من عضوية هنرى مكماهون المفوض السابق فى مصر وهارت الخبير فى شئون الشرق الأوسط والأدق ، وسكرتيريه البروفيسور أرنولد توينبى .

للخلاف الذى كان يدور حول حدود الموصل وبسبب الضغط الصهيونى . . ولذلك لما أعلنت وزارة الخارجية الفرنسية امتناع الحكومة عن تعيين أعضاء فى اللجنة الدولية ما لم توافق بريطانيا على وضع مسئولين فرنسيين فى المنطقة الشرقية، حسب نصوص اتفاقية سايكس — بيكو ، وعلى دفع معونة مالية فرنسية للحكومة العربية ، أعلن لويد جورج امتناعه عن إرسال أعضاء بريطانيين إلى اللجنة ما لم تفعل فرنسا ، وانسحبت إيطاليا كذلك من عضوية اللجنة لأنه لم يكن لها مصلحة فى الشرق .

ووقفت الحركة الصهيونية ضد فكرة التحقيق فى فلسطين وكان بلفور (الذى كان يعمل بالاتفاق مع المشاعر الصهيونية) قد احتج منذ ٢٢ مارس (آذار) على ضم فلسطين إلى منطقة التحقيق ، حتى لا يكشف تقرير اللجنة الذى سيوصى بإنشاء حكومات وطنية وإدارات تستمد سلطتها من الاختيار الحر للسكان . . « أن العرب يرغبون بحكومة عربية » (١) .

أما الرئيس ويلسون الذى تبنى فكرة التحقيق واعتقد جازماً أنها أحسن وسيلة للحصول على المعلومات الضرورية لتسوية ما بعد الحرب فى الشرق الأدنى، فقد وجد أنه إما أن يترك فكرة التحقيق أو أن يتولاها وحده ، فقرر اتخاذ الحل الأخير (٢) . وأعلن فى ٢١ مايو (آيار) أنه قد أصدر تعلماته إلى الأعضاء الأمريكيين (٣) بالذهاب إلى سوريا . حيث وصلوا إلى يافا فى ١٠ يونيو (حزيران) سنة ١٩١٩ تحت اسم : الهيئة الأمريكية من اللجنة الدولية حول الانتداب فى تركيا .

The American Section of the International Commission on Mandatory in Turkey.

وعرفت اختصاراً باسم لجنة كنج كرين .

---

(١) Tibawi, p. 129.

(٢) يعتبر البعض أن هذا القرار قد أساء إلى فكرة التحقيق لأن اللجنة الدولية يمكنها أن تعطى مقترحات تلاقى قبولا فى مؤتمر الصلح أكثر من اللجنة الأمريكية انظر :

Moslem World, Vol. 32, p. 143.

(٣) كان أعضاء اللجنة الأمريكية قد عينوا منذ أواخر مارس على النحو التالى :

Henry C. King, Charles R. Crane. لرياسة اللجنة .

Albert H. Lybyer, William Yale. كخبراء ، مع هيئة سكرتيرية ومدير أعمال .

(ا) تحقيقات اللجنة :

لم يكن العرب فى سوريا وحدهم يستعدون لاستقبال اللجنة ، فنى العراق كان يسود الاعتقاد بأن اللجنة ستقوم بتحقيقاتها هناك ، وأرسل ياسين الهاشمى بيانات إلى أهل العراق يحثهم فيها على تثبيت المطالب العربية أمام لجنة الاستفتاء الأمريكية [١] .

وفى مصر تشكل حزب جديد يرتبط تأسيسه بمجىء اللجنة الأمريكية وهو الحزب الحر المعتدل : الذى ضم كبار السوريين فى مصر . ولم تكن له برامج تتعدى مطالبه التى قدمها أربعة من أعضائه فى ٤ يوليو (تموز) إلى اللجنة الأمريكية وتتلخص بالمطالبة باستقلال سوريا الطبيعية المتحدة على أساس اللامركزية (وكان يتفق فى ذلك مع الاتحاد السورى) إلا أنه خالفه فى طلب جعل الولايات المتحدة وصية على سوريا ومساعدتها على الاستعداد للاستقلال التام ، حتى لقد اعتبره البعض وسيلة للدعاية الأمريكية فى العالم العربى [٢] .

وكان رونالد ستورز حاكم فلسطين يتفاخر بأنه « سيضع الأمريكيين فى جيبه إذا ما وصلوا فلسطين . كما بدأ جورج بيكو وهيئة إدارته فى بيروت بالقيام بدعاية فرنسية فى الأوساط اللبنانية وبجمع قوائم الوفود الموالية لفرنسا لتقديمها إلى أعضاء اللجنة الأمريكية » [٣] .

قضت اللجنة ٤٢ يوماً فى أنحاء متفرقة من المناطق السورية الثلاث منذ النزول فى يافا وحتى النزول فى مرسين . وكانت حريصة خلالها على الاطلاع على جميع وجهات النظر بإجراء مقابلات مع وفود تمثل فئات بارزة من جمعيات ونقابات

---

(١) العمرى ، تاريخ مقدرات العراق السياسية ، ٣ — ص ٤١٢ — ٤١٨ .

(٢) كان فى مقدمة أعضاء الحزب فارس نمر ويعقوب صروف وسعيد شقير . وكانت جريدة المقطم هى الأداة السياسية لهذا الحزب . وكان له تنظيم داخلى خاص إذ أنشأ له فرعين فى القاهرة والإسكندرية وكان لكل فرع رئيس دائم ويختار عضو لرياسة كل دورة . وكان فارس نمر الرئيس الدائم لفرع القاهرة .

المنار جزء ٤ — مجلد ٢١ ، ٢٨ يونيو (حزيران) ص ٢٠٢ — ص ٢٠٤ .

(٣) Yale,p.336.

وكان الأمير سعيد الجزائرى قد استدعى إلى بيروت والتف حوله أعوان فرنسا نكاية ببريطانيا وفيصل .

وأعضاء بلديات ورؤساء طوائف . . إلخ . وقدم لها عرائض متعددة تشرح آراء ورغبات الناس . وقابلت شخصيات أجنبية متعددة لها مراكز رسمية وغير رسمية .

وقد زارت خلال هذه الفترة ٣٦ مدينة مختلفة واستمعت إلى وفود من ١٥٢٠ قرية وتلقت ١٨٦٣ عريضة . . وكلما اتجهت شمالا زاد عدد العرائض بسبب نشاط الدعاية .

فى فلسطين (سوريا الجنوبية) استعدت الأوساط الوطنية بتوجيه وتنظيم من أعضاء الفتاة فيها ، وقد اتفقت ٨٥٪ من العرائض على الاحتجاج على البرنامج الصهيونى (٢٢٢ عريضة من ٢٦٠) وتساوى فى ذلك المسلمون والمسيحيون [١] . وكل من استشارته اللجنة كان يؤمن بأن البرنامج لا يمكن تنفيذه إلا بالقوة عدا يهود فلسطين الذين لم يتجاوز عددهم عشر السكان [٢] . وطالبت ٨٠٪ من العرائض بسوريا الموحدة متفقة فى ذلك مع رأى المؤتمر السورى [٣] .

---

(١) فى دراسة إحصائية للعرائض يتبين أن ١٥٠٠ عريضة أى (٨٠,٤٠٪) تطلب سوريا الموحدة و ٢٠٣ أى (١٠,٩٪) ضد الوحدة ١٣٧٠,٠ عريضة (٧٣٪) تدعو للاستقلال التام مع اختيار نوع من الانتداب (أى المساعدة الفنية والاقتصادية) و ١٢٧٨ عريضة (أى ٦٨,٥ ٪) تطلب استقلال العراق و ١١٠٧ عريضة أى (٥٩٪) تطلب تأسيس مملكة دستورية لامركزية و ٩٦٠ عريضة أى (٥٣٪) تجعل بريطانيا الاختيار الأول و ١٠٧٥ عريضة أى (٥٧,٥٪) تجعل بريطانيا الاختيار الثانى و ٢٧٤ عريضة أى (١٤,٤٪) — تجعل فرنسا الاختيار الأول و ١٠٨٤ عريضة أى (٦٠,٧٪) تطلب مساعدة الولايات المتحدة كاختيار أول حسب برنامج دمشق و ١٣٥٠ عريضة أى (٧٢,٣٪) ضد البرنامج الصهيونى و ١٠٢٩ عريضة أى (٦٠,٥٪) تأخذ موقفاً معادياً لفرنسا و ١٠٣٣ عريضة تظهر احتجاجاً ضد المادة ٢٢ من ميثاق العصبة .

(٢) يعلل Kedourie, p. 154 أسباب معارضة مسيحيى فلسطين للصهيونية ودعم موقف المسلمين عموماً بأن معظمهم ينتمون إلى الكنيسة الأرثوذكسية ، وانهيار روسيا جعلهم دون حماية ، فانضموا إلى المسلمين لمقاومة الدخلاء الصهيونيين . فالرغبة فى حماية النفس كانت العامل الأول من أجل دعم المسيحيين لموقف المسلمين . أما فى خارج فلسطين حيث لا وجود للقضية الصهيونية فقد أظهر المسيحيون خوفهم من تسلط إسلامى .

(٣) من أوراق محب الخطيب مذكرة توضح مادار بين اللجنة الدولية وسكان سوريا الجنوبية (فلسطين) وتلخص مطالب الفلسطينيين بأن تكون سوريا الطبيعية كتلة واحدة مستقلة استقلالا تاماً وأن تكون سوريا الجنوبية التى هى جزء منها مستقلة استقلالا داخلياً ، ثم رفض الهجرة اليهودية والاحتجاج على الصهيونية وعلى الوطن القومى اليهودى . وقد أجاب وفد القدس على سؤال وجه لهم « إن لم يمكن رفض المهاجرة فماذا تعملون ؟ » فردوا بقولهم « إما أن نلقيهم فى البحر أو يردونا إلى البادية . . . »

ووصلت اللجنة دمشق فى ٢٥ يونيو (حزيران) وكان هناك شبه إجماع أ كثر فى المناطق الأخرى على قرارات المؤتمر سواء فى العرائض أو الأقوال الشفهية . ورغم أن هناك أمثلة متعددة من حوادث الضغط السياسى وتنظيم الدعاية القوية لبرنامج الوحدة والاستقلال وتوزيع منشورات وبيانات مطبوعة ذات صيغة معينة إلا أن الأدلة التى حصلت عليها المصادر البريطانية لم تكن عديدة كما وقع فى المنطقة الغربية . وكان التحقيق مع الفئات المتعددة من الشعب والشخصيات الرسمية تعكس المشاعر العامة الواضحة فى كل البلاد .

وفى يوم ٣ يوليو (تموز) قام وفد من المؤتمر السورى بتقديم مقررات المؤتمر إلى اللجنة[١] . وبعدها تحدث فيصل أمامها لمدة ساعة ونصف فبين مخاوف السوريين من الاستعمار والتجزئة ورغبتهم بالحرية والاستقلال كما بين اعتراضهم على المادة (٢٢) من ميثاق عصبة الأمم ، رغم أنهم لايرفضون المساعدة الأمريكية والبريطانية التى لا تتدخل فى استقلالهم . وهم يطلبون تشكيل حكومة عربية فى العراق دون حواجز جمركية على أن تهيئ أنظمة التعليم المتشابهة فى البلدين الشعب العربى للوحدة . ويعترضون على فصل المنطقة الغربية حيث تحرم المناطق الداخلية الموانئ التى تربطهم بالعالم المتمدين ، وهم يرون أن الحركة الانفصالية اللبنانية كانت تطوراً غير طبيعى أوحت به فرنسا ودعمته فئة من رجال الدين ولكن يرفضه المثقفون ، والسوريون يرغبون فى تأسيس حكومة ديمقراطية على أساس اللامركزية تحمى حقوق الأقليات ، ويرفضون فرنسا كدولة منتدبة لعوامل اقتصادية واجتماعية وسياسية ، وفرضها هو الموت المحتم للسوريين كشعب ناشئ . وانتهى إلى القول بأن الأمور لو ساءت أكثر فهو « يفضل أن يسجن مع بقية شعبه على أن ينال الحرية وحده . . »[٢] .

وزارت اللجنة عمان ودرعا وبعلبك حيث كان الصراع بين مؤيدى ومعارضى إلحاق البقاع بلبنان الكبير .

---

(١) وكانت قرارات المؤتمر السورى قد وصلت فى ٤ أغسطس (آب) إلى بلفور فى باريس .. Howard, p. 119.

(٢) Ibid, p. 123,

وفى المنطقة الغربية الممتدة من صور حتى الإسكندرون حاولت فرنسا الحصول على مظاهر التأييد للانتداب الفرنسى بالدعاية المباشرة أو عن طريق الموظفين أو بنشر مقالات موجهة فى الصحف أو القيام بمظاهرات منظمة أو بالتهديد والرشوة والسجن والتسريح ، ومنع الأفراد والجماعات المناوئة من الوصول إلى اللجنة [١] . وتلخصت مطالب الكاثوليك والروم الموارنة باستقلال لبنان تحت انتداب فرنسى . ولبنان الذى كان فى ذهن هؤلاء لم يكن الوحدة الإدارية التى وجدت عام ١٨٦١ بل لبنان الطبيعى والتاريخى الذى يضم مناطق صيدا وصور وطرابلس والبقاع .

وفى بيروت قابلت اللجنة وفداً من العلماء ووفداً من المسلمات برياسة ابتهاج قدورة ورحب الجميع ببرنامج دمشق [٢] .

وفى حلب كان الرأى العام مع مقررات دمشق برغم وجود دليل على نفوذ فرنسى يطلب سوريا الكبرى تحت حكم فرنسا [٣] .

والتقت اللجنة فى حلب بوفد عراقى قدمه الحاكم العسكرى جعفر باشا بعد أن تعذرت زيارة اللجنة للعراق برغم المطالب الملحة التى قدمت فى دمشق وحلب وقدم الوفد طلباً باستقلال العراق مع ضم الموصل برياسة أحد أبناء الحسين ، واحتج على المادة (٢٢) ولكن رضى بطلب المساعدة الفنية والمالية بعد الحصول على الاستقلال [٤] .

---

(١) من مجموعة أوراق محب الدين الخطيب رسالة شخصية من أحمد مختار الصلح فى ١٦ ربيع الأول سنة ١٣٣٧ يذكر فيها « إن الفرنسيون فى بيروت متخذين كل تضييق على الناس ويجمعون أصوات بأن الأهالى يرغبون الفرنسيون . . الأفكار فى بيروت ولبنان مقلوبة جداً . . المسلمين والدروز والروم والبروتستنت متحدين على الاستقلال العربى عدا الموارنة . . مبدأهم أن الاستقلال فى لبنان مع طلب توسيع الحدود وضم بيروت وطرابلس وصيدا ولكن لا أن يتحدوا مع ولاية الشام . . فبالطبع نحن مخالفين لهذه الفكرة وساعين لجمع الكلمة » .

(٢) يعلق Howard بأن هذا الوفد النسائى قد خرق لأول مرة العادات الشرقية التى تحرم النساء من المشاركة فى الشئون العامة .

(٣) ذكر إحسان الجابرى (وكان رئيساً لبلدية حلب فى ذلك الحين) أن مجحم بن مهيد شيخ قبائل عنزة قد صوت هو وأتباعه فى صالح الانتداب الفرنسى أمام اللجنة وقد أهانه الوطنيون وحقروه لعمله هذا .

(٤) Howard, p. 139.

(ب) – توصيات اللجنة :

وفى ١٠ يوليو . (تموز) أرسل كنج وكرين برقية إلى ويلسون يلخصان آراءهما حول الوضع فى سوريا « إذ أن هناك أموراً لا يمكن الخطأ فيها وهى الرغبة العميقة فى الوحدة والاستقلال فى سوريا وفلسطين ، مع رفض أى شكل من أشكال الانتداب الفرنسى ، وأن الولايات المتحدة هى أول اختيار للأغلبية لأنه ليست لها مطامع أغلبية ، كما أن هناك مطلباً مماثلاً للعراق »[١] .

وقد أرسلت الملاحظات التالية إلى لندن عن طريق القاهرة فى ١٩ يوليو (تموز): سوريا لن تقبل انتداباً فرنسياً ، البرنامج الصهيونى يمكن تنفيذه بالقوة ضد رغبات العرب ، رغبة عامة فى الوحدة السورية ، فرنسا لن تقبل سلمياً كدولة منتدبة فى سوريا الداخلية ، رغبة السوريين فى مساعدة أنجلوسكسونية لدعم الاستقلال تحتاج إلى تشجيع[٢] .

وقد وضعت توصيات اللجنة فى ٢٨ أغسطس (آب) ١٩١٩ فى تقرير طويل[٣] ، قدم إلى المندوبين الأمريكيين فى باريس فى ثلاثة أجزاء : الأول شرح لعمل اللجنة وتقرير عن الأوضاع السائدة فى المنطقة ، والثانى توصيات عامة إلى مؤتمر السلم حول تسوية المسألة التركية ، أما الجزء الثالث وهو أكثر الأجزاء أهمية وتشويقاً فهو تقرير سرى بين فيه الأعضاء ما وجدوه فى تحقيقاتهم بصراحة أكثر[٤].

وكانت أهم التوصيات تلك المتعلقة بفلسطين .

فقد بدأت اللجنة عملها وذهنها مهيأ مسبقاً فى صالح الصهيونية إذ كانت معجبة بنجاح أساليبها الحديثة ولكن واجهتها حقائق صريحة دفعتها إلى التوصية

---

(١) Howard, p. 134.

(٢) Documents, vol. IV, pp. 315 — 16.

(٣) حول توصيات اللجنة انظر : Hurwitz, Vol. II, pp, 66 — 74.
وأيضاً يقظة العرب ص ٦٠٠ — ٦١٦
Howard, Moslem World, op. cit., pp. 122 — 140.

(٤) Howard, pp. 141 — 52.

بتعديل كبير للبرنامج الصهيونى المتطرف ، حين اجتمعت اللجنة بالصهيونيين الذين يتطلعون نحو تجريد كامل للسكان المحليين من غير اليهود وبأشكال مختلفة من البيع . وأوصت اللجنة كذلك بوجوب توحيد سوريا وفلسطين تحت انتداب بريطانى أو أمريكى مع تحديد للوطن القومى اليهودى .

أما بالنسبة لسوريا فقد أوصت بوحدتها تحت حكم دستورى برياسة فيصل ، على أن يعهد لأمريكا أو بريطانيا بالانتداب .

كما أبدت اهتماماً بقوة الحركة القومية العربية ، ورأت أن فرض أى انتداب فرنسي قد يؤدى إلى مصاعب كبيرة .

أما بالنسبة للعراق فقد أوصت بانتداب بريطانى مع ضم الموصل .

وقد عرضت تحليلات إضافية حول الوضع فى سوريا فى الملحق السورى أهمها : انتقاد الخطة الفرنسية فى لبنان ومطالبة فرنسا بالمنطقة الساحلية كلها لأن هذا مخالف لرغبات السكان ولا يمكن وضعه موضع التنفيذ إلا بالقوة ، كما أن فصل لبنان وفلسطين عن بقية سوريا سوف يقوى الفروق الدينية على حساب الشعور القومى ويمنع المناطق الداخلية من الوصول إلى البحر .

ويحلل التقرير الشعور المعادى لفرنسا ويعزوه إلى أساس فكرة قديمة بأن الفرنسيين معادون للدين وكذلك محاباتهم للكاثوليك مما يشجع على الانقسامات الدينية ويهدد بالخطر إمكانية بناء قومية سورية على أساس غير دينى ، وأن ما عانته فرنسا فى أثناء الحرب يجعل السوريين لا يعتقدون بإمكانية إنجازها مهمات الانتداب دون استعمار للشعوب . وهذا الشعور المعادى قوى جداً بحيث إن كثيراً من المسئولين البريطانيين من بينهما اللنبى يرون أن أحسن حل هو انتداب أمريكى على كل سوريا إذ لا يوجد إلا قليلون يؤيدون فرنسا خارج لبنان .

أما بالنسبة للشعور الموالى للولايات المتحدة فيعود سببه إلى الثقة بمبادئ ويلسون التى دخل الحرب على أساسها . ولكونها دولة غنية ليست استعمارية ويعزز ذلك إعجاب بالتعليم والثقافة الأمريكية .

وترى اللجنة أن الأمير فيصلاً يجب أن يكون على رأس الدولة السورية مهما

كان شكلها ورغم اختلاف الولاء له وما يبدو منه من ضعف وتردد إلا أنه قادر على الحفاظ على زعامته ، على أن يتخلى عن كل حقوق الوراثة لعرش الحجاز إذا ما أصبح على رأس الدولة السورية .

وفى تعليق التقرير على الإدارة العربية وجدت اللجنة أن الموظفين الكبار يضمون عدداً من ذوى الكفاءة والذكاء والأمانة الواضحة والوطنية . . وبعضهم قد تدرب فى الإدارة البريطانية فى مصر أو فى الإدارة العثمانية . . ولكن معظم الموظفين الصغار قد استمدوا من النظام العثمانى بكل فضائله وأخطائه .

وفيما يتعلق بمخاوف المسيحيين من السيطرة الإسلامية فلم تجد اللجنة ما يبررها بعد أن درست الأساليب التى اقترحها برنامج دمشق لحماية الأقليات ومنح الحقوق المتساوية للجميع . وقد وجدت اللجنة أن المسلمين والدروز فى لبنان يحتاجون إلى حماية ، وكذلك المسلمين والمسيحيين فى فلسطين فى حالة إنشاء وطن قومى يهودى .

أما طلب سوريا للاستقلال التام فله علاقة بمعارضة المادة (٢٢) من ميثاق العصبة ، ولكن قسماً كبيراً من المسلمين يقبلون نوعاً من الإشراف على شكل مساعدة اقتصادية فنية لا تتعارض مع الاستقلال ، فى حين يطلب المسيحيون وسائر الفئات غير المسلمة انتداباً قوياً خوفاً من تسلط إسلامى ، لذلك لا ترى اللجنة سبباً فى تعديل توصية مؤتمر السلم حول الانتداب ، وتقترح اللجنة منحه للولايات المتحدة أو بريطانيا على أن تمنح العصبة الاستقلال الحقيقى فى الوقت المناسب .

وترى اللجنة أن البرامج التى قدمها المسلمون وثلثا المسيحيين هى برامج قومية تدعو إلى سوريا الموحدة المستقلة ، بحكم ملكى ديمقراطى دون تفرقة دينية ، عدا أنصار الصهيونية ولبنان المستقبل . ولم يظهر المسلمون رغبتهم فى الوحدة السياسية مع الحجاز برغم أن معظمهم يرى حق الحسين بالخلافة الدينية . كما لم تلاحظ اللجنة أى دليل نحو تحقيق فكرة إسلامية أو إعادة اتحاد عربى تركى على أساس دينى ، بل إن المسلمين يمدون أيديهم لإخوانهم المسيحيين وينبذون التفرقة الدينية ، وتقدم سوريا بذلك مثلا صالحاً لإنشاء دولة قومية حديثة يعيش فيها أفراد الديانات الثلاث فى انسجام تام .

لم ينشر تقرير لجنة التحقيق الأمريكية فى حينه ، وظل أمره سرياً بالنسبة لمؤتمر

السلم نفسه الذى وضعت اللجنة تقريرها له فى أغسطس (آب) ١٩١٩ ، وكذلك لم يستخدمه المندوبون الأمريكيون فى باريس ، واختفى فى ملفات وزارة الخارجية الأمريكية فى واشنطون حتى عام ١٩٢٢ حيث نشر ، بعد أن فقد أى تأثير له فى تسوية القضايا التى عالجها [١] . والواقع أن ذلك لم يكن خطأ أعضاء اللجنة بل الطريقة التى جرت بها المفاوضات من أجل اللجنة بين ويلسون من جهة ولويد جورج وكلمنصو من جهة أخرى ، إذ عندما قرر ويلسون إرسال اللجنة كان المؤتمر قد أنهى جلساته الأولى ، كما وقعت معاهدة فرساى فى أثناء وجود اللجنة فى دمشق ، وجهز التقرير بعد المعاهدة بثلاثة أشهر برغم أنه لم توقع معاهدة مع تركيا حتى أغسطس (آب) ١٩٢٠ .

وظلت قضية إخفاء التقرير أمراً غامضاً ، وخاصة بعد أن كان ويلسون يرى فى اللجنة الدليل الوحيد لتأكيد مبدأ العدالة وميثاق العصبة . ويبدو أن صراحة التقرير — كما يذكر Temperly — كان سيربك الحكومة الأمريكية فى مؤتمر السلم ويهدد علاقتها بحلفائها . كما أن التوصيات المتعلقة بالشعور المعادى لفرنسا فى سوريا وللبرامج الصهيونية فى فلسطين قد دفع كلا من الحكومة الفرنسية والبريطانية للتدخل لدى الوفد الأمريكى فى باريس ووزارة الخارجية فى واشنطن لإخفاء التقرير ، برغم أن الملفات فى وزارات الدول الثلاث لا تشير إلى الدوافع التى حالت دون نشر التقرير كما لم يصدر بيان رسمى حول ذلك [٢] . وقد يكون

---

(١) كان R.S. Baker يعد مجلداته عن : Woodrow, Wilson and World Settlements ولم يجد بين أوراق ويلسون الشخصية نسخة عن تقرير اللجنة أو دليلا على أنه قد اطلع عليه فى حينه . . وربما انتقلت نسخة الرئيس التى رفعت له فى ٢٧ سبتمبر أثناء جولته الدعائية إلى وزارة الخارجية خلال مرضه ولم تقم بنشرها رغم أن نسخاً من التقرير قد وصلت إلى السفارات الفرنسية والإنجليزية عن طريق وزارة الخارجية الأمريكية .

وقد شعر بيكر أن نشر التقرير سيوضح معلومات ضرورية حول الشرق الأدنى فطلب من ويلسون السماح له بنشر مقتطفات من التقرير فى كتابه فلم يعترض فكان أن ظهرت بعض فقراته فى الفصل 25 من الجزء الثانى من كتابه المذكور سابقاً ، وذلك فى مايو (آيار) ١٩٢٢ ، كما بدأت تظهر مقاطع من التقرير منذ أغسطس (آب) ١٩٢٢ فى New York Times ونشر التقرير كاملا فى ٢ ديسمبر (كانون أول) ١٩٢٢ فى مجلة The Editor and Publisher تحت عنوان :

The King — Crane Report on the Near East (A suppressed official Document of the United States Government) vol. 55, No. 27.

(٢) Howard, pp. 259 — 60.

لمرض الرئيس ويلسون ، واستحالة تولى الولايات المتحدة أى انتداب فى الشرق الأدنى ،وكون التحقيق قد تم على يد القسم الأمريكى فى اللجنة التى كان يقصد منها أن تكون دولية ، من العوامل التى حالت دون نشر التقرير .

وبوصول اللجنة إلى باريس كان ويلسون قد رحل إلى الولايات المتحدة حيث بدأ نقص الاهتمام من الجانب الأمريكى بالسياسة العالمية ، واختفت الولايات المتحدة كعامل هام فى تسييرها وتركت حرية العمل إلى الحكومتين الفرنسية والبريطانية اللتين وجدتا من الضرورة التوصل إلى تفاهم حول الأجزاء العربية من الإمبراطورية العثمانية السابقة .

وبذلك أثبتت هذه المحاولة التى قام بها مؤتمر السلم للتعرف على رغبات السكان عدم جدواها فى التأثير على مجرى السياسة نظراً لأنه قد تقرر توزيع مناطق النفوذ بين الحكومتين الفرنسية والبريطانية ، حتى قبل أن تباشر اللجنة مهامها وسيظل مدار بحث دوما حول من يقع عليه اللوم : ويلسون الذى أصر على إرسال اللجنة الفاشلة أو فرنسا التى ألحت فى الحصول على ما اعترضت عليه توصيات اللجنة .

وقد اعتبرت فرنسا التوصيات غير عادلة ومتحيزة وأدانت الطريقة التى تم بها التحقيق ، كما أن وجهات النظر الصهيونية « اعتبرت التقرير منحازاً ، وتوصياته لا يمكن العمل بها ، وأن إخفاءه كان الطريقة الوحيدة لإنهاء الوضع الذى خلقه تعيين اللجنة» . وأن تأثير تقرير اللجنة كان عديم القيمة على مجرى الأحداث ، بل بالعكس فرض القلاقل وعدم الاستقرار وأثار آمالا مزيفة وجعل تسوية السلم أكثر صعوبة(١) . . كما أن مجيء اللجنة قد شهد تدهور مكانة الولايات المتحدة فى الشرق(٢) ؛ ولكن مهما كانت درجة الانتقاد الموجه إلى اللجنة وتقريرها لا

---

(١) Esco, pp. 212 — 213; Kedaurie, p. 147.

(٢) Yale, p. 337.

ويضيف المؤلف أن العرب قد عرفوا بذكائهم أنه ليس للجنة نية منحهم الاستقلال عندما سأل كرين وجهاء الخليل عن الدولة المنتدبة التى يطلبونها أجابوا بذكاء « إن كل الحكومات سيئة » . وبعد أن فهموا عدم جدوى احتجاجهم غادروا المكان بعد أن أبلغوا أعضاء اللجنة بأنه إذا أصر المؤتمر على فرض حاكم عليهم « فهل للجنة أن تتفضل وتبلغ الرئيس ويلسون أننا نفضل الله » .

يمكننا أن نقوم عملها إلا على ضوء الواقع القائم فى الشرق الأدنى فى سنة ١٩١٩ . فقد أثبتت الحوادث التالية فى المنطقة أن التحقيق قد كشف بدقة معقولة الرغبات الحقيقية لجميع الفئات فى المنطقة ، وأن تقرير اللجنة باستثناء توصياتها السياسية غير العملية تعطى تحليلا دقيقاً للوضع كما وجد فى صيف ١٩١٩ . وإنه قد وضع بشكل موضوعى دقيق ومبنى على المعرفة التامة إلى الحد الذى يسمح به الوقت والطريقة فى منطقة مليئة بالتوتر[1] .

٤ — التطورات الداخلية بعد رحيل اللجنة :

لم تنته مهمة المؤتمر السورى بعد رحيل اللجنة الأمريكية ، إذ لم يكن فى نية المسئولين أن يقدم المؤتمر رأيه فقط إلى اللجنة ، بل أن يكون شكلا منظماً للتعبير عن الشعور الوطنى ، واستمر فى العمل كمجلس منتخب يمثل الشعب تمثيلا صحيحاً ويراقب عن كثب أعمال الحكومة ويعمل على وضع قانونها الأساسى (الدستور)[2] .

كما وجد المسئولون ضرورة الاستمرار فى اتخاذ أشكال دستورية حديثة بإجراء تعديلات أساسية فى التنظيمات الإدارية ، فأحدث نظام مجلس المديرين فى ٤ أغسطس (آب) الذى يشبه نظام مجلس الوزراء حيث يشكل المجلس جهازاً سياسياً يشارك فيه المديرون فى مسئولية الحكم إلى جانب إدارتهم لمصالح الدولة المتعددة [3] . وهو تحت رياسة فيصل أو نائبة على رضا الركابى الذى احتفظ لنفسه بلقب الحاكم العسكرى . ويحق للمجلس اتخاذ قرارات يكون حكمها حكم القانون فى الأمور المهمة السياسية والإدارية إلى حين اجتماع المجلس التشريعى ، على أن تعرض على الأمير للتصديق ، وأصبح الأمير بذلك مسئولا

---

(١) Baker, p. 205.

(٢) كانت قد تشكلت لجنة تمثل المناطق الثلاث للعمل على وضع القانون الأساسى ولكن المشروع لم يتم إلا فى الدورة الثانية للمؤتمر .

(٣) المديرون هم : إسكندر عمون للعدلية ، رشيد طليع للداخلية ، سعيد شقير للمالية ، ياسين الهاشمى لرياسة الشئون العسكرية ، ساطع الحصرى للمعارف ، جبرائيل حداد للأمن العام .

عن إدارة البلاد وسياستها بعد أن كان غير مقيد . وتشير المادة العاشرة من نظام المجلس إلى التقيد بالأوامر العسكرية المؤقتة الصادرة والتي ستصدر من القيادة العامة . وقد حاول اللنبي التأكيد على سلطة القائد العام بقصر مهمة المديرين على الناحية الإدارية فقط وليس السياسية كما طلب أن تحول السلطة الممنوحة حسب هذا النظام إلى نائب الرئيس أى الحاكم العسكرى . ولكن الواقع ظلت مهمات مجلس المديرين كمهمات الوزارة رأى فيه المسئولون طريقاً نحو شكل الحكومة المطلوبة التي تعمل على إنهاء الحكم المستمد من القائد العام[١] .

ومن الملاحظ أن مجلس المديرين لم يكن مسئولا أمام المؤتمر السورى بل إن نظام المجلس لا يشير إلى وجود المؤتمر السورى ويؤكد فقط سلطة الأمير والحاكم العسكرى . ولكن المؤتمر بصفته الهيئة الفعالة فى البلاد يمارس أعضاؤه سلطتهم عن طريق الانتخاب كان يحاول فرض وجوده فى حقلى السياسة الداخلية والخارجية . ولم يكن فيصل يخفى قلقه لتدخل المؤتمر فى أمور السياسة الخارجية حيث احتفظ فيصل لنفسه بحقه الشخصى بتوجيهها[٢] .

وفى صيف ١٩١٩ كان المؤتمر السورى والأحزاب والجيش والبلاد عامة فى حالة قلق وعدم استقرار آخذاً فى الازدياد مع مرور الأيام لعدم الوصول إلى تسوية حول تقرير مصير البلاد .

وقد تكاثرت الشائعات خاصة حول ما كتبته صحف الغرب بأن الحلفاء يتفاوضون سراً حول القضايا العربية ، فأرسل فيصل برقية إلى اللنبي يذكر فيها أخباراً صحفية بأن بريطانيا وفرنسا قد قسمتا البلاد العربية ، ويطلب منه إنكار أو تأكيد هذه التقارير . كما أرسل الحسين استفساراً مشابهاً إلى القاهرة . وراوغ اللنبي وقال إنه ذاهب إلى إنجلترا لإيجاد الجواب كما أن تشيتام (المعتمد البريطانى فى مصر بالوكالة) أكد للحسين أن الأمر لا يزال معلقاً على مؤتمر السلم . ولا شك أنه لا هو ولا اللنبي كانا مخولين بإعطاء أجوبة مباشرة لأسئلة

---

(١) David, p. 33.

(٢) Ibid, p. 72.

مباشرة فالغموض كان بيد لويد جورج الذى ادعى لنفسه المسئولية على القضية الثورية[١] .

وأرسل فيصل فى ٣٠ أغسطس (آب) إلى لويد جورج يشرح فيها حراجة موقفه أمام الأحزاب المتطرفة التى تطلب منه مزيداً من الحزم . وبين رغبته فى السفر إلى أوربة كى يحمل إلى شعبه تأكيدات جديدة تضمن وحدتهم واستقلالهم ، ثم طالب باسم الشرف البريطانى والعدالة الإنسانية أن لا يكون جزاء العرب على إخلاصهم وتضحياتهم ، هو تجزئة بلادهم[٢] .

وصورت رسالة زيد إلى الحسين[٣] الوضع فى سوريا قبل سفر فيصل « وانتشار حالة فزع فى كل أنحاء البلاد حيث نظم الأهالى مظاهرات كبيرة فى دمشق ، أمام فيصل بصفته ممثلا للشعب . . وأمام ممثلى الدول . . وفى المدن والقرى الأخرى ، يطلبون تعزيز مطالبهم ، التى تؤكد مبادئ الحلفاء والرئيس ويلسون وتطبيق مبادئ الاستقلال التام . . وقرر الشعب من أجل ذلك التطوع فى الجيش واجتمع حوالى ٢٠,٠٠٠ من الرجال دون دعوة من الحكومة . . كما بدأت الحركات الثورية على حدود المنطقة الغربية . . » .

وقد أرسل الكولونيل Meinertzhagen (خلف كلايتون) تقريراً إلى لندن فى ٣ سبتمبر (أيلول) ١٩١٩ [٤] . . « بأن فيصلا يشجع على حركة التطوع لتقوية قضيته أمام حكومة جلالته . . وأن القائد العام قد أبرق إليه يعلن عدم موافقته على الحركة لأنها تخلق تأثيراً غير مستحب فى أوربة . . وتضر قضية الحلفاء . . وهو يأمل من فيصل ألا يعتمد عليها وأن يستخدم نفوذه ضدها » .

واقتضى الأمر توجيه تحذير آخر إلى الأمير لتزايد مظاهرات الشوارع فى دمشق وتضاعف حوادث الحدود المزعجة . . وقام موظف سياسى بريطانى مع

---

(١) Rasheed — Duddin — Khan, Islamic Culture, vol. XLII, p. 90.

(٢) F. O. 371/4182.

(٣) Documents, p. 405.

وكانت الرسالة قد وصلت فى ٢٠ سبتمبر (أيلول) ١٩١٩ بعد سفر فيصل .

(٤) Documents, p. 370.

متحدث باسم المفوض الفرنسى فى ٩ سبتمبر (أيلول) بمقابلة فيصل حيث شرحا فيها أن اللنبى ، وهو المسئول عن هذه البلاد أمام المجلس الأعلى ، عازم على إعادة الأمن إلى نصابه حين حدوث أى اضطراب [١] .

ولم تعمل هذه الإنذارات شيئاً للقضاء على التوتر ، وظل الإقبال على التطوع عظيماً ، ولبس الجميع الألبسة العسكرية [٢] . وفتح النادى العربى دفتراً خاصاً لقيد أسماء المتطوعين باسم « رهط النادى العربى » كما شرع بإجراء (التمرينات العسكرية) وإلقاء المحاضرات الوطنية .

وفى غمرة هذه الأحداث استدعى فيصل لزيارة أوربة بدعوة من بريطانيا للتداول مع لويد جورج واللنبى وكلمنصو حول القضية السورية ووجه فيصل بياناً إلى الشعب فى ١٥ سبتمبر (أيلول) ١٩١٩ يعلمه بنيته على السفر فى اليوم التالى « لحضور الجلسات الخطيرة التى تعقد بشأن المسألة السورية » . . ويطلب منه تأييده فى مهمته [٣] .

٥ — القضية السورية فى الأوساط الدولية :

(ا) قرار الحكومة البريطانية بسحب قواتها من سوريا سبتمبر (أيلول) ١٩١٩ :

كانت العلاقات الفرنسية البريطانية قد تردت كثيراً بعد انتهاء مهمة لجنة كنج — كرين وقامت حملة صحفية فرنسية تتهم بريطانيا بالعمل بشكل معاكس للمصالح الفرنسية ، واعتبر الفرنسيون فيصلا أداة للسياسة البريطانية وأن إقامة الدولة العربية إنما يقصد منها الحيلولة دون إطلاق يد فرنسية فى كل سوريا وحرمانها

---

(١) Longrigg, op. cit., p. 92.

(٢) العاصمة عدد (٥٦) ١٤ سبتمبر (أيلول) ١٩١٩ وعدد (٥٩) ١٥ سبتمبر (أيلول) ١٩١٩ « . . . إن خالد العظم نجل محمد العظم كان لابساً رداء الجندية ليلة زفافه وأن زيدا انضم جنديا إلى الفوج وتبرع بـ ٢٥ بدلة عسكرية . . » .

(٣) العاصمة عدد (٥٨) ١٥ سبتمبر (أيلول) ١٩١٩ .

سافر فى معية الأمير حداد باشا ويوسف اصطفان وتوفيق الناطور وأحمد قدرى وفؤاد الخطيب ومحمد إسماعيل الطباخ وتحسين قدرى كما سافر إلى أوربا للالتحاق بالبعثة سامح الفاخورى وأمين التميمى وأمين كسباف .

من حقوقها لمصلحة بريطانية [1] .

وسعت وزارة الخارجية البريطانية إلى التقريب بين وجهات النظر الفرنسية والعربية تمهيداً لانتقال الإدارة العربية إلى الإشراف الفرنسي حسب اتفاقية سايكس بيكو ولكن محاولتهم قد فشلت ، وتمسكت فرنسا بنصوص سايكس – بيكو ، لأن حل المشكلة الشرقية لا يكون إلا بتقسيم المناطق العثمانية فى آسية بين الدول الكبرى .

وكانت الحكومة البريطانية ترغب بالانتهاء من مغامرة الحرب فى الشرق بشكل يرضى مؤقتاً فرنسا والرأى العام البريطانى وخاصة بعد أن استغرقت معاهدات السلم مع تركيا وقتاً أطول مما كان متوقعاً [2] . ولعب بلفور دوراً بارزاً فى توجيه السياسة البريطانية وكان يعطف على وجهة النظر الفرنسية ، فقدم فى ١١ أغسطس (آب) مذكرة إلى لويد جورج [3] يعبر فيها عن اهتمامه بالعلاقات البريطانية الفرنسية المتوترة . . ويرى أن هناك خمس وثائق مسئولة عن هذه المصاعب : هى مراسلات الحسين – مكماهون ، اتفاقية سايكس بيكو ، التصريح المشترك ، ميثاق العصبة ، والتعليمات التى أعطيت إلى لجنة كنج كرين . . وهى كما يقول بلفور لا تنسجم مع بعضها ولا تمثل أى سياسة واضحة المعالم ، وللخروج من هذه الورطة السياسية دعا إلى فرض الإرادة الإمبريالية : « إذ مهما كانت رغبة السكان فى سورية ففرنسة هى التى سيقبلونها » ورسم فى مذكرته خطوط السياسة البريطانية التالية فى مناورات السلم التى تهدف فقط إلى حل المصاعب مع فرنسة والتوفيق مع مطالب الصهيونية ولا تعير أدنى اهتمام للمشاعر العربية .

وقرر لويد جورج أن يعمل على ضوء هذه المذكرة فاجتمع مع اللنبى فى ٩ سبتمبر (أيلول) فى Deauvile وبحث الموقف معه لمدة يومين حيث أعد مذكرة ، تتلخص بأن تحل القوات الفرنسية محل القوات البريطانية فى سورية غربى خط سايكس بيكو وفى كليكيا وجنوب أرمينيا على أن تحل القوات العربية محل البريطانية فى المنطقة شرقى هذا الخط والتى تشمل المدن الأربع (دمشق ، حلب ،

(١) تولى معظم الحملة الصحفية صحفى فرنسى ومسئول فى وزارة الخارجية هو Robert de Caix وقد تبودلت رسائل بين السفارة البريطانية فى باريس ووزارة الخارجية حول المقالات العنيفة التى ظهرت فى الصحف الفرنسية وتعددت شكاوى الطرفين حول سلوك موظفيها فى سوريا .

(٢) Longrigg, p. 93.

(٣) Documents, pp. 340 — 94.

حمص ، حماه) وذلك اعتباراً من أول نوفبر (تشرين ثان) ١٩١٩ على أن تظل القوات البريطانية فى فلسطين والعراق ولن يكون للحكومة البريطانية أى مسئولية بالمناطق التى انسحبت منها قواتها . ولا يعنى ذلك إجراء أى تغيير بالحدود الحالية بين المناطق حتى تتم التسوية النهائية فى مؤتمر السلم مع النظر بعين الاعتبار لالتزامات وتصريحات الحكومتين بينهما من جهة وبينهما وبين العرب من جهة أخرى [١] .

وأصبح واضحاً ضرورة إبلاغ الفرنسيين موضوع انسحاب القوات البريطانية فبعث لويد جورج برسالة إلى كلمنصو فى ١١ سبتمبر (أيلول) لتهيئة اجتماع عقد فى ١٣ سبتمبر (أيلول) فى غرفة كلمنصو فى وزارة الحربية فى باريس حيث قدمت له الاقتراحات . ولم يعد لويد جورج يتحدث عن عدم صلاحية سايكس بيكو بل بالعكس كانت خطته مبنية على أساسها ، وعرض فكرة استدعاء فيصل لتبليغه شخصياً بالموضوع لأن الحكومة البريطانية قد ارتبطت فى أثناء الحرب بالتزامات مع الطرفين لهما نفس القيمة ، فاتفاقية سايكس بيكو قد بنيت على أساس وعود مكماهون للحسين ، كما أن مراسلاتهم للحسين قد أوضحت بأن المناطق التى تقع غربى دمشق وحمص وحماه وحلب ليست عربية فى طبيعتها [٢] .

واعترض كلمنصو على استدعاء فيصل وأصر على تأخير التسوية النهائية إلى أن تصبح الولايات المتحدة مستعدة لاتخاذ قرار أنه لا يمكن فصل القضية السورية عن بقية القضايا المتعلقة بالتسوية النهائية للإمبراطورية العثمانية .

ولم يتوصل الطرفان إلى اتفاق حسب اقتراح لويد جورج إلا بعد أن هدد لويد جورج بجلاء القوات البريطانية عن سورية وكليكيا وترك فرنسا تحت رحمة العرب وتهديد مركزها فى سوريا .

وفى ١٥ سبتمبر (أيلول) أثار لويد جورج القضية أمام أعضاء المجلس الأعلى لمؤتمر السلم حيث أبلغهم رسمياً نسخاً من المذكرة ، بعد أن أكد لهم بأن هذا الاتفاق هو إجراء مؤقت لا يتعرض للتسوية النهائية للانتدابات أو الحدود

---

(١) Zeine, The Struggle for Arab Independence, Appendix C. pp. 260 — 62.

(٢) Documents, p. 384.

التى سوف ينظر إليها كجزء من قضية السلم العام مع تركيا[١] .

وقد كانت هذه الاتفاقية بالنسبة للرأى العام الفرنسى جزءاً فقط من التسوية الشاملة ، لأنها لم تخول فرنسا إلا احتلال المناطق الساحلية مع أجزاء من المنطقة الشرقية تقع تحت نفوذ الإدارة العربية (منطقة البقاع) ، إلا أن كلمنصو قد وافق على الاتفاقية لأنه رأى بأن السلطات البريطانية لن تحول بين الفرنسيين والحكومة العربية فى الشرق بعد أن تركت هذه لمواجهة فرنسا دون دعم بريطانى أو أمريكى ، وبدأت الحكومة الفرنسية بتنفيذ الاتفاقية فوراً[٢] .

وبينما كان الرأى العام العربى ينتظر جلاء القوات الأجنبية كلها عن سوريا تحقيقاً للمطالب العربية إذ به يفاجأ بقرار توسيع منطقة الاحتلال الفرنسى نحو الشرق على حساب المنطقة العربية ، ورسم حدود فرنسية بريطانية عبر سوريا على أساس خط سايكس بيكو ورغبات الصهيونية . وكان هذا بداية لتقسيم سورية إلى منطقتى انتداب وخلق فلسطين كوحدة ، برغم كل ما قيل بأن الاتفاقية تتناول فقط المناطق الساحلية التى ستجلو عنها القوات البريطانية ، وأنها ليست نهائية لأن قرار مؤتمر السلم لا يزال مفتوحاً – نظرياً على الأقل .

(ب) مفاوضات فيصل فى لندن :

على ضوء هذه القررات السياسية وجه لويد جورج دعوة إلى فيصل للحضور إلى أوربة بناء على مشورة اللنبي « بضرورة إبلاغ فيصل شخصياً بموضوع انسحاب القوات البريطانية »[٣] .

وكما وصل فيصل إلى لندن فى أواخر عام ١٩١٨ وصلها فى خريف ١٩١٩ ليجد أن لويد جورج قد قضى على فرص نجاحه بالاتفاق مع كلمنصو حول فلسطين فى العام السابق وحول سوريا كلها فى هذا العام . وقد كان فى طريقه

---

(١) Howard, pp. 251 — 256.

(٢) Longrigg, p. 93.

باشرت وزارة الحربية الفرنسية بإرسال تعزيزات عسكرية إلى سورية وكليكيا تتألف من قوات أفريقية فرنسية . واختارت وزارة الخارجية الجنرال غورو لقيادتها حيث أصبح الممثل الفرنسى فى الشرق بعد بيكو .

(٣) Documentes, p. 371.

إلى أوربة لما تمت الاتفاقية الفرنسية البريطانية ، إلا أن كلمنصو الذى لا يزال فى شك من سياسة بريطانيا المزدوجة رفض مقابلته . وهذا ما دعا لويد جورج إلى دعوة فيصل إلى لندن فوصلها فى ١٩ سبتمبر (أيلول) . وعقد سلسلة مباحثات فى داوننج ستريت استمرت حتى ١٤ أكتوبر (تشرين أول) بين الوفد العربى والبريطانى ، وانتهت بالفشل وكانت كفيلة بأن توسع شقة الخلاف الذى بدأ بين العرب وبريطانيا[١] .

فى الاجتماع الأول قدم لويد جورج إلى فيصل نسخة عن المذكرة التى تشرح قرار الانسحاب مع تبرير القرار بعبء التكاليف على دافعى الضرائب البريطانيين وخاصة أنه ليس فى نية الحكومة قبول انتداب على سورية عند إقرار المعاهدة مع تركيا . . ولكنه أوضح بأن ارتباط الحكومة مع الحسين له نفس قيمة ارتباطها مع فرنسا [٢] . واحتج فيصل على الاتفاقية وأصر على أن العرب لم يعرفوا إلا دولة واحدةهى بريطانيا وأن اتفاقية١٩١٥هى أسبق من اتفاقيةسايكس بيكو . كما أكدأنه من نسل أعرق الأسر العربية الإسلامية وأنه حمل السلاح ضد الخليفة إلى جانب الحلفاء فى سبيل الحفاظ على المبدأ القومى والوحدة . . وقد ركز أسئلته فى النهاية على نقاط أربع . . هل ستحافظ بريطانيا على وعودها ؟ وهل ستتمسك فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة بالتصريح المشترك ؟ وهل ستستمر المعونة البريطانية ؟ . . وهل سيثابر القائد العام على الإشراف العسكرى فى المناطق التى سيسمح فيها للفرنسيين بالاحتلال . وكانت أجوبة لويد جورج فيها الكثير من الخداع الدبلوماسى إلا أنه أكد بصفة عامة أن بريطانيا ستدعم كل التصريحات السابقة [٣] .

---

(١) اشترك فى المباحثات لويد جورج وكرزن واللنبى وستورز وكورنواليس من الجانب البريطانى وفيصل والجنرال حداد مترجم الملك وفؤاد الخطيب المستشار السياسى للحسين وعونى عبد الهادى ورستم حيدر من الوفد الحجازى .

واشترك آخرون فى المحادثات : لورنس ، مكماهون ، هوغارت ، الكابتن ييل وغيرهم . . انظر : Howard, p. 265.

(٢) من مجموعة أوراق عونى عبد الهادى .

(٣) Documents, pp. 395 — 404.

حول تفاصيل الاجتماع الأول فى ١٩ سبتمبر (أيلول) ١٩١٩ فى داوننج ستريت .

وقد اتخذ فيصل بعد ذلك دعوة أخرى واجه بها لويد جورج عن معاهدة ذكر أنها عقدت بين والده وبريطانيا لكنه لم يرها لأحد بل كان يقول دوماً إنه مستعد لتقديمها إذا كان هناك اختلاف فى الرأى حولها ولم يكن لويد جورج — كما قال — يعرف أى معاهدة مع الحسين غير مراسلات مكماهون فطلب تقديم المعاهدة .

وأرسل فيصل برقية إلى والده يذكر تجاهل الحكومة البريطانية لوجود أي معاهدة ، وطلب منه إرسال كل الوثائق التى تؤيد المطالب العربية[1] . فأرسل الحسين بالمقابل مقاطع وأجزاء مما يسمى معاهدة[2] ، وأضاف « أن بريطانية هى أنبل وأعظم من أن لا تقبل الحقيقة بعد تلك المعاهدة التى وضعتها وحفظتها فى سجلاتها » .

وفى مذكرة فيصل إلى لويد جورج فى ٢١ سبتمبر (أيلول) ١٩١٩ قدم المادة الوثائقية التى حصل عليها من والده ، واحتج على اتفاقية ١٣ سبتمبر (أيلول) المقترحة مع فرنسا لأنها تضر حقوق العرب وتناقض ما يتوقعه العرب من الحكومتين الفرنسية والبريطانية ومن العالم المتمدن بشكل عام بعد التضحيات التى قدمها العرب فى أثناء الحرب ، ولا يمكن لاتفاقية سايكس — پيكو أن تكون قاعدة لأى اتفاق بعد أن قررت دول الحلفاء إلغاء كل المعاهدات السرية . والعرب يرفضون الاعتراف بأى اتفاقية توقع دون معرفتهم وأنه كان لا بد من الانسحاب ، فلماذا لا تنسحب

(١) Documents, Vol. IV, pp. 411 — 12.

(٢) هذه المعاهدة كانت تختلف ظاهرياً عن وعد مكماهون للحسين وتفترض أن بريطانيا تتعهد بدعم حكومة عربية مستقلة تمتد من بحر فارس شرقاً إلى البحر الأحمر فالحدود المصرية والبحر المتوسط غرباً وتمتد شمالا إلى حدود حلب والموصل على أن تقع عدن خارج هذه الحدود .

وقد أدلى فيصل بالنص الكامل للمعاهدة إلى جريدة المفيد فى دمشق فى ١٥ فبراير (شباط) ١٩٢٠ نقلتها العاصمة فى عدد ١٠٢ بتاريخ ١٦ فبراير (شباط) ١٩٢٠ .

ومما قاله فيصل فى هذه المقابلة: « حين كنت فى لندن قدمت هذه الصورة إلى رئاسة الوزارة فأنكرت وجودها وقالت بأنه لا يوجد عهد ولا كتاب كعهد يمثل هذا التصريح ولكن لدينا رسائل أهم منها هى رسالة مكماهون بتاريخ ١٤ أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٥ حول تعيين الحدود والاستثناءات ، لهذا لا يمكننى أن أقول بأن وزارة الخارجية البريطانية مخالفة للحقيقة بأقوالها ، ولا أقول إن حكومة مكة تقول غير الواقع فإذا كان لدى حكومة مكة عهد كهذا فآمل إبرازه فى الوقت الذى وضعت فيه قضية العرب على بساط البحث » .

كل القوات الأجنبية- وتترك مسئولية حفظ الأمن والنظام للحكومة العربية ، إذ لا معنى بأن تستبدل إدارة مؤقتة بأخرى لها نفس هذه الصفة ومن الأسهل إبقاء الوضع الراهن إلى أن تتم التسوية النهائية[١]

وفى الاجتماع التالى فى داوننج ستريت ٢٣ سبتمبر (أيلول) ١٩١٩ أكد لويد جورج وكرزن[٢] جهلهما بالمعاهدة التى ذكرها فيصل ، وذكر كرزن أنه قد وجد فى مراسلات وزارة الخارجية نص المعاهدة مرفقة برسالة من الحسين إلى المفوض السامى فى القاهرة فى أغسطس (آب) ١٩١٨ ، وهى تمثل ما كان العرب يطلبونه وليس ما قبلته بريطانيا . شعر فيصل بصعوبة موقفه ولجأ إلى أسلوب أكثر تواضعاً إذ اعتبر الاتفاقية مع بريطانيا اتفاقية معنوية وأنه يعتمد على كلمة بريطانيا .. « والأمة العربية كثيرة الامتنان للمساعدة التى قدمتها بريطانيا ..وهو شخصياً يدين بكل شيء إلى بريطانيا » . . . وأصبح يعتقد الآن أنه سيترك « كل شيء للحكومة البريطانية كى تحكم فيه » . . وأنهى فيصل قوله « أنا متعلق جداً بهذه الأمة الصديقة بحيث إنى لا أريد أن أسمع من الأمة البريطانية حكم الموت . . وإذا كان لا بد من سماعه فليكن من مؤتمر دولى وليس من أصدقائى ..» . وعزاه لويد جورج مؤكداً أن القرار بالفعل سيتخذ فى مؤتمر دولى[٣] .

وبعد هذا الاجتماع جرت عدة مباحثات واقتراحات جانبية فى لندن من المهتمين بالقضية السورية .

وقدم لورنس إلى كرزن فى ٢٥ سبتمبر (أيلول) مذكرة وضع فيها خطوط السياسة البريطانية لتسوية القضية العربية ، وقال إن بإمكانه أن يؤثر على فيصل لقبول إجراءات باريس والتوضيح له بأنها مؤقتة .. برغم أنها يمكن أن توضع أساساً لتسوية دائمة . . وقال إن « مطمحى الوحيد أن يكون العرب أول مستعمرة سمراء وليس آخر مستعمرة سمراء لنا » .

وقدم Yale إلى لندن فى ٢٧ سبتمبر (أيلول) كى يبحث عن تسوية

---

(١) Documents, pp. 406 — 407.

(٢) كان كرزن قد تولى مهام السياسة الخارجية فى لندن بينما كان بلفور وزير الخارجية يشرف على سير مؤتمر السلم . . . وقد تولى كرزن المهمة رسمياً بدلا من بلفور فى يناير (كانون ثان) ١٩٢٠.

(٣) Documentes, pp. 413 — 419.

للقضية السورية وقابل المسئولين فى وزارة الخارجية الفرنسية وعدداً من الزعماء العرب والصهيونيين والبريطانيين . وقد ذكر له فيصل أنه لن يقبل أى تغيير فى الاحتلال العسكرى فى سوريا فإذا كانت بريطانيا ستنسحب فسيقدم طلبه الأخير إلى الولايات المتحدة فإذا رفضت اتخاذ أى إجراء فسيعود إلى سوريا كى يقود شعبه فى ثورة مسلحة ضد الاحتلال الأجنبى . وأعلن أنه « سيقبل أى حل تفرضه الولايات المتحدة »[١] .

ونشر yale خلاصة مقترحاته فى التيمس فى ١٨ أكتوبر (تشرين أول) لم يكن مصيرها أحسن من مصير توصيات لجنة كنج كرين ، إذ رفض الوفد الأمريكى فى باريس هذه المقترحات نظراً لأن ويلسون لم يعطه أى صلاحيات باتخاذ قرارات فى غيابه فى الولايات المتحدة[٢] .

وفى خلال مباحثات فيصل فى لندن تقرب منه وايزمان من جديد يعرض عليه تقديم أموال وخبراء للحكومة العربية ، وإقناع الحكومة الفرنسية بالتخلى عن ادعائها فى المنطقة الداخلية مقابل ضمان مساعدة الأمير فى تحقيق البرامج الصهيونية فى فلسطين .

وقد أدلى فيصل بحديث فى ٣ أكتوبر (تشرين أول) إلى مندوب صحيفة Jewish Chronicle (وهى أداة فعالة ليهود بريطانيا ولها نفوذ واسع) . . « بأن فلسطين هى جزء من سوريا . . وأنه لايزال يتفق مع رأى وايزمان فى الهجرة والاستيطان . . ولكنه لايعتقد أن فلسطين يمكن أن تستوعب أكثر من ألف أو ألف وخمسمائة سنوياً . . وقد تشكل فلسطين فيما بعد ولاية من الدولة

---

(١) كان Yale قد اعترض على توصيات لجنة كنج كرين وقدم مقترحات أخرى فى مذكرة فى ٢٦ يوليو (تموز) ١٩١٩ .

Moslem World, vol. 32, p. 135.

وقد عين ييل خبيراً خاصاً لشئون الشرق الأوسط فى وزارة الخارجية الأمريكية .

(٢) Howard, pp. 265 — 68.

تتلخص مقترحاته حول سورية بوضع فلسطين تحت الانتداب مع تنفيذ البرنامج الصهيونى ، وبجعل لبنان وحدة سياسية منفصلة تحت انتداب فرنسى ، وسورية الداخلية من معان حتى حلب دولة مستقلة برئاسة فيصل تحت انتداب فرنسا أو معاهدة توافق على قبول المساعدة الفرنسية ، كما أبدى مقترحات مماثلة بالنسبة للعراق ، ولكن تحت انتداب بريطانى .

السورية ذات حكم ذاتى يتمتع فيها اليهود بحقوق متساوية مع العرب[١].

وأثار هذا التصريح رد فعل صهيونى عبر عنه هربرت صموئيل فيما بعد فى محاضرة أمام اللجنة التاريخية اليهودية فى لندن فى ٢٥ نوفمبر (تشرين ثان) ١٩٣٥ ذكر فيها بأنه « كان عليه أن يزيل سوء التفاهم الناجم عن العبارة التى ظهرت فى (الجويش كرونكل) . . وأن فيصلا قد أخبره بأن ما يعترض عليه هو التأسيس المباشر للدولة يهودية فى فلسطين . . لأن مثل هذا العمل سيضع الأغلبية تحت حكم الأقلية .. ولكنه لا يعترض على ما يريده زعماء الصهيونية أى تنمية الهجرة والاستيطان» . . وأبرز هربرت صموئيل رسالة ذكر بأن فيصلا كان قد أرسلها له فى ١٠ ديسمبر (كانون أول) ١٩١٩ من باريس ونشرتها التيمس فى ١٢ يناير (كانون ثان) ١٩٢٠ يشكر له فيها إزالة سوء التفاهم ويؤكد أن هناك اتفاقاً تاماً بينه وبين وايزمان . . سيكفل الانسجام اللازم لنجاح قضيتنا المشتركة . . »[٢].

ويبدو أن فيصلا كان لايزال إلى الآن يقوم بمحاولة يائسة منه لتخليص سورية من الادعاءات الفرنسية وكسب الحلفاء ، دون أن تكون لديه فكرة واضحة عما تعنيه مقترحات وايزمان أو أنه لم يخبر بها كاملة ، فكان يريد من الصهيونيين أن يضعوا ثقلهم إلى جانب العرب ضد الفرنسيين بينما كان وايزمان يرى بأن يحتل الفرنسيون المناطق الساحلية الآن ثم يمكن إخراجهم فيما بعد[٣].

وعاد فيصل ليكتب مجدداً إلى لويد جورج فى ٩ أكتوبر (تشرين أول) بأنه لم يتلق بعد جواب مذكرته الأولى ، ويقترح إلغاء الاتفاقية أو تأجيلها ،

---

(١) Esco, p. 203; Jeffries, p. 306.
وكانت جريدة العاصمة قد أشارت إلى التصريح فى عدد (٦٦) ١٣ أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٩ .

(٢) Jeffries, p. 308 ; Esco p.204.
ويذكر Jeffries فى تعليقه على الرسالة « .. ليس من العدل أن نقول إن كتابة هذه الرسالة كغيرها من الرسائل السابقة . . كانت بالنيابة عن الحركة العربية أو عن زعمائها لأنه لم يكن هناك أى زعيم له صلاحية منح هذه الوثائق . . فقد بدأت بفيصل وانتهت به . . . ونظرا لأنها لم تعرض على الحسين ولا على غيره من زعماء الحركة العربية فليس لها أدنى قيمة كتعبير نهائى عن السياسة العربية . . ويظهر من الرسالة غموضها . . فما هو سوء التفاهم ؟ . . وعلى أى شىء كان هناك اتفاق تام ؟

(٣) Documents, pp. 421 — 422.

وعرض القضية معها على مؤتمر السلم أو على لجنة ثلاثية يرأسها أمريكي .

ورد كرزن فى ٩ أكتوبر (تشرين أول) برسالة مطولة جواباً على مذكرة ٢١ سبتمبر (أيلول) : يذكر فيها بأن التزامات بريطانيا خلال الحرب لفرنسا والحسين متوافقة فهى قد تعهدت للحسين بتأسيس دولة مستقلة تضم المدن الأربع كما أوضحت له أن لفرنسا حقوقاً خاصة غربى هذه المدن[١].

ويبين كرزن بالتفصيل سبب اتخاذ قرار الانسحاب وأن فى مصلحة العرب قبول هذا الإجراء المؤقت ريثما يتم القرار النهائى ، وبريطانيا « بصفتها صديقة العرب تحثهم على قبول هذا التدبير وبحثه مع فرنسا » .

كما بين لويد جورج فى رسالة ١٠ أكتوبر (تشرين أول) رفضه لطلب فيصل حول إلغاء الانسحاب ، « إذ أن حكومة جلالته قد قررت أنه من المستحيل الاستمرار فى احتلال سوريا بقوات بريطانية نظراً لأن مشروع السلم مع تركيا سيتأخر حتى العام المقبل ، وأنها غير مستعدة مهما كانت الظروف لقبول الانتداب على سورية كما صرحت بذلك رسمياً مرات عديدة »[٢] .

وعاد فيصل فى مذكرة طويلة فى ١١ أكتوبر (تشرين أول) يحتج رسمياً ضد أى تغيير فى الوضع الحالى للحكومة فى سورية قبل إجراء أى قرار نهائى من قبل مؤتمر السلم ، وبنى احتجاجه على وعود ثلاثة : وعود اللنبى بعد انسحاب القوات العربية من الساحل وتأكيدات المفوض السامى فى مصر للحسين بعد كشف محادثات سايكس بيكو ثم التصريح المشترك . وحذر من أن أى تغيير فى الوضع الراهن قد يحدث اضطرابات ، لذلك فهو يطلب باسم الإنسانية والسلام العالمى والأمة العربية ومصالح بريطانيا أن لاتثار قلاقل جديدة ، وأن يبقى الوضع الراهن وإلا فهو يطلب اتخاذ خطوات سريعة لعقد مؤتمر من الدول ذات العلاقة للنظر فى قضية انسحاب القوات البريطانية وإعطاء قرار نهائى لحل المشاكل بطريقة تحفظ السلام على أساس وعود الحرب ومبادئ ويلسون[٣] .

---

(١) Parliamentary Debates, Vol. 132, p. 147.

(٢) Documents, pp. 451 — 452.

ومن أوراق عونى عبد الهادى ترجمة بالعربية لرسالة لويد جورج .

(٣) Documents, pp. 461 — 62.

لقد كان بإمكان فيصل أن يلاقى نجاحاً أكبر لو أنه أثار هذه الوعود عام ١٩١٨ حين كان الوضع لايزال مائعا نسبيًّا ، أما فى خريف ١٩١٩ فالمصالح الفرنسية البريطانية كانت قد سويت تقريباً وبريطانيا تتجنب أى نزاع مع فرنسة لمصلحة العرب .

لذلك فى اجتماع أخير بين فيصل ولويد جورج فى ٣ أكتوبر (تشرين أول) رفض مجدداً مقترحات فيصل بإلغاء عملية الانسحاب إلا أنه قبل عقد لجنة مشتركة بين غورو واللنبي وممثل فرنسى لبحث الشئون العسكرية فقط وليس السياسية (١) .

وقد وافق لويد جورج بعد ذلك على أن تكون هناك سلسلة أخرى من المحادثات بين فرنسة وفيصل لحل المشكلة . وأبلغ كلمنصو بأن « المفاوضات مع فيصل كانت صعبة جدًّا . . » ، واقترح مجىء غورو لمقابلة فيصل واللنبي . ورفض كلمنصو فى رسالة فى ١٤ أكتوبر (تشرين أول) فكرة اللجنة العسكرية بل رفض فكرة حضور فيصل بالذات إلى مؤتمر السلم ، وبين أنه هو وحده الذى يحق له اتخاذ قرار محدد ونهائى حول مصير سورية وأن على فيصل أن يدخل فى مباحثات مباشرة مع فرنسة حسب اتفاقية ١٩١٦ إن كان يريد الوصول إلى حل (٢) .

وكانت رسالة لويد جورج إلى كلمنصو فى ١٨ أكتوبر (تشرين أول) آخر كلمات قالها للدفاع عن فيصل والقضية العربية : رد فيها على الاتهامات الفرنسية ودافع عن السياسة البريطانية والضرورات التى دفعت الحكومة البريطانية إلى الارتباط بالتزامات مع الطرفين « أن تعهداتنا للعرب قد جرت من أجل هدف واحد هو التمكين للثورة العربية ضد تركية فى مرحلة حرجة من الحرب » .. كما بين أن اتفاقية سايكس بيكو تستند على الوعود البريطانية للعرب ، إذ أن المادة الأولى من الاتفاقية تنص على أن فرنسة وبريطانية عليهما أن تعترفا وتدعما (وليس تحميا) دولة عربية مستقلة أو اتحاد دول عربية . وأوضح كذلك أن هذه الوعود

---

(١) Ibid, p. 462.

(٢) Ibid, pp. 467 — 69.

وقد سأل كلمنصو اللورد Derby القنصل البريطانى فى باريس فى ٦ أكتوبر (تشرين أول) « هل الأمير يتمتع بحماية بريطانية ؟ » .

قد أكدت فى التصريح المشترك وفى المادة (٢٢) من ميثاق العصبة ، وأن بريطانية يهمها الوصول إلى تفاهم فرنسى عربى حتى إن نص مراسلات كلمنصو فى سبتمبر (أيلول) لم تعرض على فيصل [١].

وبلغ بذلك دفاع بريطانية عن الاستقلال العربى فى سورية نهايته وتراجعت الحكومة البريطانية بعدها أمام الضغط المستمر للحكومة الفرنسية لتضع سوريا تحت رحمة فرنسا « مع أطيب تمنيات الحكومة البريطانية » [٢].

(ح) مفاوضات فيصل فى باريس :

ولم يعد أمام فيصل خيار إلا أن يتخذ طريقه إلى باريس كى يناضل مع كلمنصو — حسب نصيحة كرزن — للحصول على أحسن الشروط [٣] .

وقد أثبتت المفاوضات هناك أنها صعبة [٤] ، ووصلت أول جولة فى المفاوضات إلى نقطة توقف ، ففى رسالة من كلمنصو إلى فيصل فى ٢ نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١٩ يذكر « أن الجيوش الفرنسية ستعمل على حفظ النظام فى المناطق التى ستحتلها ... مستعدة لأن تتقدم لمساعدتكم فى حفظ النظام عند أول طلب منكم .. » . واعترض تعيين لجنة لدراسة طرق الانسحاب لأن ذلك مخالف لقرارات المجلس الأعلى . . « فالقرار هو تدبير عسكرى مؤقت وليس مقدمة لحل المسائل الشرقية . . » [٥] .

لقد كان أمام فرنسا سؤال واحد : هل سيعترف فيصل بأن منطقته تقع ضمن منطقة النفوذ الفرنسى ؟ . .

وحاول فيصل توسط الحكومة البريطانية فكتب إثر وصوله باريس إلى لويد

---

(١) Documents, pp. 520 — 522.

(٢) Zeine, The Struggle for Arab Independence, p. 118.

(٣) ذكر عونى عبد الهادى أن كرزن قد نصح فيصلا قائلا «بأنه لايوجد حل آخر إلا التفاهم مع فرنسا مباشرة .. فهى قد أصبحت صاحبة الشأن فى سوريا . ولكنه لا يحجم عن أن يكون وسيطاً .

(٤) كان يدير معظم هذه المفاوضات وبإشراف كلمنصو نفسه (غو) مدير الشئون الشرقية فى وزارة الخارجية (وبرتلو) المدير العام لوزارة الخارجية و (روبرت دوكيه) الذى دبر حملة الصحافة للادعاءات الفرنسية فى سورية . كما كان عونى عبد الهادى ورستم حيدر يفاوضان تحت إشراف فيصل وتوجيهاته ثم يبلغان بقية الوفد تفاصيل ماجرى وكانت المفاوضات تتم أحياناً فى وزارة الخارجية الفرنسية وأحياناً فى مقر الأمير .

(٥) من مجموعة أوراق عونى عبد الهادى .

جورج بأن جهوده لإقناع الحكومة الفرنسية بالإبقاء على الوضع الراهن والموافقة على اجتماع اللجنة المشتركة قد فشلت .. « هدفي منع المشاكل التي سوف تنفجر حين انسحاب القوات البريطانية حسب خطوط سايكس بيكو التي لم يعترف بها السوريون »[١] .

وحاول توسط الوفد الأمريكي في باريس من جديد ، فقام عوني عبد الهادي ونوري السعيد بمقابلة مستر بولك Polk رئيس الوفد الأمريكي بعد سفر ويلسون وأخبراه باتفاقية سبتمبر (أيلول) وأنها مقدمة لتقسيم البلاد العربية فأجابهما بأنه لايستطيع أن يتكلم رسمياً بذلك لأن المسألة مرتبطة بالمسألة التركية وغاية ما يفعله هو التكلم بصفة شخصية[٢] .

ووجه نداء جديداً إلى المجلس الأعلى لمؤتمر السلم يحتج فيه باسم الإنسانية على إجراء أي تغيير في الوضع القائم في سوريا على أساس خطوط سايكس — بيكو ، إذ يعتبر هذا تجزئة للأمة السورية المتطلعة إلى الوحدة ، وهو يحذر من انتشار الاضطرابات التي قد تمتد إلى كل العالم الإسلامي ، مع أن ثورة العرب قد وجهت الضربة الأولى ضد مبدأ التعصب المكروه . . حين انضم العرب إلى الحلفاء ضد الترك المسلمين معتقدين أنهم يحاربون من أجل الحق والعدالة بغض النظر عن الدين[٣] .

وكتب ثانية إلى لويد جورج في ٦ نوفمبر (تشرين ثان) بأنه قد عمل جهده للمحافظة على الصلات الودية مع الحكومة الفرنسية بضمان الحفاظ على المصالح الفرنسية في سوريا ولكن خطته لم يقبلها كلمنصو . وكرر فيصل ثانية : « إن الشعب السوري سيعمل جهده للدفاع عن استقلاله ووحدته » وتساءل عن

---

(١) Documents, p. 519.

(٢) يذكر عوني عبد الهادي أن نوري السعيد كان يكلمه والدموع في عينيه فقد طلب منه أن لا تجزأ البلاد فإذا كان لا بد من انتداب فليكن انتداباً واحداً . . وقد نهض بولك من مقعده واتجه نحو خريطة حيث وضع يده على فلسطين وقال « ان إنجلترا ستأتي إلى هنا . . فلا بد لفرنسا أن تأتي إلى هنا » وأشار إلى سوريا ، « وإلا ستعلنها حرباً عواناً لأن هذا أمر مرتبط بشرفها » .

(٣) Documents, p. 519.

غاية الحكومة البريطانية فى كتم الشعور القومى فى سورية وتعريض الأبرياء للإبادة[١].

وحاول كرزن أن يتدخل لصالح فيصل ولكن جهوده كانت غير مجدية[٢]. وقد رد كلمنصو فى رسالة إلى لويد جورج فى ٩ نوفمبر (تشرين ثان) .. « إن الصعوبة ليست فى أطماع فرنسا ولكن لأن الأمير لا يبدو أنه قد تفهم حقيقة ضرورة قبول العرب للانتداب الفرنسى والبريطانى على أنه تطوير وتنظيم للبلاد العربية »[٣].

وكانت المشكلة الكبرى التى تعثرت عندها المفاوضات هى الحدود بين المناطق الفرنسية والعربية : فقد كان هم المفاوضين العرب الحيلولة دون احتلال القوات الفرنسية لأى جزء من المنطقة الشرقية لتحل محل قوى الجيش البريطانى المنسحب، وأن تظل القوات الفرنسية فى المنطقة الغربية التى هى تحت احتلالهم دون أى تجاوز عسكرى نحو الشرق . ويبدو أن الأمور قد اتخذت مجرى حسناً فى نهاية نوفمبر وتم الاتفاق بين فيصل وكلمنصو فى ٢٧ نوفمبر (تشرين ثان) على إجراء عسكرى مؤقت يشترط بأن لا تحتل القطعات الفرنسية البقاع ، على أن تنسحب منه القطعات العربية أيضاً وتبقى قوات الدرك والإدارة فى المنطقة عربية وتشكل لجنة مشتركة فرنسية عربية للإشراف على شئون الأمن .

وقد يكون من أسباب تراجع كلمنصو خلال هذه الأزمة برغم معارضة غورو المفوض السامى الجديد وقائد القوات الفرنسية فى الشرق ، هو أنه لم يكن لفرنسة قوة كافية لفرض إرادتها على الحكومة السورية ، كما لم يكونوا قد تفاهموا مع الإنجليز تفاهما يضمن لهم حرية العمل فى سوريا الداخلية ، ثم إن كلمنصو كان يفاوض فيصلا حينئذ لعقد معاهدة فلم ير أن يعكر الجو باحتلال بعض مدن صغيرة وهو يأمل بحل القضية بأجمعها عن طريق التفاهم والمفاوضة »[٤].

---

(١) من مجموعة أوراق عونى مسودة رسالة بعثها فيصل إلى دمشق وقد تكون إلى زيد « . . فى باريس بذلت (قصارا) جهدى لأن أثبت للوزارة الفرنسية شدة إخلاصى للأمة الفرنسوية ورغبتى بحل المسئلة بصورة مرضية تكفل منافع الجميع . . »

(٢) وقد ذكر Kidston أحد أعضاء الوفد البريطانى لمباحثات السلم أنه لا يمكن للحكومة البريطانية أن تتدخل طالما أنها تستنكر أى احتجاج فرنسى على عملها فى العراق .

(٣) Documents, p. 520 — 22.

(٤) الحصرى ص ١١٥ . ويعزو أكثر من مؤرخ فرنسى بأن هذا التصرف كان مصدر المشاكل التى قامت فى وجه فرنسا فى سوريا حتى ميسلون إذا استدل العرب عن ضعف كبير فى الموقف الفرنسى=

وتوقفت المفاوضات من جديد . . ويبدو من رسالة بعث بها فيصل إلى كلمنصو فى ٢٢ ديسمبر (كانون أول) أنه كان عازماً على السفر بعد الاتفاقية العسكرية المؤقتة ولكنه أخر سفره نزولاً عند رغبة كلمنصو ، فأعطى برهاناً جديداً عن رغبته فى الوصول إلى تفاهم واحتج على موقف غورو لمخالفته الاتفاقية المؤقتة واحتلاله لبعلبك (متذرعا بالاعتداء على ضابط الارتباط الفرنسى ووكيله) وطلب فيصل فى رسالته إعطاء التعليمات اللازمة لسحب القطعات من الأماكن المحتلة من أجل نجاح المفاوضات « فتخففوا عن كاهلى عبئاً ثقيلا »[1].

وفى محاولة أخرى من فيصل للتوصل إلى تفاهم وافق (فى الجولة الثانية من المباحثات مع كلمنصو) على اتفاقية مبدئية من علة بنود فى ٦ يناير (كانون ثان) ١٩٢٠[2] : تعترف فرنسة فيها بدولة سورية مستقلة ضمن حدود سيعترف بها مؤتمر الصلح ، على أن تتعهد هذه الدولة بالتالى بأولوية فرنسة بإمدادها بالخبراء والمستشارين لتنظيم الإدارتين المدنية والعسكرية وأن يكون هؤلاء موظفين للدولة السورية وليس لحكومتهم ، وأن لاتدخل القوات الفرنسية سورية إلا بناء على طلب من الدولة السورية ، وأن تعهد سورية بالتمثيل الدبلوماسى فى الخارج إلى فرنسة وتعترف باستقلال لبنان تحت الانتداب الفرنسى وإقامة إدارة محلية فى جبل الدروز .

وقد وصلت نسخة من الاتفاقية إلى وزارة الخارجية البريطانية فى ٧ يناير (كانون ثان) عن طريق رئيس الدائرة السياسية فى الوفد البريطانى لمباحثات السلم Kidston وكان قد سلمها الجنرال حداد باشا سراً إلى الكولونيل Gribbon فى ٦ يناير (كانون ثان) قائلا : « بأن هذه هى الاتفاقية المقترحة بين فرنسة وفيصل

=وتمسكوا بتنفيذ الوعود وأن كلمنصو وهو فى باريس لم يكن يعرف سوريا ولامقتضيات الحملة ضد تركيا أو أهمية البقاع بالنسبة للبنان كما كان يعرفها غورو .

(١) مجموعة أوراق عونى عبد الهادى .

(٢) يذكر عونى عبد الهادى أنه كان يعد هو روبرت دوكيه بنود الاتفاقية ، وكان يصر على صراحة البنود بينما يصر دوكيه على غموضها قائلا له : « لولا خوفى من مجلس النواب الفرنسى أن لا يوافق لقبلت معك بكل شيء ولكن البنود ليست كل شيء . فالدولة التى تريد أن تتنصل من الاتفاق يسهل لها إيجاد تبرير . . . . » .

وأنها لم توقع من قبل فيصل وستبقى سرية بين الطرفين المتعاقدين إلى أن يتم التوقيع النهائى عند عودة فيصل إلى فرنسا حيث تقدم فى الوقت المناسب إلى مؤتمر السلم »[١].

وقد أكد الكولونيل Waters Taylor الذى قابل فيصلا فى بيروت عند وصوله من فرنسا فى ١٤ يناير (كانون ثان) ١٩٢٠ أن فيصلا كما يظهر قد توصل إلى اتفاق مع فرنسا ولكنه قبل أن يوقعه رغب فى الحصول على موافقة شعبه على مواده وأردف الكولونيل « أن فيصلا قد أخبره بأن الاتفاقية أمر سيئ . . وأن موقف السلطات البريطانية لم يترك له الخيار فقدم مغلول اليدين والرجلين إلى فرنسا . . وأمله فى النجاح أن يقدم لشعبه فكرة أن الانتداب الفرنسى يعنى سوريا الموحدة . . وبرغم أن عليه أن يطالب بفلسطين . . إذ وعده كلمنصو بأن يدعمه فى ذلك . . إلا أنه ليس له أمل فى النجاح »[٢].

ويبدو أن الاتفاقية كانت أحسن مايأمله الفريقان فى ذلك الوقت واعتقد كلمنصو أنه قد ذهب إلى أقصى حدود التساهل[٣] . . « دون أن يخون قضية بلاده أو أمانيها التقليدية »[٤] .

وكان فيصل فى قرارة نفسه يميل شخصياً إلى قبولها بصورة نهائية ، برغم أنه كان يعرف أنه يسلم شيئاً ليس من حقه أن يتصرف به فلا تعليمات والده ولا المشاعر العربية كانت تقر ما صنع فهى تقف ضد التجزئة وضد أى نوع من أنواع الوصاية إلا أنه كان يرى أمامه أحد حلين : فإما أن يتوصل إلى تفاهم أو أن يقطع الروابط مع الحلفاء وخاصة بعد أن تأكد أن الحكومة البريطانية

---

(١) Documents, pp. 625 — 27.

(٢) Documents, p. 630.

(٣) قدم برتلو فى اجتماع المجلس الأعلى للحلفاء الذى عقد فى لندن فى ١٧ فبراير (شباط) ١٩٢٠ نصوص هذه الاتفاقية بناء على طلب لويد جورج .

(٤) الحصرى ص ٩٥ . وذكر عونى عبد الهادى أن كلمنصو قال لفيصل مشيراً إلى شعره ورأسه.. إن الشعر الذى تراه فى رأسى قد ابيض من معاناة السياسة فأنا غير استعمارى وناضلت كصحفى خمسين عاماً ضد الاستعمار ، وأنا أعرض عليك معاهدة لا تجد فرنسيا غيرى يجرؤ على عرضها عليك ، ففكر مليا وأعطنى جوابك .

لن تخاصم فرنسا من أجله فى موقفها المتشدد تجاه القضية السورية ، كما أن المثالية الإنسانية التى حملها ويلسون قد فشلت فى التغلب على مناورات لويد جورج وكلمنصو حيث قررت بعدها الولايات المتحدة أن تكف يدها عن التدخل بالسياسة الأوربية المعقدة الشاملة . وكان فيصل يعلل نفسه أن ذلك تدبير مؤقت لن يعجز عن تعديله[١].

ولكن اختلاف مستشارى فيصل فى أمر الاتفاقية[٢] ، والأخبار المنذرة بخطر حدوث ثورة من دمشق وفشل زيد فى تهدئة الحالة[٣]، قد حمله على ترك القضية معلقة إلى حين عودته واستطلاع الآراء فيها .

٦ - الأوضاع الداخلية فى غياب فيصل :

(أ) رد الفعل الداخلى لأزمة انسحاب القوات البريطانية من سورية :

بعد انتهاء مداولات الاتفاقية قرر فيصل العودة إلى سوريا فى أواسط يناير (كانون ثان) بعد غياب طال عدة أشهر تولى فيه زيد النيابة عنه . . وكانت أخبار مفاوضاته فى أوربا قد وصلت إلى سورية قبل وصول الأمير برغم ما كان ينتشر فى الصحف المحلية بين حين وآخر من أخبار مطمئنة[٤].

---

(١) ذكر فيصل إلى الصحفى Jeffries فى مارس (آذار) ١٩٢٠ : « أعتقد أنه يمكننى أن أصل إلى تفاهم مع الفرنسيين وأنه إذا اعترف باستقلالنا فإن بعض الترتيبات حول مستشارين فرنسيين يستمدون سلطتهم من الحكومة العربية يمكن التوصل إليها بسهولة . انظر : Jeffries, p. 324.

(٢) يذكر قدرى فى مذكرته ص ١٥٣ - ١٥٨ أنه قد قاوم اتجاه الرضى بالاتفاقية ورفع الأمر للحسين والهيئة المركزية للفتاة وأن الحسين قد أرسل الدكتور ثابت نعمان إلى باريس يحمل كتاباً منه يأمره بالعودة والحفاظ على المبدأ الذى قام من أجله وعدم التساهل مع الفرنسيين .

ولكن عونى عبد الهادى ذكر « أن الاتفاقية كانت كل ما يمكن أن نحصل عليه بعد أن تعذر قبول فرنسة بأقل من ذلك » .

(٣) Documents, pp. 499 — 500.

(٤) ورد فى العاصمة عدد (٦١) ٢٥ سبتمبر (أيلول) ١٩١٩ برقية من فيصل « المخابرات جارية . . حذروا الشعب لزوم التروى والتعقل مع المحافظة على السكينة » . كما نشرت فى عددها (٦٩) ٢٢ أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٩ برقية أخرى « لاتهتموا بأقوال الصحف . المذاكرة جارية بكل محبة سياسية وولاء » .

وكانت أولى هذه الشائعات هي أخبار اتفاقية كلمنصو – لويدجورج ، حول انسحاب القوات البريطانية وبرغم ما أذيع أن استبدال الحاميات هو تدبير عسكري ليس من شأنه التأثير على قرار المؤتمر . . فقد ازداد التوتر السياسي وشعور المرارة ضد فرنسا وإلى حد ما ضد بريطانية .

وقد استمرت حركة التجنيد والتطوع التي بدأت قبل رحيل فيصل إلى أوربة . وظهرت في الصحف بيانات باسم لجنة الدفاع الوطني لم تكن لها صفة رسمية تدعو للتطوع [١] ، وتأسست لجان لقيد المتطوعين وإجراء التدريبات العسكرية يتولاها ضباط من نفس المحلات من الذين استقالوا من الجيش.

واستدعى ياسين الهاشمي رئيس هيئة أركان الجيش العربي في ٢٢ سبتمبر (أيلول) إلى لقاء اللنبي في القاهرة وحمله مسئولية تحديد عمل الجيش العربي حسب مارسمه القائد العام ، كما طلب منه حل لجنة الدفاع الوطني وإلغاء قرارها حول التعبئة العسكرية الجزئية .

وتشدد منلوب بيكو فطلب اعتقال الهاشمي وإبعاد علي رضا ، ورفض القائد العام خوفاً من حدوث مالاتحمد عقباه ، وقد أسر ياسين الهاشمي ونوري السعيد إلى الكولونيل Meinertzhagen بأنه لوكانت تسوية باريس صحيحة « فلن يبقى الشعب العربي ساكناً وهو يراقب اضطهاد العرب في منطقة الاحتلال الفرنسي » [٢] .

وانتدب المؤتمر السوري « الذي لايزال في دور الانعقاد » لجنة منه في ٢٧ أكتوبر (تشرين أول) لإبلاغ معتمدي الحلفاء في دمشق أن « المؤتمر الذي يمثل الأمة السورية يحتج على كل قرار أو اتفاق يخالف تصويت الأمة بضرورة المحافظة على وحدة البلاد واستقلالها » [٣] ..

وسارت في دمشق أكبر مظاهرة سلمية انتهت بتقديم احتجاج إلى دار الإمارة ومعتمدي الدولة ووزارات الخارجية « ضد كل تسوية تقضي بتجزئة

---

(١) Documents, p. 409.

(٢) Documents, p. 410.

(٣) العاصمة عدد (٧٢) ٣٠ أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٩ .

بلادنا وحرمانها من استقلالها التام وجعل جنوبها موطناً لليهود »[١] . .

وفى ظروف هذه الأزمة وكمظهر للنشاط الشعبي ولدت فكرة اللجنة الوطنية العليا لتهيئة إجراءات المقاومة ضد الفرنسيين وتكوين رأى عام فى البلاد وتنظيم المتطوعين وجمع التبرعات للمجهود الحربى ومساعدة الحكومة بمهمة الدفاع[٢]. وبدأت بعقد سلسلة اجتماعات شعبية فى أحياء دمشق تولاها بعض الزعماء من رجال الأحزاب الوطنية انتهت فى أول نوفمبر (تشرين ثان) بانتخاب أربعة مندوبين من كل حى من الأحياء الثمانية والأربعين فى العاصمة ، وقام عضو من كل حى بانتخاب ٢٧ عضواً باسم اللجنة الوطنية العليا فى مساء ٥ نوفمبر (تشرين ثان)[٣]. وفى اجتماع كبير ١٧ نوفمبر (تشرين ثان) فى دار البارودى فى القنوات خطب فيه الشيخ كامل القصاب[٤]، وضع ميثاق اللجنة الذى يرفض كل اتفاق يحد من سيادة الأمة ويفقد استقلالها ويدعو « لاتخاذ كل الوسائل لحفظ وحدة البلاد السورية ودعم استقلالها . ومقاومة كل مبدأ يرمى إلى تأسيس قومية غريبة تهدد كيان البلاد السياسى » مع العمل على « تنمية كل قوى البلاد المادية والمعنوية وإنعاش روح القومية » . وتقرر أن تنعقد جلسات اللجنة ثلاث ليال فى الأسبوع ، وجلسات ممثلى الأحياء الثمانية والأربعين مرة فى كل أسبوع تعرض اللجنة الأمور الهامة وتسمع المقترحات ، على أن تنعقد جلسات « الأربعات المندوبة عن الأحياء مرة كل أسبوعين » .وقد مثل فى اللجنة العليا أعضاء من الأحزاب المختلفة كما أسست فروعا أخرى فى كل البلاد السورية . .[٥]

---

(١) العاصمة عدد (٧٤) ١١ نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١٩ .

(٢) يذكر محب الخطيب فى مقابلة شخصية : أن فيصلاً كان قد وجه قبل سفره تعليمات إلى بعض الزعماء بأن يقودوا الجيش قدر الاستطاعة . وقال للشيخ كامل القصاب « إننى أنتظر منك ومن إخوانك الوطنيين أن تقوموا بحركة شعبية لتحويل الأمة إلى أمة مسلحة . وتحولوا الوطن إلى ثكنة عسكرية » .

(٣) نظام اللجنة الوطنية العليا فى العاصمة السورية ١٧ نوفمبر (تشرين أول) ١٩١٩ (أوراق محب الخطيب) .

(٤) كان من علماء دمشق وقد رحل إلى مصر حيث عمل فى أثناء الحرب فى الحركة العربية وتعاون مع الحسين فترة ثم اختلف معه وكان أحد السبعة الذين أصدرت الحكومة البريطانية تصريحها لهم ١٩١٨ . وعاد إلى دمشق بعد تأسيس الحكومة العربية وعرف باندفاعه وخبرته فى أساليب التأثير على عقول الجماهير .

(٥) ذكر عزة دروزة فى مقابلة شخصية أن الفتاة (الاستقلال) هى صاحبة الفكرة بإيجاد=

وقد بدأت اللجنة الوطنية بتدريب المتطوعين وتجنيدهم على نفقة الأهالى[١] . . كما قررت جمع الأموال لمؤازرة المقاومة الشعبية والدفاع الوطنى ، وأصبحت اللجنة موضع ثقة الناس ، وكان وجودها مفيداً فى الضغط على المترددين فى وجوب الدفاع ووقوفها موقف الحزم ، واعتبرها البعض دعما لموقف فيصل فى مفاوضاته فى الخارج .

ورغم كل مظاهر المعارضة فى الداخل والخارج لاتفاقية انسحاب القوات البريطانية فقد بدأت عملية الانسحاب الفعلى منذ أوائل نوفبر (تشرين ثان) بتقديم بعض الحاميات والمراكز فى جبال طورس وعينتاب إلى الفرنسيين . وكانت خطة بريطانية العسكرية أن تتم عملية الانسحاب دون حوادث . ورافقت عملية الانسحاب عن سوريا الداخلية وإلقاء منشورات الوداع[٢] ، وصول الجنرال غورو إلى بيروت فى ٢١ نوفبر (تشرين ثان) مفوضاً عامًا وقائداً أعلى للقوات الفرنسية فى الشرق ، وأذيع أنه قادم لتنفيذ الاتفاق الفرنسى البريطانى وبدأت بالفعل عملية تعزيز القوات الفرنسية فى الشرق French Troupes de levant[٣] .

وقد بلغت دمشق أخبار تأهب الجيش الفرنسى لاحتلال منطقة البقاع .

=تشكيلات شعبية لمساندة مهمة الدفاع الوطنى ، ولكن جعل لولبها الشيخ كامل القصاب لأن له اتصالات مع الأحياء وقدرة على إثارة الجماهير .

(١) كانت مهمة اللجنة الوطنية أخذ الجنود عن طريق التطوع الاختيارى وإعطاءهم الأرزاق والأموال على أن يشرف على تدريبهم ضباط من الأهالى ، ثم يساقون بعدها إلى الثكنات العسكرية قرب الحدود ، ولكن يبدو من أوراق الخطيب أن عملية التدريب العسكرى كانت غير حازمة تماماً فقد تكررت شكاوى قواد الألوية إلى رئاسة اللجنة الوطنية لتمرد المتطوعين على التعليم العسكرى وعدم حضورهم التدريب.

(٢) وكان الجلاء عن حلب قد تم فى ٢٠ نوفبر (تشرين ثان). وأعلن قائد الفرقة البريطانية المنسحبة من حلب شكره وشكر جنوده لسكان تلك المدينة وضواحيها « العاصمة عدد (٧٧) ٢٠ نوفبر- (تشرين ثان) ١٩١٩ » كما تم الجلاء عن دمشق فى ٢٦ نوفبر (تشرين ثان) وألقت إحدى طائراتهم منشوراً هذا نصه «إن القائد العام للجيش البريطانى وضباطه وعساكره يرومون أن يودعوا زيداً والهيئة الحاكمة وأهالى دمشق وهم يشكرونهم على ما أظهروه نحوهم من اللطف أثناء وجودهم فى دمشق . ويتمنون من كل قلوبهم مستقبلا حسناً لدمشق وكل الشعب العربى (العاصمة عدد « ٧٩ » ٢٧ نوفبر « تشرين ثان) ١٩١٩ . وقد بدأ الجلاء عن بيروت فى ١٢ ديسمبر (كانون أول) وغادرت آخر القوات البريطانية فى ١٩ يناير (كانون ثان) ١٩٢٠ .

(٣) Haut Commissariat de Republique Francaise En Syrie et le Liban En 1922 pp. 41 — 42

وكان نوري السعيد قد قدم من باريس منذ أوائل نوفمبر (تشرين ثان) للتداول مع زعماء الأحزاب وأركان الحكومة والجيش للوقوف على آرائهم ومدى استعدادهم لمقاومة إحلال الجيوش الفرنسية محل البريطانية فى هذه المنطقة . وبرغم أن البعض وعلى رأسهم الحاكم العسكرى نفسه (الركابى) رأى عدم جدوى المقاومة ووجوب الاعتماد على السياسة ، فقد اتخذ مجلس المديرين قرار المقاومة والدفاع [١] .

ودعى المؤتمر السورى فى ٢٢ نوفمبر (تشرين ثان) بصفته ممثلا (لإرادة الأمة) للاستماع إلى بيان الأمير زيد ألقاه الحاكم العسكرى حول انسحاب القوات البريطانية وإحلال الجيش الفرنسى فى بعض النقط من المنطقة الشرقية فى بعلبك ورياق وشتورا ليقرر أعضاؤه رأيهم فى الاتفاقية وليواصلوا جهادهم المقدس فى إدارة الحركة الوطنية بصورة جدية أكثر من قبل فيكونوا عوناً للأمير المفوض من قبل الأمة للدفاع عن حقها السياسى المطلق »[٢]. وكان البيان أقرب إلى التسكين منه إلى الحماسة .

ولم يكن هذا من أساليب المؤتمر الذى أعلنه أعضاؤه أنهم (صوت الأمة) فاتخذوا قراراً فى ٢٤ نوفمبر (تشرين ثان) يقضى بوجوب الدفاع عن وحدة البلاد « المعرضة للتقسيم والاستقلال المعرض للضياع » ، واقترحوا إعلان استقلال القطر السورى استقلالاً تامًا بحدوده التى عينها المؤتمر فى القرار الذى قدمه إلى اللجنة الأمريكية ، « مع تعيين شكل الحكومة بأنها ملكية شورية مسئولة أمام الأمة» . وأيدت جميع الصحف والأحزاب والنوادى والجمعيات قرار المؤتمر فى الدفاع [٣].

ويبدو أن السلطات الفرنسية والبريطانية قد اعتقدت أن التحريضات لمقاومة الاحتلال الفرنسى سببها ياسين الهاشمى بعدما ورد من تقارير عن اتهامه بالتحريض على الدعاية ضد بريطانية فى العراق. وعن اتصاله بالحركة الكمالية

---

(١) الحصرى ص ١١٠ — ١١٢ .

(٢) العاصمة عدد (٧٩) ٢٧ نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١٩ .

(٣) ويذكر دروزه : أن المؤتمر قد برر قرار الدفاع بإيراد مثل ساذج وهو أن الدجاجة يقبض عليها الذباح بيد وتكون السكين الحادة الطويلة فى يده الأخرى يحز عنقها ، ومع ذلك فهى تصرخ وتضرب بقدميها وجناحيها دفاعاً عن حياتها . .

ويذكر يوسف الحكيم : «أنه عند اتخاذ القرار ظهر على بعض النواب الامتعاض والتساؤل عن المصير ولكن أقلية لاتتجاوز العشرين سكتت أمام الأكثرية التى كانت راضية أو تتظاهر بالرضى عن المظاهرات الشعبية بانتظار ما يأتى به فيصل .

فى الشمال » واعتبر بأنه الروح الموجهة فى كل سورية وقد حل تأثيره محل تأثير فيصل المعتدل »[١]. فبادر الجيش البريطانى المنسحب من دمشق إلى اعتقاله ونقله إلى حيفا وقامت مظاهرات سلمية فى دمشق وحلب وسائر المدن تعلن احتجاجها[٢]، ووجه اللوم فى المؤتمر السورى إلى الركابى الذى أعلن جهله للأمر .

وقد زاد اعتقال الهاشمى فى حدة التوتر فى البلاد مما اضطر الحكومة إلى إصدار بيان إلى المسئولين تعلن فيه تعهدها بالحفاظ على الأمن ومنع الفوضى مع وعد بتدريب وتنظيم قوتى الجيش والدرك من أجل الدفاع الوطنى ، وألحقت بالبيان تعليمات إلى الشعب بإطاعة أوامر الحكومة واجتناب كل ما يخل بالأمن ومنع المظاهرات وحمل السلاح والاجتماعات العامة دون إذن رسمى . . » إذ أن الحكومة هى التى تطالب بحقوق الأهالى . . وتدافع عنها . . »[٣].

وقد أذاعت الحكومة فى ١ ديسمبر (كانون أول) بياناً رسمياً أعلنت فيه أن الجنود الفرنسيين ستحل محل البريطانية فى شتورة ورياق وبعلبك حسب الاتفاق العسكرى الفرنسى احتلالا عسكرياً وتنسحب منها القوات العربية على أن تربط إدارياً بالحكومة العربية[٤].

وانتدبت الحكومة نورى السعيد لإجراء مفاوضات مع غورو[٥]. وبرغم استمرار المفاوضات فقد وردت أخبار تقدم مفرزات فرنسية شرقاً نحو المعلقة قرب زحلة . وحاول زيد تسوية الأمور كما قدم فيصل احتجاجاً فى باريس .

---

(١) Documents, p. 523

(٢) العاصمة عدد (٧٨) ٢٤ نوفبر (تشرين ثان) ١٩١٩ .

(٣) طبع البيان على شكل منشورات عامة فى ٣٠٠٠ نسخة وزعت على الشعب فى ٢٦ نوفبر (تشرين ثان) ١٩١٩ (أوراق محب الخطيب) .

(٤) العاصمة عدد (٨٠) ١ ديسمبر (كانون أول) ١٩١٩ .

(٥) داغر ١٨٦ ، وكان أسعد داغر قد رافق نورى السعيد للمفاوضات . . ومعهما كوس ضابط الارتباط وقد أراد نورى السعيد فى طريقه أن يعرف حقيقة الموقف العسكرى فى معسكرات الجيش العربى على الحدود . . وعلم أن عدد القوات هناك ٢٠٠ بعد أن كانوا ٣ آلاف ذهبوا إلى منازلهم لأنهم متطوعون بينما حشد الفرنسيون قوات كبيرة .

وبين كوس ضابط الارتباط الفرنسى « أن هذا الإجراء ليس إلا تدبيراً عسكرياً مؤقتاً لايدل على تجزئة البلاد » .

إلا أن بلاغا آخر من الحاكم العسكرى عاد ليصحح ما أذيع من احتلال بعض النقاط فى المنطقة الشرقية . . وبأنه قد تم الاتفاق مع غورو باسم الحكومة الفرنسية المحتلة للمنطقة الغربية على صرف النظر عن إشغال البقاع وبعلبك وراشيا وحاصبيا لإزالة سوء التفاهم مع الحكومة العربية . . لحين أن يصدر مؤتمر الصلح قراره النهائى . . ويكتفى بإرسال ضابطى ارتباط أحدهما لبعلبك والثانى لراشيا . . ورهط فرنسى واحد إلى رياق للمحافظة على المهمات التى ابتاعها الفرنسيون من الإنجليز العائدة لسكة الحديد الفرنسية والمستشفى . . ويبقى الدرك العربى والحكومة والإدارة العربيتان فى البقاع[١].

وكان لهذا التراجع الفرنسى دخل بالمفاوضات التى كانت تجرى فى ذلك الوقت فى باريس حيث توصل فيصل وكلمنصو إلى اتفاق عسكرى مؤقت فى ٢٧ نوفمبر (تشرين ثان) وبرغم اعتراض غورو على التعليمات التى جاءته من وزارة الخارجية الفرنسية فقد تم سحب القوات الفرنسية من المنطقة المحايدة فى البقاع — على أن تنسحب أيضاً الجنود العربية النظامية . وانتهت الأزمة بسلام ولم تلق القوة الفرنسية التى أرسلت إلى رياق إلا مقاومة بسيطة . واعتبرت الحكومة أن الاتفاق مع الفرنسيين حل وقتى للأزمة بعد أن عدل الفرنسيون عن احتلال البقاع بالقوة وكان ذلك مخالفاً لشعور الشعب والدعاية التى بثت فيه[٢] .

ولكن انتهاء أزمة البقاع لم ينه التوتر السياسى وخاصة بعد أن بدأت تنتشر شائعات حول مفاوضات فيصل فى أوربا . وأخذت المعارضة تلح باتباع سياسة أكثر عنفاً وحزماً نحو فرنسا فى وقت كانت ضرورات الوضع الدولى تدفع فيصلا نحو التفاهم مع فرنسا .

---

(١) العاصمة عدد (٨٢) ٨ ديسمبر (كانون أول) ١٩١٩ .

(٢) من أوراق محب الخطيب برقية أرسلها أسعد داغر فى رياق فى ٥ ديسمبر (كانون أول) إلى اللجنة الوطنية بخلاصة الاتفاقية ويطلب منهم مساندة حاكم البقاع على جودت. ويبدو أن على جودت لم يكن فى نيته تنفيذ الاتفاقية بل مقاومة القوات الفرنسية بما لديه من المتطوعين حتى ولو لم تشأ الحكومة أن تدخل رسمياً فى الحرب . إلا أن محاولته الاتصال بالمسئولين فى الحكومة أو باللجنة الوطنية لتزويد المتطوعين قد فشلت .

ووجدت المعارضة الوطنية تعبيراً لها فى المؤتمر السورى حيث كان أعضاؤه يؤيدون المتطرفين الذين ازدادت مطالبهم نحو تشكيل حكومة وطنية برلمانية تعلن الاستقلال المباشر ، وكان رد زيد فى المؤتمر فى ١ ديسمبر (كانون أول) هو « إبقاء التشكيلات الإدارية الحاضرة . . لأن ذلك أدعى للاقتصاد وأحفظ للنظام إلى أن يتقرر مصير البلاد النهائى »[١].

ويبدو أن التعاون مع المؤتمر قد أصبح صعباً مما اضطر الحكومة إلى تعليق جلساته فأذاع بيانه إلى الأهلين « بأن المؤتمر الذى تمنى أن تكون الحكومة مسئولة لدى الأمة . . قد قرر فى جلسته المنعقدة فى ٤ ديسمبر (كانون أول) ١٩١٩ تأجيل جلساته وفقاً لرغبة سمو الأمير إلى أن تدعوه الحكومة أو الأمة مرة أخرى »[٢].

ولكن المعارضة استمرت ضد الحكومة والمسئولين خارج المؤتمر ، تولتها اللجنة الوطنية العليا وغيرها من الأحزاب السياسية . واستمر تشكيل لجان الدفاع فى المدن الرئيسية والدعوة للمطالبة بنظام التجنيد الإجبارى لإيجاد قوة دفاعية كافية لمساعدة الثورة الوطنية على حدود المنطقة الغربية .

وقد صور الوضع تقرير من الكولونيل مينرتزهاجن من القاهرة إلى كرزن فى ١٩ ديسمبر (كانون أول) « بأن النقمة الشعبية ضد الأسرة (الشريفية) قد ازدادت بسرعة لاعتدالها أمام المطالب الفرنسية ومحاباتها للبدو والحجازيين وفشلها فى استمالة فئات الشعب . . ولم يعد لاسم الحسين وزن فى سورية كما لم يعد يأمل أن يطالب الشعب به خليفة . . كما أن طلب زيد فى ١٤ ديسمبر (كانون أول) بالعودة إلى مكة يعنى أن موقفه وموقف فيصل قد أصبح دقيقاً نظراً لأن الشعب لم يعد يثق بهما ولايحبهما . . ولايأملان (منا) أى دعم . . كما أن بعض الأعيان قد تقاربوا من فرنسا على أمل تأمين مستقبلهم إذا جاءت فرنسا إلى البلاد[٣] .

---

(١) العاصمة عدد (٨١) ٤ ديسمبر (كانون أول) ١٩١٩ .

(٢) العاصمة عدد (٨٢) ٨ ديسمبر (كانون أول) ١٩١٩ .

(٣) Documents, pp. 565 — 66.

ويعدد التقرير من بينهم محمد فوزى العظم وعبد الرحمن اليوسف ، والشيخين مثقال ومشهور الفايز وشيخين من قبائل عنزة .

ويبدو أن الركابى قد فشل فى إقناع المتطرفين بالرجوع عن قرار المقاومة وتأزمت الحالة وازداد الضغط عليه لتقديم استقالته ، واتهم بإهماله أمر الدفاع الوطنى وتخلفه عن إمداد المجاهدين على الحدود واختلف مع زيد حول الإجراءات الضرورية فى أمر الدفاع الوطنى .

وأبلغ الركابى زيداً ، أن هؤلاء المتطرفين لاصفة لهم ولايمثلون إلا أنفسهم لايهمهم الوطن ولا دفاعه . . وأنه لايستطيع أن يتبع سياسة الأشخاص غير المسئولين الداعية إلى الفرقة وإماتة الحركة الوطنية فى الوقت الذى نحتاج لجمع القوة والكلمة . . كما أنه يرفض أن يرى « حكومة غير مسئولة تسيطر على حكومة مسئولة تمثيلا للدور الاتحادى البائد » . . وطلب من زيد أن يعاضده حتى يقمع الفوضى . . أو أن يظهر ارتياحه لسياسة المذكورين فينسحب»[١] .

ولكن يبدو أنه قد فقد ثقة زيد ومستشاريه فاستقال ليفسح المجال إلى رجال يميلون للعمل ضد فرنسة[٢] . وقداعتبره زيد مأذوناً وعهد إلى عبد الحميد القلطقجى بوكالة الحاكمية العسكرية لمدة يومين ثم إلى مصطفى نعمة حسب رغبة الأكثرية كما كان يوسف العظمة[٣] قد كلف برياسة ديوان الشورى العسكرى خلفاً لياسين الهاشمى .

وقد بدا لبعض السوريين أن ما حدث فى هذه الأيام فى دمشق لم يكن سوى انقلاب مقنع جرت أحداثه فى أثناء غياب فيصل عن البلاد .

وبدأت الحكومة الحاضرة التى سموها دفاعية عملها بتوجيه بيان إلى الشعب فى ١٥ ديسمبر (كانون أول) ١٩١٩ . . بينت فيه أنها « تبذل جهدها لتوطيد

---

(١) قدرى ص ١٧٠ . وفى مقابلة مع أكرم رضا الركابى ذكر أن والده كان يخشى النتائج الوخيمة التى يفرضها البون الشاسع بين قوات الطرفين وهو العسكرى والإدارى الذى يتمتع بمزايا عالية .

(٢) من الملاحظ أن الركابى لم يقدم استقالته إلى المرجع الذى عينه وهو القائد العام بل إلى نائب فيصل وكان هذا أول مظاهر الاستقلال .

انظر : David, p. 82

(٣) كان يوسف العظمة من ضباط الأركان فى الجيش العثمانى وقد عين بعد عودته من الأسر فى صيف ١٩١٩ مرافقاً لفيصل ثم معتمداً عربياً فى بيروت والتف حوله الضباط السوريون العائدون إيماناً منهم بمقدرته العسكرية .

الأمن العام . . إلا أن بعض المشاغبين قد سعوا إلى إقلاق الأفكار فى الوقت الذى يستلزم تمام السكينة » . واستلفت البيان نظر الجميع ودعاهم إلى معاونة الحكومة فى المحافظة على المصلحة الوطنية(١) .

كما أدركت الحكومة وجوب توسيع الجيش النظامى وتقويته من أجل تنظيم عملية الدفاع الوطنى وعدم الاكتفاء بنظام التطوع الذى كان معمولاً به إلى ذلك الحين ، فأصدر مجلس المديرين نظام التجنيد الإجبارى فى ١٩ ديسمبر (كانون أول) وصادق عليه زيد فى ٢١ ديسمبر (كانون أول) . ونص النظام على جعل الخدمة العسكرية واجبة على كل من بلغ العشرين ولم يتجاوز الأربعين لمدة ستة أشهر مع قبول البدل النقدى واستثناء بعض الفئات من تطبيق النظام . وجاء فى مقدمة النظام تبريراً للتجنيد الإجبارى « بعدم كفاية القوى الموجودة بعد انسحاب البريطانيين لإقرار الأمن . . ونقص الموارد المالية من أجل دفع الرواتب للجنود المتطوعة »(٢) .

إلا أنه لم يقدر لقانون التجنيد الإجبارى النجاح بسبب الحصار الذى فرض على سوريا الداخلية حيث منع بموجبه وصول الأسلحة والذخائر . . وامتنعت بريطانيا عن إمداد الجيش بالخبرة والأموال(٣) .

(ب) حوادث الحدود :

كان الوطنيون قد شعروا أن لاسبيل إلى مقاومة الفرنسيين وإخراجهم بقوة السياسة بل لابد من ثورة مسلحة . فبدأت تنشب ضد القوات الفرنسية على حدود المنطقة الغربية ثورات وطنية كانت تلاقى دعم المسئولين فى الحكومة العربية دون أن يعلن عن ذلك رسمياً(٤) . ووجدت أدلة على أن اللجنة الوطنية العليا كانت

---

(١) العاصمة عدد (٨٤) ١٥ ديسمبر (كانون أول) ١٩١٩ .

(٢) المصدر نفسه ، عدد (٨٧) ٢٥ ديسمبر (كانون أول) ١٩١٩ .

(٣) كانت وزارة الخارجية والدفاع البريطانيتان قد أصدرتا تعليماتهما منذ أغسطس (آب) ١٩١٩ بوقف التجهيزات الأخرى للقوات العربية إلا ما كان ضرورياً منها لحفظ الأمن والنظام إلى أن يقرر مؤتمر السلم مستقبل سوريا .

انظر : Documents, p. 257.

(٤) وجدت بين مجموعة أوراق عونى عبد الهادى ورقة بخط فيصل كتبها وهو لا يزال فى فندق كارلتون بلندن وبعث بنسخة منها إلى المسئولين فى سورية . . « أورفه ومرعش وتلك النواحى ستجليها الجيش البريطانى . شكلوا بها حكومات عربية أو وطنية . . حسين باشا الكردى رئيس أورفه قووه بقدر ما تمكنوا . . قووا البقاع وبعلبك . . انتظروا إفادتى . . فيصل » .

تساند أعمال العصابات الوطنية[١] . كما أن (الفتاة) كانت تعمل على إيجاد تشكيلات وطنية فى مناطق الحدود تتبع عملياً الجيش العربى[٢] ؛ واتهمت التقارير الفرنسية حزب الاستقلال باستخدام كل الوسائل لإفساد العلاقة بين فرنسا وسوريا بمهاجمة القوات الفرنسية من قبل عصابات منظمة تدعمها الفرق النظامية ، ونشر الدعوة من أجل الثورة المنظمة فى صحف دمشق . وقد نقلت عن ضابط كبير فى الجيش العربى قوله : « بما أننا لانستطيع أن نعلن الحرب رسمياً ضد فرنسا فلنغمر البلاد بعصابات ستبيدهم عن بكرة أبيهم . . . »[٣].

وقد اشتدت أعمال العصابات منذ أواخر ديسمبر (كانون أول) وحتى ميسلون ، ففى ديسمبر (كانون أول) هوجمت الحامية الفرنسية فى تلكلخ ، وظهر البقاع كمركز لاشتباكات متعددة برغم الاتفاق المؤقت ، إذ أرسل الفرنسيون فى ١٩ ديسمبر (كانون أول) ضابط ارتباط فرنسياً إلى بعلبك فأرغم على العودة ، ولكن الفرنسيين عادوا فاحتلوا بعلبك فى حين احتلت قوات فرنسية أخرى المعلقة ورياق ، وأثار هذا الحادث موجة احتجاج من حزب الاستقلال واللجنة الوطنية العليا واحتج فيصل نفسه لدى كلمنصو لأن ذلك مخالف للاتفاقية المعقودة بينهما ولكن الاحتلال استمر . وفى محاولة من الفرنسيين للتقدم نحو القنيطرة حدث اشتباك مع القوات العربية غير النظامية ، كما حدث اشتباك مماثل فى مرجعيون ومنطقة اللاذقية[٤] . بحيث كانت أعمال العصابات تمتد على طول خط الحدود مع المنطقة الغربية حين عودة فيصل إلى سوريا فى مطلع عام ١٩٢٠ .

واستخدم رجال الحركة الوطنية تكتيكاً آخر لمقاومة الفرنسيين إلى جانب تشجيع أعمال العصابات على الحدود الغربية هو تأييد الترك فى الشمال ، الذين

---

(١) بين مجموعة أوراق محب الخطيب أدلة على تشجيع اللجنة الوطنية لأعمال الوطنيين على الحدود وساهمتها فى تدريب المتطوعين وإرسالهم إلى هناك .

(٢) مقابلة مع الشريقى نوفبر (تشرين ثان) ١٩٦٨ . . وهو يرى أن هذه الأعمال هى التى ساهمت بدعم موقف فيصل فى أثناء المفاوضات .

(٣) Haut Commissariat de la Republique Française, op. cit., p. 43.

(٤) وقد ذكر اللواء عطفة فى مقابلة شخصية فى نوفبر (تشرين ثان) ١٩٦٨ وكان من ضباط الجيش العربى فى تلك المنطقة بأنه قد تم إلباس عدد من الجنود النظاميين على شكل ثوار لمهاجمة الفرنسيين حتى يظهر الجيش النظامى بأنه حيادى . . إلا أن الفرنسيين كانوا يعرفون ذلك من جواسيسهم .

كانوا يقاومون بزعامة مصطفى كمال خطط الحلفاء لتقسيم آسيا الصغرى . وكانت الحركة القومية قد ازدادت قوة بعد انسحاب القوات البريطانية من بعض المناطق ، وتحرج موقف فرنسا العسكرى فى كليكيا فى أواخر ١٩١٩ أمام قوة الحركة التى كانت تعمل فى جو عاطفة دينية بدأت دعايتها تنفذ إلى داخل سورية (١) .

وقد وجد كثيرون من رجال الحركة العربية — إلى جانب بقايا الشعور التقليدى الموالى لتركيا — أن الدعم التركى هو أحسن وسيلة لمقاومة الضغط الأوربى (٢) وخاصة بعد أن تحول الشعور بخيبة الأمل إلى عداء وكره للأوربيين . . وظهرت دعوة إلى جهاد مقدس فى الصحف اليومية وتسربت بيانات مصطفى كمال إلى حلب ودمشق (٣) .

واعتبر الفرنسيون هذه العلاقة فشلاً للسياسة البريطانية فى تفريق المسلمين . . والعودة من جديد إلى فكرة الجامعة الإسلامية التى تهدد كل المستعمرات الأوربية ، حتى لقد اعتبرها البريطانيون تهديداً لمركز العائلة الهاشمية نفسها (٤) .

وقد قامت العلاقات بسرية تامة بحيث كان من الصعب على الحلفاء إيجاد دليل على وجودها (٥) ، وحاول كثيرون إقناع زيد بالاتفاق مع مصطفى كمال لتوحيد قضيتيهما والتوصل إلى خطة مشتركة ضد أوربة .

وربما كان لصلات ياسين الهاشمى بالترك سبب فى إلقاء القبض عليه ، إلا أن ذلك لم ينه التعاون بين الطرفين . وخاصة بعد عودة الضباط العرب من الأسر فى أواخر ١٩١٩ . الذين كانوا موضع شبهة بالنسبة للسلطات البريطانية والفرنسية نظراً لارتباطهم بتركيا حتى إن تقريراً بريطانياً يذكر بأنه « لو استمر

(١) Longrigg, p. 93

(٢) من مجموعة أوراق محب الخطيب : نداء موجه إلى أبناء سورية باسم الحزب الوطنى العربى فى أعلاه صورة العلمين التركى والعربى متعانقين .

(٣) Documents, p. 478.

برقية من الكولونيل مينرتزهاجن إلى كرزن فى ١٨ أكتوبر (تشرين أول) أنه قد وجد فى حلب منشورات تركية تدعو إلى الجهاد المقدس بين إخوانهم العرب ضد عدو مشترك وإنقاذ البلاد والإسلام من أيدي أعدائهم .

(٤) Documents, pp 568 — 69.

(٥) Contaut — Biron, p. 195.

إطلاق سراح الأسرى فإن مصطفى كمال لن يعانى نقصاً فى عدد الضباط » .

ويذكر سعيد حيدر ، أحد مؤسسي الفتاة ، أن وفداً مؤلفاً منه ومن ضابط سورى آخر كان فى طريقه إلى تركيا حين وصل فيصل إلى بيروت فى منتصف يناير (كانون ثان) ، وحاول منعه من الاتصال بمصطفى كمال وأصر هو على الذهاب بناء على أوامر حكومية سابقة ، إلا أنه لم ينجح فى مهمته[1].

وشغلت الحدود الشمالية الشرقية (فى منطقة الفرات الأعلى) بحركات مسلحة قامت بها عصابات وطنية أوحى بها أو قادها ضباط عراقيون من العهد أو من قبل رجال قبائل الحدود .

فقد وجهت الحركة الوطنية بعد الشعور بخيبة الأمل من خطط الحلفاء ضد أى شكل من أشكال التسلط الأجنبي . . الفرنسى والبريطانى على السواء .

وقد ورد تقرير إلى السلطات البريطانية فى العراق فى أواسط ديسمبر (كانون أول) ، أن مغامراً من حلب اسمه رمضان شلاش — كان قد عين حاكماً على منطقة الفرات قد هاجم مع القبائل المجاورة المراكز البريطانية فى دير الزور وأخذ أفراد الحامية البريطانية فيها رهائن [2] . .

وقد انتهى يوم عيد الميلاد باتفاق بين السلطات البريطانية وممثلى جعفر العسكرى حاكم حلب أخليت بموجبه دير الزور نهائياً من القوات البريطانية .

وقد وصل خبر الحادثة إلى حلب ودمشق « وكان لها دوى عظيم فى المحافل السياسية » وأخذت الصحف العربية تبالغ فى أمر رمضان شلاش فى الوقت الذى كان قد بدأ فيه تأليف العصابات ضد السلطة الفرنسية[3] .

وأنكر فيصل — الذى كان فى باريس — كل صلة بالحادث وأعطى أوامره

---

(١) Zeine, pp. 147 — 48.
يروى المؤلف أن سعيد حيدر قد أخبره شخصياً بذلك وأنه قد تمت مقابلة مع ممثل مصطفى كمال فى أستانبول حيث وضع اتفاق ودى كان أساساً للتعاون بين العرب والترك للدفاع عن مصالحهم المشتركة ضد الغرب . ولما عاد فى (نيسان) أبريل كان الوضع قد تغير . ورفض فيصل الدخول فى مفاوضات مع تركيا . ولما غير رأيه فى يوليو (تموز) ١٩٢٠ كان الأمر قد خرج من يده .

(٢) Young, p. 299.

(٣) العمرى جزء (٣) ص ٤٦ — ٤٧ .

بقمع الحركة ، « لأنها موجهة ضد حليفتنا بريطانيا . . ومخالفة للاتفاق المؤقت بين الحلفاء والمعمول به منذ السنة الماضية . . وهو بدون علم الحكومة العربية وموظفيها »[١] .

وأذاعت السلطات البريطانية فى بغداد بتاريخ ٢٠ ديسمبر (كانون أول) برقية فيصل كما ألقت الطائرات البريطانية عدة نسخ منها على دير الزور . وبرغم اقتناع الحكومة البريطانية بأن فيصلا ليس له يد مباشرة فى إثارة هذه الحوادث بل إنها من عمل المسئولين فى حلب ودمشق ، إلا أن السلطات البريطانية فى العراق قد اشتبهت بأن يكون فيصل قد شجع القوميين العرب عليها لدعم موقفه فى مفاوضاته السياسية[٢] .

وحتى يزيل فيصل هذه الشبهات قام بإصدار أوامره بعد عودته من أوربا باستدعاء رمضان شلاش وتعيين مولود مخلص حاكماً عسكرياً فى المنطقة[٣] .

ومع ذلك فقد ظلت المنطقة مركز دعاية وهجمات على منطقة الموصل المجاورة ونذيراً لأحداث العراق التالية . .

هذا هو الوضع العام الذى كان يسود سوريا حين عودة فيصل إليها فى منتصف يناير (كانون ثان) ١٩٢٠ . . مواجهة بين الأمانى الوطنية والمخططات الأجنبية .

ولم تكن إعادة توزيع القوات البريطانية إجراء عسكرياً مؤقتاً بل حكماً على مصير سوريا كلها وتهيئة لتقسيم البلاد إلى مناطق انتداب فرنسية بريطانية .

وبرغم أن الحكومة العربية كانت قد بدأت تتحرر من التبعية الاسمية إلى القيادة البريطانية إلا أن وضعها السياسى لم يحدد بعد ، كما أثبتت مهمة المفاوضين

---

(١) العاصمة عدد (٨٧) ٢٥ ديسمبر (كانون أول) ١٩١٩ .

(٢) Young, p. 300.

(٣) من أوراق عونى عبد الهادى : رسالة من اللنبى إلى فيصل فى ١٨ فبراير (شباط) ١٩٢٠ يشكره فيها على رسالته المؤرخة فى ١٩ يناير (كانون ثان) التى يعلن فيها بالخطوات التى اتخذها لاستدعاء رمضان شلاش من دير الزور . ويأمل أن يعود السلام من جديد إلى المنطقة بعد أن أخذ فيصل الأمر بيده .

العرب فى أوربا فشلها ، ولم يحصل فيصل إلا على مقابلات غير حاسمة فى لندن وتهديدات فى باريس . ومما كان يزيد فى صعوبة المهمة ضرورات الوضع الدولى التى تجبر المفاوضين على اتخاذ مواقف التوفيق بعد تجربتهم المباشرة بساسة الدول ، فى حين كانت شدة المعارضة الداخلية تجذبهم نحو دمشق ورفض قبول أى تسوية .

الفصل الرابع
الدورة الثانية للمؤتمر السوري العام
مارس (آذار) ١٩٢٠- يوليو (تموز) ١٩٢٠

اعلان الاستقلال فى سوريا وحتى نهاية عهد الحكومة العربية فى دمشق

١ – التطورات الداخلية :

(أ) مقدمات إعلان الاستقلال :

بدأ عام ١٩٢٠ سياسياً بعودة فيصل إلى سوريا على ظهر سفينة حربية فرنسية ليجد نفسه على اتصال بالرأى العام من جديد .

وقد واجه بعد عودته مهمة مزدوجة : الأولى توطيد الإدارة الداخلية حتى يعود إلى أوربا بتفويض قومى، والثانية العمل على تهيئة أذهان من حوله من الزعماء الذين عهدوا له بالحصول على الاستقلال التام لإقرار ما صار الاتفاق عليه بينه وبين كلمنصو ، وقبول المساعدة الفرنسية التى كان يراها محتمة ، وبينما نجح فى الشق الأول من مهمته واجه مصاعب كثيرة فى الشق الثانى .

عمد إلى إجراء بعض التعديلات الإدارية لتوسيع مهمة الحكومة المركزية وإعطائها مظهر الاستقلال ، ففى المرسوم الذى نشر فى ٢٦ يناير (كانون ثان) ١٩٢٠ عهد إلى أخيه زيد بتشكيل الحكومة بوصفه وكيلا لرئيس مجلس المديرين وأصبح هو نفسه رئيساً للحكومة وعلى رضا الركابى مديراً للحربية[1]. وألغيت وظائف

---

(١) كان فيصل قد استدعى الركابى بعد عودته وأزال ما بينه وبين زيد من فتور ، أما بقية أعضاء الحكومة فهم على جودت (مدير الأمن العام) ، أمين التميمى (معاون رئاسة مجلس المديرين) يوسف العظمة (رئيس أركان حرب الشورى) ، رشيد طليع (داخلية) إسكندر عمون (عدلية) ساطع الحصرى (معارف) أحمد حلمى (مالية) .

العاصمة عدد ٩٦ فى ٢٦ يناير (كانون ثان) ١٩١٩ .

الحكام العسكريين — التي تذكر بسلطة اللنبي — عدا حاكمي حلب ودير الزور [١].

كما أحدث بعض التنسيق فى الدوائر الرسمية فألحق بعضها إلى إحدى المديريات العامة التي هي أكثر تعلقاً بها ، كما ألحق البعض الآخر برياسة المديرين رأساً وأصبح ارتباط الدوائر كما يأتى :

رياسة المديرين : الشرعية ، حاكم حلب العسكرى ، حاكم دير الزور ، شعبة السياسة والمطبوعات ، جريدة العاصمة ، الأوقاف .

الداخلية : الأمن العام ، الصحة ، مفتشو الملكية ، النفوس والإحصاء بلدية العاصمة .

المالية : الطابو ، الزراعة ، الجمرك ، المصرف الزراعى ، البريد والبرق .

المعارف : المجمع العلمى ، دار الصناعة فى دمشق .

وجاهد فى فرض نوع من النظام بعد أن امتدت الأعمال الحربية المنقطعة بين الوحدات الفرنسية والقوات العربية غير النظامية من كليكيا إلى حدود فلسطين خلال غيابه ، فحاول التدخل مع زعماء العصابات فى الجنوب والغرب لتهدئة البلاد والحيلولة دون مهاجمة الفرنسيين كما تعهد لغورو فى رسائله المتكررة [٢]. وفى زيارته لحلب فى ٢٨ يناير (كانون ثان) عمد إلى إيقاف العصابات الذاهبة للاشتراك بمهاجمة الفرنسيين . وحاول بذلك أن يحتفظ مع السلطات الفرنسية فى المنطقة الغربية بعلاقات لا تخلو من الود، وتبادل معها وجهات النظر من أجل سحب القوات الفرنسية سحباً جزئياً من البقاع الذى كان مسرحاً لاصطدامات عنيفة [٣].

واتخذ فيصل فى دمشق أسلوباً مغايراً وذلك لتأكيد سلطته فوق الأحزاب

---

(١) العاصمة عدد ١٠٣ ، ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٢٠ .

(٢) مجموعة أوراق عونى عبد الهادى رسالة من فيصل إلى غورو فى ١/٢٧ يعبر عن حسن نواياه لتطبيق اتفاقيته مع كلمنصو ويتعهد بتسكين الاضطرابات «لتصبح المنطقة الشرقية بأسرها تحت ظلال السكينة» .

(٣) Haut Comissariat de la Republique Française, op. cit., p. 43.

السياسية وخاصة اللجنة الوطنية التى كانت تمثل الجبهة المتطرفة والتى أصبحت ذات قوة كبرى أو القوة الوحيدة المنظمة التى يحسب حسابها فى غياب فيصل[١]. فكان عليه أن يخفى أمام الرأى العام نتائج محادثاته مع الحكومة الفرنسية واكتفى بإشارة مقتضبة لها.

وقد تجلى جهده الأكبر فى خطابه أمام جمع كبير من الزعماء والوجهاء فى النادى العربى فى ٢٢ يناير (كانون ثان) ١٩٢٠ حاول فيه أن يدافع عن سياسته بلباقة . . . « إنى أناضل من أجل الاستقلال الذى ترغبون .. ولكن الواجب يقضى بعدم التشدد فى العداء ، لأن بينكم وبين هذه الدول روابط لا يمكن أن تتجردوا منها » ، وأراد أن يرد على منتقديه ، فقال : « فالحكومة قائمة برأيى والأوفق أن ينصرف كل إلى عمله » وعتب على الشعب اكتفاءه بالأقوال كما هدد المتشككين بأنه فى المواقف التى يعالجها يستلهم ضميره وخوفه من التاريخ [٢].

ولكن برغم كتمه اتفاقه مع كلمنصو عن الرأى العام كان يتحدث به سراً إلى بعض خواصه ويحاول إقناعهم . فعقد اجتماعاً سريا مع الهيئة العامة فى ٦ فبراير (شباط) ليعرض المشروع ويدافع عنه، لأنه غاية ما أمكن ويمكن الحصول عليه ، وأن رفضه سيثير الحرب على فرنسا ومقاومتها بالقوة متعذرة ، وطلب منهم التذرع بالصبر والواقعية والوقت محاولا أن يقنعهم بأنه فى يوم ما وبطريقة ما ستنفذ الوعود التى قدمت لهم وستحترم حقوقهم الشرعية[٣] ورد أعضاء الفتاة بأنه خير للبلاد أن ترد عدوان فرنسا حتى وإنكلترة بالقوة بقدر المستطاع من أن تخضع لشروط الاتفاق[٤].

وكان هذا هو الخلاف الثانى الذى يقع بين الفتاة وفيصل بعد الخلاف الأول الذى ظهر عند قدوم لجنة كنج كرين . وفشلت محاولة فيصل من جديد

(١) كانت اللجنة الوطنية قد نظمت مظاهرة سلمية فى دمشق فى ١٧ يناير (كانون ثان) بمناسبة وصول فيصل . . وخطب الشيخ كامل القصاب فى المتظاهرين : « إنى واثق أنك لن ترضى وحاشاك أن ترضى أن تكون أميراً على بلاد يظلك فيها علم أجنبى » .

جريدة الدفاع عدد ١٨ فى ١٨ يناير (كانون ثان) ١٩٢٠ .

(٢) من أوراق محب الخطيب (وكان مدير جريدة العاصمة) .

(٣) Jeffries, p. 319.

(٤) قدرى ، ص ١٦١ . .

بإحلال هيئة مركزية جديدة للفتاة عاد إليها الركابى وأنصاره ؛ فقد رفضت الاتفاقية من جديد [١].

ولاشك أن البعض قد رأى فى وجهة نظر فيصل ما يبررها وأن الحالة حرجة ولم يبق باب رجاء إيجابى إلا بالموافقة، وخاصة بعد تخلى بريطانيا، وأن التفاهم مع فرنسا هو خير وسيلة لضمان الاستقلال، وأن نصوص الاتفاقية ليست شديدة على أمة ضعيفة إلا أن هذه الأصوات كانت خافتة ولم ترتفع إلا بعد انهيار العهد[٢]. فالاتفاق لم يكن مقبولا لدى السواد الأعظم فى الأوساط الوطنية ، إذ رأوا فيه هزيمة للآمال القومية . ولم يستطع فيصل أن يقنعهم بأن ترتيباته مع كلمنصو كانت شيئاً آخر غير الحط من وحدة واستقلال البلد . وكان لاجدوى لفيصل أن يقنع مستشاريه المتحمسين بأن الحق إلى جانبه إلا أن القوة بجانب الفرنسيين ، فاضطر الأمير إلى عدم مفاتحة الشعب بهذا المشروع الذى ولد ميتاً .

ولما شعر فيصل بقوة المعارضة ولم يستطع أن يقنع حزبه الخاص لمساندة سياسته الخارجية حاول أن يؤلف حزباً من المحافظين ، فاتصل ببعض الأعيان والوجهاء. وطلب منهم وضع برنامج لتشكيل حزب ، فظهر الحزب الوطنى فى ٢٥ يناير (كانون ثان) ١٩٢٠ الذى كان يحصر مجال نشاطه فى المبدأ والعمل بحدود سوريا الطبيعية ، ويطالب باستقلالها السياسى الكامل والدفاع عنه بكل الوسائل الممكنة، كما يؤيد الملكية برياسة فيصل (وهذا دليل على أن هدفه الأول كان دعم فيصل) . وكان الحزب فى تنظيمه وبرامجه أقرب إلى حزب سياسى حديث ؛ فقد كان له

---

(١) دروزه ، المصدر السابق ص ١١١ .

(٢) يذكر عبد الرحمن الشهبندر فى مقال عن فيصل فى المقتطف جزء ٣ مجلد ٨٣ (١٩٣٣) ص ٢٦٢ « أن فيصلا ظل راضياً عن هذا الاتفاق وقد ذكره به فى بغداد ١٩٢٦ بشىء من الأسف الصريح . . وزاد أسفه للحالة المنكرة التى وصلت إليها سوريا » .

كما يذكر أسعد داغر فى كتابه « مذكراتى على هامش الثورة العربية » أن نورى السعيد ذكره بالمشروع ١٩٣٠ قائلا: « ألا ترى أن قبول المشروع كان خيراً لسوريا من حالتها الحاضرة . . وكثيرون موقنون بأن الاتفاق مع فرنسا صعب وتنفيذه أصعب ودوامه مستحيل» .

ويدافع عونى عبد الهادى وهو من جملة من اشترك فى صياغة المشروع . أنه كان أحسن ما يمكن الوصول له . « إذ أن السياسى الماهر يجب أن يفرق بين الممكن وغير الممكن » وخاصة بعد أن احتك مباشرة بآراء ساسة فرنسا وبريطانيا .

سياسة اجتماعية واقتصادية إلى جانب السياسية، ونص نظامه على تأسيس صناديق التعاون الاقتصادى، وتنشيط النقابات التجارية وجمعيات العمال، والسعى لتقوية الفكرة العلمية فى الأمة العربية لتنهض إلى مستوى الأمم الراقية؛ مع العمل على تقوية الروابط الاقتصادية والثقافية مع البلاد العربية.

وكان للحزب هيئتان إدارية واستشارية، إحداهما تمثل العناصر الشابة والثانية العناصر الكبيرة وذلك لتجنب أمثال ما كان يحدث من انقسام بين هذه العناصر فى الفتاة والاستقلال [١]. . . وقد عرف الحزب بحزب الذوات الأرستقراطيين الذين يعملون على المحافظة على سلطتهم ومصالحهم الخاصة ومراكزهم المهددة. واندمج فى هذه الحركة بعض أعضاء الفتاة المؤسسين ممن ينتسب إلى تلك الطبقة [٢]. وقد أظهر الحزب تأييده التام لفيصل بغية التقرب منه، وظن فيصل أن الحزب الجديد سيكون عاملا لتوازن القوى حتى لا تبقى الأحزاب المتطرفة وحدها فى ميدان العمل الوطنى.

ومع ذلك فقد ظل سلطان الحزب الأول عليه أقوى، ولم يستطع أن يؤثر فى اتجاه الرأى العام، وخرج الموقف من يده وأصبح من المشكوك فيه إمكانه السيطرة على الأحداث، بل نظر كثيرون إلى سياسته المعتدلة بشك وعدم ثقة. وصورت رسالته إلى اللنبى فى ١٩١٩/٢/١١ حراجة موقفه بعد عودته إلى سوريا، وأنه أصبح عرضة لاتهامات علنية ومهاترات، خاصة بعد أن نشرت الصحف المحلية برقية والده التى تستنكر أى عمل لا يتفق مع وحدة واستقلال البلاد العربية [٣]؛ كما أصبح بعض المسئولين من أعوانه موضع شبهة أمام الرأى العام [٤].

---

(١) سعيد: الثورة العربية الكبرى جزء ٢ ص ٤٢.

(٢) يذكر دروزة ص ٨٦ أن تأليفه كان سبباً لإثارة النعرات الإقليمية والعصبية المحلية، واتهم أعضاؤه بمماشاة كل سلطة.

(٣) من مجموعة أوراق عونى عبد الهادى رسالة فيصل إلى اللنبى فى ١٩٢٠/٢/١١.

(٤) يذكر داغر ص ١١٢ «أن بعض المسئولين الذين وعدوا كلمنصو بحمل الأمة على قبول مشروع الاتفاق أضحوا موضع شك، فاتهم نورى السعيد بالخيانة، وأصبح الناس يهتفون ضده فى الشوارع.

وقد وجد بين مجموعة أوراق محب الدين الخطيب منشور سرى موجه ضد الركابى. باسم الصرخة الثالثة ومطلعه. «حان الوقت الذى تطلب فيه الأمة إسناد المناصب لأربابها وتنحية من كان السبب فى ذهاب البقاع ورياق ومقاومته لفكرة الوطنية والدفاع الوطنى.

ولما وجد أنه لايستطيع إقناع أعوانه قبول سياسة التسوية التى أعلنها دون المخاطرة بزعامته وشعبيته ، وخشى أن تؤثر الشائعات باسمه وخاصة أن المتطرفين والوفود العديدة التى كانت تؤمه من المناطق البعيدة كانت تضغط عليه وتطالبه بما وعد به من« أن الاستقلال يؤخذ ولايعطى . . » وأن يتخذ اتجاهاً حازماً مع الحلفاء ، قرر أن يسير فى الخط الموافق لاتجاه المعارضة برغم إدراكه صعوبة الموقف لأنه كان يعلم أنه لايستطيع أن يحكم دون الاعتماد على القوى القومية العربية فسعى إلى كسب الأحزاب المتطرفة التى كانت تتمسك بالاستقلال وتفرض إرادتها وإزالة الانطباع السيء الذى نشأ عن مفاوضاته الخارجية ، ليعود من جديد بطل السياسة القومية ويستعيد مكانته الأولى[١] .

فاتفق مع الحكومة على تقوية وسائل الدفاع بالتشديد على نظام التجنيد الإجبارى[٢] كما لم يأل جهداً فى إظهار عداوته للفرنسيين : فزادت أعمال العصابات العاملة على حدود المنطقة الغربية فى جبل الزاوية وأدلب وكفر تخاريم وأنطاكية والبقاع .

ورغم أنه أنكر فى رسائله مع غورو مسئولية الحكومة فى ذلك ، فقد سكت عن أعمال اللجنة الوطنية فى تحريضاتها ضد الفرنسيين وإرسال الأسلحة والعتاد إلى المنطقة الغربية كما استقبل زعماء العصابات الوطنية واحتفى بهم[٣] .

ولعله كان يريد باتباع هذا الاتجاه الجرىء أن يسيطر على الموقف حتى لايفلت من يده ، وفى الوقت نفسه يحصل على أحسن الشروط من الفرنسيين .

وتحت ضغط المتطرفين كتب رسالة إلى اللنبى فى ١٩٢٠/٢/١١ يطلب فيها تصريحاً بريطانياً حول السياسة المتعلقة بفلسطين والعراق . حتى يعطى أملا للشعب . . ويحمى شرفه وشرف عائلته . ورغم أنه يعرف بأن مصير البلد قد ترك إلى المؤتمر . . إلا أنه من الضرورى معرفة رأى بريطانيا قبل ذهابه إلى

---

(١) David, p. 98.

(٢) العاصمة عدد ٩٩ فى ٥ فبراير (شباط) ١٩٢٠ .

(٣) الدفاع عدد ٣٥ فى ١٦ فبراير (شباط) ١٩٢٠ .

أوربا وحضور المؤتمر حتى لا تحدث مصاعب كبيرة فى المستقبل[١] .

وكان الجواب برقية بأن الحلفاء لم ينسوا سوريا ، وطلباً آخر يستدعيه بالذهاب إلى لندن لعرض قضيته ثانية حيث سيعقد المجلس الأعلى للحلفاء فى لندن فى ٢١ فبراير (شباط) ١٩٢٠ أول مرة[٢] .

ورغم أن فيصلا كان يفضل أن يفاوض لفترة أطول، وأن يعود إلى أوربا ليعرض المسألة من جديد على بساط البحث، إلا أنه لم يستطع أن يقنع المحيطين به، وخاصة أن عودته من عند غورو قد أقنعته بعدم إمكانية التفاهم مع الفرنسيين[٣].

ولم يعد ممكناً أن يطلب من الرأى العام الانتظار فترة أطول لقرار مؤتمر السلم ، وأصبح من الصعوبة بمكان ضبط الشعور القومى القوى . . بعد أن نشطت دعاية عنيفة ضد الحلفاء . . وأخبار متضاربة عن المصير الذى سيمنح للبلاد . . وبأن مفاوضات المعاهدة مع تركيا يؤخرها ساسة الغرب عمداً . ولم يكن قد ظهر أى دليل على أن قرارات مؤتمر السلم الذى سيبت بأمر الصلح مع تركيا سيعنى بأمر سوريا ويعترف بمطلبها فى الاستقلال والوحدة . . كان فيصل يخشى بالذات أن يذهب إلى المؤتمر ويعود وتبقى مناطق النفوذ كما هى وقد تكون العاقبة وخيمة على البلد وعلى مركزه الشخصى بالذات »[٤]، فوافق على اقتراح أقرب المستشارين والأصدقاء عليه بضرورة وضع الحلفاء أمام الأمر الواقع بإعلان استقلال سوريا المتحدة بجميع مناطقها .

وأشيع فى أوائل مارس (آذار) أن الأمير قد عدل عن السفر وسيدعو المؤتمر السورى إلى الاجتماع لينادى بالاستقلال والملكية .

---

(١) من مجموعة أوراق عونى عبد الهادى : رسالة بالإنجليزية من فيصل إلى اللنبى . فى ١٩٢٠/٢/١١

(٢) Tibawi, op. cit., p. 103.

(٣) Kedourie, p. 172.

كان فيصل قد عرض على غورو فى فبراير (شباط) تهدئة البلد بشرط أن يقبل مندوبين رسميين فى حكومة لبنان فرفض طلبه .

(٤) من مقابلة صحفية أجراها الصحفى الإنجليزى Jeffries مع فيصل فى دمشق بعد إعلان الملكية . . وكان قد قدم من مصر حيث كان يتابع أعمال لجنة ملنر

انظر : Jeffries, p. 321.

(ب) إعلان الاستقلال ومبايعة فيصل بالملكية :

كان أعضاء المؤتمر السورى قد تفرقوا بعد تأجيل جلسات المؤتمر فى ديسمبر (كانون أول) وتقرر الآن جمعه من جديد « ليوقفه الأمير على ما يعلم من كنه الحالة ويترك له حق تقرير المصير »[١].

وكان لحزب الاستقلال العربى أو (الفتاة) مساعيه الكبرى ، وقد رأى أن لاحاجة إلى انتخاب جديد ، كما اقترح بعضهم — نظراً لثقة الشعب بالمؤتمر السابق . وكان الرأى أن يتم الاجتماع بسرعة قبل أن يتقرر مصير سورية ، واستدعى الأمير زيد بصفته نائباً لرئيس مجلس المديرين، أعضاء المؤتمر بعد إعلامهم بهدف الاجتماع فتقرر بذلك الخطوة التى يجب أن تتخذ سلفاً[٢].

وعقدت اجتماعات تمهيدية لبحث مقدمات إعلان الاستقلال وعمل المؤتمر وتأليف الحكومة . وكان أكثر هذه الاجتماعات أهمية هو اجتماع المؤتمر الفلسطينى فى دمشق فى ٢٧ فبراير (شباط) ١٩٢٠ اشترك به مندوبون عن الأحزاب السياسية والوجهاء ورجال الدين للمناقشة وإقرار الوضع حول فلسطين ، وأعلنوا أن سوريا الجنوبية (فلسطين) هى جزء من سوريا . . وعارضوا الصهيونية لخطرها على كيان البلاد السياسى والاقتصادى والقومى مع عدم الاعتراف بأى حكومة وطنية فى فلسطين قبل أن تعترف الحكومة المحلية بمطالب شعب فلسطين التى قدمت إلى اللجنة الأمريكية[٣].

ولما اجتمع ما يقارب من ثلثى الأعضاء عقدت جلسة الافتتاح فى النادى العربى بدمشق فى ٦ مارس (آذار) ١٩٢٠ وحضرها فيصل وأركان حكومته وألقى خطاب الافتتاح الذى كان بيانا تفصيلياً للقضية العربية ، وحق العرب بالاستقلال لما قدموه من تضحيات ، مع التأكيد على وعود الحلفاء وخاصة مبادئ ويلسون ، وطلب من أعضاء المؤتمر تقرير شكل الدولة ووضع الدستور كما دعاهم إلى ضرورة التضامن مع العراق .

---

(١) المنار جزء ١ مجلد ٢١ فى ١٧ يونيو (حزيران) ١٩٢٠ ص ٤٣٥ .

(٢) David, p. 90.

(٣) رزوق ، ص ٤٢٩ .

وهيأت لجنة من تسعة أعضاء مشروع الرد على خطاب الأمير فيصل[١] وألقى كامل القصاب باسم مجموع الأمة السورية بياناً تحت عنوان (الأمة تملى إرادتها على المؤتمر) طالب بأن يعنى المؤتمر بإعلان نظام حكم نيابى ديمقراطى دستورى لا مركزى على كل سورية . . لأن استقلال سوريا هو حجر الزاوية لاستقلال البلاد العربية ؛ وأشار القصاب إلى خطر لم يجرؤ فيصل على ذكره . . « إن الأمة تعد بواسل أبنائها ليكونوا سياجاً لهذا الوطن كما أعدت رجال مؤتمرها الكريم ليكونوا حراس الاستقلال . . فنريد منهم أن يقوموا بوظائفهم كالجنود البواسل لأنهم عارفون أن لاوطن إلا بجند ولا استقلال إلا بأمة عاملة بإرادتها »[٢].

ودام اجتماع المؤتمر السورى فى ٧ مارس (آذار) والذى أداره هاشم الأتاسى إلى صباح اليوم التالى حيث اتخذ الأعضاء قراراً بالإجماع يلخص كل الآراء التى حملتها الأحزاب الوطنية منذ أشهر فى صالح استقلال سوريا المطلق وضمن حدودها الطبيعية بالاستناد إلى حق الشعب ونضاله من أجل التحرر السياسى ووعود الحلفاء ومبادئ ويلسون . وقد نص القرار على استقلال سوريا الطبيعية بما فيها — فلسطين — مع رفض الادعاء الصهيونى بالوطن القومى ، وتطبيق مبدأ اللا مركزية الإدارية مع إعطاء ضمانات لنظام خاص فى لبنان ، وإنشاء حكومة مسئولة أمام المؤتمر الذى هو مجلس نيابى وتأسيسى فى الوقت نفسه ، وإعلان حق العراق بالاستقلال مع إيجاد اتحاد سياسى واقتصادى بينهما نظراً للروابط بين البلدين ، وتقرر بالإجماع تقديم العرش للأمير فيصل على أن تعلن البيعة يوم ٨ مارس (آذار) فى دار البلدية[٣].

ووقع القرار من جميع الأعضاء وقدم إلى فيصل من قبل وفد خاص وتلى من على شرفة البلدية على الشعب ، ثم جرت حفلة المبايعة الرسمية فى دار البلدية

---

(١) العاصمة عدد ١٠٨ فى ١١ مارس (آذار) ١٩٢٠ .

(٢) أوراق محب الخطيب .

(٣) الحصرى ٢٧٨ — ٢٨١ .

وسط حماس كبير [١] .

وقد قرر ممثلو العراق فى دمشق الذين اجتمعوا فى المؤتمر العراقى أن يجابهوا العالم كذلك بالأمر الواقع فأعلنوا استقلال العراق واتحاده مع سوريا سياسياً واقتصادياً ومبايعة عبد الله بالملكية [٢] .

وقد اعتبر البعض أن إعلان الاستقلال تسرع لا مبرر له ، وأنه لما كانت العراق وفلسطين فى يد الاحتلال البريطانى ، والمناطق الساحلية الفرنسية فى يد فرنسة لم تكن قرارات دمشق لتؤدى إلى أى نتيجة عملية مباشرة . . [٣] وانتقد البعض إعلان استقلال سورية الطبيعية وحدها والتخلى عن فكرة سياسة الدولة العربية الكبرى التى كانت الهدف الرئيسى للثورة العربية . وانتقد عبد الله بصراحة إعلان ملكية فيصل ، وأنه عمل ضد نصيحة والده الذى أراد تأخير ذلك حتى يتم توقيع معاهدة السلم مع تركية وتتخلى تلك عن كل حقوقها فى البلاد العربية [٤] ، بل لقد اعتبر أن إعلان استقلال سورية واستقلال العراق هى من أخطاء العرب بعد الحرب لأنها حطمت الوحدة وأدت إلى إيجاد الانتداب فى البلدين .

ولكن الواقع أن هذا القرار كان تعبيراً عن الإرادة الشعبية بعد سنة ونصف من الانتظار تحت الاحتلال الأجنبي والإدارات العسكرية .

---

(١) فى العاصمة العدد ١٠٨ فى ١١ مارس (آذار) ١٩٢٠ وصف للاحتفال بإعلان الاستقلال .
ويذكر عزة دروزه فى مقابلة شخصية عن المشاعر التى كانت تنتاب الجماهير عند إعلان قرار الاستقلال الذى تلاه بوصفه كاتباً فى المؤتمر على أصوات طلقات المدافع فى أثناء رفع العلم السورى وهو علم الثورة مع نجمة بيضاء فى المثلث الأحمر .
وبين مجموعة أوراق محب الدين الخطيب صور البرقيات التى كانت تنهال على جريدة العاصمة من كل مكان عن الاحتفالات بعيد الاستقلال .

(٢) القبلة عدد ٣٧٣ فى ٨ أبريل (نيسان) ١٩٢٠ القرار الذى أرسله المؤتمر العراقى إلى عبد الله بإعلان استقلال العراق وانتخابه ملكاً .

(٣) فى حديث لجروترود بل مع أحد زعماء الشيعة فى العراق . . عن أخبار تتويج فيصل سألها . . هل توج على كامل سوريا حتى البحر فقالت : لا ، الفرنسيون يقيمون فى بيروت ؛ فأجاب . . . إذن لافائدة . . . The letters of Gertrude Bell, Vol. II, London, 1930, p. 458.

(٤) مذكرات عبدالله ص١٥٢ ، وقد أبلغ الحسين بالقرار من قبل رئيس المؤتمر السورى فى ٩ مارس (آزار) ... مع شكر أبناء سورية « بعد أن دخلت سورية فى دور الاستقلال الذى فتحتم به جلالتكم بابه » . انظر الحياة ٧ مارس (آذار) ١٩٥٤ العدد ٢٤٠ .

وقد ذكر الصحفى Jeffries فى زيارته لسوريا بعد إعلان الاستقلال أن كل من قابله كان يعطيه دليلا على أن السوريين لم يغيروا موقفهم الذى عبروا عنه أمام اللجنة منذ تسعة أشهر، ورغم أن شعورهم بأن سوريا بحاجة إلى مساعدة الحلفاء إلا أنهم يريدون هذه المساعدة خالية من الغرض على أن لاتجزأ بلدهم وأن تحترم ملكيتهم[١].

لقد كان إعلان الاستقلال فاتحة تحول فى الوضع فى سوريا، فقد تمتعت – من الوجهة النظرية على الأقل – بحكومة دستورية ونظام برلمانى ديمقراطى وأحيط الملك بأبهة الملك فى قصره وبطانته وسمى إحسان الجابرى رئيسا لأمناء الملك فعمد إلى تطبيق النظم المعتادة فى السرايات الملكية على الملك[٢].

وأعطيت زعامة فيصل غير المحددة شكلا ثابتاً بالنسبة له ولوالده وللشعب فقد أصبح ملكاً دستورياً يتلقى عرشه من شعبه الممثل فى المؤتمر بعد أن كان فى المرحلة الأولى ممثلا لوالده فى الحجاز ووسيطاً بينه وبين الشعب[٣].

ولم يعد فيصل فى العهد الجديد المسئول الأول عن السياسة بل أصبح ذلك منوطاً بوزارة مسئولة أمام المؤتمر السورى حلت محل مجلس المديرين الذى نشأ فى ظل حكم عسكرى. وعين رضا الركابى رئيساً للوزارة من قبل الملك وفقاً للمبادئ الدستورية المرعية فى البلاد الغربية[٤]. واختير أعضاء الوزارة السبعة بعناية كبيرة من رجال لهم خبرة بالشئون العامة وأصبح لكل وزير مساعد من الشباب لتسيير

(١) Jeffries, p. 322.

(٢) العاصمة عدد ١٠٩ فى ١٥ مارس آذار ١٩٢٠ تشكيلات البلاط الملكى . . . .

(٣) Jeffries, p. 327.

وكان فيصل قد صرح لهذا الصحفى .. « بأن محك كل قرارات الحلفاء حول سوريا فى المستقبل ليس هو قبوله شخصياً بل قبول هذه القرارات من قبل المؤتمر السورى » وربما ينطبق هذا – حسب رأى الصحفى – على معاهدة الصداقة مع وايزمان .

(٤) كان زيد وكيل رئيس مجلس المديرين قد رفع استقالته إلى الملك فى ٨ مارس (آذار) . . وصدرت إرادة ملكية إلى الركابى بتأليف هيئة الوزارة الجديدة وشكلت من رضا الصلح (داخلية) عبد الحميد قلطقجى (حربية) جلال زهدى (عدلية) سعيد الحسينى (خارجية) فارس الخورى (مالية) ساطع الحصرى (معارف) يوسف الحكيم (الأمور النافعة) . . يوسف العظمة رئيساً للأركان وعلاء الدين الدروبى (رئيساً لمجلس الشورى) وكان الشىء الجديد هو إحداث وزارة الخارجية . العاصمة عدد ١٠٨ ١١ مارس (آذار) ١٩٢٠ .

إدارة الحكومة تسييراً قانونيا يتطابق مع مقتضيات العهد ولتخريج طبقة لاستلام مقاليد الحكم .

وقد قدمت الوزارة بيانها أمام المؤتمر فى ٢٧ مارس (آذار) ١٩٢٠ . . حسب قرار المؤتمر بجعل الحكومة مسئولة تجاه المجلس فى كل ما يتعلق بأساس استقلال البلاد التام إلى أن تتمكن الحكومة من جمع مجلسها النيابى[١]. وكانت الوزارة تقصد فى بيانها إعادة التأكيد للدول الكبرى . فلم تتحدث فى برنامجها عن الدفاع عن الاستقلال السورى وحفظ النظام فقط ، بل عن المساواة الشاملة أمام القانون ، وحماية المصالح الأجنبية ونشر المعارف وتحسين الحالة الاقتصادية والمساعدة التى تأملها (إذا دعت الضرورة) من الحلفاء من أجل تطورها الاقتصادى ونالت الوزارة بعد البيان الاعتماد المطلوب[٢] وانصرفت بعد ذلك إلى تنظيم فروع الإدارة تنظيماً ثابتاً والسير فى الخطط الإصلاحية والعمرانية والتعليم وتقوية الجيش .

وقد خضعت الحكومة لتوجيه الهيئات الوطنية السياسية ، وقد كان هناك مركز رئيسى يتفوق على غيره هو النادى العربى الذى لم شمل الأحزاب الوطنية وأدار دفة التوجيه السياسى من مبناه بجوار محطة السكة الحديد فى دمشق وقد سيطر على الوزارة وعلى فيصل وعلى المؤتمر السورى نفسه [٣].

وكان المؤتمر السورى يعمل خلال ذلك كهيئة ممثلة للشعب السورى تدعمه غالبية قوية فى المنطقة التى أعلن فيها الاستقلال على الأقل ، وقد ظل منعقداً طوال الفترة التى أعقبت إعلان الاستقلال وانتظرت منه الأمة أن يعد دستوراً مبنيا على مبادئ الدول الملكية البرلمانية الديمقراطية اللامركزية يتعلق بسوريا الطبيعية كلها ، وكان فيه عدد كاف من دارسى علم الحقوق وأصول القوانين والإلمام بالشريعة

---

(١) يذكر رشيد رضا فى المنار جزء ٥ مجلد ٢٣ ص ٣٩٢ (٢٧ مايو – آيار ١٩٢٢) أن الملك اعترض على تقديم الوزارة بيانها أمام المؤتمر لأنه ليس مجلساً نيابياً . فرد عليه رشاد رضا « إنه أعظم سلطة من المجلس النيابى فهو جمعية وطنية تأسيسية . . . » قال فيصل : « أنا الذى أوجدته فلا أعطيه هذا الحق الذى يعرقل عمل الحكومة » قلت أى (رشيد رضا) « .. بل هو الذى أوجدك فقد كنت قائداً من قواد الحلفاء فجعلك ملكاً . .

(٢) العاصمة عدد ١١٣ فى ٢٩ مارس (آذار) ١٩٢٠ .

(٣) Jeffries, p. 322.

الإسلامية والمتعلمين فى مدارس الدولة العثمانية والأجنبية ، فكان بذلك كفئاً لوضع القانون الأساسى (الدستور)[١].

وقد تشكلت لجنة لوضع الدستور برياسة هاشم الأتاسى وبعد عشرة أسابيع وضعت مشروع الدستور من (١٤٨) مادة على أساس النماذج الديمقراطية فى الدول الأوربية ، وانتهت اللجنة من تدقيق المواد للمرة الأولى فى ٣ يوليو (تموز) ١٩٢٠ ونوقشت مواده السبع الأولى وصودقت من قبل المؤتمر فى ١٣ يوليو (تموز) . وبدأت الاستعدادات لإجراء الانتخابات النيابية ولكن توقفت بقية الإجراءات نظراً لظروف إنذار غورو[٢]. وهكذا حين أوشكت سورية أن تعرف نظاماً برلمانياً ثابتاً كان وجودها كدولة مستقلة قد أصبح فى كفة الميزان .

والواقع أن مداولات هذا المشروع كانت من أهم مشاغل المؤتمر وما وسع الوقت لإقراره من بين مواد هذا المشروع كان قوياً والأول من نوعه فى العالم العربى .

وقد نص مشروع الدستور على أن تكون سوريا ملكية دستورية وراثية فى الأسرة الهاشمية على أن يكون الملك محترماً وغير مسئول ، وأن تدار البلاد على أساس اللامركزية ، مع وجود مجلس نواب منتخب بالاقتراع السرى على درجتين ، ومجلس شيوخ منتخب من قبل مجلس النواب (الذى يمثل السلطة التشريعية) ، وأن تكون السلطة القضائية مستقلة وأعلى جهاز فيها هو المحكمة العليا التى يعينها الملك كما تضمن الدستور بنوداً عديدة حول احترام الحريات المدنية والدينية وحرية التفكير[٣].

وقد ألف المؤتمر لجاناً أخرى لدراسة مواضيع مختلفة ، على اعتبار أنه مجلس

---

(١) Winder, Syrian Daputies, and Cabinet Ministers, op. cit., Part I, p. 424, Part II, pp. 36 — 37.

(٢) العاصمة رقم ١٤٠ فى ١٤ يوليو (تموز) ١٩٢٠ .
كان المؤتمر يناقش فى جلسة فى ١٣ يوليو (تموز) المادة السابعة وفى أثنائها حضرت الوزارة لتتلو بيانها الذى قدمه وزير الحربية . . .

(٣) Khadduri, Constitutional development in Syria, Middle East Journal, Vol. 5, 1951, pp. 137 ff.

نيابى وتأسيسي معاً . وقد كان بنية أعضائه سن قوانين جديدة وإجراء تعديلات وإصلاحات جوهرية فى مختلف المصالح الحكومية، ولكن أعمال المجلس فى حقل السياسة الداخلية كانت تصطدم أحياناً بمعارضة فيصل ، فقد صدرت إرادة ملكية بإبقاء جميع القوانين السابقة مرعية إلى أن تسن قوانين جديدة ، ويحوى البيان الوزارى فى ٢٧ مارس (آذار) شيئاً من هذا القبيل .

وقد وجد داخل المؤتمر حزبان برلمانيان الأول التقدم وهو أكثرهما تنظيماً ويمثل الفتاة بتنظيماتها المختلفة . والثانى الديمقراطى الذى يمثل المعارضة لسياسة فيصل والتى بلغت نقطة الانفجار وقت أزمة الإنذار ،وكان يتلقى دعماً من الجماهير . وتنظيم الحزب المركزى كان فى دمشق لأن معظم رؤسائه فيها ، ولم تكن له فروع رسمية فى مدن أخرى من سورية برغم أن له مؤيدين فيها ، وكان برأى زعماء الحزب وعلى رأسهم القصاب أن فروع اللجنة الوطنية سوف تقوم ولو بشكل غير رسمى كفروع للديمقراطى (١) . ومن الملاحظ أنه لم يكن فى برنامج الحزب ما يعاكس الفكرة الوطنية حول مسألة الاستقلال ورفض كل سيطرة أجنبية إلا أنه كان أكثر تطرفاً من غيره (٢). وكان الاختلاف حول أمور غير أساسية ظهرت ، خاصة فى مجال مناقشة مواد الدستور التى أظهر فيها التقدم ميلاً نحو المدنية الحديثة ، كموضوع إعطاء المرأة حق الانتخاب (٣)..

ولم يكن داخل المؤتمر أدنى مظهر للفئة القليلة من الأمة التى تميل إلى قبول الوصاية الأجنبية المؤقتة والتى تسمى مساعدة . .

وهكذا بدأ العهد يسير فى اتجاه إيجابى يدعو للتفاؤل ، يساهم الجميع فيه بإخلاص آملين أن يدوم برغم المؤامرات الخارجية التى تحاك ضده .

---

(١) Nashabi, pp. 39 — 40.

(٢) كانت سياسة الفتاة أن تضم عناصر من التقدم فى الديمقراطى لإضعافه ومثال ذلك أن رياض الصلح كان عضواً فى الديمقراطى ومع ذلك احتفظ بصلاته الودية مع التقدم . وكان لكل حزب جناح خاص فى بناية العابد الذى انتقل له المؤتمر لبحث الأمور منفصلة قبل تقديمها إلى القرار النهائى .

(٣) وكانت من أطراف المناقشات وتدل على الحالة الاجتماعية والفكرية الموجودة فى البلاد ورغم أن الاقتراح قد اكتسب الأكثرية بصالح القضية إلا أنه لم ينفذ خوفاً من أن يثير شغباً فى الدوائر المحافظة . . وإلا كانت سوريا أول دولة شرقية إسلامية تمنح المرأة هذا الحق .

الدفاع عدد ٨٩ فى ٢٧ أبريل (نيسان) ١٩٢٠ .

٢ ــ العلاقات الخارجية :

(ا) موقف الحكومتين البريطانية والفرنسية من إعلان الاستقلال :

كان اللنبي قد أبرق إلى لندن فى ٧ مارس (آذار) (أخباراً أولية) عن إعلان الاستقلال وأن هذا برأيه سيثير عداوة مباشرة ضد فرنسا وبريطانيا وبين أن فيصلاً يحرص على معرفة موقف بريطانيا[١] .

وبحثت البرقية من قبل ممثلى البلدين فى مؤتمر السلم المجتمع فى لندن لمناقشة شروط معاهدة الصلح مع تركيا . ووافقت الحكومتان على إرسال رسالة مشتركة أبرقها كرزن بعد ساعات من إعلان الملكية بقصد التأثير على فيصل بأنه « لو اتخذت أى خطوة غير مسئولة من قبل المؤتمر السورى فقد تضع قضية الشعب السورى بمواجهة النوايا الودية التى أعطت لها الحكومتان تصريحات متعددة ، وقد تضر بالتسوية المقبلة للقضية السورية »[٢].

وفشلت البرقية فى مهمتها إذ وصلت بعد أن تلى قرار إعلان الاستقلال .

وبسبب مركز بريطانيا فى فلسطين والعراق ، حيث لا توجد إدارات وطنية تشبه ما كان فى دمشق كان رد الفعل البريطانى المباشر لقرارات المؤتمر السورى أكثر عنفاً من الفرنسى . وأرسلت رسالة مشتركة من لندن لاستنكار إجراءات المؤتمر السورى . . « لأن مستقبل سوريا وفلسطين والعراق تقرره دول الحلفاء التى تعمل باتفاق » وأرفقت الرسالة بدعوة فيصل من جديد لعرض قضيته أمام مؤتمر السلم[٣] . وهذا ما كان فيصل يرفض أن يفعله ما لم تعترف الحكومتان باستقلال سوريا وقد أبلغهم ذلك شخصياً نورى السعيد ممثل فيصل الذى قدم لندن قبل عقد المؤتمر

---

(١) Young, p. 305.

(٢) Tibawi, p. 104.

(٣) Young, pp. 305 — 306.

وقد كان المؤلف حاضرا اجتماع كرزن بالسفير الفرنسى وقد قام كرزن بتعنيف السفير بأن سبب الأزمة هو رفض فرنسا نصيحة بريطانيا وإصرارها على إنشاء مركز لها فى منطقة لا تجد منها إلا كرها ووقع مستقبل فرنسا وبريطانيا فى تلك المنطقة فى خطر بسبب الطريقة التى ألحت الحكومة الفرنسية على اتباعها لتحقيق أمانيها التاريخية والتقليدية .

السورى بثلاثة أيام[١].

وتصحيحاً لرأى كرزن فى المؤتمر السورى أرسل اللنبي فى الأسبوع الثانى برقية حذر فيها من خطر خلق شعور ضد أوربا وضد المسيحية وإلى احتمال أن يرتمى فيصل فى أحضان مصطفى كمال ، وحث على الاعتراف بملكية فيصل على سورية وفلسطين ، وحق العراق بتشكيل اتحاد مع المنطقتين السابقتين بشرط قبول المطالب الخاصة لفرنسا فى الأولى وبريطانيا فى الثانية ، وباعتقاد اللنبي أن فيصلاً سوف يقبل هذه الإجراءات التى سوف تسمح للإدارات الحالية بالاستقرار وبدون الاعتراف فإن فيصلاً قد لا يحضر إلى مؤتمر السلم .

وأصر لويد جورج وكرزن فى ردهما على ضرورة حضور فيصل شخصياً كشرط أساسى للاعتراف به ممثلا للشعب السورى، وبرسالة أخرى شرح اللنبي — الذى كان على اتصال مباشر بالأحداث السياسية أكثر من كرزن وهيئته فى لنـــدن — خطر رفض الاعتراف بمقررات المؤتمر السورى لأنه يعبر عن رأى الأغلبية . . ثم إن فيصلاً سيرسل مفوضاً عنه لأن غيابه سيؤدى إلى تولى المتطرفين للسلطة[٢].

ونوقشت قضية إعلان الاستقلال فى مجلس العموم البريطانى ووجهت أسئلة إلى لويد جورج حول التطورات السياسية الأخيرة فى سورية ، وفيما إذا كان إعلان الاستقلال قد جرى من قبل مجلس دستورى و بموافقة أغلبية السكان ، وإذا كانت دول الحلفاء ستعترف بهذا الاستقلال . فأكد لويد جورج حقيقة الإجراءات الأخيرة فى سورية ، ولكنه أبدى تجاهله لصلاحيات المجلس ، وأكد أن مستقبل المناطق التابعة للإمبراطورية العثمانية السابقة لايمكن أن يقرر إلا من قبل الحلفاء المجتمعين فى المؤتمر لهذه الغاية ، وأن الأمير قد أبلغ من قبل الحكومتين اللتين تعملان بسياسة مشتركة بأنهما لاتعترفان بشرعية الإجراءات ، وأنه قد استدعى

(١) من مجموعة أوراق عونى عبد الهادى برقية مرسلة من رستم حيدر فى ٧ أبريل (نيسان) من لندن كما يلى :

تود فرنسا وإنجلترا حضور جلالتكم . . تتفاوضان فى إعداد تبليغ مناسب . الوضعية حسنة، الاعتراف بالاستقلال مأمول . حفظ الصلات الحسنة مع الحلفاء والانتظام والتثبت يضمن النجاح .

(٢) Tibawi, p. 106.

إلى أوربا لعرض قضيته التي سوف تبحث أمام المؤتمر بقصد الوصول إلى حل يتفق مع التصريحات بين الحكومتين من جهة وبينهما وبين العرب من جهة أخرى [١].

وكي تخفف الحكومة العربية من شعور الحكومتين الناجم عن قرار إعلان الاستقلال ، أبلغت الدول الحليفة جميعاً قرار المؤتمر بأسلوب معقول ومقنع مع توضيح الأسباب التي أدت إلى هذه الخطوة وما خلقته التجزئة إلى حكومات عسكرية من وضع حرج مع أمل يتلقى المساعدات التي وعد بها الحلفاء مراراً [٢].

وفي رسالة فيصل إلى ويلسون كرر الدعوة لزيارة لجنة كنج — كرين مع طلب المساعدة للتوصل إلى وحدة واستقلال سورية بدلا من تجزئتها [٣] . ورد فيصل على برقية كرزن في ٩ مارس (آذار) مذكراً بأن المؤتمر السوري الذي اتخذ القرار هو نفسه الذي عقد اجتماعات عديدة منذ فترة طويلة دون أن يكون هدفاً لاعتراض الحكومة البريطانية . وألمح في رسالته إلى غورو إلى أمل الشعب والحكومة بالحصول على المساعدة الكريمة من أجل الازدهار المادي والمعنوي ضمن إطار الاستقلال والوحدة القومية [٤].

وكان جواب اللنبي وديًّا ، وكذلك جواب غورو [٥] ، برغم أنه أكد فيما بعد بصفته مفوضاً سامياً لفرنسا أنه لا يمكن بأي طريقة أن يقبل الوضع الجديد [٦] .

لقد بذلت الحكومة كل جهدها وضمن إمكانياتها للمحافظة على الصلات الودية مع جميع الحلفاء . وأبدى فيصل ثقته الكبرى ببريطانيا في حديثه مع الصحفي البريطاني Jeffries إذ لا يزال يعتبرها حليفة العرب الرئيسية منذ أن « وضعت أساس الاعتراف بدولة عربية ضمن الحدود التي رسمها الحسين ، مع الأخذ بعين الاعتبار التحفظات في منطقتي البصرة وبغداد » وأبدى استعداده

---

(١) Parliamentary Debates, Vol. 126 (1920) (Ist March to 19 March) pp. 2359—60.

(٢) العاصمة عدد ١٠٩ في ١٥ مارس آذار ١٩٢٠ .

(٣) العاصمة عدد ١١٤ في ١٥ أبريل (نيسان) ١٩٢٠ .

(٤) الحصري ٢٨٧ — ٢٨٨ .

(٥) من مجموعة أوراق عوني عبد الهادي .

(٦) Longrigg, p. 98.

لأن يضمن المصالح البريطانيا فى البلاد العربية وأن يوفق بينها وبين الآمال العربية بشكل لايضر بمبدأ الاستقلال وأن يطلب من بريطانيا العمل على إعادة الازدهار المادى للبلاد ، وأن تظل بريطانيا صديقة ومرشدة(١).

كما أبدى ملاحظة مماثلة لصحفى فرنسى عن حاجـة البلد إلى النصح والمساعدة والعون الفنّى فى مختلف المصالح ، وعن استعداده لأن يطلبها من فرنسا على أن يتوصل إلى اتفاق يساهم فى ازدهار البلدين(٢) .

ولم تجد هذه المحاولات ، فقد رفضت الحكومتان الاعتراف بشرعية قرارات المؤتمر فى دمشق ، واستمرت على اعتبار فيصل أميراً هاشمياً يدير البلاد بصفته قائداً للجيوش الحليفة ودعوته إلى أوربا لبسط قضيته . . لأن مستقبل الأجزاء العربية لايزال بيد مؤتمر السلم .

وهكذا لم تحصل المملكة السورية الناشئة على الاعتراف باستقلالها من الحلفاء إلا « بشرط أن تقبل بالانتداب ، ولايمكنها أن تقبل بالانتداب دون أن تتخلى عن الاستقلال وعن ثلثى سكانها ، وداخل هذه الحلقة كانت تدور وتدور إلى أن قضى عليها تماماً » (٣) .

(ب) قرارات سان ريمو ، ورد الفعل الداخلى :

إن الجهود التى بذلتها الحكومة للمحافظة على صلاتها الودية من الحكومتين لم تعق تنفيذ القرارات التى اعتبرتها فرنسا مقررة سلفاً منذ زمن طويل ، وتوقفت بريطانية الآن عن ردعها . وكانت قد انقضت شهور من المداولات لم يتوصل الحلفاء خلالها إلى حل للقضية التركية برغم وجود اتفاق عام بأن الإمبراطورية العثمانية يجب أن تجزأ طبقاً لبنود الاتفاقيات السرية مع تغيير ظاهرى على الأقل فى الخطة ،

---

(١) Jeffries, pp. 323 — 24.

(٢) David, p. 104.

(٣) Jeffries, p. 328.

لما سأل المؤلف فيصلا عن موقفه من الانتداب ابتسم وأشار « إن الانتداب كلمة واسعة لم أصل إلى فهم ما تعنيه . . . فيمكن أن تعنى دعماً وعلاقات ودية ويمكن أن تعنى استعمارا ، كل شىء يعتمد على كيفية تنفيذ الانتداب » .

وخاصة بعد تبني مبدأ الانتداب على سورية وفلسطين والعراق[١].

وحسب ما يذكر كرزن أن بريطانيا وفرنسا قد وافقتا فى نهاية مارس (آذار) على الاعتراف مبدئياً بفيصل على رأس حكومة مستقلة تحت انتداب فرنسى إنكليزى ، على أن تعمل كل دولة إجراءاتها المستقلة فيما يتعلق بالانتداب فى لبنان وفلسطين وهذا يقتضى بحثاً معه قبل التصديق النهائى من قبل المؤتمر . وبينما كان كرزن يكتفى بمناقشة الأمر مع ممثل لفيصل أصرت فرنسا على حضوره شخصياً لأن هناك أموراً كثيرة تقتضى التسوية معه باعتبارها الدولة المنتدبة على سورية ولبنان ، كما ألحت على حقها بأن تستشار بأى إجراء تفعله بريطانيا مع فيصل حول فلسطين[٢].

وكان قد حدد موعد للاجتماع الثانى لمؤتمر السلم « مجلس الحلفاء الأعلى» فى سان ريمو فى ٢٥ أبريل[٣]. ورفض الملك فيصل التجاوب مع دعوة بريطانيا لشرح موقفه الشخصى قبل أن « يأتيه تأمين من الدولتين ، إنكترا ، وفرنسا باستقلال سوريا ، وعدم فصل فلسطين عنها واتخاذها وطناً قومياً لليهود »[٤].

ومع أن الصلح مع تركية لم يعقد بعد ، ومع أن شرعية فصل المناطق العربية عن الدولة العثمانية لايصبح إلا بعد عقد المعاهدة وإدماج هذا القرار مع معاهداتها ، ومع أن نظام الانتداب لم يعرض على مجلس العصبة ليصادق عليه أو يرفضه فقد قرر الساسة المجتمعون فى سان ريمو فى ٢٥ أبريل (نيسان) تقسيم المناطق العربية التى وزعت دبلوماسياً فى أثناء الحرب . فقدم الانتداب على سوريا ولبنان إلى فرنسا والعراق وفلسطين وشرقى الأردن إلى بريطانيا ، وتقرر أن تضم المعاهدة مع تركيا[٥] مادة تعترف باستقلال سورية (بما فيها لبنان والعراق) ، أما فلسطين فلم

---

(١) Tibawi, p. 106.

(٢) Cumming, op. cit., pp. 95-96.

(٣) عقدت الجلسات فى سان ريمو الإيطالية فى قصر (دوفاشان) وهو ملك رجل إنجليزى قضى شطراً من حياته فى الهند وأطلق على القصر اسم (دوفاشان . .) ومعناها بالبوذية السماء الثانية فى الفردوس مقر السعادة . . . حيث ينتظر كل مخلوق دوره لأن يمنح الحق فى أن يتذوق خمر نيرفانا الإلهى (الدفاع عدد ٨٩ فى ٢٧ أبريل (نيسان) ١٩٢٠ .

(٤) من أوراق عونى عبد الهادى .

(٥) وقد بنيت المعاهدة مع تركيا على الأسس التى وضعت فى سان ريمو وقدمت إلى الوفد التركى فى ١١ مايو (آيار) ١٩٢٠ . وقد اضطرت حكومة القسطنطينية إلى توقيع معاهدة Sèvres فى ١١ أغسطس (آب) ١٩٢٠ إلا أنها نقضت فيما بعد ولم يصدق عليها إلا فى معاهدة لوزان فى ٢٤ يناير (كانون ثان) ١٩٢٣.

يشر إلى أمر استقلالها ، بل بتكليف إدارتها إلى دولة منتدبة يكون من مهامها التمسك الحرفى بتصريح بلفور .

واطلع الرأى العام الفرنسى والبريطانى على سياسة حكومتيهما فى سان ريمو عن طريق رؤساء وزارتيهما . ففى ٢٩ أبريل (نيسان) صرح لويد جورج أمام مجلس العموم قائلا « كان علينا أن نحمى المضايق . . هذه هى مهمتنا . . وكذلك فلسطين والعراق وضمنها الموصل »[١] .

وتكلم ملران (خلف كلمنصو) أمام مجلس الشيوخ الفرنسى شارحاً تمسك فرنسا بشروط معاهدات الحرب ومؤكداً ادعاءات فرنسا القديمة فى تركيا الآسيوية[٢] .

وقد مكنت قرارات سان ريمو للحكومتين أن تتجاوزا نصوص اتفاقية ١٩١٦ فقد مدت بريطانيا انتدابها فوق كل العراق والأردن وفلسطين ، وبرغم أن فرنسا قد اعتبرت القرارات حلا مرضياً ، لأنها «اسمياً» أقل من امتلاك كامل كانت تتوقعه فى الساحل وأكثر من منطقة نفوذ كانت تتوقعها فى الداخل إلا أنه حسب تفسير فرنسا لالتزامات الانتداب قد أطلقت يدها فى الساحل والداخل والصحراء .

والانتداب المقترح كان من الفئة « أ » الذى يؤمن نوعاً من الحكم الذاتى إلا أن العرب لم يكن لديهم أدنى ثقة بأن فرنسا سوف تدير البلاد تحت إشرافها بروح حرة ، كما لم يكونوا مقتنعين بدرجة الاستقلال الذى أعطى للعراق ، وكذلك خاب أملهم حين استثنيت فلسطين عن سوريا[٣] .

واعتبر العرب تجزئة البلاد مع إنشاء حكومات متعددة ضربة قوية لمطلب الوحدة ، حيث رسمت حدوداً سياسية وحواجز داخلية لاتتفق مع أى اعتبارات طبيعية للبلاد ، واعتبر الممثلون العرب فى مؤتمر السلم قرار سان ريمو خيانة لقضيتهم . وقدم الوفد الحجازى احتجاجاً رسمياً إلى مؤتمر السلم ثم إلى العصبة بأن الانتداب قد وزع بشكل معاكس لحق الشعب فى تقرير المصير وأن فصل فلسطين عن سورية لايناقض رغبات السكان فقط بل يهمل بشكل تام الوحدة بين جزئى

(١) Cumming, op. cit., p. 98.

(٢) Ibid, p. 99.

(٣) Esco, p. 178.

البلد فى اللغة والتقاليد والعرق والاقتصاد ، وأن العرب لم يثوروا ضد الترك إخوانهم فى الدين ليحاربوا إلى جانب الحلفاء من أجل استبدال حاكم أجنبي بآخر[١].

وتلقى اللنبي قرارات سان ريمو عن طريق كرزن مع الإلحاح عليه بأنه بإمكان فيصل أن يظهر أمام المؤتمر فى باريس فى الاجتماع التالى ليعرض قضيته ، وأن فرنسا لاتزال مستعدة للاعتراف به ملكاً على سوريا بشرط قبول الانتداب وكذلك بريطانيا إلا ما كان يتعلق منها بفلسطين ، وخاصة أن فيصلا قد قبل آراء الحكومة البريطانية التى تضمنها تصريح بلفور (حسب رأى كرزن) وأنه يحتاج إلى التوصل إلى حل حول نصوص الانتداب مع فرنسا ، أما مع بريطانيا فليس هناك إلا بحث الحدود بين سوريا وفلسطين[٢].

ونقل اللنبي القرارات إلى فيصل فى ٢٧ أبريل (نيسان) مع الإلحاح عليه بالسفر إلى أوربا لبسط قضيته لأن وضعه لايمكن أن يستقر إلا بواسطة مؤتمر السلم . أما بشأن فلسطين فقد ذكر اللنبي « إنك كنت تعرف دائماً أن حكومة جلالته ملتزمة بإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين لأن حكومة جلالته تعتبر نفسها ملزمة بحماية مصالح السكان المحليين فى البلاد بكل ما فى هذه الكلمة من معنى ، وهذا الالتزام ستؤكده بنود الانتداب »[٣].

ونقل ميلران — خلف كلمنصو — تبليغاً مماثلا عن قرارات سان ريمو أشار فيها إلى قبول فرنسا المهمة التى عهد بها إلى مؤتمر السلم لمساعدة سوريا وإرشادها . على أن تضمن استقلالها ضد كل اعتداء ضمن الحدود التى يعينها مؤتمر السلم ، ناظرة بعين الاعتبار إلى الإدارات الذاتية[٤].

ويبدو من كلمات الساسة البريطانيين والفرنسيين أنهم يريدون مصادقة فيصل الرسمية للانتداب أكثر من تلبية مطالبه التى عرضها سابقاً .

وكان رد فيصل إلى اللنبى . . « بأنه لايحق له مناقشة الانتداب المتضمن

---

(١) من أوراق عونى عبد الهادى .

(٢) Tibawi, p. 108.

(٣) سليمان موسى . . ملحق جريدة النهار البيروتية عدد ١٠٠٥٧ فى ٦٨/٨/٤ نقلا عن الوثيقة رقم ٤٤٢ Documents on British Foreign Policy 1st series, Vol. XIII, London 1963.

(٤) العاصمة عدد ١٢٢ فى ٣ مارس (آذار) ١٩٢٠ .

فى القرار إذ لايجوز وضع أى جزء من المنطقة العربية تحت حكم أجنبى . . » ولم يكن هذا احتجاجه الشخصى بل رأى المؤتمر السورى . . « أما مسألة جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود فإنى لم أتعهد أبداً به لا كتابة ولا شفاهة وكل ما تعهدت به وأتعهد به اليوم أيضاً هو أن حقوق اليهود تبقى محفوظة فى بلادنا كما كانت فى الماضى بمعنى أننا نحافظ عليهم محافظتنا على العرب الوطنيين ويكون لهم من الحقوق والوظائف ما يكون للوطنيين فيها . . . إنى أريد قبل كل شىء أن يصرح لى بصورة قطعية أن المؤتمر لا يريد أن يفصل بين فلسطين وسوريا ويقطع ما بينهما من الروابط »[١].

وفى رده على الرسالة الفرنسية حول الانتداب . . أشار إلى ما أحدثته من اضطراب فى البلاد وصرح بأنه مستعد للتفاوض من أجل شكل المساعدة التى يمكن أن تطلبها سوريا من فرنسا ، كما احتج ضد إهمال وحدة سوريا وتماسكها[٢].

إلا أن فيصلا لم يعد حراً فى قبول المساعدة الفرنسية أو غيرها دون تفويض من المؤتمر السورى . وكان قرار سان ريمو مع رفض الاعتراف بالحكومة العربية فى دمشق هزيمة للعناصر العربية المعتدلة التى ترغب بالتعاون مع بريطانيا وفرنسا وتحرج موقف الركابى إزاء المعارضة فى المؤتمر السورى ، وبعد أن قدم أحد وزرائها (وهو يوسف الحكيم) توضيحاً للمؤتمر ، استدعيت الوزارة كلها للاستيضاح فاضطر الركابى إلى تقديم استقالته ، بعد أن وجهت له حملات انتقادية اتهمته بالتهاون فى اتخاذ التدابير الكافية لأسباب الدفاع واعتبره المتطرفون أنه لايشاركهم تصميمهم على محاربة فرنسا إلى النهاية[٣]... فكان عليه أن يفسح

---

(١) من مجموعة أوراق عونى عبد الهادى .

(٢) Tibawi, p. 109.

(٣) مقابلة شخصية مع يوسف الحكيم وكان قد كلف من قبل الوزارة بإلقاء بيان الحكومة . وفى مقابلة أخرى مع أكرم رضا الركابى ذكر أن والده كان يعترض على حرب العصابات لأنه ليس بإمكان ٤ آلاف جندى محاربة فرنسا فلا بد من الوساطة الدبلوماسية ثم إن الجيش ليس لديه فائض أسلحة لتسليح العصابات . وكان قد حضر إحدى المداولات فى القصر بحضور يوسف العظمة . . الذى ذكر للملك . . « لو سمحت جلالتك لأمكننا أن نرمى الفرنسيين إلى البحر بقدمى هذه » .=

المجال لوزارة الأتاسى (وكان رئيساً للمؤتمر السورى) فى ٣ مايو (آيار) التى دخلها العظمة والشهبندر وكانا يمثلان الفكرة الوطنية المتطرفة والدفاعية .

وكانت وزارة الأتاسى تتلقى دعمها من كتلة التقدم فى المؤتمر ، وقد تقدمت ببيانها الذى تلاه الشهبندر وحازت على أثره الثقة . وكان رداً واضحاً على قرار سان ريمو « إننا نسجل احترام المؤتمر بالاعتراف باستقلال سوريا والعراق .. وتصريح بريطانية باستعدادها للاعتراف بفيصل على رأس دولة سوريا المستقلة . . إلا أن هـــذه المقررات ترمى إلى الانتداب . . ونحن سنسعى لرفع هذا القيد . . وبالنسبة لمسألة فلسطين فلا يمكن فصلها عن سورية من جميع الاعتبـــارات . . . وإذا اعترف لنا بدولة سوريا مستقلة وموحدة فإننا مستعدون للتفاهم فى موضوع المساعدة »[١].

واتخذت الوزارة إجراءات رفعت من دعمها الشعبي فأقدمت على اتخاذ التدابير الدفاعية الفعالة ، وأضافت إلى قانون التجنيد الإجبارى بعض المواد التى تضمنت توسيع نطاق التجنيد وجعله شاملا أبناء الأمة . . كما سنت قانوناً لعقد قرض وطنى بغية الحصول على الأموال الضرورية لضمان حاجات الدفاع بمبلغ نصف مليون دينار مقابل رهن مليونى دونم من أراضى الدولة فى ولايات حلب وحمص وحماه[٢].

ويبدو أن هذه التطورات الأخيرة كانت تزيد فى حراجة موقف فيصل الميال إلى المسالمة إزاء العناصر المتطرفة . وقد صور صعوبة موقفه بعض ما كان يدور من مناقشات فى مجلس النواب الفرنسي ومجلس العموم البريطانى . وقد قام

= فسأله رضا باشا .. وماذا تملك قال ٤٠٠٠ جندى (و١٢) مدفعاً و (٣٦) قنبلة . . فرد والدى أخشى أن تثقب قدمك قبل أن تلتقى بالفرنسيين فى البحر . .

(١) العاصمة عدد ١٢٤ فى ١٣ مارس (آذار) .

ومن الملاحظ أن التصريح كان خاليا من الدفاع ووسائله . . وقد ألح المؤتمر بلزوم التصريح فاختلفت الوزارة . . وبعد المداولة صرح الشهبندر . . « تسألوننا عن الدفاع ونحن نقول إننا ما خلقنا إلا من الدفاع وإلى الدفاع !! » .

(٢) من أمثلة الدعاية للاشتراك بالقرض الوطنى :

هل أنت شرقى . .؟ هل أنت عربى ..؟ هل تريد الحياة الحرة .. ؟ هل تريد الاستقلال التام ...؟ اشترك بالقرض السورى . . لا حياة إلا بالاستقلال ولااستقلال إلا بالمال .

إدوارد دالادیه باستعراض الموقف السوری أمام مجلس النواب الفرنسى فى ٢٥ مايو (حزيران) سنة ١٩٢٠ ثم قال « إن فيصلا ليس بالصورة التى يصوره أعداؤه فهو ليس متطرفاً بل رجلا معتدلا يستعمل كل الوسائل لكبح جماح المتطرفين العرب للتفاهم مع فرنسا . . إلا أنه لم يتمكن من التوصل إلى توفيق بين الطرفين حسب الاتفاقية التى وصل إليها فى مطلع ١٩٢٠ »[١].

وفى مجلس العموم البريطانى تحدث Earl Winteston « بأن امتناع فيصل عن المجىء كان بسبب التأخر فى تسوية القضية من قبل المؤتمر . . . بحيث استحال عليه ترك بلده . . إذ أن المئات فيها يريدون إبعاده عنها وقطع كل صلة بفرنسا وإنكلترا . . لقد كان يرغب بالوصول إلى تسوية عادلة ولكنه لا يمكنه الوصول إلى مساومة لا تتفق و رغبات شعبه . . . »[٢].

وبرغم أن مشاعر السخط لدى أتباعه قد بلغت أقصاها ، وبرغم أن مقررات سان ريمو قد هزت قواعد ثقته ، فهو لم يفقد أمله حتى فى إمكان الرجوع إلى اتفاقيته مع كلمنصو من جديد . وناصر الملك أكثر الإقطاعيين والأعيان ممن تكتلوا فى الحزب الوطنى ، حتى لقد مال الشهبندر نفسه إلى قبولها وكاد مجلس الوزراء يوافق على الاتفاقية لولا معارضة العظمة[٣].

وظل فيصل يتشوق إلى فرصة يزور فيها أوربا فى أقرب وقت ، ولكن أعضاء المؤتمر لا يرضون عن رحلته قبل أن تحدد أسس مفاوضته المقبلة ، خشية أن لا تدور المفاوضة على أساس الوحدة والاستقلال ، بل لقد رجحوا إرسال وفد من الوزراء لإتمام هذه المعارضة[٤].

ولما استقر الرأى على سفر الوفد إلى أوربا برياسة فيصل للمطالبة باستقلال

---

(١) Cumming, p. 103 — 104.

(٢) Parliamentary Debates, Vol. 132, 1920, Col. 158.

(٣) مقابلة شخصية مع يوسف الحكيم .

(٤) داغر ص ١٢٣ — ١٢٤

ويذكر المؤلف أن وفداً من ١٥ شخصا من الأحزاب السياسية فى المؤتمر ذهب لإبلاغ الملك آراءهم.. فرد عليهم فى معرض حديثه . . « إنكم أهل هذه البلاد فإذا رأيتم أن وجودى بينكم غير مفيد وأنكم فى غنى عنى فلا أتردد لحظة فى العودة » .

البلاد ووحدتها ، وعقدت جلسة وزارية من أجل ذلك برياسة فيصل بالقصر الملكى فى أوائل يوليو (تموز) ، كانت الأوضاع قد تغيرت . وكما علق على ذلك القنصل البريطانى فى باريس « لم تعد الحكومة الفرنسية ملزمة بالاعتراف به أو قبول أى حل تفرضه عليها الحكومة البريطانية ، وأن الاتصالات القادمة سوف تكون معه من قبل الحكومة الفرنسية إذا رأت أن الاتصال معه لايزال مناسباً »[١] .

(حـ) العلاقات مع المناطق المجاورة :

١ ـ العلاقات مع سورية الجنوبية (فلسطين)

كانت غالبية السكان فى فلسطين قد عبرت أمام اللجنة الأمريكية عن رفضها للمشاريع الصهيونية . . وكانت السلطات البريطانية فى فلسطين قد حذرت الحكومة نفسها بأنه لايمكن تنفيذ سياستها الصهيونية فى فلسطين إلا بالقوة ، ولذلك كان ترحيب عرب فلسطين لقرار إعلان الاستقلال فى سوريا ، وقامت مظاهرة كبرى فى القدس تقدمت بعرائض تعرب فيها عن موافقتها لهذا القرار إلى الحاكم العسكرى البريطانى وقناصل الدول . وأكد فيصل فى حديثه إلى Jeffries « بأن لقبه كملك يشمل فلسطين كذلك . . ما لم يكن هناك شك حول هذه النقطة بسبب سوء استعمال الدول الغربية لكلمة سوريا والتى تعنى بالنسبة لهم القسم الشمالى من البلاد فقط » لقد كان هدف الحسين دوماً ضم فلسطين إلى المنطقة التى اشترط أن يشملها الاستقلال العربى .[٢]

وهذا ما دفع الصهيونيين إلى القيام بمعارضة قوية لضم فلسطين فى الدولة السورية وبدءوا يشككون بما فعله الوطنيون فى جميع أنحاء البلاد بمناسبة إعلان الاستقلال[٣] . وأثاروا قضية الحدود ، إذ كانوا يريدون كل المنطقة التى تقع غربى خط الحجاز . . وكل منابع مياه الأردن وحتى مشارف دمشق .

---

(١) Tibawi, p. 110.

(٢) Jeffries, p. 325.

(٣) الدفاع عدد ٥٠ فى ٩ مارس (آذار) ١٩٢٠ « أرسلت برقيات من جمعيات صهيونية إلى أوربا تذكر بأن كل ما ظهر من مظاهرات إنما هو عمل شرذمة قليلة من أرباب الغايات وطلاب الوظائف .

وقد ألح على هذه المطالب المتطرفة ضمن من ألح (هربرت صموئيل) الذى كان أكثر المعارضين فعالية لسيادة فيصل على فلسطين وكان يهيئ نفسه لدور المفوض السامى قبل أن يمنح الانتداب البريطانى فعلا . فذهب إلى فلسطين لدراسة المشاكل الإدارية والاقتصادية التى تنجم عن منح الانتداب البريطانى وإنشاء إدارة مدنية وأرسل برقية سرية إلى وزاة الخارجية يعترض على أى تسوية مقترحة مع فيصل لكونها مناقضة للإدارة البريطانية[١] .

وقد بدأ عرب فلسطين إزاء التصميم العنيد للبريطانيين والصهيونيين على تنفيذ برامجهم واحتجاجاً على المشاريع الصهيونية يتبعون أسلوب العنف لإثبات حقهم بعد أن أخذوا يعون الخطر الصهيونى ويتكتلون ضده[٢].

وكان إعلان الاستقلال فى دمشق ورفض فرنسا وبريطانيا الاعتراف به قد رفع حدة التوتر وبدا أن اليهود هم العقبة الرئيسية لضم فلسطين إلى الدولة السورية المستقلة الجديدة[٣]. ولم يعرف تماماً الموقف الذى اتخذه فيصل فى حماية الأعمال العدوانية ضد بريطانيا . ومع ذلك فقد بدأ تشكيل العصابات الوطنية على الحدود منذ أواخر ١٩١٩ وتكررت حوادث الاعتداءات والغزوات وكانت هذه الأعمال يوحى بها سياسيون وضباط من دمشق[٤]. ومن أمثلة هذه الحوادث فى مارس وأبريل ١٩٢٠ هجوم العصابات الوطنية على مستعمرة صهيونية فى منطقة الحولة وقتل عدد من اليهود الذين استنجدوا بالسلطات الفرنسية . وهجومان آخران فى أبريل (نيسان) قامت به القبائل البدوية عبر الأردن على مستعمرات يهودية محاطة بأسلاك بريطانية ومسلحة ببنادق إنجليزية . كما هوجمت الحاميات البريطانية فى سمخ وبيسان أدت إلى جرح ضابط بريطانى وإسقاط طائرة R.A.F. وأدى ذلك إلى

---

(١) Tibawi, p. 107.

(٢) الدفاع عدد ٦٥ فى ٢٨ مارس (آذار) ١٩٢٠ مقال حول التخوف من الهجرة الصهيونية إلى فلسطين . وأخبار مظاهرات أظهر الوطنيون استياءهم من الهجرة . . . ومن أغرب ما ذكرته « أن الصهيونيين قد غيروا طريقهم . . فلا يصل لحيفا قطار من العاصمة (دمشق) إلا ويحمل إلينا شرذمة من بنى إسرائيل ..» وتتعجب الجريدة من سماح الحكومة العربية وتغاضيها . . « فمن أين تأتى القوافل ؟ »

(٣) Esco, p. 132.

(٤) داغر ص ١٢٩ يذكر بأن الاضطرابات التى وقعت فى فلسطين كان مركزها (دمشق) وكانت تدار منها بأيدى رجال غير مسئولين يؤيدهم الرجال المسئولون والأحزاب بالمال والسلاح .

انقطاع سير القطارات بين دمشق وحيفا وتعطل المواصلات البرقية والهاتفية ، وأرسلت الحكومة البريطانية نجدات بالقطارات وقصفت المهاجمين بالطائرات[١]. وكانت السلطة الإنجليزية تعتقد أن لحكومة دمشق يداً فى القلاقل؛ لذلك منعت الجنود العرب من التجول على الحدود للمحافظة على المحطات .

واتخذ الاضطراب فى القدس شكل ثورة ضد اليهود فى ٤ أبريل (نيسان) ١٩٢٠ ، وكانت أول سلسلة من الحوادث التى تطبع تاريخ فلسطين فى الثلاثين سنة التالية . وقد تفجرت بمناسبة احتفال النبى موسى الدينى والقومى[٢]. فقد تعرض اليهود لمظاهرة عربية كانت تهتف للاستقلال وتحمل صور فيصل وتنادى بسقوط الصهيونية . ورد العرب بمهاجمة أحياء المدينة اليهودية . . وانتشرت الاضطرابات في كل مكان . ويذكر مراسل التيمس أن الحوادث امتدت يومين تمكنت القوات الهندية والبريطانية بعدها من إعادة الأمن بعد أن وقف البوليس العربى مع المتظاهرين[٣].

وكانت الحركة مظهراً للشعور القومى العربى.. ولم تكن طائفية بل موجهة ضد الصهيونية وعملية الهجرة ، واعترفت لجنة التحقيق التى شكلتها الحكومة البريطانية للنظر فى القضية بأن « سبب الأحداث الدموية هو خيبة أمل العرب لعدم تحقيق الاستقلال ولوعد بلفور . . إذ يخشون أن يخضعهم تأسيس الوطن القومى لليهود اقتصادياً وسياسياً »[٤] .

وأسف فيصل لحوادث القدس وذكر فى برقية إلى اللنبى أن سياسته كانت

---

(١) Jeffries, p. 321.
وقد وصف المؤلف بعض هذه الأحداث فى أثناء رحلته إلى دمشق قادماً من مصر لمتابعة الأحداث التى تلت إعلان الملكية .

(٢) يقال إن أول من أوجد هذا الاحتفال صلاح الدين الأيوبى والاحتفال يتطابق مع الفصح المسيحى ، كما يوافق التقويم العبرى للاحتفال بعيد الفصح اليهودى وكان هذا الاحتفال يجذب منذ العهد التركى جماهير كثيرة من القرى المجاورة خاصة من الخليل ونابلس ومعها الرايات وهى تنشد الأناشيد القومية .

(٣) Times, History of the War, Vol. XXI, p. 448 — 49.
وتقدر الإصابات بـ ٥ قتلى و ٢١١ جريحاً من اليهود و ٤ قتلى و ٢٢ جريحاً من العرب .

(٤) صايغ : الهاشميون وقضية فلسطين ص ٥٢ نقلا عن Cmd, 3530 (1930), p. 127.

تسعى دوماً لخلق اتفاق بين العرب والمواطنين اليهود فى فلسطين ولكن الخطة الصهيونية بتأسيس حكومة يهودية سببت قلقاً كبيراً ليس فقط فى فلسطين بل فى سوريا كلها [١] .

ووصلت أخبار الثورة الوفد البريطانى فى مؤتمر السلم المجتمع فى سان ريمو وعبر تشرشل عن خطورة الموقف أمام مجلس العموم وأن « القتال الناجم عن الاحتلال الفرنسي لجزء من سوريا لم يؤدِ إلى اضطراب المنطقة الفرنسية فقط ولكنه سيؤدى إلى اتخاذ احتياطات خاصة ضرورية فى منطقتنا » [٢] .

ولم يعهد فى عملية التوفيق بين عرب فلسطين والسياسة الصهيونية إلى حيادى بل إلى صهيونى ، وقبل أن يذاع تعيين هربرت صموئيل رسمياً قدم فيصل احتجاجاً رسمياً ليس فقط لأن صموئيل كان يهودياً بل بسبب أنه كان « صهيونياً غايته تأسيس حكومة يهودية على أنقاض قسم كبير من سوريا » . . . . وطلب من الحكومة البريطانية — إن كان خبر التعيين صحيحاً — « أن ترجع عن قرارها الذى يمس مصالح وعواطف العرب» [٣] . . وبرغم تحذير اللنبى بأن تعيين صموئيل قد يثير اضطراباً ، فقد تم التعيين ، ولم يكن مصادفة وجود هربرت صموئيل فى سان ريمو مع لويد جورج وبلفور وكرزن ووايزمان وسوكولوف [٤] .

وكان استقبال الأوساط الصهيونية لقرار سان ريمو حماسياً ونظمت مظاهرات فى لندن ونيويورك [٥] .

---

(١) من مجموعة أوراق عونى رسالة من فيصل إلى اللنبى فى ١٨ مايو (آيار) يحتج فيها بأن المسلمين والمسيحيين قد حوكموا بأحكام هى أشد بكثير من التى حكم بها على اليهود . . كما احتج بأن السلطة الإنجليزية فى فلسطين تسمح لليهود بأن يتسلحوا ضد المسلمين فى حين يمنع هؤلاء من اقتناء السلاح تحت عقاب غرامة كبيرة . . وسجن لمدة طويلة .

(٢) Parliamentary Debates, Vol. 127, 1920, Col. 186.

(٣) من مجموعة أوراق عونى عبد الهادى .

(٤) Tibawi, p. 112.

(٥) ذكر سوكولوف فى يونيو (حزيران) ١٩٢٠ .. « لقد انتهت مرحلة سياسية وبدأت أخرى . الأولى كتبها غيرنا كان بيدهم أن يفتحوا أبواب البلاد . . . والمرحلة الثانية سنكتبها نحن . . » كما تحدث برانديز فى المؤتمر الصهيونى فى لندن فى يوليو (تموز) ١٩٢٠ .. « إن عمل هرتزل العظيم انتهى فى سان ريمو . . وكللت جهوده بالحصول على الاعتراف بالوطن القومى .. » وطلب وايزمان من الولايات المتحدة=

أما بالنسبة لعرب فلسطين فكان القرار كارثة قومية بعد سنتين ونصف سنة من الاحتجاجات ضد تصريح بلفور ، . . . إذ بينما اعترف — بحسب قرار سان ريمو — لسوريا الشمالية بالاستقلال بصورة مبدئية ، رفض تماماً بالنسبة لفلسطين ، بل ضم الانتداب مبدأ إقامة الوطن القومى اليهودى مع إخفاء الصفة القومية للغالبية العربية تحت تعبير غامض لا معنى له « الجماعات غير اليهودية » التى منحت حقوقاً مدنية ودينية فقط وأهملت حقوقها السياسية والاقتصادية .

وقدمت مذكرات من جميع أنحاء فلسطين إلى الحكومة المحتلة فى المنطقة الجنوبية احتجاجاً على القرار الذى يناقض الوعود السابقة . وتتمسك بالمطالب المنحصرة فى استقلال سوريا المتحدة من أقصى حدودها الشمالية إلى رفح جنوباً ورفض الهجرة الصهيونية رفضاً باتاً. وكان احتجاج فيصل عنيفاً على البند المتعلق بفلسطين فى قرار سان ريمو . . ويبدو أن سياسته تجاه الصهيونية قد تحولت تحولا جذرياً بعد خيبة آماله بمقررات مؤتمر السلم .

وفشلت محاولة صهيونية أخيرة لإعادة الاتصال به وببعض الفلسطينيين من أعضاء المؤتمر السورى . تولاها فى هذه المرة رئيس المكتب العربى فى المنظمة الصهيونية (الدكتور حاييم كالفارسكى) الذى قدم دمشق فى يونيو محاولا الإقناع بضرورة التفاهم بين العرب واليهود مع عرض جديد بتحسين الأوضاع الثقافية والاقتصادية . وكان الرد حاسما؛ ففلسطين هى جزء من المملكة السورية ولا يمكن التفاهم إلا بالتخلى عن فكرة الوطن القومى والهجرة . . مع ضمان حقوق اليهود الوطنيين المدنية والدينية[1] .

= بشكل خاص أن تسلمهم المفتاح الذهبى الذى سوف يفتح أبواب الهجرة إلى فلسطين .. » ولما تقدم الصهيونيون لشكر لويد جورج على جهوده قال لقد أعطيناكم البداية والآن جاء دوركم .

Esco, p. 149.

(١) الكنانة عدد ٢٩١ فى ٢٣ يونيو (حزيران) ، عدد ٢٩٥ فى ٢٨ يونيو الدفاع عدد ١٣٦ فى ٢٠ يونيو .

وفى مقابلة شخصية مع عزة دروزة (وكان من جملة من قابلهم كالفارسكى) روى « أن كالفارسكى قد أسس فى فلسطين الجمعية العربية اليهودية التى تدعو إلى التعايش السلمى وقد جاء إلى دمشق واتصل ببعض أوساط فيصل وحاول أن يؤثر فينا أى (الفلسطينيين المقيمين فى دمشق) ولكنه لم يستطع ، حتى لقد فكر البعض باغتياله ولكنا وجدناه لا يستحق العناية . . »

وبسبب مشاغل الحكومة العربية بمشاكلها على الحدود الغربية مع السلطات الفرنسية ترك الشعب في فلسطين ليتابع وحده نضاله السياسى بعد أن تم الانتقال من إدارة عسكرية إلى مدنية على يد صموئيل[١] دون صعوبة تذكر سوى احتجاج رفعه ممثلو المدن يعبر عن خيبة أملهم برسالة ملك بريطانيا إلى شعب فلسطين تؤكد على وجوب اتخاذ إجراءات مباشرة لضمان تأسيس وطن قومى يهودى وهذا مادفع وجهاء يافا إلى القول بعد خيبة أملهم بهذه الرسالة « لقد عدنا تواً من جنازة الأرض المقدسة »[٢] .

٢ ـ العلاقات مع تركيا (الحركة الكمالية) :

كانت القوات الفرنسية قد احتلت بعد الهدنة منطقة تضم كليكيا وما بعدها شرقاً . وقد جعلت يقظة الحركة القومية التركية بقيادة مصطفى كمال موقف فرنسا صعباً فى تلك المنطقة ، وكانت حملة مجهدة أمام القوات الفرنسية حاول الترك فيها توحيد نضالهم مع العرب ضد العدو المشترك . وبرغم أن فيصلا نفسه قدحاول فى حديثه إلى Jeffries أن ينكر وجود أية حركة موالية لتركيا فى سوريا وأن يعلل وجود العطف على الحركة القومية التركية إلى ما كان يتمتع به العرب فى ظل الحكم العثمانى من مساواة[٣] ، إلا أن تشرشل قد أكد وجود هذا العطف وبين أخطاره فى حديثه أمام مجلس العموم . . « بأن العرب الذين أثارهم احتلال سوريا يحاولون الآن ولأول مرة وبعدة طرق إيجاد قضية مشتركة مع القوميين الترك ، وبذلك يوحدون قوميتين كانت سياستنا قد نجحت إلى الآن فى التفريق بينهما »[٤] . .

وكان الكماليون قد حاصروا الحاميات الفرنسية فى (أورفه وكلس وعينتاب) ولم تستطع السلطات إرسال النجدات عن طريق كليكيا بسبب وعورة الطريق ولتخريب الخط الحديدى المتجه إلى كليكيا بفعل أعمال العصابات التى كانت

---

(١) كان هربرت صموئيل قد وصل يافا فى ٣٠ يونيو . . وقد وصفت Times, 5th July 1920 الاستقبال الحار الذى استقبل به يهود فلسطين هربرت صموئيل فى حين شكت من موقف العرب العدائى .

(٢) الدفاع عدد ١٠١٥ فى ١٣ يوليو (تموز) ١٩٢٠ .

(٣) Jeffries, p. 324.

(٤) Parliamentary Debates, Vol. 127, 1920, Col. 186.

تدار وتنظم فى حلب[١] .

وأصبح موقف غورو صعباً وكان عليه أن يعتمد على خط رياق – حلب لنقل معداته إلى الشمال، وقد أوعز إلى ممثله فى دمشق – كوس – أن يطلب من الحكومة السورية السماح للجيش الفرنسى بالمرور فى سوريا، وكان الركابى يرى الموافقة ، وخاصة لأن فرنسا أخذت على عاتقها مهمة الدفاع عن حدود البلاد بينما أشار الساسة المتطرفون بالعكس ، واتخذوا من هذا الطلب وسيلة لمطالبة الفرنسيين بالاعتراف باستقلال سوريا ودفع نصيبها من واردات الجمارك، ورفض غورو . وأصدرت الحكومة العربية أوامرها برغم معارضة الوطنيين بالسماح باستخدام السكك الحديدية ، إلا أنها أيدت إجراءات السلطات المحلية بإيقاف إرسال الأسلحة ... ومنع الفرنسيين من استخدام الخطوط لإرسال المعدات والذخائر[٢]. وقد دفع هذا الموقف إلى نقل الجيش الفرنسى بحراً إلى الإسكندرون ثم براً إلى منطقة الحرب دون فائدة ، إذ تخلى الفرنسيون عن مرعش أورفه وعينتاب مما اضطر غورو إلى حل الخلاف سلمياً وأملى الترك إرادتهم على فرنسا ، وعقدت هدنة فى مطلع يونية (حزيران) كانت مقدمة للصلح ، وحشد الفرنسيون قواتهم بذلك على حدود سوريا الداخلية فى جهات إسكندرون وحدود حلب ، بعد أن أمنوا الحدود الشمالية.

٣ – العلاقات مع العراق :

كانت الحدود مع العراق قد هدأت قليلا بعد عودة فيصل وسحب رمضان شلاش . إلا أن الأعمال الحربية قد تجددت بعد إعلان المؤتمر العراقى استقلال العراق والمناداة بتشكيل وحدة سياسية اقتصادية بين سوريا والعراق . وكانت السلطات البريطانية حتى الآن ترفض البحث فى استقلال العراق وخاصة بعد

---

(١) Haut Commissariate de la Republique Française, op. cit., p. 44.

(٢) مجموعة أوراق عونى عبد الهادى مذكرة من غورو بالفرنسية فى ٥ مايو (آيار) يعدد فيها الاتهامات للسلطات العربية لرفضها السماح بنقل الفرق الفرنسية على الخط الحديدى وإيقاف العربات المحملة بالمواد الحربية والمهمات الصحية فى المحطات بفعل العصابات الوطنية . برغم الوعد الذى قدمته الحكومة العربية بإمرارها .

ويعنى ذلك حسب قوله ، أن حكومتكم تحيد عن واجبها فى التحالف .

حصولها على الانتداب ، وكان التفكير الغالب بأن على بريطانيا أن تحتل العراق احتلالا مباشراً، ولم يقدر ويلسون تأثير إنشاء حكومة قومية فى دمشق على الفكرة القومية فى العراق . . وانساق وراء استنتاجات جرترود بل بأن بريطانيا يجب أن تحكم العراق مباشرة [١].

وكان الضباط العراقيون الذين اشتركوا بالثورة العربية يلحون على فيصل — خاصة بعد إعلان الملكية — بذل الجهود لتحرير العراق « فهم لم يحاربوا ليستبدلوا الترك بالإنجليز بل لتحرير البلاد العربية كلها » . . وطلبوا مالاً وسلاحاً لتنظيم العصابات فى شمال العراق ، ولا يعرف تماماً مدى تجاوب فيصل مع هذه الدعوة [٢].

وبدأت الدعاية القومية العنيفة تنفذ من منطقة دير الزور إلى داخل العراق ووزع السلاح والذخيرة على زعماء شمر وغيرها من القبائل وفى منطقة عانة والبوكمال للحث على الثورة . وكانت أكبر حملات الدعاية تلك التى قامت بها جمعية العهد العراقى فى الموصل ، والتى أدخلها جميل المدفعى وهو مواطن من الموصل وعضو فى حكومة فيصل . وكانت الجمعية على اتصال بالجمعية الأم فى دمشق وتشمل عدداً كبيراً من المثقفين وتظهر عداوة للإدارة البريطانية على شكل احتجاجات ومنشورات ضد الحكومة تدعو للثورة، وتطور النشاط القومى من الاستياء إلى التحدى الصريح . . . وكان أهل الموصل على استعداد للثورة إذا أتيحت لهم الفرصة من قبل القوات العراقية [٣].

وتركزت هجمات القبائل منذ أبريل (نيسان) خارج الموصل وعلى المناطق المجاورة وبشكل مركز على مراكز التموين العسكرى . وتدل هذه الهجمات على أن الضباط السابقين للثورة العربية هم الذين تولوا قيادتها [٤] .. وعزلت القوات

---

(١) Bell, pp. 463 — 464.

(٢) فى مقابلة شخصية أجراها (دكتور زين) مع أحد الضباط العراقيين بأن فيصلا بعد أن رفض أن يرسل معهم زيداً لتنظيم العصابات فى مارس (آذار) ١٩٢٠ وافق على إعطائهم ٥٠٠٠ جنيه مصرى حولت فى حلب إلى جنيهات ذهبية تركية . . ومن دير الزور نظمت العصابات التى عملت فى منطقة الموصل Zeine, p. 146.

(٣) Ireland, Iraq, p.256.

(٤) Young, p. 306.

البريطانية فى الموصل بسبب ماتوارد من أسلحة وقوات أمدّتها أموال بريطانية وتركية .

وقد تقدمت قوة عربية بقيادة جميل المدفعى الذى كان يسمى نفسه قائد جيش العراق الشمالية نحو الموصل . . ودخلت (تلّعفر) وقتلت ضابطين بريطانيين ومعاونيهما . . ولم يرتد المهاجمون إلى دير الزور إلا بعد نجدة أتت من الموصل . وأعلنت حكومة دمشق عدم مسئوليّتها عن هذا الحادث وعن غيره . . برغم أن ضابط الارتباط فى الموصل يؤكد أن حركة تلّعفر نظمّتها جمعية العهد فى سورية وساندتّها عسكريًّا أسلحة من دير الزور ، وأن فيصلا قد تنصل منها ولكنه كان يعرف بها ويشجعها كما أن زيداً كان يمولها وأنه لولاتدفق الدعاية الشريفية التى تسندها مبالغ كثيرة من مالية دمشق — والتى تتلقى بدورها المساعدات من الحكومة البريطانية — لكان العراق فى هدوء[1].

وكان التوتر السياسى قد ازداد فى العراق وتكررت المطالب الملحة للاستقلال المباشر — دون انتداب — ولكن سقوط دمشق واحتلال سوريا من قبل فرنسا قد أنهى قوة الحركة القومية عبر الفرات وأصبح وحيها خلال الأشهر التالية يأتى من بغداد .

٤ — العلاقات مع المنطقة الغربية :

كانت العلاقات مع السلطات الفرنسية فى المنطقة الغربية قد ازدادت توترا بعد إعلان الاستقلال . وجرت محاولة تهديد المنتخبين الثانويين فى بيروت الذين يسعون لانتخاب ممثلين عنهم فى المؤتمر المنعقد فى دمشق . كما جرى تحقيق مع بعض أعضاء المؤتمر السورى عن بيروت بعد عودتهم إليها أمام محكمة خاصة

---

(١) يؤكد Ireland, pp. 242 — 259 أن الأسلحة والأموال قد أتت إلى الضباط فى دير الزور وحلب من مصادر تركية ومن المعونة البريطانية لحكومة دمشق وتقدر . . المبالغ التى أرسلت من سوريا إلى العراق بـ ١٦٠٫٠٠٠ جنيه . . ولكن فارس الخورى وزير المالية فى حكومة فيصل أنكر للمؤلف بشكل قطعى دفع مبالغ من المالية السورية .. وقد تكون الأموال قد جاءت بطريق غير مباشر من زيد . .

من أجل الحصول على وثائق تؤيد عدم نيابة مندوبى بيروت والساحل عن الأهالى نيابة حقيقية [١].

وبرغم تضايق السلطات الفرنسية فقد احتفل فى بيروت وغيرها من مناطق الساحل بإعلان الاستقلال ، وتدخل الفرنسيون لمنع ذكر فيصل فى الجوامع فى بيروت وغيرها وهدد الخطباء المخالفون بالأحكام العسكرية ونفى الشيخ محيى الدين المكاوى لأنه أصر على الخطبة باسم فيصل [٢] . كما عمدت السلطة المحتلة إلى مكافحة النزعات القومية فى المنطقة الغربية ودس الدسائس ومهاجمة سوريا فى الصحف وإلى استخدام الجواسيس ، وأرسلت دائرة المراقبة إلى الصحف بأن لا يقرنوا اسم فيصل بلقب ملك بل بلفظة أمير [٣]. وطلب إلى المعتمد العربى فى بيروت إنزال العلم السورى وكاد الأمر يتطور إلى أزمة .

وحمل الفرنسيون الهيئات الموالية على استنكار الاستقلال ، فاجتمع مجلس إدارة لبنان فى بعبدا وأعلن احتجاجه على كل ما ورد فى قرار الاستقلال فيما يتعلق بالجبل وأيدا استقلاله المطلق المعلن فى مايو (آيار) ١٩١٩ وتلا ذلك احتجاج بطريرك الموارنة إلى غورو على قرار المؤتمر المخالف لأمانى اللبنانيين [٤].

وقد تجاوزت الخلافات إلى قضايا اقتصادية وعسكرية، فقد قطعت العلاقات الاقتصادية تقريباً مع المنطقة الساحلية كما منعت الحكومة استخدام العملة السورية الجديدة التى أصدرتها السلطات الفرنسية واحتجت على تداولها فى المنطقة الساحلية [٥] .

وتفجر النزاع المسلح بين العرب والفرنسيين على الحدود بفعل الحماس القومى بعد أن هدأ فترة بتدخل فيصل، واستقال كثير من الضباط السوريين من الجيش

---

(١) الدفاع عدد ٥٨ فى ٢٠ مارس (آذار) سنة ١٩٢٠ .

(٢) من مجموعة أوراق عونى عبد الهادى مسودات رسائل بخط فيصل احتجاجاً إلى غورو والحكومة الفرنسية وإلى البطريرك النبى «لما ألحق الديانة الإسلامية من إهانة لمداخلة السلطة العسكرية فى الأمور الدينية . . ومنع الخطب فى الجوامع من الدعاء حسب رغبتهم . . . »

(٣) الدفاع عدد ٧١ فى ١٥ أبريل (نيسان) ١٩٢٠ .

(٤) David, p. 105.

(٥) ومن مجموعة أوراق عونى مسودة رسالة بخط فيصل احتجاجاً على وضع النقد السورى فى التداول « لأنه ليس بسورى ولأن الورق ما أخرج من طرف الحكومة السورية بل من طرف جيش الاحتلال » .

وانضموا إلى الثوار المناضلين فى جبل عامل وجبال العلويين وأنطاكية[١] وحدث هجوم على أنطاكية من قبل متطوعين عرب ، وقتل حوالى خمسين فرنسياً واحتل الثوار المدينة ورفعوا العلم العربى فترة من الزمن فيها[٢] ، وتجمع الثوار فى جهات مرجعيون والحوله ، وبث الدعوة فى جبل عامل وطالب زعماء الحركة برجوع الفرنسيين إلى ما وراء المليطانى[٣]. وعادت ثورة العلويين التى نشبت منذ بدء الاحتلال بشكل أكثر تنظيماً بعد هدنة بسيطة .

ورد الفرنسيون بإجراء استعدادات على الحدود ، واستقدموا الجند إلى زحلة ورياق وعلى جميع الحدود الممتدة غرب حمص وحماة وحلب[٤].

وزادت ردود الفعل بعد سان ريمو ، ولم يعد فيصل قادراً على السيطرة على جيش مستاء ، والجميع يطلب وزارة دفاعية تصرف جهدها للدفاع . وكى يهيئ البلاد للمقاومة ، وافق على زيادة عدد القوات العسكرية بتعديل قانون التجنيد الإجبارى . وتوالى الضغط عليه ليعلن الحرب فلجأ إلى التردد ، ولكنه تغاضى عن الهجمات على المواقع الفرنسية . ولم يتمكن أو لم يرغب فى قمع ضباطه من العمل فى عصابات منظمة كانت أكثرها فعالية فى الجنوب على حدود فلسطين (فى مرجعيون) وفى البقاع وفى العلويين والإسكندرون[٥] .

وحققت ثورة هنانو وصالح العلى تعاوناً بينهما وبين قوات كل منهما والقوات التركية . وامتدت الثورة إلى معظم المنطقة من الإسكندرون حتى

---

(١) قدرى ص ٢٠٩

(٢) Times, History of the War, Vol. XXI, p. 447.

(٣) الدفاع عدد ٥٥ فى ١٦ مارس (آذار) ١٩٢٠ .
عدد ٦٧ فى ٣٠ مارس آذار ١٩٢٠ .

(٤) الدفاع عدد ٦٢ فى ٢٤ مارس (آذار) ١٩٢٠ ... وقد سئل رئيس الأركان حول هذه الاخبار فقال : « لا أعتقد أن حلفاءنا يشهرون علينا السلاح ولو فرض أن الأمر انتهى بالحرب فلدينا القوة الكافية .

(٥) Longrigg, p. 99.
ومن مجموعة أوراق عونى عبد الهادى كتاب من غورو إلى فيصل فى ٥ مايو (آيار) يحتج على أعمال العصابات خلال الشهرين الماضيين وخاصة الدعم الذى تعطيه سلطات حلب إلى العصابات التى تهاجم قرى المنطقة الغربية وتحارب القوات الفرنسية . . وأن معظم هذه العصابات تحت قيادة صبحى بركات .

طرابلس، وكان يشرف على مناطق الثورة ويراقب خططها عدد من المسئولين . . .

وقد تجلت النقمة على فرنسا والموالين لها بمظهر جديد . إذ أصبح المسيحيون فى الأقاليم الجنوبية فى لبنان هدفاً لأعمال العصابات الوطنية لانحيازهم إلى فرنسا فهوجمت القرى المسيحية فى عين إبل والجديدة والقليعة [١] .

وقام غورو باتخاذ إجراءات عسكرية صارمة لقمع هذه الثورات وخاصة ضد العلويين فى الشمال والشيعة فى الجنوب . فدمرت مدن هامة منها أنطاكية والقصير والقدموس وبانياس ، وتراجعت قوات الشيخ صالح العلى إلى بعض المراكز البعيدة ، وارتكب الفرنسيون كثيراً من الفظائع إلى جانب النتائج السيئة على التجارة والزراعة . . . [٢] .

كما جرت حملة عسكرية فى جبل عامل فى الأسبوع الأخير من مايو (أيار) قتل فيها الكثيرون كما حكم بالموت على ٣٦ شخصاً وأبعد العشرات وخربت قرى كثيرة وأصبح الآلاف فى جبل عامل بلا مأوى [٣] .

وسمح الفرنسيون بتكوين عصابات فى لبنان لإثارة الاضطرابات فى المنطقة الشرقية وسلحت القرى المسيحية والموالية فى عكار ولبنان الجنوبى والإسماعيلية فى بانياس .

ووجد الحقد الطائفى طريقه إلى الظهور فقام النصيرية (وهم بجانب العرب) وهاجموا الإسماعيلية (وهم بجانب فرنسا) كما أن العصابات الوطنية التى هاجمت الموارنة فى لبنان الجنوبى ذهبت إلى نهب الدروز الذين لم يكونوا على نزاع معهم فانضم الدروز إلى الموارنة وصدر عفو عام عن الدروز الذين كانوا قد انضموا إلى فيصل [٤] .

---

(١) الريحانى ٣١٦ — ٣١٧ .

(٢) من مجموعة أوراق عونى عبد الهادى، مسودة رسالة بعث بها فيصل إلى غورو فى ٢٤ مايو (أيار) يحتج على أعمال العنف فى منطقة اللاذقية وتخريب القرى وكثرة اللاجئين ويطلب منحهم معونات وحماية بقية قرى المسلمين .

(٣) من مجموعة أوراق عونى، مسودة رسالة احتجاج مرفوع إلى الصحف العربية والعالمية للأعمال الوحشية فى جبل عامل وطلب المعونة والمساعدة للذين تخربت قراهم . . ونهبت أموالهم . . من سكان مقاطعة صيدا وصور ومرجعيون . . الذين تحت الإشراف الفرنسى .

(٤) مسعد بولس؛ لبنان وسورية قبل الانتداب وبعده ص ٦٤ — ٧٢ .

واحتج فيصل لدى غورو بأن « إدخال المنافرة بين طائفتين عاشوا دهوراً كالإخوان سيثير مشاكل جديدة ليس من مصلحة فرنسا أو من مصلحة السلم العام » وطلب وقف تسليح العصابات بالأسلحة الفرنسية ، وأكد فيصل ذلك برسالة أخرى عدد فيها أسماء القرى التى وزع عليها السلاح . . . ومقداره وأسماء الأشخاص الذين كانوا واسطة التوزيع [١].

كما أرسل إلى لويد جورج بعد حملة جبل عامل بأسبوع يطلب منه التوسط باسم الإنسانية . . ويبلغه أنه قد شرح لغورو أن هذه الإجراءات سوف تعرقل جهود فيصل لإقرار السلم والأمن وتجعل غيابه عن سوريا غير سليم واحتج فى رسالة ثانية على تسليح فرنسة للمسيحيين لأن هذا سيؤدى إلى تعصب دينى ويقضى على جهوده لإيجاد وحدة قومية إسلامية مسيحية [٢].

وفى الحقيقة أصبح فيصل نقطة تجمع لكل القوى التى تعارض فرنسا فى سوريا بما فيها لبنان ، حيث ظهر وسط الأزمة تحد جديد فى وجه غورو بقرار مجلس إدارة لبنان فى ١٠ يوليو (تموز) بطلب استقلال وسيادة لبنان وحياده المطلق واتفاقه مع سوريا على أساس مطالب لبنان الإقليمية والتعاون بين البلدين فى الشئون الاقتصادية مع التوصل إلى وفاق يضمن حقوق البلدين المتجاورين وحسن الصلات بينهما فى المستقبل ، على أن يتعاون الفريقان فى السعى لدى الدول الكبرى على تصديق هذه البنود وضمان إحكامها [٣]. وناقض المجلس بذلك قراره الأول فى مايو (آيار) ١٩١٩ بوضع لبنان تحت حماية فرنسا ، بعد أن تعددت شكاوى اللبنانيين من الإدارة العسكرية الفرنسية لعدم إشراكهم فى الإدارة المدنية .

---

(١) من مجموعة أوراق عونى عبد الهادى .

(٢) من مجموعة أوراق عونى عبد الهادى مسودة رسالة فيصل إلى لويد جورج . . « تحتج على التسليحات المتمادية للقسم المسيحى فى منطقة الاحتلال الفرنسى هو مقدمت هلاكت عظمى على البلاد . فضع مسئوليتها . . على من يريد تفريق الكلمة باسم الدين . . وإثارة التعصب الذميم . بعد أن عاشت سورية مسلميها ومسيحييها كالإخوان . . . . » .

(٣) نشرت الحياة عدد ٢٠٠٩ فى ٢٤ نوفبر (تشرين ثان) ١٩٥٢ صورة الوثيقة الأصلية لقرار مجلس الإدارة .

وقد كان بنية ثمانية من أعضاء المجلس التوجه إلى دمشق لمرافقة الوفد السورى إلى أوربا للفت أنظار الهيئات الرسمية برغبات سكان لبنان ولكن تسربت الأخبار إلى السلطات الفرنسية فألقت القبض عليهم وهم فى طريقهم إلى زحلة واتهم غورو الملك فيصل برشوة أعضاء المجلس لبيع بلدهم[١]. ودفع البطريرك المارونى إلى إرسال برقيات الولاء إلى باريس واتخذ غورو أعمالا رادعة ضد الأعضاء المعتقلين وحل المجلس[٢] .

٥ — أزمة إنذار غورو ونكبة ميسلون

(١) مقدمات الأزمة :

يبدو أن حادث مجلس إدارة لبنان قد أضعف كل آمال التسوية مع السلطات الفرنسية ، وخاصة أن غورو الحريص على التقليد الفرنسى لم يكن ليرضيه أن يقبل مهمة تنظيم وإدارة شريط ساحلى ضيق فى الغرب وقد زاد اقتناعه بعد سان ريمو أن الانتداب لايمكن فرنسا إلا باحتلال عسكرى بعد أن قررت الإدارة العربية فى الداخل المقاومة إلى النهاية .

وأصبح أمام غورو وسائل كافية لفرضها ، وذهبت الأيام التى كان باستطاعة

---

(١) اتهم البلاغ الرسمى بأن وسطاء حكومة دمشق قد رشوا ثمانية من أعضاء المجلس بمبلغ ٤٢٫٠٠٠ جنيه . وقد كتب عادل أرسلان فى الحياة عدد ٢٠٠٦ و ٢٠٠٧ فى ٢٠ و ٢١ نوفمبر (تشرين ثان) ١٩٥٢ تقريراً مفصلا بصفته مستشاراً لفيصل فى دمشق . ـ فذكر أنه اطلع على رغبة المجلس بالسفر إلى أوربا لطلب الاستقلال وإيجاد اتحاد مع سوريا ، وتمت المشاورات مع نورى السعيد ورياض الصلح . . وقبل الأعضاء مساعدة عارف النعمانى المالية وكان أحد التجار اللبنانيين الذين يساندون الحركة الوطنية .

بينما يذكر الريحانى ص ٣٢٤ أن الأموال جاءت من فيصل عن طريق نورى السعيد كوسيط برغم أن السند كتب باسم النعمانى . وذكر إسكندر الرياشى فى الحياة عدد ٢٠٠٣ فى ١٧ نوفمبر (تشرين ثان) ١٩٥٢ أنه قد تم شراء ١٠ من أصل ١٢ عضواً وأن الأموال جاء بها عارف النعمانى بواسطة رياض الصلح لإقناع المجلس بالرجوع عن الحماية الفرنسية . . .

بينما ذكر النعمانى نفسه فى مذكراته فى الحياة ٢٠٩٣ (١٩٥٣) فى ٥ مارس (آذار) أنه دفع كل شىء . . فقد دفع ١٠٫٥٠٠ جنيه ذهب وأن رياض الصلح هو الذى كاشف الأعضاء باستقلال لبنان وإنشاء علاقات مع سورية .

(٢) أرسل الأعضاء إلى أرواد ثم إلى كورسيكا حيث بقوا سنة وأخيراً إلى باريس ثم أطلق سراحهم وعادوا إلى لبنان .

العرب فى خريف ١٩١٨ أو خريف ١٩١٩ تهديد القوة الفرنسية على الساحل، فقد أصبحت هذه القوة هائلة جداً واعترف بهذه الحقيقة ياسين الهاشمي نفسه بعد عودته من المنفى فى أواسط مايو (آيار) وسمحت الهدنة التى وقعها غورو مع الترك على أن يؤمن جبهة واحدة ويعيد تنظيم قواته ويهيئها للعمل فى المنطقة الشرقية فى الوقت الذى كانت الحكومة الفرنسية قد قررت فيه الانتهاء من « الحكم الشريفى »[١].

وقد كانت القضية السورية موضع بحث ومناقشة فى المجلس النيابى الفرنسى قبل ميسلون بشهر بمناسبة الاعتمادات التى طلبتها الحكومة تنفيذاً لسياستها فى الشرق، وبرغم معارضة بعض النواب وافق المجلس على المخصصات اللازمة لإرسال حملة عسكرية إلى الشرق وقامت وزارة الحربية بإعداد الحملة وإرسالها إلى بيروت شيئاً فشيئاً[٢].

وبدا واضحاً أنها قد صممت على بسط حكمها على سوريا الداخلية مهما كلفها الأمر ولم تتردد فى التضحية بقسم من مطامعها فى البلاد الأخرى لإزالة العوائق التى كانت تعرقل عملها فى سوريا وتنازلت عن الموصل وفلسطين وضمنت بذلك عدم معارضة الحكومة البريطانية على أعمالها فى سوريا برغم أن معظم الساسة فى سورية ظلوا حتى ميسلون يعتقدون أن البريطانيين لن يسمحوا للفرنسيين بالاستيلاء على سوريا الداخلية[٣].

---

(١) من مجموعة أوراق عونى عبد الهادى رسالة احتجاج إلى غورو حول « ما أشيع فى صحف مصر نقلا عن برقية صادرة من باريس معربة عن إيضاح ميلران أمام لجنة الأمور الخارجية بأن الحكومة الفرنسية سترسل ٣٠,٠٠٠ جندى لتحتل منطقة دمشق وحلب وغيرها . وأن روبر دوكه (مستشار غورو) قد صرح بأن الحكومة الفرنسية مستعدة لإرسال ٦٠,٠٠٠ من الجند لتحتل سوريا . ويأمل أن لا تكون صحيحة ويرجو تكذيبها لما علته من تأثير سىء » .

(٢) الحصرى ص ١١٧ ، جريدة الدفاع عدد ١٥٥ فى ١٧ يوليو .

(٣) الحصرى ص ١٩٧ .

وفى مقابلة مع عونى عبد الهادى ذكر « بأن هربرت صموئيل روى له عام ١٩٢١ بأنه قد زار باريس فى طريقه إلى القدس فى يونيو (حزيران) ١٩٢٠ وصحب لويد جورج لمقابلة ميلران . وكان الموضوع يتعلق بالملك فيصل وأسهب ميلران فى شرح الظروف القاسية التى تمر بها فرنسا نتيجة للضربات القوية التى يكيلها فيصل وأعوانه وجيشه ضد القوات الفرنسية . وقال . . إن فرنسا لا تستطيع السكوت أمام ما يحل بالجيش الفرنسى لذلك طلب أن يكون لها حرية العمل فى اتخاذ الوسائل لحفظ سلامتها وأمن جيشها » . وكان جواب لويد جورج .. « أن الحكومة البريطانية ترى أن لك الحق بأن تتخذ ما تراه من إجراءات » . ومنذ ذلك الحين بدأت فرنسا بإرسال الإمدادات إلى سوريا حتى الإنذار .

وكانت أخبار التحشيدات العسكرية على حدود المنطقة الشرقية فى زحلة وقرب حلب ، وتقارير مديرية الأمن من دعاية عملاء الفرنسيين فى المنطقة الشرقية تدل على قرب حدوث أزمة خطيرة تقر مصير البلاد بعد أشهر التردد والانتظار منذ إعلان الهدنة(١).

واستقر رأى فيصل بعد أن أنذر بهذا الوضع على الذهاب إلى أوربة على رأس وفد سورى . وأرسل ضابط الارتباط البريطانى فى دمشق إلى الإسكندرية ليبلغ اللنبي بأن فيصلا يخشى هجوماً فرنسياً وشيكاً ، وأبرق اللنبي بهذه الأخبار إلى كرزن . وطلب فيصل برسالة خاصة إلى لويد جورج ضماناً بعدم حدوث تغيير فى الوضع العسكرى على الحدود فى حال غيابه . ولكن الحكومة البريطانية لم تقدم له أى ضمان ، ولم تتعهد له بأى إجراءات خاصة لرحلة إلى أوربا ؛ فعرف الفرنسيون أن بإمكانهم العمل مع فيصل وحده(٢).

لذلك لما أرسل فيصل ممثله نورى السعيد إلى بيروت ليعلن نية الملك فى السفر إلى أوربا ، ويطلب إعداد الوسائل اللازمة ، أبلغه غورو أن الدعوة لم تعد مفتوحة ، وأن رسالة هامة ستصل فيصلاً خلال أيام بناء على تعليمات الحكومة الفرنسية(٣) .

ووصلت الأزمة أوجها فى ١١ يوليو (تموز) حين عرفت فحوى الرسالة الشفوية التى حملها نورى السعيد والتى تتضمن وضع سكة حديد رياق — حلب تحت تصرف الجيش الفرنسى وقبول الانتداب الفرنسى وإلغاء التجنيد الإجبارى وقبول الأوراق النقدية التى يصدرها البنك السورى ومعاقبة رؤساء العصابات المسئولة عن حركات المقاومة ضد الفرنسيين .

وأطلع فيصل قناصل الدول الأجنبية فى دمشق على فحوى الإنذار غير الرسمى مناشداً عدالة الحلفاء والتدخل لإنقاذ استقلال سوريا المهدد بالانهيار

---

(١) الحصرى ص ١٠٧ وقد قدر للمؤلف أن يرافق أحداث هذه الفترة ويسجلها فى كتابه « يوم ميسلون » .

(٢) Tibawi, p. 115.

(٣) Longrigg, p. 104.

بالقوة وطلب بلجنة دولية للتحكيم واعداً أنه هو وشعبه سينفذ قرار اللجنة[١].

وتبع ذلك برقية توضيحية إلى رئيس الهيئة القنصلية فى دمشق الماركيز De Paterno قنصل إيطاليا العام ، مع برقيات أخرى إلى حكومات بريطانيا وبلجيكا والولايات المتحدة والعصبة طالباً منهم أن يسمعوا صوت سوريا مكرراً طلبه بوقف القوات الفرنسية من دخول بلده .

وكان ذلك دون طائل، فقد وصلت الأخبار بأن القوات الفرنسية قدتقدمت صباح ١٢ يوليو (تموز) إلى المعلقة واحتلت محطة رياق وهى النقطة التى يلتقى فيها الخط القادم من دمشق وحلب[٢] .

وأثارت هذه الأخبار هياجاً كبيراً فى دمشق فى المحافل الحكومية والطبقات الشعبية : فعقد فيصل مجلساً حضره كبار الزعماء ووزير الحربية وقابل ممثلى الأحزاب السياسية فى العاصمة « واستدعى جنود عشرين فرقة . . وبدأ جمع وسائط النقل . . وكان الأهالى فى قلق وحماس . . وعقد اجتماع شعبى حث على مقاومة التقدم الفرنسى »[٣].

وكان المؤتمر السورى ، الذى يتابع تطورات الموقف ، على اتصال بالملك والوزارة لاستجلاء الموقف المتأزم، وعقد جلسة فى ١٣ يوليو (تموز) وطلب من الوزارة الإدلاء ببيانها وقدم وزير الحربية بيان الحكومة أمام المؤتمر وأعلن .. «إننا لا نريد إلا السلام والمحافظة على شرفنا واستقلالنا . . إننا لا نريد الإخلال بالصلات الحسنة مع حلفائنا . . ولا نرفض المفاوضات . . ونقبل كل حل لا يمس استقلالنا وشرفنا . . . ونحن مستعدون كل الاستعداد ومصممون على الدفاع عن شرفنا وحقوقنا »[٤].

---

(١) الحصرى ٢٩٣ — ٢٩٤ .

(٢) Times, July 17, 1920, p. 12.

(٣) مذكرات طه الهاشمى ص ٦١ .

(٤) العاصمة عدد ١٤٠ فى ١٥ يوليو (تموز) ١٩٢٠ .

(ب) الإنذار ورد الفعل الداخلى والأجنبى :

وصل الإنذار على شكل مذكرة إلى الأمير فيصل فى ١٤ يوليو (تموز) باسم الحكومة الفرنسا ، ويتلخص بأن الانتداب من وجهة نظر فرنسا يمكن أن يتوافق مع وجود حكومة سورية . وبدأ الإنذار بتعداد سلسلة شكاوى على أعمال حكومة دمشق مع مطالب محددة غايتها تأمين إشراف فرنسى على أعمال الحكومة العربية ، وكانت توضيحاً للرسالة التى حملها نورى السعيد مع إضافة بأن حرية التصرف بسكة حديد رياق ـ حلب إنما يتم باحتلال محطات رياق وبعلبك وحمص وحماة وحلب مع مدينة حلب نفسها من قبل القوات الفرنسية[١] .

ويضيف الإنذار أن هذه الشروط الخمسة تعرض كمجموعة لاتقبل التجزئة، ويجب أن تقبل أو ترفض بمجموعها خلال أربعة أيام تنقضى فى منتصف ليلة ١٨ يوليو (تموز) وفى حال الرفض فإن الحكومة الفرنسية تتحرر كلية من أى قيد ، وقد لاتكتفى « بالضمانات المعتدلة » التى طلبها الإنذار ، أما فى حالة القبول فيجب أن تصدر الأوامر للسلطات بعدم عرقلة احتلال القوات الفرنسية للمحطات . . كما يجب أن تصدر ـ مراسيم التنفيذ لسائر الشروط قبل ١٨ منه على أن يتم التنفيذ بجميع حذافيره قبل انتهاء الشهر .

وقد أرسلت برقية أخرى إلى ممثلى الدول بعد وصول الإنذار[٢] وطلب فيصل من كرزن التدخل لدى فرنسا فرفض لأن لفرنسا الحق الأول فى سوريا وستثيرها هذه الخطوة[٣].

ووصلت تقارير إلى لندن بأن الفرنسيين قد بدءوا بعمليات الحدود فتحركت

---

(١) أوردت التيمس فى عددها July 20, 1920, p. 12 نقلا عن مراسلها فى باريس فى ١٨ يوليو (تموز) تلخيصاً لهذه الشكاوى .. إغلاق الخط الحديدى فى وجه الإمدادات العسكرية . . الاتفاق مع القوميين الكماليين . . . وضع صعوبات بإرسال الدعم العسكرى إلى كليكيا . . . واتخاذ إجراءات ضد فرنسا كالجندية الإجبارية وزيادة تسليح الجيش . . وقطع العلاقات المالية والاقتصادية مع المنطقة الساحلية والقبض على بعض أعوان فرنسا .

انظر الحصرى ١٩٩ ـ ٢٠٨ (النص الكامل لإنذار غورو) .

(٢) الحصرى ص ٢٠٨ .

(٣) Kedourie, p. 173.

كتيبتان الأولى نحو حلب والثانية نحو دمشق بعربات مسلحة ودبابات وطائرات ومدفعية تحوى فرقاً فرنسية وسنغالية ولم يظهر العرب مقاومة حتى الآن[١].

وأثارت هذه التطورات قلقاً فى بريطانيا وأصبح الرأى العام مهتماً بالنتائج الممكنة للإنذار الفرنسى على المصالح البريطانية فى الشرق الأوسط . وكان ذلك موضوع مناقشة فى مجلس العموم فى ١٩ يوليو (تموز) ١٩٢٠[٢] وكانت الأسئلة التى أثيرت فى المناقشة تطلب من الحكومة تحديد موقفها من النزاع وإلى أى حد تستعد لدعم الفريقين وفيما إذا كانت مستعدة للمحافظة على حرفية وروح وعودها للعرب ، وخاصة أنها قد ضمنت لهم بشكل خاص المدن الأربع التى يتقدم الفرنسيون الآن لاحتلالها .

وقد حمل بعض النواب الحكومة البريطانية مسئولية مخالفة الاتفاقيات التى وضعت عام ١٩١٨ لتقسيم مناطق الاحتلال والتى يجب أن تستمر حتى التسوية النهائية وناقش البعض ادعاءات فرنسا التقليدية فى سوريا وتساءلوا فيما إذا كان عمل فرنسا قد اقترن بموافقة المجلس الأعلى أو أن مبدأ الانتداب قد عرض على دول الحلفاء .

وقدم Bonar Low رئيس مجلس العموم رد الحكومة على المعارضة بأن الحكومة البريطانية كانت مستعدة للاعتراف ودعم الدولة العربية المستقلة التى طلبها فيصل ولكن ضمن المناطق التى تكون الحكومة البريطانية فيها حرة التصرف ودون أن تضر مصالح حليفتها . كما بين أن ما حدث ليس ضد معاهدة فرساى أو روح الانتداب ، و «الانتداب الفرنسى نفسه لا يتعارض مع وعودنا »، ولا يوجد مبرر للحكومة البريطانية بالتدخل إلا إذا أصبح الموقف خطيراً ، لأن ذلك يخالف معاهدة فرساى وميثاق العصبة . . »، وقد تعددت شكاوى الفرنسيين من فيصل وهم لن يسمحوا باستمرار الوضع طالما أنهم مسئولون عن الانتداب فى تلك المنطقة[٣].

ووقفت الحكومة البريطانية بذلك بأمانة مع الفرنسيين واختارت الزمن الملائم

---

(١) Times, July 19, 1920, p. 212.

(٢) Parliamentary Debates, Vol. 132 (1920) Col. 142 — 171.

(٣) Young, pp. 318 — 21.

لوضع هذه المناقشة أمام مجلس العموم ، وإنهائها بإطلاق يد فرنسا فى سوريا وتخالف بذلك كل العهود والتصريحات التى صدرت فى أثناء الحرب وبعدها .

وقد تضاربت الآراء فى سوريا حول الوضع ، فالبعض يعتقد أن الفرنسيين سوف لا يهاجمون المنطقة الشرقية مالم يرغموا على ذلك ، وأن العمليات ليست إلا مظاهرة عسكرية لإقناع الحكومة فى دمشق بقبول الإنذار ، والبعض يرى الموقف منذرًا بالخطر . . ويصر على القتال إلى آخر رجل .

ودلت الإجراءات التى اتخذتها الحكومة بادئ الأمر عن عزمها على مواجهة الإنذار فأعلنت الأحكام العرفية أو على الأصح تطبيق الإدارة العرفية التى لم تلغ حتى الآن بحذافيرها[1] ، واتخذت تدابير دفاعية على اعتقاد بأن دمشق هى الهدف الأساسى للعدو وقد أجرى يوسف العظمة ترتيباته العسكرية وعين القواد لإدارة الحركات فى مختلف الجهات وأهمها جبهة مجدل عنجر التى عهد بقيادتها إلى زيد ورياسة أركان جيشها إلى ياسين الهاشمى . وكانت خطته إنشاء سلسلة حصون فى هذه المنطقة المطلة على سهول البقاع والمسيطرة على طريق رياق دمشق ، وأرسلت هيئة خبراء لفحص التحصينات هناك ودراسة إمكانيات الجيش وكان من أبرز أعضائها ياسين الهاشمى . . وقدم الهاشمى تقريره إلى الملك ، فحطم كل الترتيبات الدفاعية حين ذكر أن الجيش أضعف من أن يثبت للمقاومة والدفاع ، وليس لديه من العتاد ما يكفى لصد هجوم أكثر من بضع ساعات[2] .

واختلفت الآراء فقرر مجلس الوزراء عقد جلسة للقادة العسكريين للتأكد من الوضع العسكرى جيداً وتخلف العظمة عن الاجتماع . وتقدم كل واحد بما يختص

---

(١) الدفاع عدد ٣٠٩ فى ١٨ يوليو (تموز) ١٩٢٠ ، العاصمة عدد ١٤٠ فى ١٥ يوليو تموز ١٩٢٠ .

(٢) يرى الحصرى أن تقرير الهاشمى يناقض روح التفاؤل لدى يوسف العظمة فلما ذكره الحصرى بأنه كان قبل نفيه أول الداعين لاستعمال القوة . قال « إن الأوضاع قد تبدلت وأتى الفرنسيون بقوى جديدة ونحن لم نفعل شيئاً . المدافع فى الاستعراضات ليس لها إلا عدد قليل من القذائف لا تكفى لحرب ساعة .. ولو اشتبك الجيش فى حرب نظامية يبقى بعد ساعتين بلا عتاد » . ولما صارح الحصرى يوسف العظمة بذلك . . قال لقد كنت أبلف لأخدع الفرنسيين ولما سأله أن كان يأمل بدفع العدوان بقوة السلاح أجاب . « لو كان فيصل يسير معنا على طول الخط منذ البداية كان من المحتمل أن نعمل شيئاً » . الحصرى ص ١٢٦ .

به من أمر التعبئة أو التحشيد مع بيان بالأرقام والوثائق ، وأخيراً بينوا أن الدفاع مستحيل ، فأضعفوا احتمال أى نجاح فى المقاومة العسكرية . وتغلبت على رجال الحكومة بذلك فكرة المسالمة ومحاولة إنقاذ الموقف ، برغم أن العظمة كان لايزال متشدداً وينذر بالاستعفاء [١].

ودعى المؤتمر السورى قبل انتهاء مدة الإنذار بـ ١٦ ساعة إلى اجتماع خاص فى قصر الملك [٢]. وكان الرأى العام يعتقد أن لهذه الدعوة علاقة بإعلان الحرب مع أن الغرض كان حمل المؤتمر على تأييد قرار الحكومة .

وقد ظهر أن أعضاء المؤتمر لم يكونوا على رأى واحد ، فأعضاء المنطقة الغربية والجنوبية تمسكوا بمبدأ الدفاع دون أن يخطر ببالهم أن الجيش العربى قادر على إلحاق الهزيمة بالفرنسيين بل كل ما يطلبونه هو إعاقة تقدمهم ، وأن بإمكان التشكيلات الشعبية الدفاعية أن تعمل بعد ذلك على شكل حرب عصابات قد تلفت نظر العالم وتدفعه للتدخل . والتزم الصمت ممثلو المناطق الأخرى الذين يجنحون إلى السلم ، والعمل على تخفيف وطأة الإنذار عن طريق المفاوضات لأن الرفض سيؤدى إلى الحرب فتخسر سورية كل شيء [٣].

وقد تبين للملك أنه لايمكن الوصول إلى مناقشات معتدلة بين أعضاء المؤتمر فطلب أن يكتب كل عضو رأيه الشخصى ، ولم يحقق الاقتراح أحد ، إذ قرر الأعضاء الاجتماع فى مقرهم . فعقدت جلسة سرية للطعن بالحكومة ووصمها بالجبن والتردد لأنهم اعتقدوا أنها قررت التسليم .

واتخذ المؤتمر فى ١٩ يوليو تموز قرارا بالإجماع : باعتبار كل حكومة تقبل شروط الفرنسيين غير شرعية ، وعدم التقيد بأى معاهدة لا يقرها المؤتمر » وتحميل

---

(١) فى مقابلة مع يوسف الحكيم (وكان وزير النافعة) قال بأنه بعد أن أدلى الضباط بمعلوماتهم أمام الوزارة سأل بعض الوزراء لو « دخلنا الحرب فكم تقدرون أن نبقى فى المعركة ؟ فأجابوا نصف ساعة ، فضحك الوزراء بمرارة . . . » :

ويضيف الحكيم بأنه قد عرضت فكرة للملك بإنشاء وزارة عسكرية واستدعى الركابى فاعتذر قائلا للملك : « طالما قلت لك ياسيدى إن هؤلاء الأولاد سيهوروننا ، وعليهم أن يتحملوا تبعة ما بدأوه » وكان يقصد العظمة بنظراته . .

(٢) العاصمة عدد ١٤١ فى ١٩ يونيو (حزيران) ١٩٢٠ .

(٣) دروزه ، ص ١٢٨ ، قدرى ص ٢٣٨ .

الوزارة كل تبعة أو مسئولية تجاه الوطن » وطبع القرار ونشر فى جريدة العاصمة[١].

وازداد الحماس شدة فى دمشق وتعذر ضبط مشاعر الشعب إزاء مطالب غورو ، فلما اجتمع المؤتمر فى اليوم التالى أمرت الحكومة بتأجيله مدة شهرين وحمل الأمر رئيس الوزارة ووزير الحربية[٢]، وأعطت الحكومة بذلك دليلا واضحاً عن رغبتها فى الوصول إلى تفاهم مع غورو حتى ضد معارضة الشعب .

وبعد ظهر ٢٠ يوليو (تموز) توصلت الوزارة إلى قرارها النهائى بقبول الشروط وأرسلت برقية الموافقة الرسمية عن طريق كوس[٣] ، بعد أن قدر فيصل ووزارؤه الموقف ورأوا أن لا أمل للبلاد فى جيشها ، وخاصة أن المنطقة الشرقية محرومة من السواحل وأراضيها محاطة بالقوات البريطانية والفرنسية مما يجعل تموينها بالذخائر عسيراً ، وأن عدم قبول الإنذار سوف يؤدى إلى إبادة . وأملوا بعد ذلك أن تتغلب الأفكار التحررية فى أوربة وتسوى الأمور بطرق دبلوماسية ، فكان القبول استسلاما واقعياً لأمر محتم .

ومع قبول الإنذار بدأت الإجراءات لتنفيذ الشروط فتلقى قائد الفرقة المدافعة عن جبهة دمشق فى مجدل عنجر (تحسين الفقير) أمراً هاتفيًّا مساء ٢٠ يوليو (تموز) بلزوم تحريك القطعات إلى دمشق حتى يبدأ تسريحها ، أما القطعات الموجودة فى دمشق فقد تم تسريحها فوراً . كما بدأ انسحاب القوات من مجدل عنجر عبر وادى الحرير بعد أن قرأ قائد الفرقة الأولى على الجند قرار التسريح.

---

(١) مقابلة شخصية مع محمد الشريقى وكان عضواً فى المؤتمر ومن المتطرفين ، وقد وضع القرار باقتراحه ووقعه ٤٠ عضواً . وذكر أنه شهد مشادة بين الملك ورشيد رضا رئيس المؤتمر الذى ذهب لمقابلة فيصل فى قصره مع وفد من المؤتمر لإبلاغه القرار . فقال من أنتم . . ؟ أنا خلقت سوريا . . فرد رشيد رضا أأنت خلقت سوريا ؟ . . لقد خلقت سوريا قبل أن تخلق . . .

(٢) المنار جزء ١٠ مجلد ٢٢ فى ٣١ أكتوبر (تشرين أول) ١٩٢١ ص٧٩٢ — ٧٩٤ ويذكر رشيد رضا (بوصفه رئيساً للمؤتمر) بأن بعض النواب كان لا يريد أن يمتثل لأوامر الملك فأقنعهم خوفاً من ثورة داخلية تكون عاقبتها اتهام المؤتمر بأنه المضيع لاستقلال البلاد .

(٣) الوزارة السورية لم تعرف فى ذلك الوقت أن فيصلا قد أرسل برقيتين إلى غورو الأولى فى ١٨ يوليو (تموز)« أنه قبل شخصياً وبصورة مبدئية شروط الجنرال » . ورد غورو ببرقية تشعر باستلامها ولكن « ما يريده ليس قبول الشروط ولكن تنفيذها » . ولكنه منح فيصلا تجديد مهلة الإنذار إلى ٢٠ يوليو . وبرقية أخرى لم يعرف محتواها ولكن من رد كوس يظهر أن غورو قد سربها .

الحصرى ص ١٢٩ ، ٣٠٩ — ٣١١ .

وكان الوضع بالغ السوء، كما وصفه بعض العسكريين الذين عاشوا تلك الأحداث[١].. وأدرك كل جندى وضابط أن أيامه فى الجيش أصبحت معدودة وتركت الأسلحة والذخائر على طول الطريق وفى مستودعات مجدل عنجر والمصنع لعدم توافر وسائل النقل ووقعت بسهولة فى يد العدو .

(حـ) الأيام الأربعة الأخيرة من العهد :

وسببت أخبار تسريح الجيش وانسحابه استياء عامًّا فى دمشق وانتشرت ثورة شاملة فى المدينة وصفها كثير من المعاصرين[٢] . . ومنهم طه الهاشمى الذى كان مديراً للأمن العام فى ذلك الوقت — فقد كتب فى مذكراته « فى ٢٠ يوليو (تموز) خرج عدة جنود من ثكنة البرامكة .. شاهرين السلاح بدعوى أن الحكومة استسلمت للفرنسيين فروا بشارع النصر . . وحرس الموقع . . فبدلا من أن يصدوهم عن عملهم التحقوا بهم . . وشوقهم المشاغبون فزاد التجمهر . . وهجموا على القلعة على مستودع السلاح . . وصادروه وأخرجوا المساجين . . وبدأ إطلاق النار فى البلدة . واستمر إلى منتصف الليل ونهبت بعض الدكاكين وقتل ٢٥ وجرح ٣٥ شخصاً وحدثت هذه الواقعة من ترخيص بعض الجنود وإبقاء الآخرين تحت السلاح . . وفى منتصف ٢١ يوليو (تموز) استتب الأمن عدا بعض السرقات تقع من قبل الجنود النظاميين . . وفى القلعة سرق الضباط والجنود الأسلحة والمهمات . . ولم يستتب الأمن إلا ليلا . . . بعدما أن قرر الملك الدفاع نظراً لتقدم الفرنسيين وعدم قبولهم الوقوف . . . »[٣] .

وسواء اتخذ قرار المقاومة بموافقة فيصل أولا فذلك ليس واضحاً[٤] ولكنها كانت

---

(١) مقابلة شخصية مع اللواء عبد الله عطفه وكان فى لواء الخيالة الأول ، ومقابلة أخرى مع الزعيم جميل البرهانى وكان فى اللواء الأول تحت قيادة حسن الهندى وانتقدا قضية الانسحاب من مجدل عنجر لأنه كان أمنع من خط دفاع ميسلون وفيه حاجز طبيعى هو نهر الليطانى . . وكانت المواقع العربية هى المشرفة على تحركات الفرنسيين .

(٢) داغر ١٣٩ — ١٤١ ، الحصرى ١٢٧ ، قدرى ٢٤٦ — ٢٤٨ .المنار جزء ٦ مجلد ٢٢ فى ٩ يوليو (حزيران) ١٩٢١ ص ٤٦٩ ولكن طه الهاشمى كان قد سجل الأحداث فى حينها . .

(٣) مذكرات طه الهاشمى ص ٦١ — ٦٢ .

(٤) ذكر محب الدين الخطيب (فى مذكرات لم تنشر بعد) أن فيصلا ارتقى منبر مسجد بنى أمية —

مسألة شرف بالنسبة للعسكريين مع حماس متهور بالنسبة للمدنيين[١] فصدرت الأوامر إلى القطعات السورية المنسحبة دون نظام من مجدل عنجر عبر وادى الحرير بالتوقف فى عقبة الطين على فوهة وادى القرن غربى خان ميسلون ، وقد وجه الأمر إلى قائد اللواء الأول حسن الهندى (وليس إلى قائد الفرقة الأولى) فتلقاه فى الرابعة إلا ربعاً بعد ظهر ٢١ يوليو (تموز) على النحو التالى :

« ١ ـ الآن أمر جلالة الملك بالدفاع لآخر نفس عن المنطقة التى أشغلتموها ومحافظة وادى القرن .

٢ ـ العدو تجاهكم قوته ثلاث كتائب وخمس دبابات ونضيرة مدفعية والمسير فى الساعة الثانية بعد الظهر كان فى الجديدة .

٣ ـ الكتيبة التى تحركت للشام الآن ستعود لسد طريق ميسلون معا عند التكية.

٤ ـ العتاد للنضائر وللمشاة الآن تحرك من الشام والنضيرة الأقوى (حتى) تأخذ عتادها تلحق بلواكم .

٥ ـ أمر الوزير بأنه يجب على اللواء الأول أن يحافظ على شرف الجيش بينما تلتحق القوة الباقية له »[٢].

ولم يكن قد بقى للهندى من لوائه إلا أعداد من الفوج الأول والفوج الثالث يقل مجموعهم عن ٣٠٠ جندى نظامى ويساندهم فوجان من لواء المدفعية فأصدر أمره إلى هذه القوة بالثبات فبدأت تنتشر وتتخذ مواقعها على شكل جناحين

= وخطب فى الناس قائلا : « أردت أن أرد عنكم زحف جيش الأعداء بإجابة مطالبهم فلم يرتدوا.. فإن كنتم فى حاجة إلى بلدكم فاخرجوا للدفاع عنه » .

(١) أشرف على تنظيم حملة التطوع اللجنة الوطنية العليا وكان القصاب قد دخل على الملك وقال ما دمت قد قررت الدفاع فأنا أعلك بتجنيد ١٠,٠٠٠ حامل بندقية حتى المساء وجاء ليطلع الملك على مجهوده وقدم بضع مئات من طلقات البنادق المختلفة الأجناس وسلم قدرى ٣٠٠ ذهبة لشراء عتاد وضحك الهاشمى وقال أبمثل هذا العتاد وهؤلاء المتطوعين الذين يظنون الحرب كمظاهرات والنزهات علينا أن نصد الجيش الفرنسي . . سيما وحرب العصابات تختلف عن الحرب النظامية .

ويذكر قدرى أن كثيراً من المتطوعين اضطروا للعودة بعد أن تأكدوا صعوبة ما يرغبون الإقدام عليه لأن الحرب فى الجهات العسكرية تحتاج إلى جيش مدرب وعتاد وتعليمات منظمة . قدرى ص ٢٥٢ .

(٢) وثيقة بخط مرافق وزير الحربية إلى قائد اللواء الأول . . فى المتحف الحربى بدمشق .

تحميهما المدفعية على المرتفعات فى حـــين جعل أركان اللواء فى الوسط . ومنذ منتصف الليل بدأت أفواج المتطوعين تتدفق إلى ساحة المعركة بأسلحة مختلفة . وبعضهم بدون عتاد وجرى تنظيم هذه القوة وتوزيع الأسلحة عليها ووضعها وراء الخطوط كاحتياطى ولم يتجاوز عددها ٨٠٠ متطوع[١].

وقَدِم العظمةُ بجمع ما أمكن جمعه من قوى لدعم الجبهة العسكرية فى ميسلون نظراً لأن القوة المنظمة قد تضعضعت ولم يكن هناك متسع لإعادة تنظيمها وكانت غايته أن يكسب أكبر قدر من الوقت . واستدعى كوس لتعليل تحركات الفرنسيين برغم قبول شروط الإنذار ، فأفاد بأن البرقية المتعلقة بقبول شروط الإنذار قد تأخر وصولها بسبب انقطاع الأسلاك التلغرافية فى جهات سرغايا ، وأن غورو قد أصدر أوامره بالزحف قبل وصول البرقية[٢]ونصح كوس بإرسال ممثلين من قبل الملك لمقابلة غورو فى عالية ،عله يمكن تدارك الأمر .

وانتدب وزير التربية الحصرى للتوسط مع غورو فى عاليه فى ٢٢ يوليو (تموز) وكان هذا فى حالة ثورة وعناد من كل احتجاج سورى ،ورفض أن يصدر أوامره بالتوقف لأن الجيش لايمكنه التوقف قبل الوصول إلى مكان يأمن فيه من جميع الطوارئ .

---

(١) يذكر الريحانى ص ٣٢٨ أن العظمة خرج بـ ٤٠٠٠ جندى و ١٠٠ هجانه وتبعهم جيش من الأهالى والعربان و ٤ أو ٥ آلاف لنجدة بقية اللواء الأول . . بينما يذكر قدرى ص ٢٥١ أنه لما ذهب إلى ميسلون لم يجد ما يزيد على ١٠٠٠ متطوع مسلحين بأسلحة مختلفة ينقصهم العتاد . . .

ويؤكد الزعيم جميل البرهانى الذى اشترك فى المعركة وكان مساعداً لآمر اللواء حسن الهندى أن النظاميين كانوا ٢٠٠ والمتطوعين ٨٠٠ .

(٢) روى لى حسن الحكيم مدير البرق والبريد فى ذلك الحين والذى اتهم بتأخير البرقية أن الشروط قد سلمت الساعة ٥,٥٠ مساء ٢٠ يوليو (تموز) إلى كوس لترسل عن طريقه ، وكان الحكيم قد قدم استقالته الساعة ٥,٣٠ محتجاً على استسلام الحكومة . وفى اليوم التالى حقق مع بعض المسئولين فى دائرة البرق وتبين أن كوس سلم البرقية الساعة ٧,٣٠ . وكانت الأسلاك مقطوعة وتعذر إرسالها عن طريق خط حمص البقاع . . ويؤكد الحكيم أن ذلك كان بإيعاز من بعض الموظفين الفرنسيين بينما أصر غورو أمام الحصرى على أنها بفعل رجال العصابات حتى يكون للجنرال عذره فى دخول البلاد حرباً . وأثناء محاكمة الحكيم فى ٣ و ٤ أغسطس (آب) تبين أن غورو قد أرسل فى يوم ٢٠ يوليو تموز إلى كوس برقية بأن جواب الحكومة لم يصل؛ فرد كوس .. « إن برقيتكم قد وصلت الساعة السادسة وتفصيل قبول الشروط بالبريد » . وهذه هى البرقية التى أرسلت إلى الدائرة وتأخر إرسالها وهى صادرة من الكولونيل كوس وليس من البلاط ولصفتها المبهمة لا يمكن أن يفهم منها أنها تتعلق بقبول شروط الإنذار .

وعاد الحصرى ومعه قائمة بمطالب جديدة ورسالة شخصية إلى فيصل مع تمديد المهلة المحددة للإنذار إلى منتصف ليلة ٢٣ يوليو (تموز) .

والواقع أنه لم يكن لتأخر رد الإنذار ولا ظروف تمديد المهلة المحددة أى تأثير حاسم على مجرى الأحداث ، فقد كان غورو قد تلقى قبول فيصل فى ٢١ منه وكان هذا كافياً لتوقيف أعمال العداء ، إلا أن غورو أراد أن يدخل دمشق — يدعمه أغلبية الرأى العام الفرنسى — كى يفرض السلطة الفرنسية بقوة السلاح ويحقق ادعاءات فرنسا التقليدية ، ولم يكن الإنذار إلا مقدمة لتنفيذ هذه الخطة .

وكانت المطالب الجديدة إنذاراً جديداً ولكن لفترة أقصر : فهى تطلب تغييراً أساسيًّا فى الموقف السورى وقبولا تامًّا بالانتداب وبكل المطالب الفرنسية ، وكان أكثرها صعوبة قبول بعثة فرنسية للإشراف على تنفيذ الشروط ودراسة طرق تطبيق الانتداب فى المنطقة الشرقية . والتدقيق العميق فى كل المطالب لا يترك شكًّا بأن فرنسا قد قررت الحكم المباشر بدون فيصل وأنها لن تعدل عن فكرة الاحتلال بل تسعى لخلق حجة للقيام بحملة أخرى .

واجتمعت الوزارة فى صباح ٢٣ يوليو (تموز) للنظر فى المطالب الجديدة وفى أثناء الاجتماع جاء كوس ومعه برقية أخرى من غورو يطلب السماح للقوات الفرنسية بالتقدم نحو خان ميسلون بحجة توفر الماء فى المنطقة وارتباطها بالسكة الحديدية بطريق صالحة لسير العجلات ، أى أنه يريد أن يوصل جيشه إلى مسافة ٢٥ كم من دمشق انتظاراً لطلب جديد يوصله إليها .

وكلحاً أخير قرر مجلس الوزراء أن يكتب برقيات استغاثة إلى جميع الدول مع دعوة قناصلها إلى الاجتماع لإطلاعهم على تفاصيل الوضع فى دار القنصلية الإيطالية وأظهر قنصلا إيطاليا وإسبانيا العطف ، أما قنصل الولايات المتحدة فقد ذكر فى بداية الاجتماع « أن حكومته قد قررت منذ مدة عدم التدخل فى الشئون السياسية الأوربية » .

إلا أن برقية غورو لم تترك لأحد مجالا بلزوم قبول الشروط . إذ لم يعد بإمكان فيصل أن يقبل أكثر أو أن يدفع غيره على قبول أن يعاملهم حلفاؤهم السابقون

كأعداء منهزمين ، بعد أن ظلت الحكومة حتى المساء تعتقد بإمكان تجنب الحرب على أمل أن تكسبهم هذه السياسة عطف أوربا .

وكان العظمة يعلم أن عدم قبول المطالب سيؤدى إلى الاصطدام الذى سينتهى بالانكسار ، ولكنه كان يسعى لجعل هذا الصدام مشرفاً على قدر الإمكان ، ومهما كان اليأس من المعركة فكان لابد أن تجرى معركة .

ولم تكن أكثر من ملاحظة بسيطة سلمتها الحكومة فى مساء ٢٣ يوليو (تموز) إلى الكولونيل كوس «نحن مستعدون لتنفيذ شروط إنذار ١٤ يوليو (تموز) بحذافيره ولكن قبول الشروط الواردة فى مذكرتكم الأخيرة يعرضنا لامحالة إلى حرب أهلية[١] .

وكان ذلك كافياً لغورو كى يصدر أوامره للقوات الفرنسية بالتحرك نحو دمشق فى فجر ٢٤ يوليو (تموز) محتجاً بأن مجموعة من القوات النظامية العربية قد هاجمت جيشه فى تلكلخ[٢] .

ولم تستغرق عملية الاشتباك التى شاركت بها الطائرات الفرنسية والدبابات والبنادق الثقيلة أكثر من ساعات ، فشلت فيها الخطة التى وضعها العظمة : فلم تنفجر الألغام عند عقبة الطين (أى قرب مدخل وادى القرن) كما تأخرت العملية المرسومة للالتفاف ، ومباغتة الفرنسيين ونفدت ذخيرة الرشاشات وأخطأ فى جعل قيادته فى الخطوط الأمامية[٣] ، ومع ذلك فقد كانت الإصابات الفرنسية أكثر مما كان متوقعاً . . ولكن الإصابات العربية كانت أكثر ومن بينهم العظمة الذين سقط — أو انتحر — فى هجوم يائس[٤] .

وحدثت بلبلة فشلت فيها محاولة لتنظيم خط الدفاع الأمامى من جديد لفقدان الذخيرة وضغط نيران العدو وانسحب الجنـــد والمدفعية ولم يبق حول الهندى

---

(١) الحصرى ص ١٥٨ .

(٢) يقول إحسان الجابرى فى مقابلة شخصية أنه هو الذى اقترح على فيصل فتح جبهة أخرى فى تلكلخ أسندت إلى يحيى حياتى .

(٣) مقابلة شخصية مع الزعيم جميل البرهانى .

(٤) وذكرت Times, July 26, 1920 أن خسائر الفرنسيين بلغت ١٥٠ وتركت القوات العربية عند انسحابها عدداً لا بأس به من المدافع الآلية (٢٥ مدفعاً) و ٩ بنادق ومواد حربية وذخائر متنوعة .

إلا ٨ أشخاص ، واخترق الفرنسيون الجبهة وتراجعت القوات السّورية بسرعة ودون نظام . وتوازدت الأخبار إلى فيصل الذى كان يرقب أخبار المعركة فى الهامة ، كما بلغت أنباء الانكسار إلى الحكومة فى دمشق فى العاشرة صباحاً حين أرسل تحسين الفقير قائد الجبهة إلى القيادة العامة بأنه « قد أفاد مراقبونا الأماميون أنهم يرون جموعاً غفيرة تعود من جبهة ميسلون ولم يروا منتهاها »[١] .

ويصعب أن نسمى الاصطدام بين الفرقة الثالثة الفرنسية مع كل تجهيزاتها ومجموعة قليلة فى الجيش النظامى وعدد أكبر من غير النظاميين ليست مدربة أو مجهزة بأنها معركة بالمعنى الحديث.ولكن من المدهش أن النشرة الفرنسية الرسمية التى وزعت فى بيروت فى ٢٤ يوليو مساء أفادت بأن « الاشتباك الذى جرى صباحاً قرب ميسلون يقارن بأعظم معارك الحرب العظمى . . . وأن هزيمة الجيش الشريفى كانت أعظم نصر للقوات الفرنسية فى سورية»[٢] .

والواقع أن نتيجة المعركة كانت معروفة سلفاً فكانت قدراً مكتوباً لا مفر منه ولم يكن أحد يمنى نفسه بأى أمل بالانتصار ، ولكن خاضها العظمة دفاعاً عن شرفه العسكرى وشرف بلاده فانتهت حياته وحياة الدولة التى تولى الدفاع عنها .

ولم يبق أمام الجيش الفرنسى ما يحول دون احتلال دمشق فى اليوم نفسه غير أن قائد الحملة غوابيه أراد أن يحيط دخول الجيش الفرنسى إلى العاصمة بأبهة وجلال ، فأجل الأمر إلى اليوم الثانى ، حيث « دخلت القطعات — الفرنسية— دمشق فمرت بشارع الصالحية الخيالة والمدفعية والمشاة الفرنسيون والمغاربة والزنوج . . . وكان الجنرال غوابيه راكباً جواده يمر مفتخراً . . . والأغرب أن رجال البادية

---

(١) ويذكر قدرى ص ٢٦٥ أنه حين عودته شاهد الهاشمى قائد موقع دمشق يعترض سير المدافع العائدة من ميسلون بعد أن فقدت ذخيرتها وكانت فى إسراعها لا تستهدف وجهة معينة ويأمرها بالدخول إلى ثكنة المدفعية الكائنة على طريق دمشق بيروت وكذلك كل ما كان يمر من وسائل النقليات .

وروى الجابرى وعونى عبد الهادى لى أنهما كانا مع فيصل فى الهامة يرقبان المعركة . . وكانت الطائرات تقصف المكان . . ولم يظهر على الملك أى خوف . . .

(٢) Zeine, p. 183.

وقد ذكرت Times أنه كان فى الجيش السورى ضباط بروسيون وألمان July 20, 1920 p. 2.

مروا على ظهور خيلهم سابقين الموكب . . وهكذا احتلوا الثكنات والمراكز »[١].

ورافق احتلال دمشق احتلال حلب وغيرها من المدن الرئيسية بلا مقاومة. ولكن بقيت مناطق معينة حول حلب وحوران وجبال العلويين مضطربة . . وقد وضع غوابيه شروطاً قاسية على البلاد وعلى العناصر المعارضة لفرنسا[٢] . . .

ولم يتقدم الفرنسيون بعد دمشق لاحتلال منطقة شرقى الأردن لأنها كانت تشكل جزءاً من منطقة الانتداب البريطانى التى تم الاتفاق عليها بين فرنسا وبريطانيا[٣].

أما فيصل فكان قد غادر دمشق بعد ظهر ٢٤ يوليو إلى الكسوة مع وزرائه لإنقاذ دمشق من قتال الشوارع وترك نورى السعيد للتفاوض مع الفرنسيين فأرسل إلى فيصل من دمشق برقية مشجعة ، وكى يدعم التفاهم مع فرنسة عين فيصل علاء الدين الدروبى رئيساً للوزارة[٤].

ولكن أصبح واضحاً أن فيصلاً نفسه لم يعد مقبولا إذ ما كاد يعود إلى دمشق لساعات حتى جمع غوابيه رجال الحكومة وقرأ بيانا حمل فيه فيصل مسئولية الاضطرابات الدموية ، وأبلغ رسمياً من قبل تولا باسم الحكومة الفرنسية بضرورة مغادرة دمشق فى القطار نحو الجنوب[٥] . واحتج فيصل برسالة أخيرة إلى غورو

---

(١) مذكرات طه الهاشمى ص ٦٣ .

(٢) وهذه الشروط هى نزع السلاح من الجيش وتسليم المواد الحربية للفرنسيين مع تعويض ١٠ مليون فرنك وشكلت محاكم عسكرية حكم فيها على ٣٤ بالموت غيابياً . . ومنع استخدام العلم العربى . . الخ انظر Longrigg, p. 104 .

(٣) ظلت هذه المنطقة مهملة بعد غزو الفرنسيين وعملت حكومة الانتداب فى فلسطين على بسط سيطرة مباشرة على شرق الأردن بتعيين حكام بريطانيين حتى قدوم عبد الله إليها حيث جرت مفاوضات مع الحكومة البريطانية لتنصيبه أميراً على تلك المنطقة (مذكرات لم تنشر لعونى عبد الهادى) .

(٤) ذكر لى عونى عبد الهادى وإحسان الجابرى . . بأن فيصل قد أرسلهما للمفاوضة مع الفرنسيين وقابلا كوس وتولا اللذين لم تكن لديهما تعليمات بعد من الحكومة الفرنسية حول مصير فيصل ، ورجحا ضرورة عودة فيصل حتى لا يتخذ الفرنسيون ذلك حجة لإسقاط بيعته ، كما قاما بترشيح أسماء الوزراء وأستبعد أسماء الوزراء غير المقبولين لفرنسا وشكلت الوزارة على النحو التالى : الدروبى فارس الخورى ... و جلال الدين يوسف الحكيم (وزراء قدامى) وجميل الألشى ، عطا الأيوبى ، عبد الرحمن اليوسف ، بديع المؤيد (وزراء جدد) .

(٥) من مجموعة أوراق عونى عبد الهادى رسالة بخط علاء الدين الدروبى إلى مدير الخط الحجازى فى ٢٥ : ٧ لترتيب قطار خاص لسفر الملك

بأن فرنسا ليس لها حق نزع السلطة التى منحه إياها المؤتمر رسمياً لإدارة المنطقة ولا فى نزع اللقب الذى لقبه به الشعب ، ووصف دخول الفرنسيين دمشق بأنه خرق لمقررات مؤتمر السلم ومخالف لمبادئ العصبة . . ومناف للأحلاف الدولية[١] . .

وفى درعا خشى الفرنسيون من تحركات عشائر حوران فجاءته برقية من علاء الدروبى فى ٢٩ يوليو (تموز) بضرورة السفر إلى الحجاز كما تلتها تهديدات فرنسية بقصف المدينة .

وكان فيصل لايزال مقتنعاً بأن اللنبى سيتدخل ليدعمه ضد الفرنسيين بعد أن طرد من المدينة التى دخلها كالفاتحين منذ اثنين وعشرين شهراً . ولكن السلطات البريطانية لم تشجع فكرة وجوده فى شرقى الأردن وسهلوا مروره إلى حيفا فى طريقه إلى أوربا ليقوم بمفاوضات تالية مع الحكومة البريطانية بعد أن ترك مسرح حكمه القصير والمتقلقل إلى عرش جديد أطول عمراً[٢] .

خرج فيصل من حدود المملكة التى كان يحكمها ما يقارب من سنتين وتلقت الحركة القومية التى ثار العرب من أجلها ضد الترك ضربة قومية وزالت بذلك الدولة العربية فى دمشق إثر حملة عسكرية شنت عليها بعد سلسلة طويلة من المناورات السياسية كانت ميسلون حداً فاصلاً ، وتبعثر على أثرها رجال الثورة العربية ودعاة القومية فى مختلف الأقطار ليجابهوا حياة كفاح جديدة شاقة ومتشعبة تختلف شروطها اختلافاً جوهرياً عن السابق[٣] .

وعادت دمشق إلى الحكم الأجنبى كما كانت منذ قرون ، وأصبح الفرنسيون أسياد سوريا ولبنان وبدت الإمبريالية الفرنسية فى سورية ولبنان وكأنها قد انتصرت

---

(١) الحصرى ص ٣١٥ — ٣١٦ .

(٢) ويذكر ستورز أن وجود فيصل فى حيفا كان مربكا لهربرت صموئيل ، فقد كانت تؤم فيصلا وفود متعددة لتحيته . لذلك رأى صموئيل « أن وجود فيصل فى غرب أو شرق الأردن سيخلق قلقاً خطيراً لنا وللفرنسيين » وكان متلهفاً كالفرنسيين على رحيله .

واللنبى هو الذى اقترح أن يقدم لفيصل استقبال رسمى فى محطة اللد ، وهو فى طريقه بالقطار إلى القنطرة ، واشترك فى الاحتفال هربرت صموئيل وستورز Storrs, Orientaicus, p. 43.

وقد روى لى إحسان الجابرى ، وكان من الذين رافقوا فيصلا فى نفس القطار ، أنه فى اللد أخذ هربرت صموئيل منه توقيعاً على وثيقة يتنازل بها عن منطقة شرقى الأردن للسلطات البريطانية فى فلسطين .

(٣) الحصرى ص ١٨ .

كما انتصرت الإمبريالية البريطانية فى العراق . .

وفى تعليق لورنس على الأحداث الأخيرة كتب إلى التيمس فى ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٢٠ : « إن العرب قدثاروا ضد الترك لا لأن الحكومة التركية فاسدة فساداً خاصاً بل لأنهم يريدون الاستقلال . . ولم يغامروا بحياتهم فى المعركة حباً بتغيير الأسياد .. كى يصبحوا رعايا بريطانيين أو مواطنين فرنسيين . بل ليكتسبوا المظهر الخاص بهم »[١]. وفى ١٧ أغسطس (آب) ١٩٢٠ كتب « إننا نقدر العرب كثيراً على خدماتهم أثناء الحرب ، ومع ذلك لايمكننا انتقاد الفرنسيين فهم قد اتبعوا بأسلوب حقير جدا فى سورية المثل الذى وضعناه نحن فى العراق[٢] ».

وستثبت الأيام فيما بعد أن فرنسة قد أخطأت فى تقديرها لدرجة الدعم الشعبى الذى تتمتع به فى سورية ، إذ كان باعتقادها أن لديها عملا عظيماً له قيمته لابد من إنجازه وحقاً تاريخياً لايجب أن ينازع عليه ، وكذلك أخطأت فى تقدير قوة الحركة القومية — التى برغم أخطائها وضعفها ستتحدى القوة الفرنسية خلال عهد الانتداب كله .

---

(١) المقتطف جزء ١ مجلد ٧٩ فى ١٩٣٣ — لورنس فى الميزان — الشهبندر

(٢) Garnett, p. 328.

الفصل الخامس
منجزات العهد

لم تحل الأمور السياسية دون اهتمام الحكومة العربية بإعادة بناء البلاد التى خرجت من الحرب . فكان عليها أن تجد حلا للمشاكل الاقتصادية ، وأن تضع أساساً ثقافيًّا تحل فيه العربية بدل التركية ، وأن تقيم نظاماً قضائيًّا يؤمن العدالة للجميع وتعيد تنظيم قوتها العسكرية لمواجهة التحديات الخارجية . وبرغم أن هذا العمل يقتضى سنوات من الاستقرار السياسى المناسب لعملية البناء إلا أن هناك أدلة واضحة على أن الحكومة كانت تقدر مسئولياتها ، وأنه كان بإمكانها أن تحقق الكثير لو أن ظروف الوضع السياسى بعد الحرب قد هيأ لها الاستقرار المنشود .

١ ــ السياسة الاقتصادية :

(ا) مقدمة عن الأوضاع الاقتصادية السابقة لعهد الحكومة العربية :

١ ــ السكان :

كانت سورية قبل الحرب تشمل تلك المنطقة من الإمبراطورية العثمانية التى تمتد من طوروس إلى سيناء ومن المتوسط إلى الفرات، يسكنها حوالى ٣ ملايين نسمة[1] . وتبدو أى دراسة لأحوال السكان فى سوريا صعبة بسبب تشابك العوامل السياسية والاجتماعية والجغرافية ، ولوقوع سوريا عند ملتقى القارات فكانت تجذب إليها دوماً موجات عسكرية واقتصادية مستمرة[2] .

ويشكل العرب الذين يتكلمون لغة عربية واحدة ويحملون ذكريات حضارة

---

(١) تقدر مساحة سوريا بـ ٦٠,٠٠٠ ميل مربع وأهم المدن الرئيسية فيها هى دمشق : ١٧٠,٠٠٠ نسمة ، وحلب ١٤٠,٠٠٠ نسمة ، وبيروت ٩٠,٠٠٠ نسمة وحمص ٦٠,٠٠٠ نسمة وحماه ٣٥,٠٠٠ نسمة .

(٢) Himadeh, Economic Organization of Syria, Beirut, 1928 p. 3.

واحدة العنصر السائد بين السكان ، مع أقلية حول أنطاكية وإسكندرون ، وبعض المناطق الشمالية تتكلم التركية ، وأقلية صغيرة على الحدود الشرقية تتكلم السريانية [1].

وتلعب الفروق الدينية دورها في إحداث مشاكل سياسية واجتماعية ، ففي سوريا يوجد مالا يقل عن عشرين طائفة ، هي تفرعات من الديانة الإسلامية والمسيحية . ويشكل المسلمون السنة غالبية السكان مع وجود أقليات دينية أخرى تشكل كتلا متماسكة كالموارنة والعلويين والدروز [2] ولم يسبب وجود هذه الأقليات صعوبة في سوريا الداخلية لوجود غالبية إسلامية ، ولكن في لبنان كانت مشكلة الأقليات تبدو أكثر وضوحاً وكان الجبل ملجأ لكثير من الطوائف التي ارتبط بعضها بالمصالح الفرنسية ، ولم يكن بإمكان هذه الفروق الدينية أن تختفي إلا وسط شعور قومي موحد .

وكان التركيب الاجتماعي للسكان في سورية يبدو غير متجانس لعوامل طبيعية واقتصادية . ويشكل البدو غالبية السكان في الأجزاء الداخلية القريبة من الجزيرة العربية المصدر الرئيسي للقبائل ، بينما يستقر الفلاحون في المناطق الجبلية والسهلية حيث يسهل استثمار الموارد الطبيعية . وبرغم الصلات القوية بين الفئتين ، كانت المناطق المستقرة تتعرض بشكل مستمر لغارات البدو [3] ويعمل سكان المدن في التجارة وبعض الحرف الأخرى . وعلى رأس هذا التركيب الاجتماعي ملاكو الأرض الذين كان همهم الحفاظ على حقوقهم الإقطاعية وامتيازاتهم وخاصة احتكارهم لوظائف الدولة . وبرغم محاولات الدولة العثمانية إحداث نوع من الإشراف والتدخل فقد ظلت هذه الطبقة تحتكر الوظائف وتشكل الطبقة الحاكمة .

وقد ورثت البلاد العربية المشكلة بعد انهيار الدولة العثمانية ، وكان من الواضح استحالة إحداث تغيير في النظام بدون ثورة اجتماعية لم يكن الشعب العربي مستعداً

---

(١) Himadeh, Op.,cit., p. 4.

(٢) يقدر عدد الموارنة في جبل لبنان ٣٤٠,٠٠٠ وعدد العلويين ٣٢٥,٠٠٠ في جبل النصيرية الممتد على طول الساحل الشمالي ، والدروز في الجبل ولبنان حوالي ١٦٠,٠٠٠ نسمة ، وينقسم المسيحيون في غير الموارنة إلى طوائف عديدة منها الكاثوليك اليونان والأرثوذكس اليونان والإنغليكان والبريسبير ليترين ؛ ولكل طائفة مدارسها ونظم تعليمها الخاصة بها .

(٣) Ziadeh, Syria and Lebanon, p. 236.

لها[١] ولكن رجال الحركة العربية الذين كانوا أكثر وعياً اجتماعياً من غيرهم قد سعوا إلى التقريب بين الطبقات فى هذا التركيب الاجتماعى غير المتجانس عن طريق نشر الفكرة القومية والتأثيرات الثقافية .

٢ – أحوال الزراعة والصناعة والتجارة حتى نشوب الحرب العالمية الأولى :

كانت سوريا بلداً زراعياً بشكل خاص ويقدر أن ٦٢٪ من السكان يعتمدون على الزراعة وأن ثلاثة أرباع صادراتها هى منتجات زراعية خام . والمناطق التى تستثمر هى السهول الساحلية وسهل البقاع وحمص وحماه وحلب وأنطاكية نحو دمشق وسهل حوران .

ويتنوع الإنتاج الزراعى طبقاً لتنوع الأحوال المناخية والفروق الطبيعية واختلاف أساليب الزراعة والملكية . إلا أن الزراعة لم تعد عملا مفيداً بسبب بقاء الأساليب البدائية فى الزراعة وفساد أنظمة ملكية الأراضى وثقل الضرائب[٢] .

ولم تكن الصناعات الحديثة معروفة فى سوريا ، وقدر أن ١٠ – ١٥٪ من عدد السكان قبل الحرب كان يعمل بالحرف اليدوية التى كانت تتم فى المنازل أو فى حوانيت تستخدم عدداً ضئيلا من العمال وكان لهذه الحرف أسواق منظمة ويشكل النسيج أهم الصناعات المنزلية ، إلا أن الصناعة التى كانت تتبع نظام المصنع هى صناعة نسج الحرير[٣]. وتفتقر البلاد إلى المعادن كالفحم والحديد ، وبرغم توفر القوة المائية إلا أنها تحتاج إلى رءوس أموال وخبرة لاستثمارها حتى تتحول إلى قوة ميكانيكية أو كهربائية بدلا من إرسال المواد الخام وتحويلها إلى أشياء مصنوعة . وقد بدأ انهيار بعض الصناعات القديمة التقليدية قبل الحرب بسبب المنافسة الأجنبية وتغيير أسلوب المعيشة وازدياد الطلب على البضائع الأجنبية ، وعدم وجود تعريفة جمركية لحماية الصناعة الوطنية[٤] .

---

(١) Ireland, (Edit.), The Near East — Problems and Prospects, Chicago, 1942, pp. 81 — 82.

(٢) Nelson, The New Syria, Moslem Word, 10, 1920, p. 126.

(٣) يذكر تقرير القنصل البريطانى فى دمشق فى يوليو (تموز) ١٩١٠ : أنه قد افتتح مصنع للزجاج برأسمال وطنى . Middle East Journal, Winter 1968, p. 83

(٤) Himadeh, p. 124.

واعتمد الاقتصاد السورى على التجارة لموقع سوريا الجغرافى كجسر تمر عبره التجارة الآسيوية والأوربية ، وكانت البضائع تنتقل من منطقة لأخرى ضمن الإمبراطورية العثمانية دون حواجز ، وأضحت سوريا سوقاً للإمبراطورية العثمانية. فهى تستورد منتجات صناعية من أجل استهلاك المحلى أو لتصديرها للبلاد المجاورة، وتصدر منتجات زراعية فائضة عن استهلاكها أو منتجات صناعية تقليدية ، أو منتجات البلاد المجاورة التى تصل أسواقها لترسل إلى مصر وأوربا وأمريكا ، وكان ¾ وارداتها تصل عن طريق بيروت .

وستخدم الطرق للتجارة الداخلية وللتجارة الدولية كالطريق الذى يعبر سوريا إلى الرافدين وفارس وشمالا إلى آسيا الصغرى . وتتفرع منه خطوط ثانوية تصل بين المدن الكبرى : وظلت الحيوانات هى الوسيلة الوحيدة للمواصلات حتى نهاية القرن الماضى حيث شاع استخدام المركبات ذات العجلات، وشقت الطرق المناسبة لها[١]. وحدث تطور بعد ذلك بإدخال السكك الحديدية التى تولت معظمها شركات فرنسية وعرفت تمديداتها بشبكة الخطوط الحديدية الفرنسية ، كما أن خط بغداد والخط الحجازى يعرفان بشبكة الخطوط التركية الألمانية[٢].

وكان دخول السيارة إلى سوريا بداية مرحلة جديدة فى تطور المواصلات والنقل ، وتطلبت العمليات العسكرية بعد نشوب الحرب استخدام السيارات ، ومن ثم شق طرقات جديدة أو تصليح القديمة التى كانت مخصصة للمركبات .

ولم تكن الاتصالات البريدية والبرقية كثيرة أو صالحة واضطرت الدول الأوربية إلى الاعتماد على خدماتها البريدية الخاصة بين أوربا والمدن المختلفة فى سوريا .

والواقع أن الأوضاع الاقتصادية فى سورية قبل الحرب لاتعطى صورة مشجعة بسبب تدهور الأوضاع العامة فى الدولة العثمانية ومانتج عنه من تخلف اقتصادى ،

(١) Himadeh, p. 177 — 78.

وقد بدأ العمل بشق طرق لسير الديلجانس بين بيروت ودمشق ١٨٥٧ بامتياز منح إلى شركة فرنسية وقد كان شق الطرقات أكثر نشاطاً فى لبنان بسبب رغبة بعض المغتربين اللبنانيين وصل قراهم بمدن الساحل .

(٢) Haut Commissariat de la Republique Française, p. 144.

أهم الخطوط الحديدية كانت خط دمشق – مزيريب افتتح ١٨٩٣ ؛ وبيروت–دمشق ١٨٩٥ ، رياق – حماه ١٩٠٢ ، حماه – حلب ١٩٠٧ ، طرابلس – حمص ١٩١٢ . وقد أعطى امتياز لمد خط حلب إلى دير الزور ولكن ظروف الحرب ومنح امتياز خط بغداد لشركة ألمانية عرقل العمل .

مع ازدياد نفوذ المصالح الأجنبية وخاصة نظام الامتيازات الأجنبية الذى أدى إلى تدهور الحياة الاقتصادية عامة[١] . واضطر كثير من السوريين إلى ترك بلادهم والبحث عن الثروة فى العالم الغربى ، وظلوا على صلة بأرض أجدادهم حتى لقد عاشت كثير من المناطق السورية قبل الحرب على منح المغتربين . وكان الأمل كبيراً فى عودة الآلاف إلى بلادهم فى حالة تغير الظروف السياسية والاجتماعية حتى يشاركوا فى نواحى الحياة المختلفة[٢] .

وعانى الاقتصاد السورى كثيراً خلال الحرب ، فحرم من تجارته وأسواقه الأجنبية كما أن السوق الداخلية قد تضعضعت لظروف الحرب ، وانهارت الصناعة لأنها كانت تعتمد على مواد خام أو أسواق أجنبية ، وكان انهيار صناعة الحرير مثلا على انهيار الصناعة بشكل عام [٣]. وانقطعت مساعدة المغتربين وساءت حالة التموين كثيراً ، وكانت المناطق الداخلية المنتجة للحبوب أكثر احتمالا للأزمة من المناطق الساحلية التى اجتاحتها المجاعة والجراد إلى جانب الحصار الاقتصادى . ولجأت الدولة إلى تخفيض قيمة العملة بإصدار كميات كبيرة من الأوراق المالية لم تكن لها قيمة مالية وزادت فى تدهور الاقتصاد المحلى[٤] .

وكان على الحكومة العربية فى دمشق أن تعيد بناء البلاد الاقتصادى من جديد .

(ب) البرامج الاقتصادية :

لقد كانت المشاكل الاقتصادية التى واجهت الحكومة العربية فى دمشق ملحة جداً ، وكان لابد أولا من إعادة الحياة إلى مجراها الطبيعى ، فعمدت إلى تزويد

---

(١) كان رعايا الدول الأجنبية فى البلاد العثمانية قد منحوا منذ عهد قوة الدولة العثمانية امتيازات خاصة أمام القانون والمحاكم تبعتها امتيازات اقتصادية واستعملت هذه الامتيازات كسلاح فى وجه الدولة العثمانية بعد ضعفها ، إذ أنها قد حدت من حرية الدولة فى تصريف مصالحها الخاصة أو ترويج صناعاتها أو تجارتها أو تحديد جماركها .

(٢) Nelson, The New Syria, op. ,cit., p. 127.

(٣) Mcgilvary, The Dawn as a New Era in Syria, pp. 288 — 292.

تذكر المؤلفة أن سوريا قد أصبحت بحاجة إلى مساعدة أجنبية وخاصة أمريكية لتطوير البلاد وازدهارها بعد الحرب .

(٤) Longrigg, pp. 47 — 49.

المناطق المختلفة بالمواد الغذائية وساهم فى هذه العملية قوات الحلفاء ، وقدمت جمعية الصليب الأحمر الأمريكية خدماتها لإعادة بناء المنازل المتضررة ، وخاصة فى شرقى الأردن ، وتوزيع الأغذية والآلات والبذار على المعوزين والمهاجرين[١] ، كما تقرر التعويض عمن لحق به من ضرر فى العهد السابق وتشكلت لجنة للتعويض على المنكوبين وتوجب استرداد الأموال المصادرة بدون مسوغ قانونى للذين عادوا من منفاهم[٢].

وبعد هذه التدابير السريعة بدأت باتخاذ خطوات إيجابية لتحسين الوضع الاقتصادى على أسس حديثة بقدر ماتسمح به الإمكانيات :

١ ـ النظام المالى :

اتخذ مجلس الشورى فى ١٣ نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١٨ قراراً بمصادرة جميع الأموال المنقولة التى كانت عائدة للحكومة العثمانية وتركت فى البلاد السورية وأصبحت فى عهدة وتصرف الحكومة الحاضرة وتشمل ما يخص الخزينة والجيش والبنك الزراعى وإدارة البرق والبريد والخطوط الحديدية الحجازية والأوقاف والديون العامة .. إلخ ؛ على أن تسلم للموظفين فى الدوائر التى هى عائدة إليها ليصار صرفها واستعمالها فى الجهة التى هى مخصصة بها وتؤلف لجنة للغنائم يعهد لها إجراء التحرى عن الغنائم ووضع اليد عليها وتقدير حساباتها[٣].

وأصدرت القيادة العليا أمراً باستبدال الورق التركى بالجنيه المصرى الورقى ، وأصبح الجنيه المصرى هو العملة الوحيدة المتداولة لمبادلتها بالجنيه التركى الذهبى وغيره من النقود الذهبية (والتى سمح بتداولها بجميع أنواعها) . واعتبرت الليرة العثمانية ٣/٤ ٨٧قرشاً مصرياً . وكى لايكون هناك إجحاف بحقوق المواطنين قرر المجلس فى ٣٠ نوفمبر (تشرين ثان) « أن جميع العقود والديون المترتبة فى الذمم قبل الحرب وأثنائها تدفع بأمثالها إلا إذا كان ورقاً نقدياً عثمانياً فتدفع قيمته نقوداً

---

(١) العاصمة ، عدد ١ ، ١٧ فبراير (شباط) ١٩١٩ .

(٢) العاصمة ، عدد ١٤ ، ٣ أبريل (نيسان) ١٩١٩ .

(٣) العاصمة ، عدد ٦ ، ٦ مارس (آذار) ١٩١٩ .

رائجة بالسعر الذى كان عليه الورق يوم العقد »[١].

أما بالنسبة للرسوم والتكاليف الأميرية (الضرائب) المترتبة فى ذمة الأهالى قبل إعلان الاستقلال (٣٠ سبتمبر « أيلول ») فتقرر أن يكتفى باستيفاء ٢٠٪ منها فقط قروشاً مصرية ويعفى المكلفون من ٨٠٪ الباقية .

أما الرسوم حتى نهاية ديسمبر (كانون أول) فتستوفى جميعها ويؤخذ على كل مائة قرش عثمانى ٨٧ مصرياً ، على أن تستوفى جميع الضرائب بالقرش المصرى بدلا من العثمانى منذ بداية سنة ١٩١٩[٢] .

وقد أدى اعتماد الجنيه المصرى إلى تسهيل الدفع والقبض وتدنى قيمة سائر النقود التركية المعدنية (البشالك والمتاليك وهى أجزاء الليرة) حتى لقد اقترح الحاكم العسكرى على القيادة العامة إلغاء قانون النقد وتبديله ، ولكن رفض طلبه لأن فى ذلك مخالفة للقانون الدولى وأن هبوط النقد التركى هى صعوبة لايمكن إزالتها إلا بعد إعلان الصلح[٣].

كما كان إحلال الورق المصرى محل الذهب دافعاً لبعض التجار لتهريب الذهب من المنطقة الشرقية واستبداله بالورق المصرى أو بالروبية الهندية وإبدالها بحوالات على لندن . وحرصاً على ثروة البلاد من الذهب صدر قرار من اللنبى بمنع تصدير الذهب نقوداً أو سبائك من أراضى العدو المحتلة وإلا تعرض الذهب للمصادرة وعلى كل من اعتزم السفر أن يبلغ بما فى حوزته من الذهب ويستبدله بعملة قانونية[٤].

وتشدد مجلس المديرين فى عدم إخراج الذهب من سوريا نظراً لأن الاستمرار على تصديره يلحق بالثروة العامة أضراراً فادحة إذ تفقد المالية عمادها الحقيقى وهو الذهب واحتج بعض التجار إلى الحكومة على خروج مالا يقل عن ٢٠٠,٠٠٠ ليرة شهرياً من دمشق وإضعافها من حلب . وهذا ما دعا وزارة المالية إلى دراسة

---

(١) العاصمة عدد ٩ ، ١٨ مارس (آذار) ١٩١٩ .
وقد سمح للموظفين الذين استوفوا رواتبهم عن أكتوبر (تشرين أول) ورقا نقديا تركيا أن يعيدوه ليأخذوا بدلا منه نقودا معدنية حسب مقدار رواتبهم .

(٢) العاصمة ، عدد ٧ ، ١٠ مارس (آذار) ١٩١٩ .

(٣) العاصمة عدد ٢٨ ، ٢٢ مايو (آيار) ١٩١٩ .

(٤) العاصمة عدد ٧ — ١٠ مارس (آذار) ١٩١٩ .

مشروع تأسيس مصرف وطني يكون الذهب أساس التعامل فيه[١].

وكان أن صدر فى أبريل (نيسان) ١٩٢٠ قانون النقد السورى باعتبار معيار النقد فى المملكة العربية هو الذهب ، ووحدة القياس هو الدينار السورى الذهبي[٢] ويحسب الدينار بمائة قرش سورى (والريال السورى هو سكة فضية قيمتها ٢٥ قرشاً وأعشار القرش تضرب بالنيكل) وينص القانون على تداول جميع المسكوكات الذهبية الأجنبية فى المملكة السورية بقيمتها الحقيقية على نسبتها للدينار السورى بالوزن والمعيار . كما يجوز قبول المسكوكات الفضية والنيكل العثمانية والأوراق النقدية الصادرة عن المصرف الأهلى المصرى بسعرها الرائج على نسبتها للدينار السورى حتى تضرب الحكومة السورية ما يقوم مقامها .

ويقبل القانون تداول جميع المسكوكات الذهبية الأجنبية فى المملكة السورية بقيمتها الحقيقية على نسبتها للدينار السورى بالوزن والمعيار بالليرة العثمانية ١١٥ قرشاً والإنجليزية ١٢٥ قرشاً والمصرية ١٢٨ قرشاً[٣] .

وعمدت السلطات الفرنسية فى الساحل على إنشاء فرع للبنك العثمانى الإمبراطورى (وهو مؤسسة فرنسية) فى بيروت باسم بنك سوريا ولبنان ، خول له المفوض السامى الفرنسى بالاتفاق مع الخزينة الفرنسية حق إصدار أوراق نقدية اعتباراً من أول مايو (آيار) ١٩٢٠ مرتبطة بالفرنك الفرنسى الآخذ فى الهبوط ، على أن ترفع العملة المصرية من التداول[٤].

وأدركت الحكومة السورية الخطر الاقتصادى الناجم عن تداول هذه الأوراق النقدية لأنها تعنى استبدال الأوراق بذهب البلاد وهذا ينافى قواعد الحقوق الدولية . كما يعنى التصرف بمقدرات البلاد الاقتصادية وأنكرت على السلطات الفرنسية حق هذا الإصدار ومنعت إدخالها إلى المنطقة الشرقية ، واحتجت على تداولها فى

---

(١) العاصمة عدد ١١٩ — ٢٢ أبريل (نيسان) ١٩٢٠ .

(٢) فى المتحف الوطنى فى دمشق مجموعة دنانير ذهبية من هذا العهد يقدر عددها بـ ١١ ديناراً ذهبيا . نقش على أحد وجهى الدينار — فيصل الأول — وعلى الوجه الثانى — دينار المملكة السورية ١٩٢٠ .

(٣) العاصمة عدد ١٢٠ — ٢٦ أبريل (نيسان) ١٩٢٠ .

(٤) Longrigg, p. 98.

المنطقة الغربية . . وكان هذا من جملة ما احتج عليه غورو فى إنذاره (١٤ يوليو « تموز »)[١] .

وقد زاد قرار السلطات الفرنسية فى أعباء الحكومة المالية التى كانت تعانى خزينتها عجزاً واضحاً ، نظراً لأن « الواردات . . لاتقابل النفقات . . التى يقتضيها التطور الجديد . . » ، كما عبر عن ذلك بيان الوزارة أمام المؤتمر السورى فى ٢٧ مارس (آذار)[٢] ، وكان من الضرورى إيجاد « توازن بين الواردات والنفقات . وإنفاق أموال الخزينة فى وجوهها النافعة » . وحاولت الحكومة أن تستعين بخبراء أجانب لتنظيم الميزانية ، وذكر اللنبى أمام مجلس الأربعة فى باريس فى ٢٠ مارس (آذار) ١٩١٩ أنه أرسل لهذه المهمة خبيراً بريطانياً هو Graves وخبيراً فرنسياً هو Moulin ، واستدعى الأول بعد مدة فى حين بقى الثانى دون أن تستفيد الحكومة العربية من خدماته[٣] .ويعلل Gontaut — Biron[٤] ذلك « بمعارضة الركابى الذى رفض أن يقدم له الحسابات اللازمة . . بل قدم له سجلات مزيفة بسبب أن قسماً كبيراً من المعونة الشهرية للحكومة ينفق على الدعاية ضد فرنسا . . وهذا ما عرقل مهمته من أجل دراسة الوضع المالى ووضع ميزانية معقولة » .

وقد فضلت الإدارة العربية « الاستغناء عن خدمات الخبير الفرنسى واستدعاء سعيد شقير — وهو لبنانى له خبرة فى الإدارة البريطانية فى السودان — لتنظيم المالية»[٥] .

وقد اقترح إجراء تخفيضات فى الميزانية بإنقاص عدد الجيش والدرك وإنقاص

---

(١) من بين مجموعة أوراق عونى عبد الهادى مسودة احتجاج أرسلته الحكومة العربية إلى السلطات الفرنسية فى بيروت على إصدار الورق السورى . . « إذ أن الأوراق التى وضعت فى التداول باسم النقد السورى هو فى الحقيقة ليس بسورى لأن هذا الورق ما أخرج من طرف الحكومة السورية بل من طرف جيش الاحتلال . وأن للحكومة السورية أن تمنع تداوله ما لم يكن ذلك للورق يوضع بعد أخذه (موافقة) الحكومة نفسها .

(٢) الحصرى — ص ٢٥٤ .

(٣) Baker, vol. III, pp. 15 — 16.

(٤) Gontaut — Biron, p. 199.

برأى المؤلف أن الحكومة العربية كانت تتلقى معونة شهرية قدرها ٤ ملايين فرنك تدفع نصفها فرنسا ، ولكن الدعاية (الشريفية) كانت تمتص ٣ ملايين تقريباً .

(٥) العاصمة عدد ٢٨ ، ٢٢ مايو (آيار) ١٩١٩ .

نفقات فيصل الشخصية . وشكل لجنة من بعض الموظفين للتدقيق فى موازنة دوائر الحكومة ، واقترح عدم إرسال تعزيزات أخرى إلى الحجاز والاقتصار على بعض البنادق والذخائر وعدد من الضباط [١].

والواقع أن عدم وصول المنطقة الشرقية إلى الساحل قد حرمها من دخلها من الرسوم الجمركية – وهى المورد الرئيسى للخزينة – نظراً لأن السلطات الفرنسية والبريطانية كانت تشرف على المناطق الساحلية . وبسبب عدم وجود فواصل جمركية فى ذلك الحين بين المناطق الثلاث فقد تم الاتفاق بمعرفة القيادة العامة على توزيع واردات رسوم الجمارك بين كل منطقة واقعة على الساحل وبين (منطقة بلاد العدو المحتلة الشرقية) على نسبة معينة على أن يخصم المطلوب العائد إلى مصلحة الديون العمومية قبل التوزيع [٢] . وينفذ النظام اعتباراً من تاريخ ١ يناير (كانون ثان) ١٩١٩ وينتهى عند انتهاء الاحتلال العسكرى . ولم تدفع السلطات الفرنسية إلا قسما ضئيلا من حصتها وبشكل متقطع ، فى حين كانت الحكومة البريطانية تدفع بالإضافة إلى ذلك معونة شهرية منظمة إلى الحكومة العربية تقدر بـ ١٥٠,٠٠٠ جنيه استرلينى لسد نفقات الإدارة والجيش والدعاية وغيرها [٣]. وقد

---

(١) Documents, p. 288.

(٢) العاصمة عدد ٢٢ – ٢ يونيو (حزيران) ١٩١٩ .

وكانت الدولة العثمانية قد عقدت سلسلة من القروض قبل الحرب ، أنفق بعضها على مصالح الدولة العامة أو مشاريع وأعمال خاصة لمنفعة البلاد التى أنفق عليها ، على أن تستوفى هذه الديون من بلاد الدولة العثمانية التى استفادت منها .

(٣) Howard, p. 150.

والمعونة تعادل ٧٥٠,٠٠٠ دولار كان يخصص حوالى ٢٠٠,٠٠٠ دولار للنفقات الشخصية والدعاية بينما يذهب الباقى للإدارة والجيش .

ويذكر قدرى فى مذكراته ص ١١٦ أن المبالغ كانت تسلم إلى الأمير بصفته ممثل القيادة الحليفة لسوريا فيسلمها إلى الموظفين المختصين بعد قطع نفقات الأمير وماتستلزمه الأعمال الوطنية التى ليست من اختصاص الحكومة كالدعاية الوطنية واستمالة الأشخاص المتزعزعة الإيمان الوطنى ولا سيما فى الساحل .

ويذكر رشيد رضا فى المنار جزء ٤ مجلد ٢٣ – ٢٧ أبريل (نيسان) ١٩٢٢ ص ٣١٥ « أنه أمكن تقييد الملك براتب محدد ولم يكن راضياً به على كثرته وكان يستهلك راتب كل شهر فى أوله أو قبله . . ويطلب من وزارة المالية سلفة بعد سلفة فلاينال كل ما يطلبه ولا أكثره بسهولة » .

كان كرزن قد أرسل إلى دربى السفير البريطانى فى باريس فى ٧ نوفبر (تشرين ثان) نسخة من رسالته إلى مدير المخابرات العسكرية ووزارة الحربية حول موضوع المعونة المالية إلى فيصل .. وقد أبلغ=

أنقصت هذه المعونة اعتباراً من ١ نوفمبر (تشرين ثان) (بعد قرار الانسحاب) إلى ٧٥,٠٠٠ جنيه على أن تدفع فرنسة النصف الباقى[١]، ولكن المعونة لم تعد تصل بشكل منتظم بعد هذا التاريخ .

واعتمدت الخزينة السورية على ما كان يبعثه المغتربون من مساعدات والتى كانت تقدر بنصف مليون جنيه أسبوعياً[٢]. وكذلك على واردات أوراق التمغة (الطوابع) وكان قد تقرر قبول الطوابع العثمانية شرطاً (وسمها) بطابع الحكومة العربية وذلك لتعذر إحداث طوابع خاصة بسرعة ، وخوفاً من تعطيل المعاملات[٣] .

وقد أحدثت طوابع جديدة خاصة بالحكومة العربية بدأ استعمالها بعد الاستقلال[٤] ولكن بقيت الطوابع التركية تستخدم فى البريد الخارجى .

وتشكل الضرائب المصدر الأكبر للخزينة العربية ، وكانت قد وضعت على أساس القرش المصرى ، اعتباراً من ١ يناير (كانون ثان)١٩١٩ بعد أن حل الجنيه المصرى محل التركى .

وبعد انسحاب الجيوش البريطانية والتردد فى إعطاء المعونة الشهرية أخذت الحكومة تفكر بإيجاد الوسائل لإعداد المال اللازم لنفقاتها الإدارية واضطرارها

= كل من فيصل والحكومة الفرنسية بها » بأنه اعتباراً من ١ نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١٩ ستنقص المعونة المالية إلى ٧٥,٠٠٠ جنيه . ويذكره بأن كلمنصو قد تعهد من جانب حكومته بدفع معونة مماثلة ٧٥,٠٠٠ جنيه إلى الحكومة فى دمشق ، ويذكر فيصل فى رسالته بتفاصيل مادار فى اجتماع داونتج ستريت فى ١٩ سبتمبر (أيلول) حول النصف الباقى من المعونة .

(١) Documeknts, p. 509.

(٢) العاصمة عدد ٧٠ – ٢٧ أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٩ نقلا عن مجلة النفائس . . (القدس) .

(٣) العاصمة عدد ٣ ، ٢٥ فبراير (شباط) ١٩١٩ (فى المتحف الوطنى فى دمشق مجموعة من الطوابع العثمانية المختومة بطابع الحكومة العربية) .

(٤) العاصمة عدد ١٠٨ ، ٨ مارس (آذار) ١٩٢٠ وكان منقوشاً فى وسطها الحكومة العربية وفوقها عرضاً كلمة مصلحة البريد وتحتها كلمة الشام وفى الجانب الأيمن تاريخ السنة الهجرية ١٣٣٨ وفى الجانب الأيسر تاريخ السنة الميلادية (1920) وفى زواياها القيمة المقررة .

وقد أطلعنى حسن الحكيم مدير البرق والبريد حينذاك على رسالة كان قد بعث بها إلى الملك فيصل تذكاراً لهذا اليوم التاريخى مع نموذج من الطابع البريدى ذى الخمسة مليمات التى طبعت فى دمشق . وعلى الطابع جملة تذكار استقلال سورية المتحدة ، وقد أرسلت رسائل مشابهة إلى كبار الشخصيات .

لزيادة تولى الجيش والدرك لتحل محل الجيوش المنسحبة . فتقرر زيادة بعض الإضافات المؤقتة على بعض الضرائب التى ألغيت عام ١٩١٩ ، التى كانت ضئيلة فى الأساس . فأضيف ٥٠٪ إلى ضريبة الأملاك والعقارات المعدة للإيجار. و٢٥٪ إلى ضريبة دور السكن و١٠٪ إلى رسمى التمتع وبدلات الطرق ، و٥٠٪ إلى رسوم الأغنام والإبل ، كما تضاعفت أثمان الطوابع الحجازية[1].

وصدر فى أبريل (نيسان) ١٩٢٠ قانون رسوم بلدية العاصمة عن الأموال المنقولة وغير المنقولة ، وفى أوائل مايو (آيار) عام ١٩٢٠ وضعت ضريبة الاستهلاك الداخلى على الكبريت والتبغ وأضيفت زيادات على الرسوم البريدية والبرقية والتليفونية. كما صدر فى أوائل يونيو (حزيران) رسم الإصدار على جميع الحاصلات الأرضية والحيوانات والصوف والسمن التى تنقل إلى خارج المنطقة الشرقية ، يضاف إلى ذلك ما اقتضاه تطبيق قانون النقد السورى من زيادة فى الضرائب : إذ أن الضريبة التى كانت تجبى ورقاً مصرياً أصبحت تجبى على أساس الذهب باعتبار كل ١٠٠ قرش مصرى يعادل ١٢٨ سورياً .

وبسبب التذمر الذى نجم عن هذه الزيادات أصدرت الحكومة بياناً لتبرير سياستها انتهى إلى القول « بأننا لو قارنا مجموع الضرائب بالنسبة إلى عدد السكان لوجدنا أنها لم تبلغ ما بلغته فى الدول الكبرى . . ولولا الأزمة الاقتصادية الحاضرة المسببة عن العراقيل التجارية التى ولدتها الظروف والأحوال السياسية ؛ لكانت تكاليف الأمة السورية ضعيفة جداً بالنسبة إلى درجة تحملها . ولكن هذا الضيق الاقتصادى وكساد التجارة ووقوف الأعمال يجعلنا نرقب كل وسيلة لإنقاص النفقات واجتناب الضرائب الجديدة »[2].

وقد لجأت الحكومة ، لتلافى العجز المالى ، إلى إصدار قانون القرض السورى ، بمبلغ $\frac{1}{2}$ مليون دينار وبفائدة ٦٪ لمدة ٢٤ عاماً ، مع رهن مليون دونم من أراضى الدولة العامرة على رأسمال هذا القرض ، بحيث يرهن مقابل الدينار الواحد ٤ دونمات من الأرض . ويعطى الدائنون إسناداً مؤقتة حتى إذا انتهت

(١) العاصمة عدد ٢٧ ، ٢٦ يناير (كانون ثان) ١٩٢٠ .
(٢) العاصمة عدد ١٣٢ ، ١٤ يونيو (حزيران) ١٩٢٠ .

مدة الاكتتاب (أول يونيو « حزيران » — آخر أغسطس « آب») تبدل بالإسناد الأصلية الموقعة من وزارة المالية . وإذا لم تقم الحكومة بتعهداتها يحق لحامل السند أن يطلب بيع ما يقابل قيمة سنده من أراضي الدولة لاستيفاء دينه[١].
وقد نشرت منذ أول يونيو (حزيران) أسماء القرى والمزارع المرهونة أراضيها تأميناً للقرض الوطني مع ذكر مساحة كل منها وبيان دخلها السنوي[٢]. ولكن الظروف السياسية حالت دون تنفيذ القانون ، وخاصة أن تنفيذه كان يقتضي موافقة المجلس النيابي الذي لم يقدر له الاجتماع .

٢ — ترقية الزراعة :

لم تحل الأزمة المالية دون العمل على تحسين أوضاع الحياة الاقتصادية ، وهناك أدلة على أن الحكومة كانت تسعى لإنماء الزراعة والصناعة والتجارة من أجل زيادة الإنتاج والثروة العامة وتخفيف وطأة الغلاء[٣].

وقد وضعت خطة لتنمية الزراعة وخاصة أن سورية هي بلد زراعي قبل كل شيء و ٦٢٪ من سكانها يعتمدون في معيشتهم على الزراعة . فقرر مجلس الشورى في ٢٠ فبراير (شباط) ١٩١٩ أن تؤلف في العاصمة « لجنة زراعية » من رئيس وستة أعضاء من أصحاب الأراضي الذين لهم معرفة بأصول الزراعة الحديثة واحتياجات الزراع (ويرجح المتخرجون من المدارس الزراعية) على أن ترتبط اللجنة بالحاكم العسكري . ومهمتها دراسة أحوال البلاد الطبيعية وتقسيم أراضيها إلى درجات وتنظيم جداول مفصلة بذلك حتى يكون ذلك أساساً لوضع الضرائب عليها في المستقبل ، ووضع خرائط مفصلة لكل قضاء وقرية مع بيان الحدود ، ومعرفة ما يناسب كل إقليم من المزروعات والأشجار ، واستجلاب

---

(١) العاصمة عدد ١٢٥ ، ١٥ مايو (آيار) ١٩٢٠ .

(٢) شغلت الصحف المحلية بالدعاية للقرض الوطني ، جاء في الكنانة عدد ٩١ ، ٢٣ يونيو (حزيران) ١٩٢٠ « نريد استقلالاً لا بلا مال ودفاعاً بلا رجال . . فتى يادعاة الاستقلال لاتخطون هذا القرض الزهيد الذي تبرع بأكثر منه ثلاثة من الأمة الصهيونية التي تسعى لجمع ٢٥ مليون جنيه لاستعمار فلسطين وجعلها وطناً قومياً . من يريد أن يتعلم الوطنية فلينظر إلى أعمال الصهيونية وكيف أنهم يسترخصون المال في سبيل لم شعثهم وإنشاء وطن لهم » .

(٣) من بيان الوزارة أمام المؤتمر السوري في ٢٧ مارس (آذار) ١٩٢٠ الحصري ٢٥٤ .

البذور والغراس ، والآلات الزراعية من أوربا وبيعها للزراع بأثمان معقولة ، وفتح شعب لتصليح الآلات وإيجاد موظفين لتعليم الزراع طريقة استعمالها ، وما يناسب تربتهم من مزروعات وأسمدة ، ومقاومة الحيوانات الضارة وإرشادهم لطرق إتلافها ، وتعليمهم أصول تربية المواشى على الطرق الحديثة، وطريقة تحضير الزيت والحليب بالآلات الحديثة ، وتعليمهم ما يلزم من الطب البيطرى، والسعى بواسطة مهندسين أخصائيين لدرس أحوال البلاد الجيولوجية ، واستخراج ينابيع جديدة وفتح آبار أرتوازية وتسهيل أسباب الرى . والحث على الإكثار من غرس الغابات وتطعيم الأشجار والتنشيط على إنشاء الشركات الزراعية ومساعدتها بالمال ، وإحداث نقابات للزراع فى كل قرية أو قرى مجتمعة لشراء المحصولات وبيعها وإعداد ما يلزم من البذور والحاجيات التجارية وتقديمها بأسعار معتدلة ، على أن تؤسس على طريقة الشركات المساهمة وتكون أرباحها عائدة للزراع أنفسهم على نسبة إسهامهم ولايعطى للمؤسسين أكثر من ٢٠ ٪ من الأرباح ، وإيجاد حقول نموذجية لتعليم الزراع العلم الزراعى التطبيقى وطريقة استعمال الآلات ، وتستعين بلجنة من مديرية المعارف ، ومن مهندسين أخصائيين . . ولما كان لايوجد فى ميزانية الزراعة ما يساعد على تطبيق جميع المواد المذكورة فقد استنسب المجلس توديعها إلى مديرية الزراعة لعمل ما يمكن عمله وتأجيل ما لايمكن إلى أن تسمح الظروف بتطبيقه[١] .

وقد بدأت تظهر بعض النتائج الإيجابية فتأسست شركة الزراعة الحلبية ومركزها فى حلب ولها شعب فى الأقضية برأسمال ١٠٠٫٠٠٠ جنيه مصرى « لإجراء بعض المشروعات الزراعية على أصول الفن الحديث ومشترى قرى وأراض وبساتين وكروم أو استئجارها باسم الشركة . . وجلب أدوات زراعية وأسمدة وبيعها على الفلاحين بربح زهيد . . مع تأسيس شعبة استثمارات زراعية لإفادة المزارعين والفلاحين بأمور الزراعة وإنشاء مجلة زراعية فى حلب . . وقد منح الامتياز للشركة فى ٢٤ مارس (آذار) ١٩١٩ على أن تجلب الآلات الزراعية التى يحتاج إليها الزراع بفائدة ١٠٪ مستثناة من الجمارك[٢] .

(١) العاصمة عدد ٣٥ ، ١٩ يونيو (حزيران) ١٩١٩ .

(٢) العاصمة عدد ٢٥ ، ١٢ مايو (آيار) ١٩١٩ .

وعزمت غرفة التجارة فى حلب كذلك على القيام بإصلاحات زراعية مستعينة بأصحاب الأموال من التجار والزراع لغرس النباتات والأشجار المفيدة ؛ وخاصة التوت ، وتربية دودة القز ، وإصلاح الحيوانات الأهلية وتكثيرها وعمل المحفوظات الغذائية . واستعمال السماد الصناعى وتعميم استعمال الآلات الحديثة .

وقد سعت الحكومة إلى فتح مدارس زراعية لتعليم الفنون الزراعية . فتقرر فى يناير (كانون ثان) ١٩١٩ اتخاذ الثكنة الموجودة فى درعا مدرسة للزراعة وصرف مبلغ ٥٠٠ جنيه لتعميرها[١].

كما تقرر فى سبتمبر (أيلول) افتتاح مدرسة السلمية الزراعية[٢] على أن تكون بدرجة إعدادية ومدة الدراسة فيها ٤ سنوات ويقبل فيها التلاميذ داخليين وخارجيين ، على أن يقبل منهم ٥٠ تلميذاً مجاناً يرجحون من أبناء الزراع الفقراء وقد خصص للمدرسة مبلغ ١٥٠٠ جنيه وألحقت بميزانية الزراعة والخراج ، وقد تم افتتاح المدرسة فى ١٥ أكتوبر (تشرين أول) ، وكانت تحوى ١٠٠٠ دونم من الأراضى الجيدة. خصص نصفها لنباتات الدورة الزراعية كالحبوب ونصفها للبساتين والكروم وحقول التجارب ثم أبنية الطلبة والأساتذة وغرف الأدوات الفنية والمستودعات[٣].

ومن أجل تشجيع الفلاحين على الزراعة تقرر فى نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١٨ إفتتاح المصرف الزراعى فى دمشق وبفروعه المختلفة فى المراكز[٤]، وربطه برياسة المالية ، وبدأ الفلاحون بالاستقراض من صناديق المصرف الزراعى لقاء رهن أموالهم غير المنقولة. ويبدو أن بعضهم قد تأخر فى دفع المستحق عليهم فتقرر وضع تلك

---

(١) العاصمة عدد ١٨ ، ١٧ أبريل (نيسان) ١٩١٩ .

(٢) كانت الحكومة السابقة قد أحدثت مدرسة زراعية فى السلمية لتخريج اختصاصيين فى الزراعة يستثمرون الأراضى الفسيحة المعروفة بجودة التربة ، وخصصت لنفقات المدرسة السنوية ٤ آلاف ليرة وجلبت لها آلات وأدوات بألف ليرة وكان للمدرسة أراض مقيدة بالطابو تبلغ ٢٠٠٠ دونم أعطت ريعاً لا يقل عن ١٠٠٠ ليرة سنوياً .

(٣) العاصمة عدد ٦٤ ، ٦ أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٩ .

(٤) كان المصرف الزراعى قد أسس فى عهد الحكومة السابقة ، وجرى الآن التدقيق فى حساباته وماله من الديون من أجل العمل على إعادة افتتاحه . وروى لى يوسف الحكيم (وكان وزيراً للتجارة والزراعة والمنافعة) أن افتتاح المصرف الزراعى كان لضمان عدم تذمر الفلاحين من سوء الأحوال الاقتصادية .

الأموال فى المزايدة العلنية تأميناً لاستيفاء حقوق المصرف الزراعى .

وصدرت فى ١٠ يونيو (حزيران) ١٩٢٠ إرادة ملكية بتأسيس غرف زراعية فى العاصمة وفى كل مراكز الولايات والأقضية مكلفة بكل مامن شأنه رقى الزراعة وإصلاح جميع أنواع الحبوب والنباتات والأثمار والحيوانات الأهلية . وإعلام الوزارة عما يناسب الزراعة والمواد التى ينبغى إجراؤها محلياً ، وحث الأهالى على تأسيس شركات ومعارض ومدارس زراعية وجلب الأدوات الزراعية الحديثة ، والاستفادة من المصارف الزراعية وترقية المضائع الزراعية ونشر المحلات الزراعية ، وتأسيس شركات للتعاون الزراعى وإبداء الآراء حول تجفيف المستنقعات وإرواء الأراضى . . . وقد تقرر أن يجتمع أعضاء الغرف مرة كل أسبوع على أن تعقد الغرف اجتماعات متوالية فى شهر يناير (كانون ثان) من كل سنة لوضع جدول سنوى بماقامت به من أعمال ومساع زراعية ، على أن ترفع تقريرها إلى وزارة الزراعة(١) . .

٣ ـ تحسين الصناعة :

وقد اتخذت خطوات إيجابية لتحسين الصناعة بعد أن أثرت ظروف الحرب على الصناعات التقليدية فى سوريا ، فبدأت الدعوة لإعادة معمل الزجاج فى دمشق وغيره من المعامل لما فى ذلك من توفير للمال وتشغيل لليد العاملة . وقد عقد مساهمو معمل الزجاج عدة اجتماعات فى النادى التجارى (حضر بعضها الركابى نفسه) للعمل على إعادته من جديد وجلب المعدات اللازمة والمباشرة بتوزيع سندات الأسهم على المساهمين ، كما انتخبت هيئة جديدة للإدارة ولكن الظروف لم تسمح بافتتاحه(٢).

وعمدت الحكومة إلى تنشيط الصناعات القديمة ، كإنشاء معمل للسجاد فى دمشق برأسمال وطنى يجمع على سبيل الاكتتاب والاشتراك . وخصص له محل

---

(١) العاصمة عدد ١٣٣ ، ١٧ يونيو (حزيران) ١٩٢٠ .

(٢) كان العمل قد شيد بأموال الموسرين فى العهد العثمانى وقد أخرج نماذج من أدوات زجاجية بعد أشهر من افتتاحه . . ولكن حدث خلاف بين أرباب الأسهم وأصحاب الأموال المؤسسين فأغلق المعمل وفى أثناء الحرب وضع الألمان والترك أيديهم عليه كما اتخذه الإنجليز فيما بعد مكاناً لترميم السيارات .

داخل مدرسة دار الصناعة على أن ينتقل إلى محل أوسع إذا اتسعت دائرة العمل ، ويعمل به أيتام جمعية المقاصد الخيرية ، وقامت غرفة التجارة فى حلب (مستعينة بأصحاب الأموال) بتأسيس أنوال فرعية للمنسوجات الوطنية وتأسيس معمل لغزل وفتل الصوف بالطريقة الحديثة ، وتعلم أصول حل الحزير وتفريقه . . وتجديد معمل الجلد . وتأسيس معمل كبريت ومعمل ورق وإصلاح وترقية معمل البللور ودبغ الجلود وصقلها على الطريقة الحديثة وفتح معمل للصباغة بالطرق الكيماوية وفتح مصانع حرير وإصلاح الآلات الزراعية والصناعية[١] .

وأعدت إدارة السكة الحجازية الوسائل التدريبية اللازمة لتعلم الصناعة المختلفة فى معمل الخط الحجازى فى القدم . وأعلنت دار الصناعة فى دمشق عن استعدادها لعمل وتقديم جميع ما يتعلق بفروع الحدادة ، مع تمكين الحدادين من خارج المدرسة من الاستفادة من الآلات الموجودة لقاء أجرة . وحضر الركابى اجتماعاً عقده التجار فى دمشق فى المجلس البلدى من أجل تأليف شركة كبيرة لتأسيس معامل عديدة للنسيج للاستغناء بمصنوعاتها عن المصنوعات الأجنبية تخفيفاً لوطأة الغلاء[٢].

وقد قدمت طلبات كثيرة إلى الحكومة لأخذ امتيازات بمشاريع عمومية متنوعة[٣] وكانت الحكومة ترحب بأى مساعدة أجنبية تساهم فى تطوير البلاد شرط أن تخضع لقوانين البلاد وأنظمتها[٤]. ولكن عدم الاستقرار السياسى لم يسمح بقيام مشاريع واسعة .

٤ — تنشيط التجارة وتحسين طرق المواصلات :

وسعت الحكومة العربية إلى تحسين الوضع التجارى ، برغم ما كان لتقسيم سوريا إلى مناطق ثلاث بإدارات متميزة وحرمان المنطقة الداخلية من الموانئ من

---

(١) العاصمة عدد ٧٢ ، ٤ نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١٩ .

(٢) العاصمة عدد ١١٤ ، ١٥ أبريل (نيسان) ١٩٢٠ .

(٣) كانت قيادة الحملة المصرية قد أعلنت عدم اعتراف الدول المتحالفة بإلغاء الامتيازات من قبل الحكومة العثمانية وأن الامتيازات ستظل مرعية الإجراء حتى يقرر مؤتمر الصلح حالتها المستقبلة .

(٤) انظر بيان الوزارة — ٢٧ مارس (آذار) ١٩٢٠ .

تأثير على التجارة . وقد أعلنت إنشاء مكتب تجارى فى القاهرة لتسهيل المصالح التجارية بين المنطقة الداخلية فى سوريا والقطر المصرى ، وعينت بشير القصار معتمداً تجاريًّا فى مصر ومديراً لمكتب O.E.T.A. (East) ، وجعلت مقرًّا له فى أوتيل سافوا القاهرة[١] .

وصادق مجلس الشورى فى ١٩ أبريل (نيسان) ١٩١٩ على برنامج النادى التجارى فى دمشق لتأمين الصادرات وجلب الواردات وتأليف الشركات التجارية ودعوة العلماء إلى إلقاء المحاضرات الاقتصادية النافعة والسعى ضد الاحتكار والعمل على ما يفيد التجارة والتجار[٢] .

وكانت خطوط المواصلات بعد الحرب فى حالة سيئة بسبب الإهمال وظروف الحرب وخاصة الخط الحجازى ، واتخذت وسائل لتعمير السكة الحديدية وإصلاح الجسور ، ووضعت بالمناقصة العلنية إحضار المواد اللازمة لعملية الإصلاح . ونتيجة لذلك وصل القطار من المدينة إلى دمشق فى أواخر ١٩١٨ ، كما انتظم سير القطار بين دمشق وحيفا ورياق وحلب . ولكن يبدو أن سير القطارات لم يكن منتظماً لعدم إتمام الإصلاح بصورة تبعث على الاطمئنان أو وجود رأسمال كاف لهذه الغاية .

وكانت سكة حديد الحجاز تتألف من خط رئيسى يمتد من دمشق إلى المدينة بطول ١٣٠٧ كم وفروع ثانوية من درعا إلى سمخ ثم حيفا طوله ١٦١ كم ، مع جملة فروع فى فلسطين . وكانت السلطات البريطانية بعد جلائها فى نهاية ١٩١٩ قد سلمت الخط الرئيسى من دمشق إلى المدينة للحكومة العربية عدا فرع فلسطين ، ومن ضمنه خط درعا سمخ وطوله ٧٠ كم وهو يقع ضمن أراضى الحكومة العربية . وطالبت الحكومة باسترجاع فروع فلسطين واستثمار ميناء حيفا لأنها تسد عجز الخط الرئيسى الذى ليس له أرباح تجارية مطلقاً ، ولكن السلطات البريطانية أبت بحجة أن الاحتفاظ به إنما هو ناشئ عن احتلالهم المؤقت . وكانت الحكومة التركية قد أصدرت طوابع تستعمل فى بعض المعاملات الرسمية وحول

---

(١) من مجموعة أوراق محب الخطيب .

(٢) العاصمة عدد ٢٥ فى ١٢ مايو (آيار) ١٩١٩ .

دخلها للسكة الحديدية وظل هذا الإجراء معمولا به فى منطقتى الاحتلال دون أن تعترف بمطلب الحكومة السورية بتلك الأموال .

أما خط دمشق رياق حلب الذى يقع ضمن أراضى الحكومة العربية فكان يتبع الشركة الفرنسية صاحبة الامتياز إلا أنه أصبح بعد انسحاب القوات البريطانية يتبع المراقبة العسكرية العربية مع بعض موظفين من الشركة للإشراف على بعض النواحى الإدارية والفنية . أما القسم الداخل فى أراضى الحكومة العربية من خط بغداد بين حيدر باشا ونصيبين فقد أصبح تابعاً للمراقبة العسكرية العربية مع وجود لجنة مؤلفة من ممثلى الحلفاء من أجل الأعمال الإدارية والفنية بعد انسحاب الشركة الألمانية صاحبة الامتياز[١].

وقد تضاعف عدد السيارات بعد الحرب وجاءت بعد الشاحنات العسكرية سيارات المسافرين ونقل البضائع ، وسهلت بذلك اتصال المنطقة الداخلية بالمناطق الأخرى من سورية[٢].

كما جرى تقدم ملحوظ فى تحسين وسائل الاتصال البرقى والبريدى ومصلحة « التليفون» لعوامل سياسية واقتصادية معاً ، ودرب عدد من عمال البرق والتليفون من أجل تعمير الخطوط البرقية وشبكات التليفون وإصلاح الآلات[٣]. وكانت إدارة البرق والبريد تتبع فى أول الأمر ديوان الشورى الحربى ولكنها أصبحت تابعة لوزارة المالية ، وقد ظلت المراسلات البريدية خاضعة لرقابة القيادة العامة حتى انسحاب القوات البريطانية .

ولكن برغم الجهود التى بذلتها الحكومة لتنشيط الحالة التجارية فقد ظلت فى حالة جمود . ولم يكن الأمر مقتصراً على الداخل بل كانت الحالة كذلك فى الساحل[٤]، بسبب عدم الاستقرار السياسى وانقطاع العلاقات الاقتصادية تقريباً بين الساحل والداخل حتى أن حلب التى كانت مركزا هاماً فى تجارتها لاتصالها بالأناضول وبغداد قد أخذت تعانى من توقف تجارتها بسبب ما كان يقوم حولها من ثورات ضد القوات الفرنسية .

---

(١) Haut commissariate de la Republique Française, pp. 144, 147.

(٢) Himadeh, p. 186.

(٣) العاصمة ، عدد ٣ فى ٢٥ فبراير (شباط) ١٩١٩ .

(٤) لسان الحال ، ٢٢ مارس (آذار) ١٩٢٠ عدد ٨٠١٤/٣٦٤ .

٥ ــ مشكلة الغلاء :

ومع ازدياد المشاكل السياسية بدأت بعض المناطق تعانى من نقص فى المواد الغذائية وارتفاع فى الأسعار . وكانت الحكومة قد بدأت بوضع نوع من المراقبة على أسعار الحاجيات . وقررت وزارة المالية فى أبريل (نيسان) ١٩١٩ زيادة المرتبات تحت اسم (مخصصات معونة) لجميع الموظفين نظراً لارتفاع أسعار الحاجيات عن المعدل القانونى ، وقد وضع مبلغ ١٠٠٫٠٠٠ جنيه مصرى بفصل مخصوص فى ميزانية نفقات المالية ١٩١٩ تحت عنوان « ضمائم مؤقتة على رواتب الموظفين الملكيين » ويستمر إعطاء هذه العلاوة مع الرواتب الشهرية إلى أن تعود أسعار الحاجيات إلى حدها المعتدل ، وتختلف نسبة العلاوة حسب الرواتب ، فمن كانت رواتبهم من ١٠٠٠ قرش فما دون يضم لهم ٢٥ ٪ ومن كانت رواتبهم من ١٠٠٠ — ٤٠٠٠ يضم لهم ١٥٪ ومن كانت فوق ٤٠٠٠ يضم لهم ١٠٪ (١) .

ومن أجل توفير المواد الغذائية منعت إخراج الحبوب من المنطقة الشرقية إلا إذا زاد على الاحتياج المحلى . ووضعت تعليمات لاستجلاب الأرز من مصر وتوزيعه على التجار بمعرفة الحكومة (٢) . ويظهر أن الغلاء ظل مستحكماً فقامت مظاهرة من الفقراء والعمال فى حماة فى مارس (آذار) ١٩٢٠ تطالب بتخفيض سعر الدقيق وسقوط التجار المحتكرين ومنع تصدير الحبوب منعاً باتاً ، ووعدت الحكومة بتأمين إعاشة الفقراء (٣) . وكان أن أصدرت الحكومة أمراً بمنع إخراج القمح منعاً باتاً بأى وسيلة إلى فلسطين أو المنطقة الغربية ، كما أمرت بالمراقبة الشديدة على شاحنات السكك الحديدية وعلى الطرق جميعاً منعاً لتهريب الحبوب (٤) .

---

(١) العاصمة عدد ١٨ فى ١٧ أبريل (نيسان) ١٩١٩ .

(٢) العاصمة عدد ٨٨ فى ديسمبر (كانون أول) ويبدو من أوراق محب الخطيب أن اللجنة العليا هى التى كانت تساعد البلدية فى الإشراف على عملية توزيع الأرز بثمن معتدل .

(٣) الدفاع عدد ٥٥ ، ١٦ مارس (آذار) ١٩٢٠ .

وقد ذكرت الجريدة أن الجرائد المحلية قد منعت من تفصيل الحادث فصدرت بيضاء وكان محمد الحبال (الذى انتدب تمثيل العمال من أجل عرض مطالبهم أمام المجلس البلدى) قد ألقى القبض عليه فقامت المظاهرة التى كانت تهتف « نقدم الحبوب إلى فرنسا ونحن نموت جوعاً » وتعلق (الدفاع) أنه يفهم من الحالة الاقتصادية فى حماه أن العامل والصانع والفلاح وهم ٩٠٪ من الأهالى فقراء بائسون .

(٤) لسان الحال ٢٢ مارس (آذار) ١٩٢٠ . عدد ٨٠١٤/٣٦٤ .

ولكن يبدو أن التهريب قد استمر إلى المنطقة الغربية وكانت الصحف المحلية تظهر استياء الشعب لذلك وتلفت أنظار الحكومة للتشدد فى منع التهريب . وقد تعهدت الحكومة بجانب مكافحة التهريب إلى شراء الحبوب من خوران وطحنها وبيعها بأسعار زهيدة . وتفقد رئيس الوزراء بنفسه الأفران التى تخبز فيها البلدية واكتشف الغش فى بعضها فى مزج الدقيق أو إخراجه قبل أن ينضج وأحيلى بعضهم إلى القضاء العسكرى كما راقب عملية توزيع الأرز المستورد من مصر بمعرفة لجان فى الأحياء تعينها الحكومة ، وكانت اللجنة تعين موعداً للتوزيع ومكانه فى الحى وتضع جدولا تقيد فيه اسم كل شخص يأخذ حصة ونعلن توزيع كل يوم بالجرائد المحلية وتعين ما يصيب كل حى من كمية الأرز تحت مراقبة وزارة الداخلية والنافعة(١) .

وتشكلت لجنة برياسة وزير النافعة لوضع لائحة قانونية بتأسيس إدارة التموين « لتخفيف وطأة الغلاء ومكافحة الأزمات الاقتصادية وتأمين إعاشة السكان بالتساوى . . ونظراً لأن حالة السكان لاتساعد على تخصيص مبلغ كبير من المال لهذا العمل ، كما لايسهل تأسيس شركة من الأهالى شرط قناعتهم بربح قليل وكان لايجوز إهمال قضية التموين وترك البلاد عرضة لأزمات اقتصادية . . فقد تأسست إدارة التموين برأسمال قدره ٥٠٠٫٠٠٠ جنيه تسلفها الخزينة إلى إدارة التموين على أن تسلف الخزينة ٥٠٫٠٠٠ جنيه فقط وتسلم بالمبلغ الباقى ما يعادله حبوباً من الحصة العشرية فى ألوية دمشق وحلب وحمص وحماه ، وتستورد بال ٥٠٫٠٠٠ ماتحتاجه من الخارج كالأرز والسكر وغيرهما . وتقنع الإدارة بربح زهيد لقاء نفقاتها ، فتسلم بذلك من أيدى المحتكرين وتكون المرجع الوحيد لإعاشة البلاد . . فتخفف أثمان الحاجيات كلما رأتها زادت عن الدرجة العادلة . . كما يتوجب على الإدارة أن تقف على ما فى البلاد من المواد الغذائية وأن تسهل جلبه بواسطتها أو بواسطة التجار وتراقب الأثمان إلى غير ذلك من الأمور الاقتصادية والتجارية ... وخشية الوقوع فى الحالة المريعة التى جرت أيام الحرب من قبل الحكومة السابقة حين وضعت يدها على المواد الغذائية . . رأينا أن تترك التجارة حرة فى البلاد على أن لايبقى مجال للاحتكار . . وأن تشترك اللجان الإدارية

(١) العاصمة عدد ١٣٠ ، ١٠ يونيو (حزيران) ١٩٢٠ .

للتموين فى المراكز والملحقات مع المجالس البلدية بتحديد أسعار الحاجيات . . على أن ترتبط إدارة التموين العامة بوزارة التجارة والزراعة والنافعة . . وأن يؤلف المجلس العـــام من كبار موظفى الوزارة وبعض أعضاء المجالس الإدارية والبلدية والتجارية . . وأن يسعى المجلس لاتخاذ التدابير لعدم رواج ــ الحاجيات الكمالية صوناً للثروة الوطنية وقواعد الاقتصاد . . »[١]

لقد سعت الحكومة لحل المشاكل الاقتصادية التى واجهت البلاد بين عامى ١٩١٨ ــ ١٩٢٠ . . وكانت هناك أدلة تثبت أن البلاد قد بدأت تزدهر وتتحسن فيها ظروف العمل بعد مآسى الحرب إلا أن قصر الفترة يحول دون تقدير نتائج الجهود التى بذلتها . يضاف إلى ذلك ازدياد الضغط الاقتصادى ، ونقص واردات الحكومة ، وغلاء الأسعار ، مع ما كان يخيم على مستقبل الدولة من تهديد ، كانت عوامل حاسمة فى مصاعب الحكومة الاقتصادية[٢].

٢ ــ السياسة التعليمية والثقافية :

(ا) توسيع التعليم وتطويره :

لقد كان تشجيع العلم والمعرفة دليلا على تحسس الحكومة العربية بقيمة الثقافة وأهميتها فى دعم الحركة القومية ، وكانت (ترقية المعارف) الهدف الثانى بعد حفظ النظام العام كما أوضح فيصل ذلك فى خطابه فى حلب فى نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١٨[٣]، وأكده بيان الوزارة أمام المؤتمر السورى فى ٢٧ مارس (آذار) ١٩٢٠ « سنعنى بصورة مخصوصة بنشر المعارف وجعل المدارس فى حالة يمكنها أن تخرج للبلاد رجالاً مشبعين بحب الوطن وسلامة الفكر . وسنهتم بإغناء خزائن علومنا بترجمة كتب العلوم والفنون الحديثة وتأليفها والاستفادة من المعارف الغربية »[٤].

وكانت المشكلة الأولى التى واجهت الحكومة هى اللغة العربية : فقد

---

(١) العاصمة عدد ٢٢ ، ٣ مايو (آيار) ١٩٢٠ .

(٢) مقابلة شخصية مع يوسف الحكيم « وكان وزيراً للتجارة والزراعة والنافعة » .

(٣) الحصرى ص ٢١٦ .

(٤) المصدر نفسه ص ٢٥٤ .

كانت اللغة التركية هي اللغة الرسمية فى الحكومة والتدريس ، وكان لابد من تحول اللغة فى جميع الدوائر والدواوين والمدارس وتم ذلك ، بسرعة فائقة[١] .وأنشأت الحكومة الشعبية الأولى للترجمة والتأليف فى ٢٨ نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١٨ ضمت إليها أمور المعارف وجعلتها كلها ديواناً للمعارف برياسة محمد كرد على فى ٢٤ نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١٩ ،وعهد إلى الديوان الاهتمام بأمر اللغة العربية ونشر الثقافة بين الموظفين واستبدال المصطلحات العربية بالتركية فى الجيش ودوائر الحكومة ، واستعان فى ذلك بأساتذة اللغة وأدبائها ، واستحدث دروساً خاصة للموظفين لتعليم الإنشاء العربى ومراجعة الكتب العربية القديمة ونشرات الحكومة المصرية لإيجاد المصطلحات. وتقرير أفصح الأساليب التى تليق بحكومة عربية[٢] .

كما عهد إلى الديوان أمر تنظيم ميزانية المدارس وتصحيح الكتب المدرسية المعدة للطبع وإحداث المدارس وتفتيشها ، وتعيين المعلمين والنظر فى بعض القوانين المتعلقة بالمعارف وترجمتها ، والعناية بأساليب التربية الحديثة والاهتمام برفع شأن اللغة العربية فى المدارس .

ولكن بعد اتساع أعمال ديوان المعارف وازدياد حركة التأليف والترجمة وتوفر عدد من الاختصاصيين قامت الحكومة بتقسيم الديوان قسمين : الأول يختص بأعمال المعارف العامة والثانى بأمور اللغة والمكتبات والآثار (ما عرف باسم المجمع العلمى) . وقد عهد بمجلس المعارف إلى ساطع الحصرى الذى عمد إلى تطوير أنظمة التعليم، وخاصة بعد أن عانى نظام التعليم كثيراً من العهد العثمانى[٣]، وعمد إلى

---

(١) استخدمت فى بادئ الأمر السجلات القديمة المطبوعة باللغة التركية مع الكتابة عليها باللغة العربية توفيراً للوقت والمال حتى تم طبع السجلات الجديدة ، وقد خصصت دروس ليلية لتدريب الموظفين ، وذكر أكرم رضا الركابى أن والده هدد الموظفين الذين يتخلفون بالحسم أو التسريح .

(٢) الفتيح ، تاريخ المجتمع العلمى دمشق ١٩٥٦ ص ٣ — ٤ .

(٣) لم تهتم الدولة العثمانية كثيراً فى تطور التعليم الرسمى وكان هناك عدد قليل من المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية ومدارس عسكرية وهى ثلاثة أقسام رشدى وإعدادى وحربى ويرسل الخريجون بعدها إلى مدرسة الأركان فى الآستانة، وكانت معظم الدروس فى هذه المدارس باللغة التركية، وأساتذتها أتراك إلا قلة من العرب . وأحدث فى نهاية العهد المعهد الطبى ومدرسة الحقوق . . ولم يكن هذا التعليم يلائم الحاجات الملحة أو مقتضيات التطور وقد وجد إلى جانب التعليم مدارس أهلية أشرف على معظمها الإرساليات الأجنبية كما أحدثت مدارس إسلامية أخرى لمزاحمة المدارس الأجنبية والتبشيرية .

مخطوط (دمشق فى مطلع القرن العشرين) العلاف ص ٣٣ .

دراسة نظم التربية والتعليم القائمة فى مصر نظراً لأنها سبقت سائر البلاد العربية فى ميدان التعليم فى اللغة العربية . وسافر من دمشق إلى القاهرة لهذا الغرض وصادف ذهابه إليها أيام احتدام الثورة وإعلان الإضراب العام فاضطر إلى العودة إلى دمشق دون أن يستطيع زيارة المدارس مكتفياً بالمعلومات التى استطاع الحصول عليها من الكتب المدرسية الموجودة لدى باعة الكتب[١].

وقد بدأت مديرية المعارف ببرنامج لتوسيع التعليم فى جميع مراحله : فأنشأت مدرسة زراعية فى السلمية وأخرى فى درعا . كما وضعت خطة تعليمية عند بدء العام الدراسى ١٩١٩ — ١٩٢٠ (والذى تقرر بدايته فى ٢٠ سبتمبر « أيلول ») بفتح مدارس جديدة فى حلب[٢] وأخرى فى دمشق[٣]، كما تقرر فتح صفوف جديدة فى بعض المدارس ووضعت فى المناقصة العلنية إحداث تعميرات فى المدارس القديمة . وكذلك تأسيس دار للحضانة للذين لم يبلغوا السابعة .

ولم يكن التعليم مجانياً فقد تقرر وجوب استيفاء ٣ جنيهات سنوياً من التلاميذ النهاريين فى المدارس « السلطانية » و٢٥ جنيهاً سنوياً من الداخليين على أن يقبل ٥٪ من التلامذة الداخليين مجاناً و١٠٪ من التلامذة الخارجيين مجاناً فإذا تجاوز عدد الطالبين الذين يثبت فقرهم الحد المعين يجرى امتحان المسابقة بينهم وينتخب من ثبتت أهليته بالامتحان مع قبول التلامذة الذين صدر أمر سمو الأمير بقبولهم مجاناً وذلك علاوة على ٥٪ ولكن بسبب كثرة الفقراء الأذكياء قرر مجلس الشورى زيادة النسبة المجانية بين الطلاب الفقراء . فجعل العدد المقرر قبوله فى المدارس « السلطانية » والإعدادية مجاناً فى القسم الليلى من الفقراء ١٠٪ ثم تقرر قبول ٣٠٪ فى القسم النهارى بشرط التحرى عن حقيقة فقر ولى الأمر، ومن يثبت أنه مقتدر يصير استثناؤه من المجانية[٤].

---

(١) الحصرى ، مذكراتى فى العراق ١٩٢١ — ١٩٤١ ، بيروت ١٩٦٧ ص ٥ .

(٢) العاصمة عدد ٥٤ ، ٢٨ أغسطس (آب) ١٩١٩ « من جملة المدارس ، المدرسة السلطانية ، مدرسة الصناعة ، دار المعلمين ، الاستقلال ، الهاشمية ، الإرشادية ، الناصرية . . إلخ .

(٣) العاصمة عدد ٥٦ ، ٢٤ سبتمبر (أيلول) ١٩١٩ وقد وجد فى دمشق حسب التشكيلات الابتدائية الجديدة ٣ مدارس ذات ٦ صفوف و٣ مدارس ذات ٤ صفوف و ٣ مدارس ذات ٣ صفوف و ٣ مدارس ذات صفين ومدرستان بصف واحد .

(٤) العاصمة عدد ٩ ، ١٨ مارس (آذار) ١٩١٩ .

واهتمت الحكومة كذلك بإعداد المعلمين فتقرر جمع معلمى المدارس الابتدائية ومديريها من المراكز المختلفة فى دار المعلمين بدمشق لإجراء مناقشات حول أصول التعليم وأمور التربية مع نشر البرنامج والتعليمات الموضوعة لهذا الاجتماع ، وإلقاء دروس عملية تتخللها مناقشات « ليكون ذلك نموذجاً للتعليم الذى ينبغى السير عليه » كما وجهت الدعوة إلى مفتشى ومديرى ومعلمى المدارس « السلطانية» ودور المعلمين إلى حضور دروس نموذجية مع مناقشات خلال صيف ١٩١٩ وتخصيص محاضرات لتلقى أصول التدريس ، على أن تلقن هذه الدروس إلى بقية المعلمين بعد عودتهم إلى مراكزهم ، « وتدرس المعلمات مادرسه المعلمون بواسطة هيئة تنتخب لهذا الغرض » وأعدت دروس خاصة لترقية معلومات معلمى المدارس الابتدائية فى اللغة العربية والعلوم الحديثة[1].

ووضعت خطة لزيادة عدد المعلمين وتشجيع الانتساب إلى هذه المهنة بتقديم تسهيلات القبول لدور المعلمين ؛ فتقرر قبول الحائزين على شهادة المدارس الابتدائية دون فحص ، ويقبل بالفحص من لم يكن بيده شهادة ، وجعلت الدراسة فى دور المعلمين مجانية مع إعطاء الغرباء من فقراء التلاميذ جنيهين شهرياً إذا لم يتيسر جعل الدراسة داخلية على أن يقدم الطلاب سند تعهد بالخدمة فى المدارس الأميرية مدة ١٠ سنوات . كما أجيز للمعلمين الذين ليست بأيديهم شهادات بالبقاء فى وظائفهم بصفة وكلاء إلى آن تثبت أهليتهم ويعطوا شهادة أهلية . . وافتتحت صفوف جديدة فى دار المعلمات فى دمشق ، وأجريت مسابقات لإرسال المعلمات إلى المراكز البعيدة . وقد جعلت مرتبات معلمى المدارس الابتدائية من ٦ — ١٢ جنيهاً ، كما زيدت مرتبات معلمى المدارس « السلطانية » فأصبحت بين ١٢ — ٢٠ جنيهاً مع مراعاة قدم المعلم واستعداده . وقد لوحظ أن عدد المعلمين فى المدارس أصبح بنسبة معلم واحد لكل ٤٠ أو خمسين تلميذاً[2].

ولم يقتصر تشجيع التعليم على المدارس الابتدائية والثانوية ودور المعلمين بل

---

(١) العاصمة عدد ٣٨ ، ٢٧ يونيو (حزيران) ١٩١٩ .

(٢) العاصمة عدد ٥٧ ، ١١ سبتمبر (أيلول) ١٩١٩ .

تعداه إلى افتتاح المعاهد العليا . وكانت فكرة إحياء المعهد الطبي [١] ومدرسة الحقوق [٢] قد راودت أذهان المسئولين ورجال الفكر وتكررت المطالب من الحكومة بإعادة افتتاح هاتين المؤسستين لتكونا نواة لجامعة عربية يرتادها الطلاب من مختلف البلاد [٣] .

وقد أصدرت الحكومة بياناً أعلنت فيه .. مالتأسيس المعاهد العلمية من عظيم الفوائد . . فبدا لها أن تبنى فى العاصمة كلية طب تضارع أعظم كليات العالم . . وتحتوى على علية الأساتذة من الأطباء . . وليتسنى لها تخريج أكفاء من

---

(١) كان معهد الطب التركى قد أنشئ منذ ١٩٠٣ فى دمشق وكان أساتذته ولغته تركية ، وكان أول عهده بسيطاً مقره الأول بين بناء زيور باشا (الصالحية) حيث أعدت له مخابر الكيمياء والطبيعة والتشريح والغرائز وبين بناء المستشفى العام حيث تلقى فيه الدروس السريرية وتطبق بعض الدروس العملية فى مخبر الجراثيم الملحق بالمستشفى حتى ١٩١٣ حيث أعدت أبنية فى حديقة المستشفى وفيها مدرجات مختلفة فانتقل المعهد إليها ، وكانت مدة الدراسة فيه ٦ سنوات أربع منها فى المعهد فى الصالحية واثنتان بين المعهد والمستشفى العام لتلقى الدروس السريرية . وقد حالت الحرب دون توسع المعهد ، ولما ترك الآباء اليسوعيون معهد بيروت انتقل معهد دمشق إليه ، حيث المعهد الطبى الفرنسى (اليسوعى) حتى إعلان الهدنة حيث عاد اليسوعيون فشغلوا معهدهم وتخرج من المعهد بين ١٩٠٣ –١٩١٨ (١١٠ أطباء و١٥٢ صيدليا) .

(وزارة المعارف ، دولة سورية ، منهاج الجامعة السورية ١٩٣٠ – ١٩٣١) .

(٢) كانت مدرسة الحقوق قد افتتحت فى بيروت فى مدرسة الصنائع ١٩١٣ بعد قبول الاتحاديين إنشاء المدارس العليا إثر مؤتمر باريس ١٩١٣ . وزاد عددهم فى الصف الرابع على ٨٠ وجعلت مدة الدراسة ٤ سنوات وعين لها أساتذة ترك وعرب واشتمل برنامجها على المواد الأساسية فى الدراسات الحقوقية ، وألحقت بها مكتبة كبيرة . واشتمل برنامجها على المواد الأساسية فى الدراسات الحقوقية ، ولغة الدراسة هى العربية والتركية ، وقد نقلت المدرسة إثر الحرب إلى دمشق حيث شغلت بناء المدرسة الإنجليزية الهولندية فى حى الإسرائيليين . وكان الطلاب يتناقصون تحت ضغط قسوة الحرب ، ولما أصبح التجنيد إجبارياً ١٩١٥م لم يبق فى المدرسة إلا ٣ طلاب أعفوا من الجندية واستمرت الدراسة . مع ذلك وفى أواخر سنى الحرب أعيدت إلى بيروت ولما عقدت الهدنة تفرق الأساتذة والطلاب فآلت تركتها إلى الكلية اليسوعية .

المصدر السابق . .

(٣) ينتقد طه الهاشمى فى مذكراته ص ٥٠ افتتاح هذين المعهدين فكتب :

«....... لاحاجة لفتح كلية الطب والحقوق فى الشام ، يكفى فتح كلية لتعليم المبادئ الحقوقية وإرسال المتخرجين منها إلى أوربا لدراسة الحقوق . . . وفى كل سنة يرسل التلاميذ لدراسة الطب إلى الخارج . . . فصرف ٢٠٠٠ جنيه يدرب ٦٠ تلميذاً فى الطب فى السنة بينما كلية الطب تحتاج إلى ٤٠٠٠ جنيه فى الشهر ناهيك عن وسائل التعليم والمختبرات . . . » .

ناشئة هذه البلاد . . لما تقدم من أن العرب هم واضعو أسس الطب على القواعد السليمة . . وباشرت بدرس هذه المسألة وإخراجها إلى حيز العمل » . وتقرر افتتاح الكلية الطبية فى سبتمبر (أيلول) ١٩١٩ فى بناء المستشفى الوطنى برياسة رضا سعيد رئيس الكلية الطبية ومدير المستشفى الوطنى [١] . على أن تقدم الطلبات اعتباراً من ١ سبتمبر (أيلول) حتى ٢٠ منه . ويقبل فى الكلية كل من بيده شهادة من المدارس « السلطانية » أو المدارس الإعدادية القديمة ذات السبعة صفوف ، أو شهادة المدارس الخصوصية والأجنبية الموافق منهجها لنهج المدارس الرسمية والمصدق عليها من قبل إدارة المعارف ، ويقبل كذلك كل من كان مستعداً لإعطاء امتحان فى الدروس المقررة بالصف الأخير من منهج المدارس الرسمية وهى اللغة العربية ، إحدى اللغات الأجنبية ، الطبيعيات ، حيوانات ، نباتات ، طبقات الأرض ، الرياضيات ، الاجتماعيات . وقد بلغ طلبة الصف الأول ٤٠ طالباً إلى جانب طلبة الصفوف الأخرى من الطلبة القدماء بحيث يبلغ مجموعهم ١٨٤ طالباً .

وواجه افتتاح الكلية عقبات ومتاعب لأن أدوات المخابر ومعداتها قد نقلت إلى بيروت ، فلم يبق فى المعهد القديم إلا الأبنية والمدرجات ، وحتى هذه حل بها التصدع والخراب بعد أن أهملت فى أثناء الحرب ، ولذلك كان فتح الكلية ثانية يستدعى إيجاد كل شىء من جديد مع تجهيز المخابر . وكان التدريس باللغة العربية ، وقد تقدم طلبة الكلية إلى الامتحان فى ٢٠ مايو (آيار) ١٩٢٠ . وكان الامتحان علنياً يباح فيه الحضور لمن أراد [٢] .

وكان عدد من الطلاب القدماء لمدرسة الحقوق [٣] الذين انقطعت دراستهم لظروف الحرب قد عقدوا اجتماعاً فى النادى العربى فى دمشق ، وانضم إليهم خريجو المدارس الإعدادية الملكية والسلطانية فى دمشق وحلب وبيروت ممن يرغبون فى درس علم الحقوق . وحضر الاجتماع بعض رجال الإدارة والحقوق فى

---

(١) هو سورى مرشح للأستذة سابقاً فى معهد الطب فى الأستانة وظل مديراً للكلية الطبية حتى ١٩٢٣ .

(٢) العاصمة عدد ١٢٦ ، ٢٠ مايو (آيار) ١٩٢٠ .

(٣) المصدر الرئيسى الذى اعتمدت عليه هو سجل مخطوط من وثائق الجامعة السورية فى دمشق .

دمشق ، وكان من رأى الكثيرين فى الاجتماع : « إن الأمة العربية فى حاجة كبرى إلى إعادة المعهد لأنها فقدت كثيراً من رجال الإدارة والحقوق من أبنائها فى ساحات القتال » . وقد وضعت لائحة ذكرت فيها الأسباب الموجبة لإعادة المعهد المذكور وأضيف لها جدول يتضمن صورة الميزانية التى يجب وضعها لتنفيذ المشروع . وقد قدرت النفقات اللازمة للمدرسة ٢٥٠٠ جنيه فى السنة عدا نفقات تأسيسية وهى ٥٠٠ جنيه وتقرر أن يستوفى من كل تلميذ لقاء أجرة التدريس ٩ جنيهات سنوياً على ثلاثة أقساط لتسديد نفقاته . وكان البعض قد اعترض على إعادة المعهد « بأن جميع القوانين الموجودة الآن هى مؤقتة ومتى اجتمع المجلس التشريعى سيلغيها ويضع غيرها فلا تحل الفائدة المطلوبة من تدريسها » . ولكن كان الرد على هذا الاعتراض بأنه « لما كانت الغاية من فتح المعهد هى تعليم النظريات الحقوقية ، ولما كانت منابع الحقوق أربعة هى الفقه الإسلامى والحقوق الرومانية والعرف والعادات والفعل . فلكل من وقف على هذه النظريات يمكنه أن يطالع جميع القوانين ويتفهمها بنفسه ، كما أن تعديل القوانين وتحويرها فى بعض الأحيان لايخل بمعارف الحكام ولايوجب نقصاً فى معلوماتهم » :

وبناء على ذلك وعدت الحكومة بفتح المعهد وأحيلت اللائحة إلى مديريتى المعارف والمالية ومجلس الشورى . ووافق مجلس المديرين بقرار فى ٢٥ سبتمبر (أيلول) ١٩١٩ على إعادة تأسيس المعهد فى بناء دار المعلمين القديمة على ضفة بردى . وكلف بإدارته عبد اللطيف صلاح (وبقى حتى ٢١ يونيو « حزيران » ١٩٢٠ حيث استقال وعين مسلم العطار) :

وقد بدأ تقيد الطلاب اعتباراً من ٢٢ أكتوبر ، وقبل فيه طلبة مدارس الحقوق فى بيروت والأستانة وغيرها فى الصفوف التى ينتسبون إليها بموجب ما يبرزون من وثائق . كما اشترط من يريد الدخول من جديد أن يكون حائزاً على إجازة المدارس الأهلية والأجنبية المصدق عليها من قبل الحكومة ، أو أن يثبت بعد الفحص أنه ذو معلومات بهذه الدرجة .

وافتتح المعهد فى ١٣ نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١٩ وترأس حفلة الافتتاح

رئيس الديوان الشورى الحربى بالنيابة عن الحاكم العسكرى وألقى نجيب الأرمنازى خطبة بين فيها أهمية علوم الحقوق فى الشرق والغرب . كما حث الشهبندر على انتهاج منهج الأعمال النافعة لأن عهد النظريات والأقوال قد انقضى ، وبين فارس الخورى ما للعرب بعد الإسلام من الأيادى على الشرائع القانونية التى فاقوا فيها الرومان ، وبدأ بعد الحفلة إلقاء الدروس بحضور بعض المدعوين[1]. وبلغ طلابه حسب جدول إحصاء فى آخر نوفبر (تشرين ثان) ٤٢ طالباً (منهم ٣٤ مسلماً و٨ مسيحيين) وعدد الأساتذة ١٩ منهم ٨ من دمشق وواحد من حلب و٤ من فلسطين و٤ من بيروت وعراقى واحد ولبنانى واحد . وقد نظمت برامجه وفقاً لبرامج فرنسا وكانت تدرس فيه المواد الأساسية فى الدراسات الحقوقية كما تقرر تدريس قواعد اللغة العربية والإنشاء العربى واللغتين الإنجليزية والفرنسية بعد ظهر كل يوم . وتشكلت لجنة لفحص طلاب المعهد باللغة العربية وجعل درسها إجبارياً على المقصرين .

وجعلت مدة الدراسة ٤ سنوات إلا أنه تقرر فى يناير (كانون ثان) ١٩٢٠ جعلها ٣ سنوات كما اتخذت مديرية المعارف قراراً فى فبراير (شباط) ١٩٢٠ بإلغاء الصف الثانى والثالث لقلة عدد التلاميذ ، وأبقى الأول (٤٢ طالباً) والرابع (٩ طلاب) على أن يفتح الثانى بدلا من الرابع فى أول السنة . وتقرر قطع الدراسة فى ٢٠ مايو (آيار) ١٩٢٠ ، على أن يفتح المعهد فى ١٥ سبتمبر (أيلول) . وفى ١٣ يوليو (تموز) تم الفحص وكان علنياً ونقل الصف الأول إلى الثانى المحدث ، واستحق تلاميذ الصف الرابع الإجازة الدراسية .

---

(١) وقد زار فيصل المعهد بعد عودته من باريس وأقيمت له حفلة قدم فيها الأرمنازى الكراريس المطبوعة من دروس المعهد ، وخطب فيصل قائلا : « إن أمضى سلاح تناضل فيه الأمة عن كيانها هو سلاح العلم . . . وإن الأحوال السياسية لم تمكن من الاهتمام بهذه المشروعات فسبقت همة الأمة همتى وأسست هذا المعهد فى غيبتى » .

العاصمة عدد ٩٧ فى ٢٩ يناير (كانون ثان) ١٩٢٠ .

(ب) النشاط الثقافي :

١ – المجمع العلمي :

بعد اتساع أعمال ديوان المعارف وازدياد نشاط حركة التأليف والترجمة وتوفر الأخصائيين قسم الديوان فى ٨ يونيو (حزيران) إلى قسمين اختص الأول بأعمال المعارف العامة ، والثانى بأمور إصلاح اللغة العربية وتنشيط التأليف والتعريب والإشراف على المكتبات والآثار ، وعهد برياسة القسم الأخير إلى محمد كرد على (رئيس ديوان المعارف سابقاً) وعرف باسم المجمع العلمي [١] .

وكان أعضاء المجمع يعقدون جلساتهم فى إحدى الغرف العلوية من دار الحكومة حتى تسلم المجمع بناء المدرسة العادلية [٢] وقام بترميمها وإعادتها إلى طرازها العربى القديم . وعقد أولى جلساته فى مقره الجديد فى ٣٠ يوليو (تموز) ١٩١٩ وتقرر فى هذه الجلسة أن يقسم المجمع إلى قسمين لغوى أدبى وعلمى فنى ، واختار المجمع من علماء العاصمة أعضاء شرف يستعين بهم فى كلا القسمين [٣] .

وحدد المجمع أهدافه فى منشور أصدره فى سبتمبر (أيلول)١٩١٩ باللغتين العربية والفرنسية . « وهى النظر فى اللغة العربية وأوضاعها العصرية ونشر آدابها وإحياء مخطوطاتها وتعريب ما ينقصها من كتب العلوم والصناعات والفنون من اللغات الأوربية وتأليف ما تحتاج إليه من الكتب المختلفة المواضيع والعناية بجمع الآثار القديمة وخاصة العربية والمخطوطات القديمة الشرقية والمطبوعات العربية والإفرنجية مع العناية بوضع بعض التواريخ وتعريب بعض الكتب ووضع الرسائل العلمية . .

---

(١) المجمع العلمى ترجمة Académie الفرنسية المأخوذة من اللاتينية Academica نقلا عن اليونانية نسبة إلى البطل الاثينى أكاديميس الذى اقتنى حديقة كان يؤمها الفلاسفة منهم سقراط وأفلاطون ، وإن وضع المجمع العلمى لايراد به الاختصاص بالعلوم Sciences بمعناها الحديث إنما يعنى المألوف عند العرب فهمْ يطلقون على العلوم اللغوية والأدبية وغيرهما .

انظر : الفتيح ، تاريخ المجمع العلمى ص ١ .

(٢) أنشأ المدرسة نور الدين بن محمود بن زنكى ٥٦٨ هـ ، أما الملك العادل ابن أيوب فقد أقام مكانها مدرسة للشافعية أكملت فى عهد ابنه الملك المعظم وافتتحت فى ٦١٩هـ . وقامت برعاية الفقة واللغة العربية .

(٣) كان أعضاء المجمع فى أوائل تأسيسه هم : محمد كرد على (رئيساً) أمين سويد ، أنيس سلوم ، سعيد الكرمى ، مترى قند لفت ، عيسى إسكندر معلوف ، عبد القادر المغربى ، عز الدين علم الدين ، ثم طاهر الجزائرى – بعد عودته من مصر فى أواخر سبتمبر (أيلول) ١٩١٩ – .

كما سيصدر مجلة المجمع لنشر أعماله وأفكاره لتكون رابطة بينه وبين دور الكتب والآثار والمجامع العلمية وأمهات المجلات إلى الشرق والغرب . . » .

وقد عمد المجمع — نظراً لأن غرضه الأول هو إصلاح اللغة العربية — إلى ترجمة المصطلحات الإدارية إلى اللغة العربية معتمداً إلى تعديل بعضها وتبديل الأخرى ، وبعث المجمع إلى رؤساء الدواوين ورجال الصحافة باستعمال هذه المصطلحات العربية الفصيحة فى كتاباتهم على أن يتبع هذه المصطلحات الجديدة أصلها القديم.

كما ترجم ونقح كثيراً من القوانين كقانون الصحة العامة وبعض القوانين المالية ورسالة الرتب والألقاب لأحمد تيمور ، وعمد إلى إصلاح الكتب المدرسية ، ومراقبة المجلات المدرسية والمحاضرات اللغوية والأدبية واستعان بالاختصاصيين من أساتذة المعاهد العليا للعمل على وضع المصطلحات الفنية الحديثة التى تستعملها مدرستا الطب والحقوق . وتأسست لجنة خاصة بالنسبة للمدارس الثانوية والابتدائية اسمها « لجنة الاصطلاحات العامية المستعملة فى كتب المدارس » للنظر فى الألفاظ العلمية ونشرها فى كتب . وجرى اهتمام متبادل بين مديرية المعارف والمجمع لبحث طرق إصلاح اللغة ونشر اللغة الفصحى بين الطلاب والجمهور .

وعمل المجمع على تدوين الوقائع اليومية التى حدثت وتحدث منذ خروج الترك وقد عهد إلى أعضائه بتأليف كتب أخرى فى الاجتماع وأصول الإدارة[١] ، وقد ألف المجمع لجاناً فرعية من أعضائه وبعض المختصين ؛ كلجنة الآثار ولجنة المكتبة واللجنة اللغوية على أن تعرض نتائج أعمال اللجان على هيئة المجمع . كما قرر إنشاء مكتبة خاصة بالمجمع تحتوى أمهات كتب العلم والأدب والموسوعات والمجلات العربية وغيرها كى يستغنى المجمع بها عن دار الكتب العربية .

وبرغم النشاط الذى بذله المجمع فقد توقف عمله لأسباب إدارية ومالية فى نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١٩ بعد أن عقد خمساً وخمسين جلسة انتهت فى ٢٩ نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١٩[٢] وقد صرف رئيسه وأعضاءه وأبقى عضوين فقط للإشراف على دارى الكتب والآثار .

---

(١) جلسات المجمع العلمى : الجلسة ١٦ ، ٣٠ أغسطس (آب) ، ٧ أغسطس (آب) ١٩١٩ .

(٢) يذكر كرد على فى مذكراته ص ٢٧٩ أن المجمع لم يلق تنشيطاً يذكر من السلطات المحلية وأن فيصلا قد قال له مرة نحن فى صدد تأليف جيش وتنظيم حكومة وأنت بمالك من النفوذ على أعضاء=

٢ ــ دار الكتب العربية :

كانت المكتبة العمومية التى أنشئت منذ ١٨٨٠ م ، ١٢٩٨ ﻫ فى قسم من المدرسة الظاهرية (حيث جمعت فيها المخطوطات والمطبوعات) تتبع دائرة الأوقاف حتى تاريخ ١٩ فبراير (شباط) ١٩١٩ ، حيث ألحقت بديوان المعارف ودمجت موازنتها بموازنة المعارف . وبدأ الديوان يهتم بأمر المكتبة والمطالعة ويطالب بتخصيص بناء الظاهرية كله للمكتبة ، وقد أصدرت الحكومة بلاغا فى ٢٠ مارس (آذار) ١٩١٩ عن عزمها على إنشاء « دار الكتب التى تجمع فيها نفائس الكتب القديمة والحديثة من مخطوطات ومطبوعات فى العلوم والفنون المتنوعة فى اللغة العربية وغيرها من اللغات ليتسنى للأمة العربية الارتقاء العلمى والأدبى بمطالعة ما تختاره من تلك الكتب فمن كان عنده شىء وأراد بيعه فليعلم بذلك ديوان المعارف ، ويعطى الثمن الذى يتم الاتفاق عليه»[١] .

وبعد أن استقل المجمع عن ديوان المعارف جعلت دار الكتب تحت إدارته ، فوضع لها نظاماً داخليا وعين لها أمينين كما بذل الجهد لتكثير كتبها واجتذاب القراء إليها بإضافة نوادر المخطوطات والمطبوعات (عربية وأجنبية) سواء بشرائها أو استهدائها وقد بلغ عدد مخطوطاتها ٣ آلاف ومطبوعاتها ما يقارب الألفين فى التاريخ والأدب والفنون بخطوط قديمة[٢] . وأعدت الدار للمطالعة معظم ساعات النهار عدا يوم الثلاثاء ونظر المجمع فى اختيار أسلوب وضع فهرس عام للدار بدلا من القديم وعهد إلى قيمى المكتبة بذلك . وكانت إدارة المكتبة قد أسندت إلى الشيخ طاهر الجزائرى بعد عودته من مصر فى أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٩ وظل حتى وفاته فى فبراير (شباط) ١٩٢٠ حيث أسندت إلى حسنى الكسم وبقى حتى ١٩٣٦ وكان المجمع ينتدب أحد أعضائه للإشراف على سير المكتبة .

= مجلس الشورى تأخذ ألوف الجنيهات للمجمع ودارى الآثار والكتب حتى لقد كبدت الدولة ٥ آلاف جنيه أنفقتها على بضعة أحجار جلبتها من تدمر .

(١) العاصمة عدد ١٢ فى ٢٧ مارس (آذار) ١٩١٩ .

(٢) الفتيح : ص ١٣٤ .

٣ — متحف الآثار العربية:

وكان من جملة أهداف المجمع العلمى العناية بجمع الآثار القديمة وخاصة العربية ، بعد أن كانت الآثار تنقل خلال العهد العثمانى إما إلى الغرب عن طريق بعثات أثرية متعددة أو إلى متحف أستانبول الذى أسس أواخر القرن التاسع عشر[1]. وقد ازداد نشاط البعثات الأثرية عقب الهدنة ، وعهدت قيادة الحلفاء للأخصائيين فى جيوشها بدرس الآثار وهذا ما لفت أنظار المسئولين فى دمشق بضرورة تأسيس متحف للآثار العربية ألحق بالمجمع العلمى وكان الأول من نوعه فى بلاد الشام .

وقد خصصت له أربع غرف من المدرسة العادلية ، وكانت المجموعات الأثرية المخزونة فى مستودع مديرية المعارف هى النواة الأولى للمتحف ، كما بدئ بجمع الآثار المبعثرة فى المؤسسات الرسمية والمساجد . وعمم الحاكم العسكرى بلاغاً فى مارس (آذار) ١٩١٩ يدعو فيه إلى شراء ما يمكن الحصول عليه من العاديات المبعثرة فى بلاد الشام : مثل النواويس والتماثيل والأحجار التى عليها كتابة ونقود وأوان وقطع معمولة بالفسيفساء والقيشانى . . إلخ : ودفع الثمن المناسب لها كما أهديت إلى المتحف مجموعات أثرية متعددة .

ومنعت بلاغات الحكومة عملية البحث عن الآثار القديمة أو بيعها أو شحنها دون إذن من السلطات الرسمية ، كما منعت تخريب أى أثر عمداً أو بالإهمال وعينت مفتشين لزيارة محلات تجار الآثار وأماكن الآثار القديمة لاتخاذ التدابير للمحافظة عليها[2] . ونظراً لفقدان الاختصاصيين فقد تألفت لجنة للآثار فى المجمع من بعض الأجانب وتجار الآثار كانت تفتش عن أمكنة الآثار وتشتريها أو تستهديها لوضعها فى غرفها الخاصة ، وقد وضعت محتويات دار الآثار تبعاً للموضوع والمادة

---

(١) وكان القنصل الألمانى فى دمشق قد جمع طوال إقامته فى أول القرن العشرين مجموعات أثرية ولما انسحب الألمان وضعت مديرية المعارف يدها على هذه المخلفات . وتذكر وثائق المجمع أن محمد جمال المرسى « قد ادخر آثاراً وعاديات غاية فى النفاسة . اقتنى أكثرها بلا ثمن أو دفع التافه منها » .

(٢) العاصمة عدد ٣٣ فى ٩ يونيو (حزيران) ١٩١٩ .

فقسمت إلى أدوات حجرية وزجاجية وقيشانى ونقدية وأسلحة [١]. واهتمت السلطات الحاكمة بالمتحف وبنشاط المجمع فيه حتى ضاقت غرف المتحف بما فيه .

٤ ـ مظاهر أخرى من النشاط الثقافى الأهلى :

وتجلت فى هذا العهد مظاهر نشاط ثقافى ساهم بها الأهالى وشجعتها الحكومة لما شعرت به من أهمية نشر العلم والثقافة فى أوساط الشعب . وكانت الصحف المحلية قد دعت الأهالى إلى المساهمة مع الحكومة فى افتتاح المدارس « لأن الحكومة مهما أنشأت من مدارس لاتقدر أن تفى بحاجة الأمة إذ أن وارداتها لاتمكن من النفقة على المعارف بالقدر المطلوب رغم أنها أنشأت المدارس الأولية والثانوية بقدر ما تسمح به ميزانيتها واهتمت بالمدارس العالية »[٢] .

وفى حماه لحظ فيصل فى زيارته لها شعاع نهضة شعبية من أهم مظاهرها الاهتمام بنشر التعليم بين أبناء الشعب فاستنهض هم الأهلين لجمع التبرعات من أجل نشر العلم وافتتاح المدارس ؛ فجمع فى جلسة واحدة ٤ آلاف جنيه ذهبية ووعد الآخرون بإبلاغها حتى ١٢ ألف جنيه أخرى لسد هذا النقص[٣] .

وتكونت فى حلب جمعية لمؤازرة الحركة العلمية خطب فيها الأمير وكان قدوة للتبرع وقد جمع مبلغاً للشروع فى العمل . وعقدت الهيئة العامة جلسة خاصة وسنت نظاماً لجمعية سمتها النهضة العلمية لتأسيس مدارس باسم الجمعية وتقرر مبدئياً افتتاح مدرسة ابتدائية للذكور وأخرى للإناث وحديقة أطفال[٤] .

وتألفت لجان علمية فى حلب لتنشيط إرسال المتفوقين إلى مدارس أوربا على أن يتكفل الآباء الأغنياء بنفقات أولادهم وأن يتكفل بنفقات الفقراء الموسرون،

---

(١) دليل الأمير جعفر الحسنى ١٩٣٠ (دليل مختصر لمقتنيات دار الآثار الوطنية) ص ١ . فى المتحف : ١٠ تماثيل حجرية ، ٢٨٩ قطعة قيشانى ، ٨٨ من الزجاجيات والخزفيات و ١٦ عاديات نحاسية وحديدية و ٨٠ قطعة أسلحة و ١٣٧٢ نقود متنوعة .

(٢) العاصمة عدد ٧ فى ١٠ مارس (آذار) ١٩١٩ .

(٣) ذكر فيصل هذا الحادث فى خطابه فى حلب فى نوفبر (تشرين ثان) ١٩١٨ . انظر الحصرى : ص ٢١٦ .

(٤) العاصمة عدد ٥٤ فى ٢٨ أغسطس (آب) ١٩١٩ .

وتألفت لجنة برياسة مدير معارف ولاية حلب للنظر فى الطرق الموصلة لهذه الغاية[١] .

كما ظهر من شبان حماه نشاط لتأسيس غرف قراءة تيسر للشعب مطالعة الكتب والصحف والمجلات ، وتبرع أهل حماه بالمال اللازم للمشروع[٢] .

ووافقت الحكومة على نظام لجنة المعهد العلمى فى دمشق فى ٢٥ سبتمبر (أيلول) ١٩١٩ الذى ينص على « افتتاح غرف قراءة لمطالعة الصحف والمجلات والكتب العلمية والأدبية المنورة لأذهان الناشئة ، وتأسيس قاعات دراسة تعطى فيها دروس قيمة لمن يريد الاستعداد لدخول المدارس العليا ، ودروس للشبان فى الإنشاء العربى وتعليم بعض اللغات الغربية ، وإلقاء دروس ليلية للأميين . واللجنة تعد نفسها متضامنة مع كل فئة تسعى وراء هذه الغاية العلمية . . والمعهد علمى تهذيبى ليس له علاقة بالأمور السياسية والمذهبية .. ويقبل كل مساعدة مادية ومعنوية وكل هدية من كتب أو صحف ، وتسدد نفقات هذا العمل من الواردات ومشاهرات أعضاء اللجنة والمشتركين ومشاهرات طلاب اللغة الأجنبية وطلاب الفنون العامة ومن التبرعات . . ولما كان نشر اللغة العربية أولا وتنوير أذهان العامة ثانية هما الغاية المقصودة بالذات فإنهما يكونان مجاناً »[٣] .

وكان النادى العربى فى دمشق وفروعه الذى « أعد للعلم والأدب والخطابة الاجتماعية » مركزاً تلقى فيه المحاضرات الوطنية والفكرية . وفى النادى العربى فى حلب طالب فيصل « بأن تكون مجتمعاتنا علمية وأدبية لاسياسية ، وإنى أنشط مواطنى الذين يسعون فى إنشاء جمعيات علمية وأكون سعيداً إذا رأيت اسمى مقيداً بين أسمائهم »[٤] .

---

(١) العاصمة عدد ٥٥ فى ١ سبتمبر (أيلول) ١٩١٩ .

(٢) العاصمة عدد ٥٧ فى ١١ سبتمبر (أيلول) ١٩١٩

(٣) من أوراق محب الخطيب الكراس يحوى نظام لجنة المعهد العلمى وبيانات تفصيلية لكل ما ورد على صندوق المعهد وما أنفق فيه ، وأسماء الأعضاء المؤسسين الذين تبرعوا للمعهد بمال أو كتب وقد ذكر لى محب الخطيب وكان (كاتب اللجنة) أن أعضاء اللجنة أرادوا فيها إحياء جمعية النهضة فى دمشق ١٩٠٦ — ١٩٠٧ .

(٤) من خطاب فيصل فى النادى العربى فى حلب يونيو (حزيران) ١٩١٩ .
الحصرى : ص ٢٢٩ .

وظهرت فى دمشق بوادر نشاط مسرحى ، وأقامت جمعية نهضة التمثيل الأدبى مسرحياتها على مسرح زهرة دمشق ، كما ظهرت فرقة جورج أبيض على نفس المسرح لتقديم بعض مسرحياتها .

كما ساهمت المرأة فى المجال الثقافى فأسست مارى عجمى النادى النسائى وأعادت إصدار مجلتها (العروس) التى تأسست فى دمشق منذ ١٩١٠ وتوقفت بسبب الحرب . وكانت المجلة تدعو إلى تعليم المرأة وإطلاق الحرية لها ضمن قواعد الأخلاق الفاضلة وأنالتها مالها من حقوق فى الأسرة والمجتمع مع ضرورة التوفيق بين ثقافتنا القديمة والثقافة الأوربية الحديثة[١] .

وأنشأت نازك العابد جمعية نور الفيحاء وناديها ومجلتها ومدرسة لبنات الشهداء وكانت تلقى المحاضرات فى مقر الجمعية .

٥ ـ النشاط الصحفى :

وصدر فى هذا العهد عدد من الصحف المحلية بدأتها الحكومة بإصدار الجريدة الرسمية (العاصمة) فى فبراير (شباط) ١٩١٩ كى « تتكلم باسم الحكومة وتنشر قوانينها وتذيع بلاغاتها وأنباءها الرسمية مع ذكر الأخبار المحلية والمواضيع ذات الفائدة الاجتماعية العلمية » ؛وقد عهد إلى محب الدين الخطيب فى أغسطس (آب) ١٩١٩ باستلام إدارة الجريدة ومطبعة الحكومة حيث تقرر فصلها فى مطبعة مستقلة مرتبطة بالحكومة بعد أن كانت تتبع مطبعة ديوان الشورى الحربى[٢] .

ومن أهم الصحف المحلية[٣] : (المفيد) لخير الدين الزركلى ويوسف حيدر ، (الأردن) لأمين سعيد ، (العقاب) لأسعد داغر ، (فتى العرب) لمعروف أرناءوط ، (الدفاع) لتوفيق اليازجى ، (الكنانة) لأبى الهدى اليافى ، (المقتبس)

---

(١) من مجموعة أوراق مارى عجمى فى المكتبة الظاهرية .

(٢) مقابلة شخصية مع محب الخطيب ، وكان يتولى سابقاً تحرير جريدة القبلة فى مكة وذهب إلى دمشق بتوصية من الملك حسين إلى فيصل للإشراف على الجريدة الرسمية مع بقائه رئيساً لتحرير القبلة (ولو نظرياً) .

(٣) أمكن الحصول على أسماء الجرائد من أعداد متفرقة لجريدة العاصمة ومن جلسة المجتمع العلمى السادسة .

لمحمد كرد على ، (الفجر) لتوفيق الناطور ، (لسان العرب) لإبراهيم حلمى . وجميعها فى دمشق . (الراية) لمنيب الناطور فى حلب ، (الوطن) فى حلب ، (الإخاء) فى حماه ، (حمص) لعيسى أسعد فى حمص .

ولم تكن فى البلاد صحافة حزبية بالمعنى الصحيح ولكن كانت هناك صحف تنحو ناحية هذا الحزب أو ذاك ، كما كانت تمثل جريدة المفيد مثلا حزب الاستقلال وجريدة الدفاع حزب الاتحاد السورى واللجنة الوطنية العليا ، والكنانة حزب العهد ، والأردن الحزب الوطنى [١] .

وظلت الصحف المحلية خاضعة لرقابة القيادة العامة ، وكثيراً ما كان يتم توقيف الصحف بين حين وآخر . وبعد انسحاب القوات الأجنبية أبلغ الحاكم العسكرى من قبل القائد العام « بإلغاء مراقبة الجرائد التى تصدر فى البلاد المحتلة . . مع تحذير كل المحررين بأنهم مسئولون عن كل ما يكتب فى جرائدهم وتجرى عليهم المحاكمة إذا نشروا مقالات غير موافقة أو مرضية ، وإذا لزم الأمر تلغى أو توقف الجريدة » [٢] .

ويبدو أن الصحف المحلية كانت تعمد إلى انتقاد أعمال الحكومة وخاصة بعد تدهور الوضع السياسى فى مطلع ١٩٢٠ وشكا فيصل فى رسالة إلى اللنبى فى يناير (كانون ثان) من حراجة موقفه بسبب انتقادات الصحافة له ولأبيه وقد دفع هذا الموقف إلى تعطيل بعض الصحف وتقديم أصحابها إلى القضاء العسكرى [٣] . واضطرت وزارة الداخلية على أثر تطرف بعض الصحف فى أوخرا العهد بتوجيه اتهاماتها لتصرفات الحكومة حول حوادث جبل عامل والعلوين وجهات حلب ، وأمور التهريب وما أشيع من سماح الحكومة بسوق شاحنات

(١) سعيد ، الثورة العربية الكبرى ، جزء ٢ ص ٤٣ .

(٢) العاصمة عدد ٥٩ فى ١٨ سبتمبر (أيلول) ١٩١٩ .

(٣) أوقفت الدفاع وحرمون ، وسورية الجديدة والأردن بصورة مؤقتة كما عطلت الاستقلال العربى إلى أجل غير مسمى ، وعطلت حكومة حلب صحيفة (الوطن) والنهضة والصاعقة . وعطلت العقاب لصاحبها أسعد داغر فى يونيو (حزيران) وقدم احتجاجاً إلى المؤتمر السورى وكان القاضى العسكرى قد حكم ببراءة المحامى توفيق الناطور ويوسف حيدر فى الدعوى المقامة عليهما بسبب مقالة « حقيقة أشد إيلاما » وهى التى كان يوسف حيدر قد نشرها فى جريدة الفجر .

وذخائر للفرنسيين فى الشمال ، أن تصدر بلاغا تبين فيه أنه « رغم اعترافها بحق أرباب الصحف الصريح بانتقاد أعمال الحكومة . . إلا أنه لايليق بالصحافى أن يتجاوز حد الاعتدال فى انتقاد رجال الحكومة » ، ودعت أصحاب الصحف إلى اجتناب الألفاظ المخلة بالأدب . . « ونظراً لأن هذه الأمور تتعلق بالسياسة الخارجية فبوسع الصحافيين أن يستفسروا عن كل أمر من مرجعه ليقفوا على مساعى الحكومة فى هذه الأمور »[١] .

ومن الملاحظ أن الصحف المحلية كانت تفتقر إلى مراسلين لها فى الخارج ، وكان المصدر الرئيسى لتفاصيل ما يجرى فى أوربا هو الصحف المصرية التى كانت تصل بشكل غير منتظم إلى فلسطين أو أجزاء أخرى من سورية بعد مدة طويلة من الخبر الذى تذكره . . وحتى هذه الصحف لم تكن مواردها تكفى للحصول على مراسلاتها البرقية الخاصة بها . وكانت الأخبار تصلها على شكل رسائل من مواطنين فى لندن أو باريس وكذلك بعد فترة طويلة ، أما الأخبار البرقية فكانت تعتمد فيها على مراسلين إنجليز يبعثون بأخبار يطلعون عليها من العناوين الرئيسية فى صحف اليوم التالى وقد تهم الرأى العام البريطانى بشكل رئيسى ولا تثير كبير اهتمام بالنسبة للعرب .

وإلى جانب الصحف المصرية كانت تصل بعض الصحف الأوربية إلى بعض الموانئ فى سوريا ولكن بشكل غير منتظم وبعد مدة طويلة من مرور الأحداث لذلك لم يكن باستطاعة الرأى العام فى سوريا أن يعبر عن مشاعره أو يحتج فى الوقت المناسب على ما يجرى فى مؤتمر السلم أو مايحاك ضد الشعب السورى ، ومن الغريب أن بعض احتجاجاتهم كانت تصل إلى أوربة بعد انقضاء فترة طويلة من الحادث الذى أثار الاحتجاج[٢] . فى وقت كانت الصهيونية تتحرك بسهولة فى ممرات مؤتمر السلم ، كما أن أخبار ما يجرى فى سوريا كان ينتقل إلى لندن وباريس ، عن طريق دوائر المخابرات والوكالات الأجنبية .

---

(١) العاصمة عدد ١٣٣ ، ١٧ يونيو (حزيران) ١٩٢٠ .

(٢) Jeffries, pp. 279 — 80.

٣ ــ العناية بشئون الصحة العامة :

أظهرت الحكومة اهتماما واضحاً بأمور الصحة العامة وقد استدعت اللواء الطبيب سليم الموصلى لإصلاح شئون الصحة وهو فى الأصل سورى نزح إلى مصر وتولى مصالح الصحةفى السودان .

وقد ألحق بديوان الشورى الحربى فرعاً لإدارة مصالح الصحة العامة لها فروع تقوم بأعمال التأسيسات والتجهيزاتالصحية وتسن قوانينها وأنظمتها والإشراف على المستشفيات العامة التابعة لرياسة الصحة العمومية[١] .

واهتمت الحكومة بمعالجة المرضى مجاناً فى المستشفى الوطنى من قبل أطباء معينين وكانت مديرية المستشفيات تصدر إحصائية عن عدد الذين تداووا كل شهر . كما أنشأت دائرة الصحة العسكرية معهداً طبيًّا جديداً باسم (المستوصف العربى) لمعالجة الفقراء وإعطائهم الأدوية مجاناً[٢] .

وافتتحت الكلية الطبية العربية وزودت بأطباء اختصاصيينلتدريس الأمراض المختلفة والنباتات وفن الولادة وفن الجراثيم وحفظ الصحة وفن الأنسجة الطبية[٣] .

ودعت الحكومة الأطباء إلى تسجيل أسمائهم فى دائرة الصحة وإلا اتخذت بحقهم الإجراءات القانونية ، وألفت لجنة رسمية لفحص شهادات الأطباء والجراحين والصيادلة والقابلات ، ووجهت تعليماتها إلى الأطباء بمراعاة عمل أوراق مطبوعة باسم الطبيب ورقم شهادة خاصة لأجل الوصفات وتحرير أسماء العلاجات بوضوح كامل وأن يكون توقيع الطبيب كاملا موضحاً فى ذيل الوصفة[٤].

وقرر مجلس المعلمين فى المدرسة الطبية بناء على مصادقة مديرية الصحة العامة قبول المتمرنين من الصيادلة المداومين خمس سنوات عند الصيادلة القانونيين والمصدق على دوامهم من قبل مديرية صحة الولاية ، على أن يكون هذا القبول

---

(١) العاصمة عدد ٢ فى ٢٠ فبراير (شباط) ١٩١٩ .

(٢) العاصمة عدد ٦٣ فى ٢ أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٩ .

(٣) العاصمة عدد ٧٧ فى ٢٠ نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١٩ .

(٤) العاصمة عدد ٩٦ فى ٢٦ يناير (كانون ثان) ١٩٢٠ .

مخصصاً بهذه السنة فقط مشترطا عليهم معرفة اللغة العربية مع معرفة لغة أجنبية أيضاً وإعطاء امتحان خاص، وكل من لم يدخل المدرسة لإكمال تحصيله ليس له حق بتعاطى مهنة الصيدلة . كما أنذرت العطارين والدجالين ببيع العقاقير الطبية فى حوانيتهم إلى الصيدليات خلال شهر ، وإلا تصادر مالديهم من عقاقير ويحال أصحابها إلى العدلية [١] .

واتخذت احتياطات خاصة لمنع انتشار الأمراض السارية فأعلنت مديرية الصحة إلى أرباب حرف المأكولات والمشروبات والحلاقين وأصحاب الفنادق وغيرهم ممن لهم علاقة بالصحة العامة الحضور إلى دائرة الصحة لأجل المعاينة وإلا يغرم بالجزاء النقدى كما أصدرت تعليماتها الصحية للقادمين من مناطق ملوثة وخاصة بعد ظهور إصابات الطاعون فى بيروت بضرورة المعاينة الصحية بعد حضورهم مع تعليمات احتياطية فى بيوتهم . وبينت الإحصاءات عدد الإصابات بالأمراض السارية والذين يعالجون فى المستشفيات؛ وعممت مديرية الصحة تعليمات خاصة بعد انتشار الإنفلونزا لتزويد الأهالى والمصابين والمكلفين بخدمة المرضى لاتقاء هذا المرض ومنع سريانه . وقد استحضرت دائرة الصحة العامة نظراً لحلول موسم الصيف (فى أواخر العهد) مصلا للجدرى البقرى الجديد لتلقيح الأطفال مجانا لحفظ صحتهم وطلبت من أولياء الأطفال أن يرسلوا أطفالهم لدائرة صحة البلدية [٢].

٤ ــ النظام القضائى :

سعت الحكومة إلى إيجاد نظام قضائى يلائم حاجات المجتمع ، وقد ظلت القوانين العثمانية هى المعمول بها فى بدء عهد الاستقلال مع تعديل جزئى كان يظهر تدريجياً حسب مقتضى الحال .

وكان قد صدر فى مطلع العهد قرار بتأليف مجلس الشورى من رجال العلم والقانون وخول تشبهاً بدائرة التنظيمات فى مجلس الشورى العثمانى درس وإعداد لوائح

---

(١) العاصمة عدد ١٠٣ فى ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٢٠.

(٢) العاصمة عدد ٢٤ فى أبريل (نيسان) ١٩٢٠ .

القوانين والأنظمة والقرارات التي يتطلبها حسن الإدارة وعرض النتيجة على الحاكم العسكري فيأمر بتنفيذ الأمور القانونية فيها[١].

وقد قرر مجلس الشورى في ١٣ أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٨ « بقاء أصول المحاكمات الجزائية والحقوقية والقوانين التي هي مدار للأحكام في الحقوق والجزاء، كما كان معمولا بها إلى أن يوضع غيرها[٢] واستعملت في دوائر المحاكم السجلات العثمانية القديمة بعد أن بدأت الكتابة عليها باللغة العربية كما وضعت نماذج أختام جديدة لدوائر العدلية المختلفة التي بوشر باستعمالها[٣].

وكان قد صدر في ٩ أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٨ قرار باعتبار جميع الأحكام الحقوقية الصادرة من المحاكم الابتدائية والاستئنافية والصلحية والشرعية والتي اكتسبت الدرجة القطعية قبل إعلان الاستقلال في ٣٠ سبتمبر (أيلول) ١٩١٨ سواء بتصديقها من محكمة التمييز أو بمرور المهل القانونية نافذة وواجبة الإجراء . أما التي سبق تمييزها ولم ترجع من التمييز قبل إعطاء الاستقلال سواء مصدقة أو موقوفة يتوقف تنفيذها إلى أن يعين رسمياً تأليف محكمة التمييز في الحكومة العربية ، وعندها يكون طالبو التمييز مكلفين بتمييزها مجدداً لدى المحكمة المشار إليها في مدة شهر فإذا مر شهر دون تمييزها تصبح قطعية وواجبة الإجراء وإن ميزوها فتجرى عليها المعاملة وفقاً لقرار محكمة التمييز »[٤] .

كما قرر مجلس الشورى في ٢٦ أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٨ منع المحاكم الحقانية في الحكومة من إكمال دعاوى العقوبات الجزائية التي أقيمت في المحاكم العثمانية قبل إعلان الاستقلال ، وأن يخلى سبيل المسجونين بسبب ذلك ، وعدم تنفيذ الأحكام الجزائية الصادرة من المحاكم العثمانية قبل إعلان الاستقلال ويستثنى من ذلك الذين فروا مع الترك وناهضوا الدولة العربية[٥] .

وصدر في ١٣ أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٨ قانون تشكيلات المحاكم العدلية

---

(١) الحكيم، سورية والعهد الفيصلي . ص ٣٩ .

(٢) العاصمة عدد ٤ في ٢٧ فبراير (شباط) ١٩١٩ .

(٣) سجلات المحاكم الجزائية في وزارة العدلية في دمشق .

(٤) العاصمة عدد ١ في ١٧ فبراير (شباط) ١٩١٩ .

(٥) العاصمة عدد ٤ في ٢٧ فبراير (شباط) ١٩١٩ .

والشرعية جاعلا حق القضاء محصوراً فى ثلاثة أنواع من المحاكم عدلية وشرعية وعسكرية ، والمحاكم الشرعية ترى وتفصل فى الدعاوى العائدة للمناكحات والنفقات والحضانة والوصية وسائر الدعاوى والقضايا التى ترى فى المحاكم الشرعية

والمحاكم العدلية وهى ثلاثة أنواع : ابتدائية واستئنافية وتمييزية . وفى مركز كل قضاء محكمة بدائية من حاكم ومعاونه ومدع عام ، وفى مركز كل ولاية محكمة استئنافية من ثلاثة حكام ومدع عام وكتاب وهى ترى فى جميع الدعاوى الجنائية ابتداء والدعاوى الحقوقية والتجارية فوق ٥٠ جنيهاً استئنافيا ، ومحكمة التمييز فى العاصمة تتألف من ٧ أعضاء تدقق الأوراق التى ترفع لها وتصدق الحكم أو ترفضه فهى المرجع الأعلى للأحكام الحقوقية والجزائية والشرعية [١].

ويجوز تعدد المحاكم الابتدائية وتقسيم أنواع الدعاوى للحقوق والجزاء بينها كما يجوز تعدد المحاكم الاستئنافية وتقسيم الوظائف فيها. ويحال تنفيذ الإعلانات الجزائية والحقوقية للمدعى العام بعد أن يكسب الحكم الدرجة القطعية . وتبقى المحاكم المذهبية الموجودة عند الطوائف فى حقوقها ووظائفها كما هى .

ونتيجة لملاحظات رؤساء العدلية فى القانون استقر الرأى على إلغاء القانون السابق بعد أخذ المواد اللازمة لسلامة سير المحاكمات والاختصار فى المعاملات وصدر قانون التشكيلات العدلية المؤقت فى ٩ يناير (كانون ثان) ١٩١٩ [٢]. وأضيف إليه ملحق يقصر وظيفة الاتهام فى محكمتى استئناف فى دمشق وحلب وتشكيل محكمة جنايات فى جميع الألوية ، وأن يحق لمديرية العدلية أن تنتدب أى حاكم من أى جهة كانت للعمل مؤقتاً فى أى جهة أخرى تعذر وجود العدد الكافى من حكامها الأهليين لإنجاز الأشغال فيها .

وقد أعادت الحكومة افتتاح مدرسة الحقوق لتخريج أكفاء فى مهنة المحاماة كما اهتمت بوضع قانون للمحاماة يحظر تعاطى هذه الحرفة على غير أهلها ، كما طلبت من محامى المنطقة الشرقية أن يعرفوها عن أسمائهم ومحلات إقامتهم لأجل حصرها فى سجل خاص .

وسعت إلى تسهيل معاملات العدلية ووضع دفتر مراجعات فى مكان معين

---

(١) الحكيم ، المصدر السابق ، ص ٤١ .

(٢) العاصمة عدد ١٤ فى ٣ أبريل (نيسان) ١٩١٩ .

فى وزارة العدلية « يكتب فيه أرباب المراجعات ما يشكون منه من بطء فى سير أشغالهم أو غدر واقع بهم »[1].

٥ — التنظيم العسكرى :

بعد انتهاء مهمة الثورة العربية تأسس ديوان الشورى الحربى وعهد برياسته إلى ياسين الهاشمى (وكان قائد فيلق مركزه السلط برتبة أميرالاى فى العهد العثمانى). ولجأ تحت ضغط الظروف وبالاتفاق مع الركابى على حل جيش الشمال الذى دخل دمشق ، وتعيين الأكفاء من ضباطه فى الوظائف ، أما الذين لاتتوافر فيهم الشروط التى يراها ديوان الشورى فيهم فيصرفون »[2]. ويحل مكانه جيش جديد منظم على الأصول الحديثة بلغ ضباطه رتبهم بالتدرج ، وخاصة بعد عودة كثير من الضباط السوريين الذين كانوا فى الجيش التركى ثم سرحوا بعد الهدنة أو عادوا من الأسر .

وقد انتقد كثير من المعاصرين خطة الهاشمى « والاستغناء عن الضباط البواسل بضباط أقل حماسة وحباً للتضحية[3] ».. وأنه « تعذر عليه العمل بالصرامة التى يستلزمها الموقف لتأسيس جيش سورى قوى مدرب بعد إلغاء الجيش الذى دخل دمشق مظفراً »[4]. وكانت أخبار حل الجيش مذهلة بالنسبة للضباط القدامى لأنهم يرون أنهم « أولى بخدمة الوطن أيام ما بعد الحرب وأحق من الذين كانوا يقاتلون فى صفوف الترك حتى آخر يوم » .

ومع كل ما وجه من انتقاد لخطة الهاشمى فقد اعترف بكفاءة القادمين من

---

(١) الدفاع : عدد ٦٨ فى ٣١ مارس (آذار) ١٩٢٠ .

(٢) ذكريات العجلونى ، ملحق جريدة الحياة الخاص عن الثورة العربية بيروت ١٩٦٦
وقد روى العجلونى وكان من ضباط الثورة العربية أنه قد سلم مهام عمله إلى ضابط محترف أوفدته القيادة إلى معان وذهب مع جعفر العسكرى . قائد جيش الشمال وكان مجازا فى مصر للتداوى والاستجمام ، وعين العجلونى قائداً للحرس الأميرى وجعفر العسكرى حاكماً لحلب ونورى السعيد رئيساً لمرافقى الأمير .

(٣) داغر ، ص ١١٦ .
ويعلق المؤلف أنه « لو كان الجيش الذى كان فى ميسلون هو الجيش الذى فتح سورية كانت النتيجة عكس ما رأينا ، أو لما عاد من ضباطه وأفاده رحل واحد حياً إلى دمشق .

(٤) قدرى — ص ١٣٠ — ١٣١ .

الأسر – تقرير بريطاني في ديسمبر (كانون أول) ١٩١٩ [١] – وبأن الذي يتولى فرقة حلب ضابط قد تدرب في ألمانيا ومن هيئة الأركان في القسطنطينية – خلال الحرب . وكذلك قائد فرقة دمشق وأن قائد فرقة درعا كان سابقاً ملحقاً عسكرياً في فيينا وكان يخدم على الجبهات الأوربية خلال الحرب » . .

وقد أصبح الجيش العربي النظامي مؤلفاً من ثلاث فرق عسكرية نظامية في دمشق وحلب وعمان (نقلت فيما بعد إلى درعا) وكل فرقة تتألف من ثلاثة ألوية (لواء مشاة ، ولواء مدفعية ، ورهط خيالة) وكل لواء من ثلاثة أفواج ولكل فوج سرية رشاشات [٢].

وقد نظمت المصالح العسكرية كمصلحة الميرة والتجهيزات والتسليح والمدفعية والمخابرات وشعبة الحركات الحربية . كما بدأ العمل بترجمة كتب عديدة في مختلف الأبحاث العسكرية ، وبعد أن تترجم تبعث إلى لجنة خاصة لتهذيبها ووضع اصطلاحاتها باللغة الفصحى . ومن جملة الكتب التي ترجمت آداب التحية العسكرية ، تعليم الفرسان ، كتاب تخطيط الأرض ، وعلم الرماية ، نظام الملابس العسكرية ، كتاب تعليم المشاة ، وفن الرماية للمدفعية [٣] .

وكان الانخراط في الجيش يتم على أساس التطوع وبشروط خاصة . . « بأن يكون المتطوع من أصل عربي ولكن بسبب الحاجة يمكن قبول من كان مولوداً في البلاد العربية ومتوطنا فيها ، ويحسن التكلم باللغة العربية وأن تكون سنه بين ١٩ – ٣٥ سنة وسالما من الأمراض وصالحاً للخدمة . . ومكفولا بسند قانوني عند كفيل أمين . . وأن تكون مدة الخدمة سنتين . . ولا يسوغ للمتطوع الخروج قبل إتمام سنة ويعطي سنداً يتعهد فيه بالخدمة . وقد تقرر أن تكون رواتب الجند والمشاه جنيهين شرط أن تكون الإعاشة والألبسة على الحكومة» [٤] .

وقد صدرت بلاغات متعددة لحث الأهلين على التطوع في الجيش ويبدو

---

(١) Documents, p. 567.

(٢) مقابلة شخصية مع الزعيم جميل البرهاني .

(٣) ذكر لي محب الخطيب أن رشيد بقدونس تولى القسم الأكبر من ترجمة الاصطلاحات العسكرية والإيعازات .

(٤) العاصمة عدد ٧ في ١٠ مارس (آذار) ١٩١٩ .

أن الإقبال على التجنيد كان ضعيفاً . وقد يعود ذلك إلى حالة الشعب بعد الحرب وقساوة الأنظمة العسكرية فى العهد العثمانى [١] .فعمدت الحكومة إلى تعديل نظام التطوع ، أو ما يسمى بـ (التجنيد الاختيارى) فى مايو « آيار» ١٩١٩ لحاجتها إلى الجند ونقحت شروط التطوع ووضعت امتيازات كثيرة للمتطوعين « بأن يعطى الجندى عند انتهاء مدة خدمته جائزة قدرها راتب شهر مع القيام بأمر عائلة الجندى وزرع أرضه ويرجح من خدم بالجيش سنتين لانتخاب مأمورى الشرطة والدرك .. وجعلت رواتب المشاة والفرسان ٣ جنيهات مع تقديم كل التجهيزات العسكرية . . ومن أصيب بعاهة أثناء الخدمة له نصف المرتب » [٢] .

وقد كتب ضابط الارتباط البريطانى فى دمشق فى ١٦ مايو (آيار) ١٩١٩ « إن فيصلا قد طلب من اللنبي الموافقة على تجهيز جيش من ٠٠٠ر١٤ جندى وهدفه تشكيل نواة تمكنه من محاربة الفرنسيين إذا دعت الضرورة . . وقد بدأ حملة صحفية من أجل ذلك وكان أول من نظم نفسه فى الجيش الجديد . . ويبدو أنه لايمكن أن يقوم بحملة تجنيد اختيارى وغايته أن يزيد فى كفاءة الجيش النظامى» [٣] .

وكانت هناك أدلة على رغبة الحكومة بإرساء الجيش على قواعد حديثة من التنظيم والتدريب فأنشئ لواء مدفعى جديد . واقترح ديوان الشورى الحربى بعثات عسكرية إلى أوربا لتحصيل فن الطيران والمدفعية والاستحكام والدبابات والآلات الحربية من ضباط الاحتياط أو الموظفين ومن شروط البعثات أن يكون المرشح من أهالى البلاد العربية وأن يعطى سنداً مع كفالة وأن يؤدى ضعف مصاريف التحصيل إن لم ينجح فى تحصيله وإن لم يتمكن من أداء الخدمة فى الجيش فعليه أن يؤدى ضعف مصاريف التحصيل .

وتقرر إعادة افتتاح المدرسة الحربية بدمشق وإجراء مسابقة للدخول إليها

---

(١) مقابلة مع جميل البرهانى وعبد الله عطفه وكانا معاصرين لأحداث العهد .

(٢) العاصمة عدد ٢٦ فى ١٧ مايو (آيار) ١٩١٩ .

(٣) Documents, p. 260.

فى أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٩ لتخريج الضباط الأكفاء ، وألحق بهذه المدرسة فيما بعد مدرسة لنقباء الجيش مدة الدراسة فيها سنة يوزع الخريجون على القطاعات حسب الاحتياج ، ويرجح النقيب على غيره فى وظائف الدرك والشرطة أو النافعة أو البلدية .

وكان ينقص الجيش العربى المال والوسائل الفنية وكانت الحكومة البريطانية مصدرهما الوحيد ، وقد ذكر ضابط الارتباط البريطانى فى دمشق ، ١٦ مايو (آيار) ١٩١٩« . . أن فيصلا قد طلب من القائد العام إعارته ضباطاً إنجليزيين لتدريب الفرسان ، وضباطاً فرنسيين للمدفعية وأمريكاناً لتدريب المشاة»[٢] .

وامتنعت الحكومة البريطانية عن تزويد الجيش العربى بالتجهيزات العسكرية خوفاً من استياء فرنسا ، وردت وزارة الدفاع البريطانية فى ١٩ أغسطس (آب) على الاتهامات الفرنسية بتقديم صورة عن البرقية التى أرسلت إلى اللنبى منذ ١٨ مارس (آذار) ١٩١٩ وفيها : « أنه من غير المرغوب فيه فى الوقت الحاضر إجراء أى خطوات أبعد يمكن أن تعتبرها فرنسا دليلا عن عزمها على الانضمام إلى العرب ضد مصلحة فرنسا . . وأنه يجب حصر أمر التجهيزات إلى الحد الذى يقتضيه إيجاد قوات ضرورية لحفظ الأمن فى المنطقة التى يديرها العرب . . إلى أن يتوصل إلى القرار النهائى حول مستقبل سوريا . . حيث تنظم عندها العلاقات بين الحكومتين الفرنسية والبريطانية والإدارة العربية»[٣] .

كما نقل كرزن إلى السفير الفرنسى فى لندن فى ٦ سبتمبر (أيلول) ١٩١٩ اعتراض اللنبي على العبارة التى ظهرت فى Le Temps فى ١٨ أغسطس (آب) بإنزال أسلحة ومعدات فى بيروت من قبل السفن الإنجليزية وتقديمها إلى العرب . . « إذ أن خطته هو تجهيز قوة كافية لحفظ الأمن . . والنظام فى جميع

---

(١) روى جميل البرهانى أن المدرسة كانت قرب جامع ديكنتر فى دمشق وقد أدخل فيها كل الضباط الاحتياط الذين كانوا غير موظفين إلى جانب الطلبة الجدد . وأثناء التهديد الأخير تخرج الصف العالى برتبة ملازمين والصف الأول مرشحين دون أن يكملوا الدورة الاعتيادية كما كان هناك صف احتياطى وأرسل الجميع إلى الجبهة .

(٢) Documents, p. 266.

(٣) Ibid, p. 357.

المناطق التي تقع تحت سلطة العرب »[١].

وكانت الصعوبة التي وجدتها الحكومة العربية في تأليف جيش نظامي قوي في سوريا من العوامل المؤثرة التي دعت بعض المسئولين إلى إيجاد قوات غير نظامية محل الجنود النظاميين التي عجز الهاشمي عن إيجادها وخاصة بعد تزايد الخطر على المنطقة الشرقية[٢].

وبدأ الإقبال على التطوع والتدريب العسكري وتولى المهمة في بادئ الأمر النادي العربي ، ثم أشرفت اللجنة الوطنية العليا على هذه العملية وأصبحت مظهراً شعبياً له خطورته في الحركة الدفاعية وفي مؤازرة الحكومة في تنمية حركة التطوع وتأمين إعاشة المتطوعين[٣].

وقد تولى عملية التدريب العسكري في المناطق المختلفة ضباط من نفس تلك المناطق من الذين استقالوا من الجيش ، وتشكلت لجان متعددة للإشراف على عملية التطوع وإرسال المتطوعين إلى مناطق الحدود[٤].

ولم يشجع الركابي هذه العمليات غير النظامية واضطر إلى الاستقالة ، وعهد إلى يوسف العظمة (وكان من ضباط أركان الحرب في الجيش العثماني) برياسة ديوان الشورى الحربي بعد نفي الهاشمي . ونتيجة للضغط القومي وتزايد الاحتجاجات وخطر التهديد العسكري ، أصدر مجلس المديرين في ١٩ ديسمبر (كانون أول)

---

(١) Ibid, p. 371.

(٢) داغر : ص ١١٢.

(٣) من مجموعة أوراق محب الخطيب أدلة تثبت عن نشاط اللجنة الوطنية في هذا المجال .

(٤) وصفت جرترود بل لدى زيارتها سورية في أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٩ — الجيش العربي في هذه الفترة بعد مرور ستة ونصف تقريباً على التدريب. بأن قوة الجيش الحالي تبلغ حوالي ٧٢٠٠، وأنه يحوي ما يزيد على ٤٠٠ ضابط فوق المعدل المقرر وأن هؤلاء يستخدمون للإشراف على تدريب العصابات استعدادا لظهور أي حركة مقاومة ضد الفرنسيين ، كما ذكرت أنه لا توجد عقوبة على الفرار من الجندية ، وأن الجند كانوا يتقاضون ٣ ليرات شهرياً ، ولذلك كان من الطبيعي أن يهرب الجند إلى قراهم بعد أخذ مرتباتهم .كما تظهر جرترود بل شكها بإمكانية مواجهة هذا الجيش أي قوات نظامية ،، وأن الضباط يعرفون عدم صلاحية الجيش لمقاومة الفرنسيين ولكنهم يعتمدون على أعمال العصابات والتجنيد المحلي . . وأن البلد مسلحة كلها بمعدل بندقيتين للرجل الواحد ، وفيها ذخائر تكفي لسنة واحدة وفي منطقة دمشق وحدها ٧٥ ألف بندقية وأقل من ذلك في حلب .

انظر : Kedourie, p. 161.

١٩١٩ قانون التجنيد الإجبارى الذى جاء فى مقدمته : « نظراً لأن المنطقة الشرقية مستقلة فى إدارة شئونها ، والقوى الموجودة بعد انسحاب الجيش البريطانى لا تكفى لتقرير الأمن والموارد المالية لا تمكن من إبلاغ قوة الدرك إلى الحد الذى يفى بالحاجة ، ولا تساعد على دفع الرواتب للجنود المتطوعة فالحكومة العربية على عدم رغبتها فى التجنيد الإجبارى لاترى بدًّا من تكليف الأمة بالخدمة العسكرية مؤقتاً لأجل الوصول إلى الغاية التى تقتضيها مصلحة الوطن . . » .

وجعلت الخدمة العسكرية المؤقتة المقررة فى هذا القانون واجبة على كل مواطن بين سن ٢٠ – ٤٠ سنة ومدتها ٦ أشهر يعطى المكلف بعدها ورقة تسريح على أن يقبل البدل النقدى من كل مطلوب للخدمة وهو مبلغ ثلاثين جنيها دفعة واحدة ، ويستثنى من الخدمة رجال الدين وموظفو الحكومة والمؤسسات الرسمية وطلبة المدارس ، ومن كان ذا عاهة تمنعه من الخدمة . . ومن كان غير قادر على دفع البدل . ويعطى لكل جندى خمسون قرشاً فى الشهر عدا إعاشته وتجهيزه[1] .

وقد تشددت الحكومة فى تطبيق قانون التجنيد بعد أن شعرت أنه لم ينفذ بصورة جدية ، فصدر تحذير إلى الموظفين بتطبيق العقوبة على من يتهاون بجلب المجندين ، وضرورة إبلاغ السلطات عن مقدار المجندين والمساقين إلى القطعات العسكرية ، وانتزعت دفاتر النفوس من مأموريها ووضعت فى دوائر التجنيد خوفاً من أن يقع بها تلاعب يؤخر سير التجنيد [2].

وبعد تشكيل الوزارة الدفاعية فى ٣ مايو (آيار) ١٩٢٠ وتولى العظمة وزارة الدفاع أخذ على عاتقه مهمة تنظيم الجيش وإيجاد هيئه أركان جديدة تتألف من عدة فروع كما صدر ملحق لقانون التجنيد ألغى كثيراً من الاستثناءات وجعل الخدمة تشمل تقريباً كل السكان عدا العشائر الرحل وقضاة الشرع والرؤساء الروحيين ومن كان ذا عاهة أو علة . . ويقبل البدل النقدى وقدره خمسون ديناراً على قسطين ، ويخير الموظفون بين الخدمة الفعلية أو دفع البدل النقدى والمواظبة

---

(١) العاصمة عدد ٨٧ فى ٢٥ ديسمبر (كانون أول) ١٩١٩ .

(٢) العاصمة عدد ٨٩ فى ٢٧ أبريل (نيسان) ١٩٢٠ .

على وظائفهم وتعيين جندى إلى أن يصير المقتطع من رواتبهم شهرياً معادلا للبدل أو إلى أن يسرح رفاقهم من الخدمة ، وقد أصبح الطلبة تابعين للخدمة ويمهل الموجودون فى أوربا ، كما ألغى الإعفاء بسبب فقدان المعيل ، وإنما يعطى المحتاج خمسين قرشاً على كل فرد من عائلته عند عدم وجود معيل آخر ، ومن لم يلب الدعوة فى مدة أسبوعين أو من يحتال فى معاملات التجنيد يؤخذ بدلهم النقدى من أموالهم المنقولة وغير المنقولة . . وإذا قضت الحاجة يجلب الضباط ووكلاء الضباط غير الداخلين فى خدمة الجيش ويستخدمون حسب رغبتهم ، ويستخدم الأطباء كل حسب اختصاصه . . ويستفاد عند الحاجة من العشائر بموجب نظام مخصوص يسن فى هذا الموضوع [١] . .

وقد بلغ مجموع القوى العامة للجيش العربى فى أواسط يوليو (تموز) ٨٠٠٠ جندى يملكون ١٥ ألف بندقية مختلفة الطراز لكل منها ٢٥٠ قذيفة ، ونحو ٢٠ مدفعاً عيار (٧,٥) ,٤ مدافع عيار (١٠,٥) ولكل مدفع ٥٠ قنبلة ، ومجموع الضباط فى القيادة العليا والجيش العامل ودوائر التجنيد والأعمال العسكرية لايقل عن ٥٠٠ ضابط من مختلف الرتب [٢] .

ولكن لم يقدر لهذا الجيش التجهيزات الكافية بسبب الحصار الواقى الذى فرضته الحليفتان على سوريا الداخلية ولم يدبر المسئولون الأمر بأسلوب آخر أو مصادر أخرى ، فبقيت أسلحة الجيش دون ذخائر ، وانهار هذا الجيش الناشئ فى معركة واحدة .

---

(١) العاصمة عدد ١٢٦ فى ٢٠ مايو (آيار) ١٩٢٠ . . وكانت قد قامت ضجة حول ملحق قانون التجنيد ونشرت الدفاع فى عدد ١٠٣ فى مايو (آيار) ١٩٢٠ . « لو قلنا إن القانون العسكرى شديد الوطأة فالموقف السياسى أشد ، ومتى كان العدد المجند فى الثكنة العسكرية مماثلا للعدد المحتشد فى المظاهرات تبرهن الأمة أنها أهل لنيل ما تطلبه » .

(٢) سعيد . المصدر السابق : ج ٢ ، ص ١٨٠ .

تقويم عام لعهد الحكومة العربية فى دمشق

دام عهد هذه الحكومة أقل من سنتين تطورت فيهما من إدارة عسكرية إلى ملكية دستورية لها مجلس تمثيلى ، كان على المسئولين أن يقيموا دولة حديثة لها كل مقومات الحياة فى بلاد عانت من نتائج الحرب ووسط ظروف قاسية : من ضعف اقتصادى غير كاف لتسيير إدارة وإنشاء جيش ، وعدم استقرار سياسى ، وضغط مصالح خارجية ، وعزلة داخلية أبعدتها عن الساحل .

مع كل هذه المصاعب فقد أثار هذا العهد حماساً واندفاعا فى كل البلاد ، وتمتع بدعم شعبى لم ينله حكم سابق منذ العصور الوسطى . وكان هناك أكثر من سبب جعل القائمين على الحكم يثقون بأن مطلبهم فى الاستقلال والوحدة لن يقاوم .

فقد كانت أول حكومة فى العصر الحديث تنشأ فى البلد الذى كان مسرح الفكرة القومية وهى العامل السياسى الذى تجمع حوله كل آمال الجيل القومية بعد أن كانت حلماً فى أذهان الكتاب والمفكرين والزعماء . وأكد فيصل فى بيانه فى سنة ١٩١٨ وفى خطبه المتعددة أن الدولة إنما قامت على روابط قومية توحد العرب على اختلاف مللهم .

وأطلقت الحرية لبث الفكرة القومية فى المدارس والصحافة والنوادى والمجتمعات العامة وبلغ النشاط أوجه ، وكان للجمعيات والأحزاب السياسية الدور الأكبر .

وضمت الحكومة الوطنيين من كافة المناطق العربية ، تضافرت جهودهم على تأسيس هذه الدولة واستكمال أسباب الحياة لها ، بعد أن مضى على عهود استقلال الأمة العربية قرون طويلة من الانحطاط ، ورأوا فيها باعثاً وملهماً للحركات الاستقلالية الأخرى فى العالم العربى حتى إنه بعد الانتداب استمرت الأحزاب الرئيسية فى هذا العهد فى العمل بعد أن اتخذت أسماء مختلفة وغيرت خطتها من دعم السلطة الحاكمة إلى النضال ضدها .

وقد تبوأ الوطنيون من إداريين وعسكريين مراكزهم بغض النظر عن مواطنهم

ومذاهبهم ومراكزهم الاجتماعية[١]، وكان الحكم «أقرب ما يكون إلى العدل والحرية والمساواة والإصلاح وأبعد ما يكون عن التعصب والمحاباة، بعكس حكومتي الاحتلال في المنطقتين الأخيرتين اللتين ابتدعتا الانتداب»[٢]. كانت الحكومة العربية تبحث عن العلماء في كل مكان وتسلم الأخصائيين الأكفاء ممن استدعوا من مصر واسطنبول وأنحاء البلاد العربية مختلف شئون الحكومة.

وبرغم أن قصر الفترة يحول دون التحقق من نتائج منجزات هذا العهد أو أن يعطى تقويماً صحيحاً لفعالية الحكومة، إلا أن ما ظهر من أعمال دل على تقدير المسئولين لمقتضيات الحياة العصرية. ولم تمنعها الشئون الخارجية، أو نقص الإمكانيات من أن تعمل قدر استطاعتها[٣] فسارت في سبيل التنظيم والإصلاح سيراً حثيثاً وخاصة في التعليم والاقتصاد، كما أوجدت أشكالاً قانونية وإدارية اعترفت السلطة المنتدبة بشرعيتها وقبلتها عملياً إلى أن غيرها بها[٤].

وكان يمكن أن تحقق الكثير لو قدرت لها ظروف البقاء الاستمرار.. وأمل الجميع أن يستمر هذا الحكم ولكن بعد أقل من سنتين تبددت الآمال.. ولم يغفر الجيل الذي عاصر هذا العهد لفرنسا أنها أنهت الحكم بالقوة.

وبحث الكثيرون في عوامل انهياره:

رأى البعض في الحركة القومية نفسها ضعفاً خطيراً برغم قوتها، إذ أنها ظلت مقتصرة على طبقة سياسية ضئيلة ولم تضم الشعب كله. كما أن المنظمات السياسية التي عملت في هذا العهد برهنت عن فشلها في العمل الإيجابي وأخفقت في إطلاع الشعب على حقيقة قضيته وتوعيته ليكون على بينة من مستقبله ويعمل على

---

(١) داغر ص ١٩.. ومن خطاب فيصل في دار الحكومة في دمشق في ٥ مايو (آيار) ١٩١٩ «فليعلم كل إنسان أني لا أتحزب لشخص لأنه من عائلة أو أسرة، بل أنظر إلى اقتداره الشخصي لالمقامه الاجتماعي في الأمة فأستخدمه في العمل الذي يليق به. لأن العمل عائد للأمة جميعها.. فلا يمكن إدخال الشخصيات في العموميات...».

الحصري: ص ٢٢٨.

(٢) المنار: ج ٤ م ٢٢ – ص ٣١٣ – ٣١٤.

(٣) مقابلة شخصية مع محب الخطيب – أبريل (نيسان) ١٩٦٨.

(٤) Longrigg, p. 105.

الاستعداد لدرء النتائج السيئة . وسعت إلى إثارة حماسته إلى أقصى حد ، حتى أصبح يرى فى كل قول أو عمل لا يتفق مع عواطفه نوعاً من الخيانة ورأى فى أعمال المسئولين المتناقضة ضعفاً وتردداً ، جرف أمامه الثقة التى كانوا يتمتعون بها فى أول العهد ، وأصبحوا غير قادرين على قيادة الشعب أو الاستفادة من حماسته أو تنظيمها ، « لقد كان بالإمكان لميسلون أن تسفر عن غير النتيجة التى أسفرت عنها لو أن الشعب كان أكثر تنظيماً بقدر ما كان متحمساً »[1].

ثم إن هذه الطبقة القيادية قد تباينت نزعاتها وتضاربت آراؤها فبعض أفرادها ظل على ارتباطه بالعهد العثمانى . وبعضها كان يعتقد أن انتداباً أجنبيًّا مؤقتاً ضرورى لازدهار البلد وتقدمه . « وانتسبت كل فئة إلى قطر ذى مشاكل خاصة من وجهة الأطماع الدولية وكانت تشعر بمشاكل ذلك القطر أكثر من شعورها بمشاكل الأقطار الأخرى»[2] .

كما أن هذه الطبقة كانت تعانى من نقص فى التجربة السياسية فلم تطلع على حقائق السياسة العالمية وأساليبها ، بل عاشت فى جو عاطفى مغلف بالآمال والعواطف والمبادئ العامة . . ولم تكن لدى الضباط أو أعضاء المؤتمر أو الزعماء السياسيين فكرة صحيحة عن ضخامة المهمة التى يواجهونها ، أو إدراك مناسب لسياسة (فن الممكن) التى يمكن بواسطتها للضعيف أن يأمل فى النجاح السياسى . بل اندفعوا فى التطرف ، ولم يقدروا الموقف حق قدره وفسروا كل خطوة غير متشددة بأنها علامة ضعف وطلبوا أموراً فوق المقدور والإمكان[3].

ونظراً لأن الأمور فى كثير من الأحيان تقاس بمنظار شخصى فقد عزى الفشل إلى فيصل بالذات وعجزه فى أن يمنح سوريا الاستقلال الموعود ، فهو برغم ما كان يتمتع به من ذكاء وعبقرية فطرية ، وبرغم دعم غالبية الرأى العام له لأنهم رأوا فيه تتويجاً للحرية والكبرياء ونيله احتراماً عاما لمركز عائلته الدينى[4]، لم يكن

---

(١) داغر : ص ١٢٥ — ١٢٩ .

(٢) الحصرى : ص ١٦ .

(٣) مقابلة شخصية مع عونى عبد الهادى مايو (آيار) ١٩٦٨ .

(٤) فقد أورد : Lansing فى كتابه :

—The big four and others of the peace conference, p. 163.

يمكن يملك مؤهلات الزعامة التى تفرض نفسها ، وتقضى على النزعات المختلفة ، فكان « شديد التأثر بكل من عليه مسحة من الوطنية »[١]. ويبدو دوماً متقلقل الرأى ضعيف العزيمة حتى قال البعض : « إنه لو أظهر حزماً فى معاملة المشاغبين لما وقعت ميسلون ».
وكان يتخذ مواقف مختلفة تجاه قضية معينة : كان يؤمن مثلا بأن الوصاية على البلاد أمر مقضى منه وأنه لا يمكنه إيجاد قوة وطنية تحفظ الاستقلال ، ولكنه أمام الشعب اضطر أن يتراجع أمام الدعاية التى بثت عند عودته ، لحداثة عهده بالشئون السياسية ، وأعطى وعوداً كان يعرف استحالة تحقيقها . « ولو كان قد وقف موقفاً ثابتاً ودافع عن آرائه بمثل الطريقة المدبرة الحاذقة التى سلكها فى العراق فيما بعد لوجد من المعتدلين أنصاراً يؤيدونه »[٣] .

ولقد كان ماضى فيصل عسكرياً أكثر منه سياسياً ، أو إدارياً ، وكان مرغماً لضرورات سياسية أن يتغيب فى أوربا ما يقرب من سنة ، وترك زيد نائباً عنه ، وكان أقل منه خبرة فوقع تحت تأثير فئات متطرفة كثيرة .

وكانت النتيجة أن خرجت (الفتاة) من يد فيصل ولم تقف الجماهير معه فى ١٩٢٠ وكانت مستعدة أن تسير وراء القصاب من أن تتبع فيصلاً لما يملكه من مؤهلات تجعل منه زعيماً قومياً .

ولكن الحقيقة أن انهيار هذا الحكم يعود إلى عوامل خارجية تعذر التغلب عليها . فقد وثق العرب بوعود الحلفاء ، وفيصل فى خطبه يؤمن « بحسن نيات الحلفاء وصدقهم فى أقوالهم وتمسكهم بالمبادئ السامية التى جعلوها دستوراً لأعمالهم » .[٤] ويعزو إلى الجهل ما وقع من خصومات بينه وبين الحلفاء . . وأكد

= مديحاً فى فيصل وقت أن كان فى مؤتمر السلم . . « أنه مع حداثته قد أبدى نضوجاً فى التفكير وقلما يشاهد فى الشباب وكان يبدو فى مظهره ولباسه كأحد الأنبياء الأقدمين الذين ينوءون تحت المعرفة الثقيلة . . وتمثل فيه مبدأ وحدة العرب واستقلالهم . . أنه شخص خليق بأن يكون الخليفة الجديد لخلافة دمشق .

(١) الشهبندر ، فيصل ابن الحسين ، مقال فى المقتطف ج ٣ م ٨٣ – ١٩٣٣ ص ٢٦٦ .
(٢) كرد على « المذكرات » ص ١٣٥ – ١٣٦ .
(٣) الشهبندر المصدر السابق .
(٤) من بيان فيصل بعد عودته من مؤتمر السلم فى مايو (آيار) ١٩١٩ .
الحصرى ص ٢١٧ . .

بيان الوزارة أمام المؤتمر السورى العام فى ٢٧ مارس (آذار) ١٩٢٠ هذا الاتجاه العام[١] .

ولكن الحكومة البريطانية خذلتهم تنفيذاً لاتفاقها مع فرنسا على تقسيم البلاد المنفصلة عن تركيا . وتعنتت فرنسا فى إصرارها على الاحتلال متهمة الحكومة البريطانية بدعم الحكومة العربية ، وانعزلت أمريكا عن التدخل فى السياسة الأوربية وفشل مؤتمر السلم فى تحقيق الآمال القومية التى دخل العرب من أجلها الحرب ، بل عمد إلى توزيع الانتدابات على الشعوب الصغيرة مخالفاً بذلك مبدأ تقرير المصير .

ولم يعمل القوميون لدعم قضيتهم بإظهار عدائهم الصريح لبريطانيا حرصاً على صلاتهم الودية معها ، بل عقدوا أملا عظيماً عليها برغم ما كان يبدو من بوادر تثير الريب والشك ورأوا فيها الصديقة الوحيدة التى تهتم بالقضايا العربية ، فى حين كانت بقية الدول الأوربية مشغولة بمشاكلها الخاصة ، ولو كان العرب أكثر واقعية لأدركوا أنها لم تخاصم فرنسا من أجل حرية العرب بل متفقة ضمنا معها . وأن فرنسا لم تتمكن من أن تحكم سوريا حكماً مباشراً إلا بعد أن أخذت موافقة بريطانيا .

ويذكر المؤرخ Temperley « . . أن انهيار دولة فيصل السورية التى خلقت ودعمت من قبل بريطانيا كوفاء جزئى لوعودها للعرب قد انهارت لسبب أن وجودها كان معاكسا لمطامع فرنسا .. وفى ظروف حالت دون أن يكون التدخل فعالا للحفاظ على تلك العهود » [٢].

وشرح ونستون تشرشل الوضع بشكل أكثر وضوحاً فى مؤتمر القاهرة ١٩٢١ « . . بأنه كان من المؤلم . . للرأى العام البريطانى والضباط الذين خدموا مع

---

(١) من بيان الوزارة . « لنا الأمل الوطيد بحسن نيات الحلفاء العظام أن يقابلوا حياتنا الجديدة بالسرور والارتياح . . خصوصاً الدولتين العظيمتين بريطانية وفرنسا . . اللتين عرفتا بمحبتهما للعرب وشملتهم معونتهما الثمينة فى حرب حريتهم .. فلا يكون منهما اليوم إلا ما يأتلف مع مبادئهما الشريفة » . الحصرى ص ٢٥٣ .

(٢) Zeine, p. 188.

العرب بشكل خاص . . أن يروا مدن رفاقهم في السلاح . . وحلفائهم . . تجتاح من قبل فرنسا . . بشكل معاكس لروح المعاهدات ، إن لم يكن لنصوصها ، ولكن برغم ما فى هذا من ألم عميق للسياسيين والعسكريين الذين تهمهم القضية . . فإن صلاتنا القومية مع فرنسا كانت تجعل من المستحيل علينا أن نفعل شيئاً لمساعدة العرب فى هذه القضية » . . [١] .

واختتم بذلك فصل من القضية العربية ليفتح فصل جديد ، وصدمت الحركة القومية ، وانتشر رجالها فى مختلف الأقطار ليجابهوا حياة كفاح جديدة تختلف شروطها عن السابقة ، وحرموا من المجال الحر الذى أمكن أن يكشفوا فيه جهودهم مجتمعين والتحق أكثرهم ببلادهم الخاصة واندمجوا فى مشاكلها المحلية « وأصبحت القضية العربية مطبوعة بالطابع الإقليمى المحلى حتى صار تحويلها إلى أصلها صعباً » [٢] .

والواقع أنه لو أتيح للعرب الظروف المناسبة بعد طرد الترك والجو مشحون بالشعارات القومية لتمكنوا من تأسيس الدولة المستقلة الموحدة حتى ضمن الحدود التى طلبها الحسين ، إذ كان إنشاء الدولة العربية هدفاً سياسياً من أهداف الثورة العربية لا يقل أهمية عن التحرر من الحكم الأجنبى .

ولكن النتيجة كانت فشل تجربة ١٩٢٠ التى رأى فيها رجال الحركة العربية نواة لمبدأ الوحدة ، وما تبع ذلك من (بلقنة) العالم العربى . ونشوء نظام الكيانات الذى جعل لكل جماعة من العرب عقلية مختلفة . ونظاماً ودولة ، وأسلوبا فى الحكم يختلف فى مكان عنه فى آخر [٣] .

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) دروزه ص ١٣٦ — ١٣٧ .

(٣) دافع بعض الكتاب الغربيين عن مسئولية أوربا فى سياسة تجزئة العالم العربى إلى مجموعة دول منفصلة. فذكر Longrigg « أنه لم يكن بإمكان أى سلطة عربية أن تجمع البلاد العربية فى دولة واحدة . إذ لم يوجد بعد شعور الالتحام السياسى . وكان الولاء المحلى والإقليمى لا يزال أقوى من الشعور العربى العام . . وكذلك المواصلات التى تربط الأجزاء المختلفة كانت صعبة . . كما أن الفهم العام للحكومة والإدارة يختلف بين منطقة وأخرى .. وأنه ليس باستطاعة أى حاكم أو فئة حاكمة أن يحوزا قبولا شاملا أو ينشئا إدارة موحدة » .

انظر : Longrigg, p. 108.

وتحولت بذلك الحماسة التى أثارتها الثورة العربية إلى مرارة قضت على ما كانت تتمتع به بريطانيا وفرنسا من نفوذ أدبى فى الشرق العربى . وتحول الشعب عن متابعة جهوده من أجل العمل المثمر إلى مقاومة الانتداب ، وفى هذا الجو من المرارة بدأ الحكم الفرنسى فى سوريا .

— كما يذكر Gibb أن تجربة إقامة دولة عربية كبرى عام ١٩١٩ كان مقضياً عليها بالفشل لأن العبء الاقتصادى والعسكرى سيكون ثقيلا على أى إدارة واحدة . . ولم يكن الإداريون العرب حتى ولا الغربيون يدركون المشاكل العلمية التى تواجههم مع ثقل الإرث العثمانى . . وأن نظرية الانتداب كانت محقة فى المبدأ بوضع الحكومات العربية فى المناطق المختلفة تحت إشراف ومساعدة الدول الغربية حتى فى هذا الأسلوب البعيد عن الكمال الذى مارسه الانتداب فعلا .

انظر : Gibb. The Future for Arab Unity, Ireland (edit.) The Near East — Problems and Prospects, Chicago 1942, pp. 92 — 93.


ملاحق

ملحق رقم-١

ترجمة المذكرة التى رفعها فيصل فى ١٩١٩/١/١ إلى مؤتمر السلم عن
كتاب : Zeine, Struggle for Independence Appendix (C) pp. 248—251.

مذكرة مقدمة من الأمير فيصل
إلى مؤتمر الصلح

إن البلاد الممتدة من الإسكندرونة — جنوباً نحو بلاد فارس — إلى المحيط الهندى يقطنها « العرب » ونعنى بهم شعباً من الجماعات السامية وثيقة الصلة ببعضها البعض ، وجميعهم يتحدثون لغة واحدة هى العربية . أما العناصر التى لا تتحدث العربية فى المنطقة ، فأعتقد أنها لا تتجاوز نسبتها واحداً فى المائة من مجموع السكان .

إن هدف الحركات القومية العربية (التى أصبح والدى قائداً لها فى الحرب بعد نداءات مشتركة موجهة من فرعيها فى سوريا وما بين النهرين) هو توحيد العرب كى يصبحوا فى النهاية أمة واحدة .

وفى اعتقادنا أن مثلنا الأعلى عن الوحدة العربية فى آسيا لايحتاج إلى أية مناقشة لتبريره . وإذا كانت هناك حاجة إلى النقاش بهذا الشأن فإننا نشير إلى المبادئ العامة التى ارتضاها الحلفاء عندما انضمت إليهم الولايات المتحدة الأمريكية ، وإلى تاريخنا المجيد ، وإلى الصمود والإصرار الذى قاوم به شعبنا خلال سمائة عام المحاولات التركية لاستيعابنا وإذابتنا فى الشعب التركى ، ونشير أيضاً بدرجة أقل إلى ما حاولنا أن نقوم به فى هذه الحرب كحلفاء .

وإن لوالدى مكانة ممتازة بين العرب كقائد ناجح لهم وكرئيس لأعظم أسرة فيهم وكشريف لمكة . وهو واثق من حتمية الانتصار النهائى لمثل الوحدة إذا لم تجر محاولات الآن لإجبارنا على قبول بديل للوحدة بفرض وحدة سياسية مصطنعة علينا أو بعرقلة وحدتنا بتقسيم بلادنا كمغانم حرب بين الدول العظمى .

وقد تيسرت وحدة العرب فى السنوات الأخيرة منذ تطور وسائل المواصلات كالسكة الحديدية والمطارات والتلغراف ، وقد كانت المنطقة فى الماضى من الضخامة وكان سكانها من القلة بحيث تتيسر عملية نقل الأفكار بسهولة .

إن المناطق المختلفة فى آسيا العربية — سوريا ، العراق ، الجزيرة ، الحجاز ، نجد ، اليمن ، تتباين اقتصادياً واجتماعياً إلى حد كبير ، ومن المستحيل التحكم فيها فى إطار حكومى واحد .

وفى رأينا أن سوريا ، وهى بلد صناعى وزراعى مزدحم بالسكان الذين ينقسمون إلى طبقات حضرية مستقرة ، بلغت من التقدم السياسى ما يمكنها من إدارة شئونها الداخلية . ونعتقد أيضاً أن المشورات والمساعدات الأجنبية فى النواحى الفنية ستكون من العوامل الهامة فى تطورنا القومى . ونحن على استعداد لأن ندفع نقداً مقابل هذه المساعدة ، ولكنا لانستطيع أن نضحى من أجلها بأى جزء من الحرية التى اكتسبناها لأنفسهم بقوة السلاح .

إن الجزيرة والعراق إقليمان كبيران يتكونان من ثلاث مدن متحضرة تفصل بينهم مساحات كبيرة من الأرض الجرداء التى يقيم فيها عدد قليل من أفراد القبائل شبه الرحل . والعالم يرغب فى استغلال منطقة ما بين النهرين على وجه السرعة ولذلك فإننا نرى أن نظام الحكومة هناك يجب أن يدعم بالرجال والموارد المادية من دولة أجنبية كبيرة . ومع ذلك فنحن نطالب بأن تكون الحكومة عربية من حيث المبدأ والروح ، على أن يطبق المبدأ الانتقائى لا الانتخابى فى الأماكن المهملة أو المهجورة إلى أن يحين الوقت الذى يصبح فيه اتخاذ قاعدة أوسع أمراً ممكناً . والواجب الرئيسى على عاتق الحكومة العربية هو أن تشرف على العمليات التعليمية التى ستعجل بتقدم القبائل إلى المستوى المعنوى للمدن .

إن الحجاز منطقة قبلية بصفة أساسية وستظل الحكومة كما كانت فى الماضى مناسبة للأحوال العشائرية هناك ، ونحن نتفهم هذه الأحوال بشكل أفضل من الأوربيين ولذلك فإننا نقترح أن نحتفظ باستقلال تام فى ذلك الإقليم .

أما اليمن ونجد فإنه ليس من المحتمل أن يتقدما بعرض قضيتهما على

مؤتمر الصلح ، فهما يتوليان العناية بشئونهما ويقيمان علاقاتهما الخاصة بالحجاز وغيره من الأقاليم .

وفى فلسطين فإن الأغلبية العظمى من السكان من العرب واليهود صلتهم وثيقة جداً بالعرب من ناحية الدم وليس هناك صراع أوتنازع فى الصفة بين هذين العنصرين . ومن ناحية المبدأ فنحن متحدون بشكل مطلق ومع ذلك فإن العرب لايستطيعون أن يتولوا مسئولية الاحتفاظ بالتوازن فى حالة صدام بين الأجناس والأديان ، وهو الصدام الذى ورط العالم فى مصاعب . ولذلك فإن العرب يرغبون فى وصاية فعالة لدولة عظمى بشرط أن توجد إدارة محلية منتخبة تدلل على فائدتها بالعمل بنشاط على تحقيق الرخاء المادى للبلاد .

وعند التعرض بالتفصيل للأقاليم العربية لا أدعى بأن لى اختصاصاً أسمى بها ، وآمل أن تقوم الدول الكبرى بتحقيق أهداف حركتنا القومية على نحو أكمل . وقد حضرت إلى أوربا بالنيابة عن والدى وعرب آسيا لأبلغ الدول بألا تعطى أهمية أكثر من اللازم للفروق السطحية فى الأحوال بين البلاد العربية ولاتنظر إليها من الزاوية الضيقة للمصالح المادية الأوربية القائمة ومناطق النفوذ المفترضة . والعرب يتوقعون أن تنظر الدول إليهم كشعب لديه كافة الشروط اللازمة للوحدة ، وكقوم غيورين على لغتهم وحريتهم ، وأن يطلبوا ألا تتخذ أى خطوات لاتتفق مع توقع إقامة اتحاد فى المنطقة فى ظل حكومة واحدة ذات سيادة .

وأنا لا أرغب بأن أعطى انطباعاً بوجود أى صراع حقيقى فى المثل والمصالح المادية والمعتقدات والشخصية لما يجعل اتحادنا مستحيلا ، وذلك عندما أؤكد على التباين فى الأحوال الاجتماعية السائدة فى أقاليمنا وأن العقبة الكبرى التى علينا أن نتخطاها هى الجهل المحلى الذى تسببت فى وجوده الحكومة التركية إلى حد كبير .

وفى رأينا أنه إذا تمت الموافقة على استقلالنا وأقيمت سلطتنا المحلية ؛ فإن المؤثرات الطبيعية من العنصر واللغة والمصلحة ستوحد بيننا وتجعلنا شعباً واحداً فى وقت قريب ، ولكن لكى يتحقق هذا فإن على الدول الكبرى أن تضمن لنا حدوداً داخلية مفتوحة ، وسككاً حديدية ومواصلات تلغرافية مشتركة ونظاماً تعليمياً موحداً ، وعلى الدول العظمى كى تصل إلى هذا أن تطرح جانباً

فكرة المصالح الفردية وتتخلى عن نزاعاتها القديمة . ونحن نطالب باختصار بألا تفرضوا علينا مدنيتكم بأجملها بالقوة ، وإنما عليكم أن تساعدونا فى انتقاء ما ينفعنا من تجربتكم ، وليس فى مقدورنا أن نمنحكم فى المقابل سوى العرفان بالجميل .

١ يناير ١٩١٩

ملحق رقم -٢

وثيقة من أوراق الوفد الحجازى إلى مؤتمر السلم ، تلخص القسم الأول من مذكرة ١٩١٩/١/١ التى رفعها فيصل إلى مؤتمر السلم ، ولم تتعرض إلى القسم الثانى للمذكرة وهذا ما يدعو عونى عبد الهادى إلى أن ينفى وجود مذكرة ١٩١٩/١/١ ولايقبل إلا بمذكرة ١٩/١/٢٩ التى تطالب بالاستقلال لكل المنطقة ومن ضمنها العراق وفلسطين .

« من مجموعة أوراق عونى عبد الهادى »

Conference De La Paix — Paris, Le 1919

Secrétariat

De La Délégation Hédjazienne

فى مذكرتى التى قدمتها لكتابة المؤتمر العامة ، المؤرخة فى ٢٩ كانون الثانى سنة ١٩١٩ طلبت استقلال كافة البلاد الناطقة بالعربية فى آسيا ، اعتباراً من الخط الممتد شمالى إسكندرونة — ديار بكر حتى سواحل المحيط الهندى جنوباً ، وذلك للأسباب الآتية :

١ — إن هذه البلاد كانت مهد مدنيات عظيمة ولايزال أهلها ذوى استعداد للقيام بواجباتهم نحو العالم المتمدن .

٢ — سكان هذه البلاد كلهم ينطقون بلغة هى اللغة العربية .

٣ — لهذه البلاد حدود طبيعية تفرقها عن غيرها وتؤكد وحدتها وتحفظ استقلالها.

٤ — سكان هذه البلاد ينتمون كلهم إلى عنصر واحد وهو العنصر السامى ولايتجاوز عدد العناصر الغير السامية واحداً فى المائة .

٥ — منافع هذه البلاد الاجتماعية والاقتصادية كانت ولاتزال متحدة وقد ازداد هذا الاتحاد قوة بازدياد الوسائط النقلية وسيزداد أيضاً كلما ازدادت تلك الوسائط وإنه ليصعب أن نجد أمة فى العالم تضاهى أمتنا فى وحدتها الجنسية وتوفر جميع هذه الصفات والمميزات فيها .

٦ ــ إن الدول المتحالفة وعدت الأمة العربية بحريتها واستقلالها عند انتهاء الحرب ، وها قد خرجت من هذه الحروب ظافرة فينبغى لها أن تبر بوعودها . والأمة العربية تنتظر ذلك منها بحق وجدارة ومطالبها القومية منطبقة تمام الانطباق على مبادئ الرئيس ويلسون التى صادقت عليها كل الدول .

. ملحق رقم-٣

توضيح ما دار بين اللجنة الأمريكية للتحقيق وسكان سورية الجنوبية (فلسطين)

« من مجموعة أوراق محب الدين الخطيب »

سؤال وجواب اللجنة فى فلسطين

كثر فى هذه الآونة عدد المرجفين والمختلقين زوراً وبهتاناً فى شأن ما دار بين اللجنة الدولية وسكان سوريا الجنوبية (فلسطين) من الحديث ، فرأى مؤتمر الجمعيات المنعقد حديثاً فى العاصمة (دمشق) أن يوضح للسوريين كافة حقيقة ما كان ليكون الدمشقيون وغيرهم من أبناء هذه الديار على بينة من أمرهم لاتؤثر عليهم إشاعات الكاذبين الذين يريدون أن يبيعوهم بيع السلع .

صورة المطالب التى قدمها الفاسطينيون إلى اللجنة

نحن موقعى إمضاءنا أدناه نتقدم إلى الوفد الأمريكى المحترم من اللجنة الدولية المرسل من مؤتمر الصلح للاستفتاء والوقوف على رغائب الشعب فى الشرق الأدنى نطلب :

أولا : أن تكون بلادنا (سورية) التى تبتدئ شمالا بجبال طوروس وتنتهى برفح وغرباً بالبحر المتوسط وشرقاً بالبادية كتلة واحدة غير متجزئة مستقلة استقلالا تاماً بلا حماية ولا وصاية ولا ما يفيد معناها .

ثانيا : أن تكون مقاطعتنا سورية الجنوبية « فلسطين » التى هى جزء لاينفك عن سورية مستقلة استقلالا داخلياً تنتخب حكامها وتسن قوانينها الداخلية وفقاً لرغائب سكانها الوطنيين وحاجات البلاد .

ثالثا : نرفض هجرة اليهود إلى بلادنا رفضاً باتّاً ونحتج على الصهيونية بكل قوانا ولانرضى بحال من الأحوال أن تكون مقاطعتنا وطناً قومياً لليهود ؛ أما اليهود الأصليون الموجودون فى بلادنا قديماً فإنا نعتبرهم وطنيين لهم مالنا وعليهم ما علينا .

أسئلة الوفد للأهالى فى يافا

س : باسم من تتكلمون ؟

ج : باسم الشعب من أهالى قضاء يافا .

س : كيف جرى انتخابكم ؟

ج : انتخبنا بالاقتراع السرى من أهل القضاء وهذه أوراقنا المثبتة .

س : هل جميع منتخبيكم على هذا الرأى ؟ وهل أنتم حزب الأكثرية ؟

ج : نعم .

س : هل يوجد حزب آخر يطلب غير مطالبكم .

ج : لاعلم لنا بوجوده .

س : على أى نظرية تبنون هذه المطالب ؟

ج : بناء على الحقوق التى منحتنا إياها دول التحالف بنتيجة هذه الحرب التى اشتركنا فيها فعلا والتخصص بناء على المواد الأربع عشرة التى فاه بها الرئيس ويلسون .

س : إن لم يكن الاستقلال فأى دولة تنتخبون ؟

ج : لانريد إلا الاستقلال التام العارى عن كل شائبة .

س : ما هى أهم مطالبكم ؟

ج : كلها بدرجة واحدة .

س : لماذا ترفضون المهاجرة للصهيونية وهل ترفضونها أبدياً أم لمدة ؟

ج : نرفضها أبدياً لأن البلاد بلادنا وهى عرب قبل اليهود وللأسباب الاقتصادية. « وفصلوا الأسباب » .

س : كيف تكون حقوق اليهود والنصارى إذا أمكن الاستقلال ؟
ج : الدين لله والوطن للجميع لهم ما لنا وعليهم ما علينا .
س : تطلبون عدم تجزئة سوريا فهل ترضون بما يقرر عليها ؟
ج : نعم .

أسئلة الأهالى فى يافا التى سألوها للجنة

س : ما صلاحية اللجنة ؟
ج : الوقوف على آمال الشعب .
س : هل تغيرت مبادئ الدكتور ولسون ؟
ج : كلا لم تتغير ولن تتغير .
س : يشيعون أن بلادنا قد بت مصيرها ؟
ج : لا أصل لذلك .

سؤالات الوفد للجمعية الإسلامية ـ المسيحية فى القدس

س : هل تريدون وصياً ؟
ج : كلا .
س : هل تريدون العراق والحجاز وبقية البلاد العربية ؟
ج : هذا عائد للمؤتمر السورى .
س : إذا لم يكن الاستقلال ، فأى دولة تختارون ؟
ج : لانريد إلا الاستقلال التام .
س : لماذا ترفضون المهاجرة الصهيونية ؟
ج : للأسباب الاقتصادية والجغرافية (كما ذكر اليافاويون) .
س : وإن لم يمكن رفض المهاجرة فماذا تعملون ؟
ج : إما أن نلقيهم فى البحر أو يردونا إلى البادية .
س : كيف تريدون شكل الحكومة ؟

ج : أن تكون مع سوريا بأجمعها ونتتخب حكامنا ونسن قوانيننا بأنفسنا ونستأجر المرشدين بدراهم .

س : أنتم تمثلون من ؟

ج : تمثل لواء القدس بأجمعه .

س : ماهى صورة انتخابكم ؟

ج : هاهى أوراق الاعتماد التى تنبئ بصورة انتخابنا .

س : ما هى حدود بلادكم التى تطلبون استقلالها ؟

ج : شمالا جبال طوروس ، جنوباً رفح وصحراء سيناء ، غرباً البحر المتوسط شرقاً بادية الشام .

س : هل تقتدرون على إدارة بلادكم ؟

ج : نقدر على ذلك وإذا احتجنا نستعين برجال الحلفاء .

« مطابق للأصل فى ٢٣ حزيران سنة ١٩١٩ »

هذا جواب الأهالى للجنة الأمريكية فى فلسطين فالويل للكذابين الأفاكين الذين يشيعون الأباطيل ليصطادوا فى الماء العكر . .

ملحق رقم ـ٤

رسالة بعث بها فيصل إلى كلمنصو (دون تاريخ وعلى الأغلب ٢٥ أكتوبر « تشرين أول » ١٩١٩) وذلك حال وصوله إلى باريس بعد فشل محادثاته فى داوننج ستريت ونصيحة بريطانيا له بالمفاوضة المباشرة مع كلمنصو .

« من مجموعة أوراق عونى عبد الهادى »

إلى رئيس الوزارة الإفرنسية المعظم .

ياصاحب الدولة :

أشكركم أجزل الشكر على دعوتكم التى تلطفتم بإرسالها إلى عن طريق الخارجية البريطانية ، فلقد تلقيتها بغاية السرور والامتنان ويممت باريس مرة أخرى على جناح السرعة ، وكلى آمال تطمح إلى التوفيق بين حقوق العرب ومصالح الحلفاء المشتركة ولاسيما الأمة الفرنسية التى أجمعت الأمم على احترامها وتبجيلها وتقدير ما تكبدته من الضحايا الفادحة فى سبيل الذود عن حياض الشعوب المضطهدة وتوطيد دعائم استقلالها ، وإنى لأحمل بين جوانحى لهذا الشعب النبيل كسائر أبناء قومى مودة لاتساورها ريبة وإخلاصاً لايشوبه رياء . وإنه لمن الخطأ الذى أريد دفعه بكل ما لدى من عزم وقوة ما يعزى إلى من خلاف هذا الولاء المحض الذى تشهد بصحته كل جارحة فى وعاطفة بى ، وإنى لعلى ثقة أن المحرضين وأمثالهم من المصطادين فى الماء العكر لاتلبث أن تذهب مساعيهم أدراج الرياح عند ظهور هذه الحقيقة الناصعة للعيان . وإن من أخشى الوسائل التى يتخذونها اليوم ولم يفطنوا لها بالأمس ما يحاولونه من التفريق بين أبناء العنصر الواحد بل البقعة الواحدة ، كقولهم هذا حجازى وذاك عراقى أو سورى بل تجاوزوا ذلك إلى أبعد منه ففرقوا بين أبناء سورية نفسها فقسموهم بين لبنانى وفلسطينى وساحلى وداخلى. بل إلى مسلم وغير مسلم إلى آخر ما يوحى إليهم الحقد وتملى عليهم الضغينة على أنهم لم يذكروا ذلك ألبتة فى أيام الحرب، بل نظروا إلى الجميع كعنصر حى واحد يقاتل فى صفوف الحلفاء ومن أجل استقلاله تحت لوائى وفيه سائر ما يفرقونه

اليوم لغرض فى النفس غير شريف . فأرجو من فخامة الوزير الخطير أن يتلقى ما أبديه من الملحوظات بشأن استرجاع الجيوش البريطانية من سوريا بما أعهد فيه من سعة الصدر والحلم وحدة الحكم وأن يحمله على معناه المقصود منه بالذات فمن غير أن يؤخذ منه تحيز لفريق دون فريق وإيثار لأمة على أخرى فإنى والله يشهد عربى قبل كل شئ ولاأقصد فيما أقول غير الحرص على مصلحة أمتى العربية سوريا كانت أو غير ذلك التى فوضت إلى شئونها القومية وأمر مستقبلها المنتظر ، ولذلك أستأذنكم يا صاحب الفخامة فى استلفات نظركم إلى البيان التالى :

١ ــ لايخفى على فخامة الوزير الأجل أن الأهلين فى الوطن السورى عاجلوا العدو المشترك بضربة قاضية منهم عند تراجعه المحكم فغادروه بدءاً بغير نظام وبادروا إلى إنشاء حكوماتهم الأهلية فى بلادهم ومن تلقاء أنفسهم وبمرأى من العدو ومسمع ، ثقة منهم بما صدر من إشارتنا لهم وما بلغناهم إياه عن نية الحلفاء نحو العرب وما يثبت أن جيوش الحلفاء المختلطة إن دخلت إلى هذه البلاد المتحالفة التى استقلت فعلا بتأييدهم وبسعى أهلها بين الترحاب والتهليل ، إلا أنه بعد وصول القائد العام للحلفاء أمرنى فخامته بأن أنزع الأعلام العربية من السواحل وأن أسترجع عمالى منها فامتثلت فوراً لأنى جندى ، فاعترض الأهلون على هذا التغيير المجحف بحقوقهم وعلى إحباط مساعيهم التى بذلوها فدعت الحالة حضرة القائد العام أن يصرح لهم بأن هذا التغيير وقتى وأن الإدارة التى أمر بتنظيمها ستظل مرتبطة به رأسا بصفة كونه ممثلا للحلفاء لا قائداً لدولة معينة إلى أن يقرر المؤتمر مصير البلاد ثم وزع البلاد بين إدارات ثلاث : إنجليزية فى فلسطين ، وفرنساوية فى الساحل ، وعربية فى الداخل تجمعها كلها إدارة واحدة هى القيادة العامة الممثلة للحلفاء بأسرهم فكان للبلاد بهذا النظام المحدث ، على ما فيه من علل ، وحدة إدارية مؤقتة فكيف يصح أن يفرط عقد هذه الوحدة الآن بدون إنشاء ما يقوم مقامها حرصاً على توجيه البلاد ومصلحة أهلها ومحافظة على النظام فيها إلى أن يصدر القرار الأخير .

٢ ــ جاء فى القرار الذى تفضلتم بإرسال نسخة منه بالأمس أن الجمهورية

الإفرنسية لاتعترف بما ورد فى مذكرة رئيس الوزارة البريطانية من المقترحات المدونة فيها إلا فقرة واحدة منها تختص بجلاء الجيوش البريطانية فى سوريا فقد اقترنت بموافقة عليها فجاءت من غير اعتراض ثم ذكرتكم فى ذيل ذلك القرار أن مؤتمر الصلح أخذ علماً ليس إلا بالأمر .

ومن ذلك يظهر جلياً أن الحكومة الإفرنسية اعترفت بالجلاء ونبذت بقية المواد وأن العرب يرفضون الاقتراح كله لأنه يحملهم مسئولية كبرى من دون أن يكون لهم رأى سابق فيها وأن المؤتمر نفسه لم يصدر قراراً بالموافقة على الاقتراح بل أخذ علماً به، كما ورد فى ذيل القرار المرسل إلينا، ونحن لانعترض على ذلك الجلاء الآن حيث يؤدى إلى التجزئة وإلى العمل بمقتضى أساس معاهدة ١٦ الممقوتة؛ وأن الأهلين ولا خلاف يعدون هذا التغيير فى الحالة وها أنكم قد اشتركتم فخامتكم معنا فى رد تلك المذكرة وعدم الاعتراف بمضمونها ، خلاف له الجلاء التى تفترض على تنفيذها وعلى الأساس الذى بنيت عليه لأنه ينظر فيها إلى معاهدة ١٦ الممقوتة والمؤدية إلى تجزئة البلاد ولأن الأهالى يعدون هذا التغيير الجديد تحاملا عليهم وشروعاً فيما يخوفونه وينكرونه بأجمعهم من تقسيم وطنهم الذى لا يمكن أن يكون إلا قضاء مدمرا على حياتهم السياسية والاقتصادية والإدارية وإنى أؤكد لفخامتكم أن هذا الجلاء بهذه الصورة يضر بمصلحة فرنسا نفسها لأنه يكون سلاحاً بيد المرجفين ضدها وإن أصرت عليه إيثاراً لمنفعتها الذاتية من غير أن تراعى فى ذلك أية مصلحة لأبناء الوطن .

٣ — إن ذلك الجلاء المذكور يؤدى بحكم الطبع إلى تقسيم البلاد إلى إدارات مختلفة لا رابطة بينها تستقل كل واحدة منها عن الأخرى وترتبط بمرجع آخر ولا يخفى ما فى ذلك من التشويش والأضرار الجمة التى توجد التضارب فى المصالح والنفوذ وشكل الإدارة وبالتالى تقضى إلى هلاك الشعب وبواره، وذلك من أجل ما أجل الجمهورية الإفرنسية المعظمة عن الرضى به والنزول عند حكمه بعد الذى كان من اجتناب تلك المشاكل التى لاداعى لها بفضل ارتباط الجميع بمرجع واحد ،وجعل جميع أعمال الإدارة على نمط معلوم أو متقارب فى الأقل بحيث لايخل بالوحدة ولا بمصلحة البلاد .

٤ — إنى أؤكد لفخامة الوزير الخطير أن فى تنفيذ هذا الجلاء القريب خطراً حقيقياً على البلاد لأن الأهلين لايمكن أن يقنعهم أحد أو ترضيهم حجة بأن ذلك الجلاء لايكون توطئة لتقسيم استعمارى إن لم يكن شروعاً فيه بالفعل فيدفعهم اليأس إلى المجازفة بأرواحهم وبكل ما يملكون من غال ورخيص للدفاع عن وحدتهم التى لابد لهم منها وتروج بينهم أقوال الدساسين الذين يزعمون أن الإسلام مقصود بالذات وأن مكافأة العرب على جهادهم فى صفوف الحلفاء لم يكن غير الحكم عليهم بالإعدام ، وإننا لنلمح بوادر ذلك الخطر فى الأناضول ونسأل الله والحلفاء أن يساعدونا على منع وقوعه وانتشاره .

ذلك ما أريد بيانه لفخامتكم ولى ملء الثقة أن تنظروا إلى ما انطوى عليه من الصدق والإخلاص بما جبلتم عليه من إيثار الحق والعدل وأن تثقوا أنه لا مأرب لى ولا غاية إلا رعاية المصلحة المشتركة فيما بين العرب والحلفاء والتعاون على بث الأمن والسلام فى بلادى المنكودة الحظ التى عانت من أهوال الحرب ورزاياها ما يستوجب الاتصال والرحمة وأن تبادروا إلى إجابة ما اقترحته من تأليف لجنة مختلطة تنظر فى أمر الجلاء من جميع وجوهه الإدارية والعسكرية دفعاً كما سبق لى بيانه من المحاذير .

وتفضلوا ياصاحب الفخامة بقبول فائق تحياتى واحترامى . .

ملحق رقم-٥

رسالة بعث بها كلمنصو إلى فيصل فى ٢ نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١٩ كرد على رسالة فيصل .

« من مجموعة أوراق عونى عبد الهادى »

باريز ٢ نوفمبر ١٩١٩ رئاسة الوزارة

الوزير

ياصاحب السمو :

أردتم أن تشيروا إلى فى كتابكم المؤرخ فى ٢٥ أكتوبر الماضى إلى الاضطراب الذى أحدثه فى نفسكم القرار الصادر من المؤتمر فى ١٥ سبتمبر بشأن انسحاب الجيوش الإنجليزية من سوريا وكليكية واستبدالها بجيوش إفرنسية .

ولقد خشيتم أن يكون فى تطبيق هذا القرار ما يحمل السوريين والعرب على الاعتقاد بأنه بمثابة تقسيم لسوريا ويؤدى إلى القلاقل التى تريدون أن تلقوا مسئوليتها على عاتقكم .

فإطناباً لذلك تقترحون سموكم أيضا تأليف لجنة يعهد إليها درس طرق انسحاب الجيوش الإنجليزية وإيجاد إدارة مؤقتة تصون وحدة البلاد وتحفظ النظام بين المناطق المختلفة المحتلة وتوطد حقوق الأهالى .

وقد نظرت إلى رأيكم هذا بعين الانعطاف وأريد أن أطرح لكم بصفة عامة أن الحكومة الفرنساوية لم تزل ترغب بكل إخلاص فى توطيد دعائم الحكم الحر المؤدى إلى الرقى والنظام فى سوريا وفى العراق وفى سائر بلاد الشرق التى تحررت طبقاً لمبادئ سياستها الحرة التى هى ذات مبادئ مؤتمر السلام .

إنى قانع بأن الثقة المؤسسة بين العرب وحلفائكم فى إبان الحرب التى اشتركوا فيها معاً تساعد على توطيد علاقاتهم طبقاً لتقاليد الأهالى ورغائبهم وارتباط مصالحهم .

فالحكومتان الفرنساوية والإنجليزية ستبقيان مرتبطتين ارتباطاً شديداً فى السلم كما كانتا فى الحرب ، والمسألة التى تودون المناقشة فيها اليوم أقل ويظهر لى أنها للغالبية : إذ لاينطوى هذا الموضوع فى الحقيقة إلا على أمور لا مساس لها بالحقوق فلا الشروط السياسية فى سورية ولا حدودها الحاضرة ، مما يجرى البحث فيه . فثقتكم وقلق الأهالى الذى تحسون به هو بالنتيجة يسهل دفعه . فى المناطق التى ستحتلها الجيوش الفرنساوية بدلاً من الجيوش الإنجليزية أنا قانع بأن رؤساء جيوشنا قادرون على تطمين الأهالى وحفظ النظام وعليكم بما لديكم من السلطة العليا أن تفعلوا مثل ذلك فى الشام وحلب ، وإنى مستعد لأن آتيكم عند أول طلب يصدر منكم لمساعدتكم فى صون النظام إذا أخل بإغراء المحرضين الذين لايقدرون إلا على تعريض منافع العرب للضرر وتقليل الثقة التى يرغب مؤتمر السلم أن يمنحها لهم .

فالنظر فى هذه الأمور نظراً بسيطاً يظهر لكم أن ليس فى تعيين هذه اللجنة اليوم ألا تشوبكم للحالة الخطرة فضلا عن كونه مخالفاً لقرار المجلس الأعلى .

فى ١٥ سبتمبر الماضى أعلن المستر لويد جورج للمؤتمر بأن ضرورة تسريح الجيوش أجبرته على سحب الجيوش البريطانية من كيليكية وسوريا ، وقد طلبوا استبدالها بجيوش فرنساوية وقد وافق المجلس الأعلى على ذلك وأخذ علماً بالاحتياطات التى اتخذها رئيس الوزارة الفرنساوية بشأن سائر التفرعات التى انطوت عليها مذكرة المستر لويد جورج وصرح بأن هذا التدبير العسكرى ليس له إلا صفة مؤقتة ولايعتبر مقدمة لحل المسائل الشرقية بأسرها .

وبموجب هذه الشروط أعطيت جميع هذه الضمانات للمستقبل : فالمسألة السياسية محفوظة تمام الحفظ والإدارة المحلية لم تتغير ولم يتخذ أى قرار عن الحدود ، فجميع المنافع التى لكم الحق الأوفر أن تعنوا بها لاتزال منوطة بقرارات مؤتمر السلم . فتعيين لجنة لدرس طرق الانسحاب وتغيير الإدارة الحاضرة فى البلاد فضلا عن كونه لافائدة منه. فهو مخالف لقرارات المجلس الأعلى ، هذا ؛ وإنى مستعد تماماً للنظر معكم فى كل ما يشغلكم من شئون المستقبل مع الأخذ بنظر الاعتبار إلى مصالحنا المشتركة .

وتقبلوا يا صاحب السمو أطيب تمنياتى ،،،

ملحق رقم ـ ٦

نظام اللجنة الوطنية العليا

المادة الأولى :

تتألف اللجنة الوطنية العليا من سبعة وعشرين عضواً انتخبهم مساء الأربعاء خامس (تشرين الثانى) سنة ١٩١٩ ثمانية وأربعون ذاتا يمثل كل واحد منهم حيا من أحياء العاصمة السورية الثمانية والأربعين . وكل واحد من هؤلاء انتخبه مساء السبت أول (تشرين الثانى) سنة ١٩١٩ أربعة مندوبين عن حيه . وهذه الأربعات منتخبة انتخاباً قانونيا عن أحيائها فى اجتماعات محلية عامة اشترك فيها جميع سكان الأحياء المذكورة بصورة علنية .

المادة الثانية :

غاية الأمة من انتخاب هذه اللجنة الوطنية العليا بالصورة المتقدمة هى :

١ ــ اتخاذ كل الوسائل لحفظ وحدة البلاد السورية ، والذود عن استقلالها التام ، ومقاومة كل مبدأ يرمى إلى تأسيس قومية غريبة تهدد كيان البلاد السياسى والوحدة السورية .

٢ ــ تنمية كل قوى البلاد المادية والمعنوية ، وتنظيم تلك القوى ، وحسن الاستفادة منها فى سبيل الغاية المشار إليها .

٣ ــ انعاش روح القومية العربية .

٤ ــ توثيق روابط التضامن والتعاون فيما بين الأفراد والجماعات والطوائف .

٥ ــ تعضيد المساعى العلمية والفكرية والاقتصادية .

٦ ــ وبالجملة التوصل بكل مامن شأنه إيصال هذه الأمة إلى مصاف الأمم المتحدة .

المادة الثالثة :

كل فرد من أفراد الأمة مرتبط باللجنة الوطنية العليا ارتباطاً قانونياً بمقتضى المصلحة الوطنية ، لأن الأمة لم تجمع على شيء إجماعها على هذا العمل الذى اشتركت فيه مباشرة ، وعينت مقاصده إجمالا ، وانتخبت القائمين به بكل اهتمام وانتظام . ومن نتائج هذا الارتباط القانونى بين اللجنة العليا وأفراد الأمة أن كل فرد من أفراد الأمة داخل فى عداد ناخبي اللجنة العليا ومؤيد لها ضمن دائرة غاياتها المعينة فى المادة الثانية .

المادة الرابعة :

تعد الجلسات قانونية إذا انعقدت من أربعة عشر عضواً من منتخبي الأحياء .

المادة الخامسة :

ليس للجنة العليا رئيس دائم ، بل ينتخب لكل جلسة رئيس بأكثرية أصوات الأعضاء الموجودين فى تلك الجلسة .

المادة السادسة :

ينتخب من أعضاء اللجنة العليا كاتب يدون قراراتها ، ويضبط جلساتها ويعلن ما يتقرر إعلانه ، ويبلغ القرارات لمن يعهد إليه بتنفيذها ، ويتولى المخابرة باسم اللجنة العليا فيما يتقرر المراسلة ، ويدعو اللجنة العليا إلى الاجتماع فى الأحوال الطارئة .

المادة السابعة :

يعين بقرار من اللجنة العليا محاسب لها إما من اعضاء اللجنة العليا أو من غيرهم ، ويرتب له راتب تلقاء عمله ، ويعهد إليه تنظيم دفاتر اللجنة وشئونها الكتابية وضبط حساباتها ، ويكون قيما على نادى اللجنة الوطنية ، ويشترط فيه أن يكون ممن يوثق بأمانته وكفاءته .

المادة الثامنة :

ينتخب من أعضاء اللجنة العليا خازن يقبض وارداتها بوصولات موقع عليها منه ومن المحاسب ، ولا يصرف شيء من صندوقها إلا بقرار منها يبلغه الكاتب للمحاسب ويشترك معه فى إمضاء قسيمة الصرف ، وعلى اللجنة العليا انتداب من ينظر فى موجود الصندوق ويطبقه على نتيجة الخلاصة المذكورة .

المادة التاسعة :-

تتكون مالية اللجنة العليا من تبرعات أهل الأريحية صفقة أو مشاهرة سواء كانوا من المنتخبين أو من غيرهم ، ومما تقوم به اللجنة من الأعمال التى ترى فيها مورداً من طريق مشروع ، ومما يرد عليها من صناديق الفروع .

المادة العاشرة :

يتجدد فى كل ستة أشهر انتخاب أعضاء اللجنة العليا المنسوبين إلى أربعة فقط من أثمان العاصمة ، ويكون تجديد انتخابهم من جانب ممثلى الأحياء الداخلة فى أثمانهم ، كما جرى فى انتخاب مساء الأربعاء ٥ تشرين الثانى سنة ١٩١٩ وتتعين هذه الأثمان الأربعة بالقرعة لأول مرة فقط ، ثم يكون تجديد النصف الآخر بالتناوب ويجوز أن ينتخب العضو القديم مرة أخرى .

المادة الحادية عشرة :

لما كانت غاية اللجنة المذكورة فى المادة الثانية من هذا النظام واسعة الأطراف تستدعى جهداً عظيماً وعملا جسيماً وتقتضى اشتراك كل العاملين من رجال الأمة للوصول إليها ، ، فمن المناسب الاستعانة بمن يأتى :

١ ــ انضمام مندوبين اثنين من كل حزب من الأحزاب السياسية السورية المتفقة غايتها مع غاية الأمة المبينة فى المادة الثانية .

٢ ــ تأليف لجنة استشارية من أعيان البلاد وأهل الزعامة فيها ، ومن الأفاضل المشهود لهم بالعلم وسعة المدارك .

٣ ــ تأليف لجنة عاملة من الشبان المتعلمين النشيطين يستعان بها تنفيذ ما تودعه إليها اللجنة العليا من القرارات .

٤ ــ للجنة العليا أن تستعين فى تنفيذ قراراتها بلجان مؤقتة تؤلف حسب الاحتياج .

المادة الثانية عشرة :

تنعقد جلسات اللجنة العليا فى الظروف الحاضرة ثلاث ليال فى الأسبوع ويدعوها الكاتب إلى الاجتماع فى غير الليالى المعينة إذا دعت إلى ذلك أسباب طارئة .

المادة الثالثة عشرة :

تنعقد جلسات ممثلى الأحياء الثمانية والأربعين مرة فى كل أسبوع فى الظروف الحاضرة ، فتعرض عليهم اللجنة العليا ما ترى عرضه من الأمور المهمة ، وتأخذ رأيهم فيها وتسمع اقتراحاتهم التى لها مساس بغاية الجمعية .

المادة الرابعة عشرة :

تنعقد جلسات الأربعات المندوبة عن الأحياء مرة فى كل أسبوعين فى الظروف الحاضرة ويتداول فيها بما ذكر فى المادة السابقة .

المادة الخامسة عشرة :

تعتبر اللجان المنتخبة من الأحياء لإدارة الحركة الوطنية الحاضرة فروعاً للجنة العليا ، ويوضع لها نظام واحد تسير عليه كلها . وستؤسس اللجنة العليا فروعاً أخرى فى كل البلاد السورية . وإذا اقتضت الحال تعقد اللجنة العليا مؤتمراً تدعو فروعها إلى انتداب مندوبين يحضرون جلساته بالنيابة عنها .

المادة السادسة عشرة :

يعرض هذا النظام على الثمانية والأربعين من ممثلى الأحياء فى أول جلسة عامة لهم ليصادقوا عليه . ويجوز للجنة العليا تفسير هذه المواد بقرارات لاتعارضها ، وإذا اقتضى تعديل القانون أو نسخ مادة منه أو زيادة مادة عليه يعرض ذلك عليهم أيضاً ليصادقوا عليه .

ملحق رقم-٧

القانون الأساسي للمملكة السورية
وضعه المؤتمر السورى العام الذى انعقد فى دمشق
سنة ١٣٣٨ هـ ١٩٢٠ ميلادية

الفصل الأول
فى المواد العامة

١ ـ إن حكومة المملكة السورية العربية حكومة ملكية مدنية نيابية عاصمتها دمشق الشام ودين ملكها الإسلام .

٢ ـ المملكة السورية تتألف من مقاطعات ذات وحدة سياسية لاتقبل التجزئة .

٣ ـ اللغة الرسمية فى جميع المملكة السورية اللغة العربية .

الفصل الثانى
فى الملك وحقوقه

٤ ـ ينحصر ملك المملكة السورية فى الأكبر فالأكبر من أبناء الملك فيصل الأول ، متسلسلا على هذه القاعدة وإن لم يكن لأحدهم ابن يكون الملك للأكبر من أقرب عصابته الذكور وإن لم يبق من صلب الملك فيصل الأول ولد ذكر ينتخب المؤتمر مجتمعاً بموافقة ثلثى أعضائه ملكاً لسورية من سلالة الملك حسين الأول ملك الحجاز ويكون إرث الملك فى ذريته على ما تقرر فى ذرية فيصل الأول .

٥ ـ يجلس الملك على سرير الملك عندما يتم السنة الثامنة عشرة من عمره فإذا انتقل إلى من هو دون السن ينتخب المؤتمر بالأكثرية المطلقة

نائباً له يدير المملكة باسم الملك ويشترط أن يكون النائب من صنف الجند وعلى نائب الملك أن يقسم يمين الاحترام للشرائع الإلهية والأمانة للأمة والملك والمراعاة للقانون الأساسى .

٦ ـ على الملك حين جلوسه أن يقسم أمام المؤتمر يميناً باحترام الشرائع الإلهية وبالأمانة للأمة وبمراعاة القانون الأساسي .

٧ ـ الملك محترم وغير مسئول .

٨ ـ الملك هو القائد العام وهو يعلن الحرب ويعقد الصلح والمعاهدات على أن يعرض ذلك على المؤتمر ليصدق عليه . ولا تكون المعاهدات نافذة إلا بعد التصديق عليها وله أن يعلن العفو العام بعد موافقة المؤتمر وهو يعين رئيس الوزراء ويصدق على تأليف الوزارة ويقبل استقالتها ويرسل السفراء إلى الدول ويقبل سفراءها ويصدق على القوانين والنظم ويعفو عفواً خاصاً ويخفف الجزاء عن المحكومين ويفتتح المؤتمر ويفضه بموجب المادة وله أن يدعوه فى غير أوقاته العادية ويمدد أمد اجتماعه عند الضرورة ويحل المجلس النيابى بموجب المادة وتضرب النقود باسمه ويمنح الأوسمة ويوجه الرتب العسكرية والمناصب الملكية بموجب قوانينها الخاصة .

الفصل الثالث

فى حقوق الأفراد والجماعات

٩ ـ يطلق لقب سورى على كل فرد من أهل المملكة السورية العربية ويسوغ الحصول على الجنسية السورية وفقدانها بحسب الأحوال التى يعينها قانون التابعية .

١٠ ـ السوريون متساوون أمام القانون فى الحقوق والواجبات .

١١ ـ الحرية الشخصية مصونة من كل تعد ولايجوز توقيف أحد إلا بالأسباب والأوجه التى يعينها القانون .

١٢ — لايجوز التعذيب وإيقاع الأذى على أحد بسبب ما .

١٣ — لايجوز التعرض لحرية المعتقدات والديانات ولا منع الحفلات الدينية لطائفة من الطوائف على أن لاتخل بالأمن العام أو تمس بشعائر الأديان والمذاهب الأخرى .

١٤ — كيفية إدارة المحاكم الشرعية والمجالس الطائفية التي تنظر بحسب شرائعها في الأحوال الشخصية المذهبية وكيفية إدارة الأوقاف العامة تعين بقوانين تصدر من المؤتمر .

١٥ — للأهالي أن يرفعوا شكاويهم الخطية العامة والخاصة منفردين ومجتمعين إلى المراجع الرسمية والمجالس النيابية .

١٦ — تأليف الجمعيات وعقد الاجتماعات وتأسيس الشركات حر في ضمن قوانينها الخاصة التي يسنها المؤتمر .

١٧ — جميع المساكن مصونة من التعدي ولايجوز دخولها إلا في الأحوال التي تعينها القوانين .

١٨ — أموال الأفراد والأشخاص الحكومية في ضمان القانون فلا يجوز للحكومة نزع ملكية مالك إلا للمنافع العامة بعد دفع التعويض وفقاً لقوانينه الخاصة .

١٩ — المطبوعات حرة في ضمن دائرة القانون ولايجوز تفتيشها ومعاينتها قبل الطبع .

٢٠ — يجب أن يكون أساس التعليم والتربية في المدارس الرسمية والخصوصية واحداً على أساس المبادئ الوطنية في جميع المقاطعات السورية .

٢١ — التعليم الابتدائي إجباري وفي المدارس الرسمية مجاني .

٢٢ — تأسيس المدارس الخصوصية حر في ضمن قانونها الخاص الذي يسنه المؤتمر .

٢٣ — لايجوز إجبار أحد على دفع شيء من المال باسم ضريبة أو رسم أو إعانة أو غير ذلك إلا بالاستناد إلى مادة قانونية .

٢٤ — السخرة والمصادرة ممنوعتان .

٢٥ — لاتجوز محاكمة أحد إلا فى المحاكم التى يعينها القانون .

٢٦ — النفى الإدارى ممنوع بتاتاً .

الفصل الرابع
فى الحكومة السورية العامة

٢٧ — الحكومة العامة للمقاطعات السورية تتألف من هيئة الوزارة وهى مسئولة عن أعمالها أمام المجلس النيابى العام .

٢٨ — رئيس الوزراء ينتخب الوزراء ويعرض أسماءهم على الملك .

٢٩ — على كل وزارة أن تبين خطتها للمجلس النيابى العام لدى تأليفها .

٣٠ — كل وزير مسئول عن وزارته تجاه المجلس النيابى العام .

٣١ — لاينشر قانون ولا قرار ما لم يكن موقعاً عليه من رئيس الوزارة والوزير الذى يعود إليه تنفيذ ذلك ومصدقاً عليه من قبل الملك .

٣٢ — يجب أن تكون أوامر الملك موقعة من رئيس الوزراء والوزير الذى يعود إليه تنفيذ الأمر .

٣٣ — لايجوز دخول أحد من الأسرة المالكة فى هيئة الوزارة .

٣٤ — الجندية والقوى البحرية والخارجية وإدارة البرق والبريد والجمارك والتليفونات العامة بين المقاطعات وسكك الحديد والمرافق والمنائر البحرية والمناجم وضرب النقود وإصدار الطوابع والأوراق المالية وتأسيس المصرف الرسمى وصنع الأسلحة والأدوات الحربية والانفجارية وإنشاء الطرق العامة كل ذلك من خصائص الحكومة العامة .

٣٥ — على الحكومة العامة تأسيس مدارس كلية العلوم والفنون العالية وهى تقوم بإدارتها ونفقاتها ولها حق الإشراف على وحدة أساس التعليم والتربية فى جميع أنحاء المملكة .

٣٦ ـ الحكومة العامة توحد الأوزان والمقاييس وأسعار النقود على الطريقة العشرية وتحدد أسعار النقود الأجنبية فى جميع أنحاء المملكة .

٣٧ ـ الواردات التى تخصص للميزانية العامة هى الريع المتحصل من أجور أثمان أراضى الخزينة العامة وأملاكها وواردات الأجم العامة والجمارك والتليفونات العامة والبرق والبريد ومصرف ورسوم الإبل والغنم والانحصارات والامتيازات والمواد الكحولية والمناجم والمرافئ والمنائر البحرية والدمغة والحجر الصحرى العام والسفن البحرية والصيد البحرى وواردات المواد الانفجارية وريع السكك الحديدية ماعدا السكة الحجازية وفروعها هى من الأوقاف الإسلامية .

٣٨ ـ لايجوز للحكومة العامة أن تبيع أو تؤجر أراضى الخزينة العامة إلا بقانون خاص تراعى فيه منفعة زراعها أولا ومنفعة مقاطعتها ثانياً .

٣٩ ـ إذا باغت المملكة أخطار أو أمور تخل بالأمن العام فى أثناء عطلة المؤتمر وضاق وقت تلافيها عن استدعائه لأجل وضع ما تقتضيه الحال من القوانين فلهيئة الوزارة أن تضع المقررات اللازمة وتنفذها بحكم قانون يصدق عليه من الملك على أن تعرضها على المؤتمر فى أول اجتماعه .

٤٠ ـ إذا ظهر فى أحد أنحاء المملكة ثورة أودخلت الحكومة فى حرب أوأعلنت النفير العام فللحكومة العامة أن تعلن الأحكام العرفية موقتاً بموجب قانونها الخاص الذى يصدر من المؤتمر على شرط أن تكون الإدارة العرفية فى حال ظهور الثورة مقتصرة على المنطقة التى تظهر فيها .

٤١ ـ يحق لكل وزير من الوزارة أن يحضر مذاكرات كل من مجلسى الشيوخ والنواب متى أراد حق التقدم بالكلام .

٤٢ ـ على كل وزير من الوزارة أن يجيب دعوة كل من مجلسى الشيوخ والنواب وأن يبين هو بنفسه أو من ينيبه عنه من المعلومات فى أى مادة من المواد العائدة إلى وزارته .

٤٣ – إذا دعى أحد الوزراء إلى المجلس النيابى للاستيضاح منه عن قضية ولم ينل اعتماد الأكثرية فى أثر الاستيضاح يسقط من الوزارة وإذا سقط رئيس الوزارة تسقط معه الوزارة وللوزير أو الوزارة أن تطلب تأخير الجواب على مسئوليتها .

٤٤ – إذا رفع تقرير من خمسة نواب فأكثر فى شأن هيئة الوزارة أو أحدهم عن عمل يوجب المسئولية ووافقت أكثرية المجلس على إجراء التحقيق فى ذلك فإن المجلس يحول ذلك التقرير بالقرعة إلى إحدى شعبه ، وهذه تجرى التحقيق وتستدعى الوزارة أو الوزير وتستوضح منهم عما ينبغى ثم تقدم قرارها إلى المجلس فإذا وافق ثلثا الأكثرية على وجوب المحاكمة تحال إلى المحكمة العليا وتعين أصول المحاكمة بقانون مخصوص .

٤٥ – متى تقرر فى المجلس النيابى وجوب محاكمة هيئة الوزراء أو أحدهم يسقط من الوزارة .

٤٦ – لافرق بين الوزير وغيره فى الجرائم العادية والحقوق الشخصية والتضمينات المالية فتجرى محاكمة فى هذه الأمور فى المحاكم العامة .

الفصل الخامس
فى المؤتمر

٤٧ – يتألف المؤتمر من مجلسى الشيوخ والنواب .

٤٨ – يجتمع المؤتمر فى أول شهر أيلول من كل سنة ومدة اجتماعه أربعة أشهر ويجوز تمديد أمده ودعوته فى غير وقته المعين عند الضرورة .

٤٩ – يفتتح الملك المؤتمر بخطاب ملكى يتضمن جميع الحوادث السياسية والإدارية المهمة التى حصلت فى أثناء العطلة السنوية وما يجب إجراؤه فى السنة القادمة وذلك بحضور الهيئة العامة والوزارة معاً .

٥٠ – يسن كل من مجلسى الشيوخ والنواب نظاماً خاصاً لإدارته ومذكراته الداخلية وينتخب كل سنة من أعضائه الرئيس الأول ونائبيه والكتاب وهيئة الإدارة بمقتضى ذلك النظام .

٥١ — كل من مجلسى الشيوخ والنواب يدقق النظر فى مضابط أعضائه الانتخابية وفى قبول استقالتهم وفى إسقاط من تثبت عليه أسباب الإسقاط القانونية .

٥٢ — مذاكرات كل من المجلسين علنية ويجوز جعل الجلسة سرية إذا اقترح ذلك عشرة من الأعضاء أو طلبتها الوزارة ووافقت أكثرية المجلس عليها .

٥٣ — إن أعضاء كل من المجلسين أحرار فيما يبدونه من الأفكار والمطالعات فى المجلس ولايتوجه على أحد منهم أية مسئولية من إجراء ذلك على شرط أن لايخالفوا نظام المجلس الداخلى .

٥٤ — لايجوز البدء بالمذكرات فى أحد المجلسين ما لم يكن أكثر من نصف أعضائه حاضراً وتتخذ القرارات بأكثرية أصوات حاضرى الجلسة إلا فى المسائل المشروط فيها موافقة الثلثين .

٥٥ — آراء الأعضاء فى اتخاذ القرارات تكون بتعيين الأسامى أو بإشارة مخصوصة أو بالرأى الخفى ويشترط فى الأخير موافقة الأكثرية .

٥٦ — إذا عزى إلى أحد الشيوخ والنواب خيانة وطنية ووافق ثلثا أعضاء مجلسه على لزوم محاكمته فإنه يحال إلى المحكمة العليا .

٥٧ — لايجوز توقيف أحد الشيوخ أو النواب ولا محاكمته بسبب جرم من الجرائم العادية فى مدة اجتماع المجلس إلا بموافقة ثلثى أعضاء مجلسه ويستثنى من ذلك الجرائم المشهورة ولابد فى مثل هذه الحال من إخبار المجلس المنسوب إليه العضو وحالا .

٥٨ — لايجوز لأحد من الشيوخ أو النواب عقد المقاولات مع الحكومة العامة ولا الحكومة المحلية ولا البلديات ولا الدخول فى الالتزامات ولا أخذ أى نوع من الامتيازات لنفسه ولا بالاشتراك مع غيره .

٥٩ — لكل من الشيوخ والنواب والوزراء حق اقتراح لوائح القوانين التى يراد وضعها وحق اقتراح تعديل القوانين الموجودة . والقوانين المقترح وضعها

أو تعديلها تنظر أولا فى مجلس النواب ثم فى مجلس الشيوخ .

٦٠ — القوانين المدنية والجزائية والتجارية والبحرية والقوانين المتعلقة بالصحة العامة والتأليف والاختراع والمطبوعات والتعليم الرسمى والخصوصى والجمعيات والاجتماعات والشركات والمهاجرة والتأمين والتابعة ووحدة المكاييل والمقاييس والموازين والنقود وقوانين العمال والقوانين التى تتعلق بالأمور الخاصة بالحكومة العامة تصدر من المؤتمر وتكون نافذة الحكم فى جميع المقاطعات .

٦١ — إذا تقرر فى مجلس النواب قانون من القوانين وأرسل إلى مجلس الشيوخ فعدله وأرجعه إلى مجلس النواب وأصر هذا على رأيه الأول ولم يتحول مجلس الشيوخ عن قراره يعاد القانون ثانية إلى مجلس النواب فإذا أصر هذا على رفض التعديل تؤلف لجنة متساوية العدد من المجلسين لإزالة الخلاف فإذا لم يمكن فقرار المجلس النيابى هو النافذ على شرط أن يكون هذا القرار بموافقة ثلثيه ، وأما قانون الميزانية السنوية فليس لمجلس الشيوخ أن يعيده إلا مرة واحدة فإذا أصر مجلس النواب على رأيه الأول فقراره هو النافذ .

٦٢ — لايجوز تنقيح القانون الأساسى إلا إذا اتفق على وجوبه ثلثا كل من المجلسين وحينئذ يجتمع المجلسان فى هيئة عامة ويقرران بالأكثرية المطلقة ما يرونه من التنقيح .

٦٣ — إن القوانين التى تقرر فى مجلسى النواب والشيوخ وترفع إلى الملك للتصديق نافذة ، وإلا أعيدت إلى مجلس النواب مصحوبة ببيان الأسباب الموجبة للنظر فيها مرة أخرى وأما القوانين التى أعطى القرار بكونها مستعجلة فمدة التصديق عليها وإعادتها أسبوع واحد . وإذا أعيدت القوانين نظر مجلسا النواب والشيوخ فيها مرة أخرى وبعد المذاكرة الثانية يصدق عليها الملك ويأمر بإجرائها خلال المدة المعينة .

٦٤ — لا يحق لأحد الكلام فى المجلسين من غير أعضائهما إلا للوزراء أو من ينيبونه عنهم .

مجلس الشيوخ

٦٥ - ينتخب المجلس النيابي في كل مقاطعة أعضاء لمجلس الشيوخ بنسبة ربع نوابها في المجلس النيابي العام ويعين الملك عدداً مساوياً لنصف عدد الأعضاء المنتخبين .

٦٦ - إذا كان عدد نواب المقاطعة في المجلس النيابي العام غير قابل للتربيع يجبر ثم يتعين العدد الذي يجب انتخابه من قبل مجلس نواب المقاطعة بعد الجبر ، وكذلك إذا كان عدد الأعضاء المنتخبين لمجلس الشيوخ من المقاطعات غير قابل للتنصيف يجبر ثم يتعين العدد الذي يعينه الملك بعد الجبر .

٦٧ - الأعضاء المنتخبون لمجلس الشيوخ من الأقلية يكونون بنسبة ربع نوابها عن جميع المملكة في المجلس النيابي العام ويفرزون من مجموع العدد الذي يخص كل مقاطعة . ويسن المؤتمر قانوناً خاصاً يبين فيه كيفية انتخابه شيوخ الأقلية وعددهم بالنسبة إلى المقاطعات . وكذلك تراعى النسبة فيما يعينه الملك .

٦٨ - مدة عضوية مجلس الشيوخ تسع سنوات ويتجدد ثلث الأعضاء في كل ثلاث سنين ويكون تجديد الثلثين الأول والثاني في السنوات الست الأولى بالاقتراع على أن يدخل الثلث المجدد الأول في القرعة الثانية وبعد ذلك يتجدد الأعضاء الذين يتممون مدتهم القانونية ويجوز إعادة العضو المنقضية مدته أو الذي وقعت عليه القرعة .

٦٩ - إذا وقعت القرعة على المعينين يعين بدلهم من قبل الملك وإذا وقعت على المنتخبين بدلهم من قبل مجالس مقاطعتهم .

٧٠ - لاتجتمع عضوية الشيوخ مع وظيفة أخرى في شخص واحد إلا في الوزارة .

٧١ - يجب مراعاة الأوصاف الآتية في أعضاء مجلس الشيوخ :

(ا) أن يكون العضو سورياً متمما سن الأربعين ، غير محكوم عليه بجنحة، وغير مفلس لم يعد اعتباره ، وغير ساقط من حقوق المدنية .

(ب) أن يكون ممن سبقت لهم الخدمة فى الوظائف العالية إدارية كانت أو عسكرية أو سياسية أو قضائية أو من النواب الذين تكرر انتخابهم أو ممن اشتهروا بسعة العلم والفضيلة .

٧٢ — إذا مات أحد الشيوخ أو استقال أو سقط من عضوية المجلس وكان من المنتخبين ينتخب مجلس مقاطعته بدلاً منه وإذا كان معيناً يعين الملك بدله وتكون مدة العضو الجديد توفية لمدة سلفه .

مجلس النواب

٧٣ — ينتخب أعضاء مجلس النواب بالرأى الخفى على درجتين .

٧٤ — الانتخابات النيابية العامة للمجلس النيابى تجرى فى كل أربع سنين مرة ويبتدأ بها من أول شهر حزيران وتنتهى فى نصف شهر أغستوس .

٧٥ — مدة النيابة أربع سنوات ويجوز تجديد انتخاب النائب المنقضية مدته .

٧٦ — تبقى نيابة النائب معتبرة إلى أن تتم الانتخابات الجديدة بموجب المادة .

٧٧ — الانتخابات حرة لايجوز للحكومة أن تتدخل فيها أو تتصدى لها .

٧٨ — لكل سورى أتم العشرين من سنه ولم يكن ساقطاً من حقوقه المدنية حق فى أن يكون ناخباً أول ويكون لحائز شهادة المدارس العالية منهم رأيان وكل سورى أتم الخامسة والعشرين من سنه ولم يكن فاقداً حقوقه المدنية ولا محكوماً عليه بسجن شهر فأكثر يجوز أن يكون ناخباً ثانياً ويشترط أن يكون الناخب الثانى ممن يحسنون الكتابة والقراءة وأن لايكون موظفاً ولا ضابطاً ولا خادماً خاصاً .

٧٩ — كل سورى أتم الثلاثين من سنه ولم يكن فاقداً حقوقه المدنية ولا مفلساً

لم يعد إليه اعتباره محكوماً عليه بجنحة يجوز انتخابه للنيابة .

٨٠ — لايشترك فى الانتخاب الجنود الموجودون فى الخدمة الفعلية . وأما المأذون منهم فى دائرته الانتخابية فيشترك بها .

٨١ — لا يجوز ترشيح الموظف ولا انتخابه للنيابة عن الدائرة الموظف هو فيها إلا إذا استقال قبل البدء بعاملة الانتخابات بشهرين على الأقل .

٨٢ — لايجوز للضباط ولا أمراء الجيش وأركانه الموجودين فى الخدمة الفعلية أن ينتخبوا ولا أن ينتخبوا للنيابة إلا إذا استقالوا من سلك الجندية قبل البدء بمعاملة الانتخاب .

٨٣ — لاتجتمع النيابة والوظيفة فى شخص واحد إلا فى الوزارة .

٨٤ — لاتجتمع النيابة وعضوية الشيوخ فى شخص واحد .

٨٥ — كل نائب يعتبر ممثلا للسوريين .

٨٦ — ينتخب نائب واحد عن كل أربعين ألفاً من السكان السوريين والكسر المعتبر فى ما دون النصاب عشرون ألفاً .

٨٧ — كل مديرية تعد دائرة انتخابية ؛ فالمديرية التى لايبلغ عدد سكانها أربعين ألفاً ولاينقص عن عشرين ألفاً تنتخب نائباً واحداً وأما المديرية التى يقل عدد سكانها عن عشرين ألفاً فتضم إلى أقرب مديرية لها .

٨٨ — تعتبر كل مقاطعة دائرة انتخابية واحدة بالنسبة إلى الأقليات ويكون النصاب لها ثلاثين ألفاً والكسر المعتبر فى ما دون النصاب خمسة عشر ألفا .

٨٩ — لكل مئتى ناخب أول أن ينتخبوا ثانياً والكسر المعتبر فيما دون النصاب مئة .

٩٠ — تقسم المديريات إلى مناطق انتخابية على أن لاينقص عدد الناخبين الأولين فى كل منطقة عن المئتين .

٩١ — يسن للانتخابات قانون خاص تبين فيه كيفية إجرائها كسائر المعاملات

المتفرعة عنها والقاعدة التى يجرى عليها انتخاب الأقلية .

٩٢ ــ إذا مات أحد النواب أو استقال أو سقط من النيابة فالناخبون الثانويون فى دائرته ينتخبون غيره وتكون مدة النائب الجديد توفية لمدة سلفه .

٩٣ ــ إذا اختلف مجلس النواب مع الوزارة ولم تنل اعتماده سقطت وإذا أصرت الوزارة الجديدة على رأى سلفها يحول الخلاف إلى مجلس الشيوخ فإذا أيد مجلس الشيوخ مجلس النواب أذعنت الوزارة وإن لم يؤيده فللملك أن يفض المجلس على أن يتجدد الانتخاب ويجتمع المجلس الجديد فى مدة ثلاثة أشهر فإذا أصر المجلس على قرار سلفه فقراره هو النافذ .

٩٤ ــ مدة المجلس الذى يتجدد انتخابه بموجب المادة الرابعة والتسعين هى أربع سنوات كاملة ماعدا الاجتماع الذى يعقده هذا المجلس على أثر انتخابه توفية لمدة الاجتماع السنوى الذى انفسخ فيه المجلس السابق .

٩٥ ــ لكل نائب أن يطلب تأليف لجنة من النواب لتحقيق حادثة من الحوادث المهمة التى تقع فى إحدى الوزارات أو الدوائر أو المقاطعات فإذا قبل الطلب بالأكثرية تؤلف اللجنة وتباشر عملها ثم ترفع نتائج تحقيقاتها إلى المجلس وليس لها أن تدخل فى . . . . . فى الأعمال التنفيذية .

الفصل السادس

فى المحكمة العليا

٩٦ ــ تتألف المحكمة العليا عند الحاجة بأمر الملك من ستة عشر عضواً نصفهم من الشيوخ ونصفهم من رؤساء محاكم التمييز وينتخبون من الهيئات المنسوبين إليها بالقرعة .

٩٧ — تنقسم المحكمة العليا إلى قسمين اتهامى يتألف من سبعة أعضاء أربعة من الشيوخ وثلاثة من التمييز والاستئناف ويكون انتخاب هؤلاء بالقرعة من بين الستة عشر عضواً؛ وحكمى يتألف من التسعة الباقين .

٩٨ — قرار الاتهام ينبغى أن يكون بموافقة خمسة من أعضاء القسم الاتهامى على الأقل وقرار الحكم بموافقة ستة من أعضاء القسم الحكمى على الأقل .

٩٩ — أحكام المحكمة العليا قطعية وتطبق معاملاتها وأحكامها على القوانين الموضوعة .

الفصل السابع

فى المالية

١٠٠— يجب على الحكومة أن تقدم فى كل عام ميزانيتها للسنة القابلة إلى مجلس النواب فى أوائل اجتماعه السنوى .

١٠١— الميزانية العامة قانون يبين فيه الدخل والخرج السنويان على وجه التقريب فى مواد مرتبة على فصول ويحتوى على مواد أخرى فى كيفية تنفيذها ويدقق النظر فى المواد القانونية فى المجلس مادة ويدقق النظر فى فصول الميزانية وتقبل فصلاً فصلا .

١٠٢— لايجوز للحكومة أن تتجاوز حدود الميزانية المصدق عليها إلا إذا طرأت أسباب اضطرارية مبرمة تقضى بإنفاق شىء خارج على الميزانية فى أثناء عطلة المجلس فيجوز للحكومة حينئذ تدبيره وإنفاقه بموجب قرار يصدق عليه الملك على أن يقدم ذلك القرار للمجلس النيابى حين انعقاده .

١٠٣— حكم كل ميزانية سنوية نافذة فى تلك السنة فقط وإذا فسح المجلس قبل التصديق على الميزانية فللحكومة العمل بحكم الميزانية السابقة بقرار يصدق عليه الملك إلى أن يجتمع المجلس .

١٠٤ـ على الحكومة أن تقدم للمجلس النيابى الحساب القطعى لكل سنة فى التى تليها ويتضمن هذا الحساب ما تحقق تحصيله من الدخل وما تحقق إنفاقه عن الخرج ويكون مرتباً بحسب مواد الميزانية وفصولها .

الفصل الثامن

فى ديوان المحاسبات

١٠٥ـ يتألف ديوان المحاسبات من رئيس وأربعة أعضاء تنتخبهم الحكومة ويصدق عليه مجلس النواب ثم ترفع أسماؤهم إلى الملك للتصديق على وظائفهم وتمتد وظائفهم إلى آخر حياتهم فلا يبدلون ولا يعزلون إلا بموافقة ثلثى الأعضاء الحاضرين فى جلسة النواب وموافقة الملك وإذا وقع منهم ما يستوجب محاكمتهم من جراء وظيفتهم فإنهم يحاكمون فى المحكمة العليا بموافقة ثلثى الأعضاء الحاضرين فى جلسة النواب أيضاً .

١٠٦ـ يدقق ديوان المحاسبات النظر فى حسابات الحكومة العامة السنوية وحسابات المحاسبين ويراقب تطبيق الميزانية العامة ويرفع فى كل عام إلى مجلس النواب عند افتتاحه تقريراً عامًّا يبين فيه نتيجة تدقيقه ومراقبته فى تلك السنة وكذلك يرفع إلى الحكومة العامة فى كل ثلاثة أشهر مرة تقريراً عن الأحوال المالية ويقدم إلى المجلس النيابى صور هذه التقارير .

١٠٧ـ تنظيم أقلام هذا الديوان وأوصاف أعضائه وتفصيلات وظائفه وسائر ما يعود إليه من المعاملات تعين بقانون خاص .

الفصل التاسع
فى الموظفين

١٠٨– يشترط فى اختيار عمال الحكومة الموظفين الجنسية السورية والكفاءة والاستحقاق .

١٠٩– تسن قوانين عامة تعين فيها وظائف الموظفين ودرجات صفوفهم وطرق تعيينهم وترقيتهم وحدود مسئوليتهم .

١١٠– كل موظف مسئول عن أعماله فى وظيفته بمقتضى القوانين والنظم الموضوعة .

١١١– لايجوز عزل موظف ولاتبديل غيره إلا بالأسباب المعينة فى القوانين والنظم .

١١٢– على الموظف إطاعة أوامر رئيسه فى مالايخالف القوانين والنظم المقررة .

الفصل العاشر
فى المحاكم

١١٣– المحاكم مستقلة ومصونة من كل تعد .

١١٤– تأليف المحاكم ودرجاتها ووظائفها وصلاحيتها تعين بقانون خاص يشمل جميع المقاطعات .

١١٥– انتخاب الحكام وتعيينهم وأوفهم ودرجاتهم وكيفية ترفيعهم وعقوبتهم تعين بقانون خاص يشمل جميع المقاطعات .

١١٦– الحاكم لايعزل ولايجازى إلا بحكم .

١١٧– المحاكمات تكون علنية ماعدا المحاكمات التى يجيز القانون جعلها سرية .

١١٨ – لكل أحد حق الدفاع عن نفسه فى المحاكم بالوسائل المشروعة .

١١٩ – الدعاوى بين الدوائر الرسمية والأشخاص ترى فى المحاكم العامة .

١٢٠ – لايجوز تأليف محاكم غير المحاكم القانونية ولا تأليف لجان يكون لها صلاحية القضاء غير لجان التحكيم التى ينص عليها القانون .

١٢١ – لاتجتمع الحاكمية ووظيفة رسمية أخرى فى شخص واحد .

الفصل الحادى عشر

فى المقاطعات

١٢٢ – المقاطعات تدار على طريقة اللامركزية فى إدارتها الداخلية ماعدا الأمور العامة التى تدخل فى خصائص الحكومة العامة كما هو مصرح فى مواد هذا القانون .

١٢٣ – لكل مقاطعة مجلس نيابى يدقق ميزانية المقاطعة ويسن قوانينها ونظمها المحلية وفقاً لحاجاتها ويراقب أعمال حكومتها وليس له أن يسن قانوناً يخالف نص هذا القانون الأساسى ولا القوانين العامة المعطى حق وضعها للمؤتمر .

١٢٤ – يشترط فى أساس تقسيم المقاطعات أن لاتقل مساحة كل مقاطعة منها عن خمسة وعشرين ألفا من الكيلومترات المربعة وأن لايقل عدد سكانها عن خمسمائة ألف وأن تراعى فيها الارتباطات الطبيعية والاقتصادية .

١٢٥ – انتخابات المجلس النيابى للمقاطعة تكون على درجة واحدة . وأوصاف الناخب الأول وأوصاف النائب المعينة فى المادة (٧٨) والمادة (٧٩) من هذا القانون تراعى أيضاً فى انتخاب نواب مجالس المقاطعات ماعدا سن النائب فى مجلس المقاطعة فإن الحد الأصغر لها يجب أن يكون خمساً وعشرين سنة .

١٢٦ – مدة أعضاء مجلس المقاطعة النيابى سنتان وتدوم نيابة النائب إلى أن تتم الانتخابات الجديدة ويجوز إعادة انتخابه .

١٢٧ ــ ينتخب نواب مجالس المقاطعات بنسبة نائب واحد عن كل عشرين ألفاً من نفوس المقاطعة والكسر المعتبر فيما دون النصاب عشرة آلاف .

١٢٨ ــ يعين عدد نواب الأقليات فى مجالى المقاطعات النيابية بنسبة مجموع نفوسهم فى المقاطعة وبأن يكون لكل خمسة عشر ألفاً نائب واحد والكسر المعتبر فى مادون النصاب سبعة آلاف وخمسمائة .

١٢٩ ــ المقاطعات تسن قوانين الانتخابية لمجالها النيابية .

١٣٠ ــ تبتدئ انتخابات مجالس المقاطعات النيابية فى أول شهر تموز من كل سنتين وتجتمع فى أول شهر أيلول من كل سنة وتدوم مدة اجتماعها شهرين ويجوز تمديد مدة الاجتماع إذا طلبه الحاكم أو سبعة من أعضاء المجلس ووافق على الطلب ثلثا الأعضاء الموجودين فى الجلسة .

١٣١ ــ القوانين التى تسنها مجالس المقاطعات ترفع بواسطة الحاكم العام إلى الملك للتصديق عليها والأمر بتنفيذها على أن يصدق عليها وتعاد إلى المقاطعات فى مدة شهر واحد .

١٣٢ ــ إذا أعيدت القوانين المرفوعة من قبل المقاطعات بدون تصديق من الملك بدعوى مخالفتها للقانون الأساسى أو القوانين العامة نظر مجلس نواب المقاطعة فيها مرة أخرى فإذا أصر على الشكل الأول ولم يصدق عليه فى المرة الثانية حكم مجلس الشيوخ وكان حكمه هو النافذ ويشترط فى المرة الثانية أن يكون التصديق عليه أو تحويله إلى مجلس الشيوخ فى مدة أسبوعين ، وأما قانون الميزانية فيشترط أن يكون التصديق عليه أو إعادته فى المرة الأولى فى مدة أسبوعين ويشترط التصديق عليه فى المرة الثانية أو تحويله إلى مجلس الشيوخ فى مدة أسبوع واحد .

١٣٣ ــ يسن مجلس المقاطعة النيابى قانون الداخلى وينتخب فى كل سنة رئيسه ونائبه وكاتبه وهيئة إدارته .

١٣٤– يدير المقاطعة حاكم عام يعينه الملك ويشترط فى الحاكم العام أن يكون سوريًّا عربيًّا متصفاً بالصفات المشروطة فى عضو مجلس الشيوخ .

١٣٥– الحاكم العام يعين مديرى دوائر المقاطعة الرئيسية خلا الدوائر المربوطة بالحكومة العامة كما هو منصوص فى المادة ... من هذا القانون، ويصدق على تعيين الموظفين المنوط به بحسب النظم المخصوصة وله حق الإشراف على الدوائر المربوطة بالحكومة العامة .

١٣٦– الحاكم العام مكلف بإدراة شئون المقاطعة وتطبيق ميزانيتها وتنفيذ القوانين فيها .

١٣٧– الحاكم العام يقدم فى كل سنة لمجلس نواب المقاطعة تقريراً عامًّا فى الأعمال التى قامت بها حكومة المقاطعة فى أثناء السنة وفى الأعمال المنوى القيام بها فى السنة القابلة ويقدم للحكومة العامة نسخة من هذا التقرير .

١٣٨– إذا حدث بين الحاكم العام ومجلس نواب المقاطعة يحكم مجلس الشيوخ فى هذا الخلاف ويكون حكمه قطعيًّا . ولمجلس الشيوخ أن يقترح إقالة الحاكم إذا رأى ذلك .

١٣٩– إذا وقع من الحاكم العام ما يستوجب محاكمته من جراء وظيفته فإنه يحاكم فى المحكمة العليا .

١٤٠– لكل من الحاكم العام ونواب المقاطعة حق فى اقتراح اللوائح القانونية لمجلس نواب المقاطعة .

١٤١– إذا طلب سبعة من نواب المقاطعة تأليف لجنة تحقيقية من النواب لتحقيق حادثة من الحوادث المهمة التى تقع فى إحدى دوائر الحكومة أو فى ناحية من نواحى المقاطعة وقبل الطلب بالأكثرية وتؤلف اللجنة وتباشر عملها وترفع نتيجة تحقيقاتها إلى المجلس وليس لها أن تتعرض للأمور التنفيذية .

١٤٢– إذا عزى إلى نائب من نواب مجلس المقاطعة خيانة وطنية ووافق ثلث أعضاء المجلس على وجوب محاكمته فإنه يحاكم فى المحكمة العليا .

١٤٣– من حقوق المقاطعات تنظيم جميع أنواع المحاكم بدرجاتها بحسب قانونها الخاص كما جاء فى المادة (١٢٠)

١٤٤ –تنقسم المقاطعة فى إدارتها إلى متصرفيات ومديريات ويسن المجلس العمومى قانوناً خاصاً يبين فيه تنظيم هذين القسمين وخصائصهما وما يتبعه من تنظيم القرى وعمدها ووظائفهم .

الفصل الثانى عشر

فى مواد شتى

١٤٥– يسن المجلس العمومى قانوناً يبين فيه كيفية إدارة العشائر وحل الاختلافات التى تحدث بينهم .

١٤٦– كل مقاطعة تسن قانوناً لتنظيم بلدياتها على أساس الانتخاب وتبين فيه خصائصها ووظائفها .

١٤٧– تظل القوانين الموجودة مرعية إلى أن تنقح أو تبدل .

(أوراق حسن الحكيم)



المصادر والمراجع

(ا) الوثائق المنشورة :

الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين (١٩١٥ – ١٩٤٦) الجامعة العربية إدارة فلسطين القاهرة ١٩٥٧ .

France : Haut Commissariat de la Republique Française en Syrie et Le Liban, En 1922. Paris, 1922.

Great Britain : Documents on British Foreign Policy, 1919 — 1939. First series, Vol. IV, 1919 (London 1952). (Edit) E.L. Woodward and R. Butler.

Hurewitz, J., : Diplomacy in the Near and Middle East, Vol. II. 1914—1956 New York, 1956.

Parliamentery Debates, House of Common, Fifth Series, Vols. 100 (1917) 114 (1918), 126 (1920), 127 (1920), 132 (1920), 145 (1921).

(ب) المراجع العربية :

أرسكين (ستوارت) : فيصل ملك العراق ، بليموث ١٩٣٣ ترجمة : عمر أبو النصر .

انطونيوس (جورج) : يقظة العرب ، تاريخ حركة العرب القومية ، ترجمة : ناصر الدين الأسد ، وإحسان عباس ، بيروت ١٩٦٦ .

مذكرات جمال باشا : تعريب على أحمد شكرى ، القاهرة ١٩٢٣ .

الحصرى (ساطع) : البلاد العربية والدولة العثمانية ، بيروت ١٩٦٥.

مذكراتى فى العراق ١٩٢١ – ١٩٤١ بيروت ١٩٦٧ .

يوم ميسلون (طبعة أخيرة) بيروت ١٩٦٤ .

الحكيم (يوسف) : سورية والعهد الفيصلى ، بيروت ١٩٦٦ .

داغر (أسعد) : مذكراتى على هامش القضية العربية ، القاهرة ١٩٥٩ .

دروزة (عزة) : حول الحركة العربية الحديثة ، ج ا صيدا ١٩٥٠ .

الرفاعي (أنور) : جهاد نصف قرن (مذكرات سعيد الجزائري) دمشق .
الريحاني (أمين) : ملوك العرب ، جزء ١ ، بيروت ١٩٢٤ .
رزوق (أسعد) : إسرائيل الكبرى (دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني) بيروت ١٩٦٨ .
سعيد (أمين) : الثورة العربية الكبرى ، جزء ٢ القاهرة .
الشهابي (مصطفى) : القومية العربية تاريخها وقوامها ومراميها القاهرة ١٩٥٩ .
صايغ (أنيس) : الهاشميون وقضية فلسطين ، بيروت ١٩٦٦ .
مذكرات عبد الله : نشر أمين أبو الشعر ، عمان ، طبعة أخيرة ١٩٦٥ .
العمري (الموصلي) : محمد طاهر ، تاريخ مقدرات العراق السياسية ، المجلد الثالث ، بغداد ١٩٢٥ .
الغصين (فائز) : مذكراتي عن الثورة العربية ، دمشق ١٩٥٦ .
الفتيح (أحمد) : تاريخ المجمع العلمي ، دمشق . ١٩٥٦ .
قدري (أحمد) : مذكراتي عن الثورة العربية ، دمشق ١٩٥٦ .
كرد علي (محمد) : المذكرات جزء ــ١ دمشق ١٩٤٨ .
لورنس (ت .أ) : أعمدة الحكمة السبعة (معرب) بيروت ١٩٦٣ .
مجموعة من المؤلفين : دراسات في الثورة العربية ، عمان طبعة أولى ١٩٦٧ .
مسعد (بولس) : لبنان وسورية قبل الانتداب وبعده ، القاهرة ١٩٢٩ .
موسى (سليمان) : الثورة العربية الكبرى ، وثائق وأسانيد ، عمان ١٩٦٦ .

(ج) المراجع الأجنبية :

Baker, R.S., : Woodrow Wilson and World Settlement, 3 Vols. New York 1922.

Bell, Lady (Edit) : The Letters of Gertrude Bell. Vol. II, Lodon 1930.

Cumming, H. : Franco-British Rivalry in the Post-War Near East. The decline of French influence, 1914 — 1923, London 1931.

David, Ph. : Un Gouvernement Arab à Damas, Le Congrès Syrien, Paris 1923.

Esco Foundation for Palestine, : Palestine — A study of Jewish, Arab and British Policies, Volume one, Yale University Press, 1947 — 1949.

Falls, Cyril, (edit), : History of the Great War : Military Operation Egypt and Palestine, Part I, Part II. London 1930 .

Garnett, D. (edit), : The letters of T.E. Lawence New York (1938 — 1639)

Cont E.R. De Gontaut — Biron, : Comment la France s'est instaleé en Syrie (1918 — 1919), Paris 192.2

Graves, R., : Lawerence and the Arabs. London 1928.

Himadeh, S., : Economic Organization of Syria, Beirut 1928.

Hocking, W.E., : The spirit of World Politics, New York 1932.

Hourani, A., : Syria and Lebanon, A political Essay. London 1946.

Howard, H., : The King — Crane Commission (An American Inquiry into the Middle East). Beirut 1963.

Ireland, Ph., : Iraq, A study in political development, London 1937

Jeffries, J., : Palestine; The reality, printed in Great Britain 1939.

Kedourie, E., : Engalnd and the Middle East : the Destruction of the Ottoman Empire (1914 — 1921), London 1956.

Kirk., : A Short History of the Middle East (from the rise of Islam to modern times, London 1948.

Kohn, H., Nationalism and Imperialism in the Hither East London 1932, Translates by Margaret M. Gerean, German edition 1931.

Lansing, R., : The big four and others of the peace conference, London 1922.

Longrigg, H. S., : Syria and Lebanon under French Mandate, Oxford 1958.

McGilvary, M., : The Dawn of a New Era in Syria, New York 1920.

Nashabi, H. : The Political Parties in Syria 1918 — 1939. (Unpublished thesis), Beirut 1952.

Robinson, E., : Lawrence the Rebel, London 1946.

Salibi, K., : The Modern History of Lebanon, London 1959.

Shotwell, J., : At the Paris Conference, New York 1937.

Stein, L., : Syria, London 1926.

Storrs, R., : Orientations, London 1937.

Toynbee, A., : Survey of International Affairs, 1925, Vol. I. The Islamic World Oxford 1927.

Wavell, A., : Allenby, Soldier and Statesman, London 1946.

Weizmann, Ch., Trial and Error, London 1950, 4th. Edtion.

Yale, W., : The Near East, A modern History, (University of Michigan Press), 1958.

Yong, H., : The Independent Arab, London 1933.

Zeine, N., : Arab — Turkish Relations and the Emergence of Arab Nationalism, Beirut 1958.
The Struggle for Arab Independence, Beirut 1960.

Ziadeh, N., : Syria and Lebanon, New York 1957.

(د) المقالات فى الدوريات الأجنبية :

Carleton, A., : Syria to day, *International Affaires*, Vol. 30, 1954.

Howard, H., : An American Experiment in Peace Making, the King Crane Commission, *Moslem World*, Vol. 32 April. 1942.

Ireland, Ph.,: (Edit.), *The Near East — Problems and Prospects* (University of Chicago Press, 1942).

a) An Essay by Count Carlo Sforza: The Near East in World Politics

b) An Essay by G.A.R. Gibb : The Future for Arab Unity.

Khadduri, M., : Constitutional Development in Syria, *Middle East Journal*, No. 5 (1951)

Nelson, W., : The New Syria, *Moslem World*, Vol. 190, 1920
Rasheeduddin Khan.:

a) The Arab Revolt, *Islamic Culture*, October 1961.
b) The Peace Settlement. Arab Diplomacy and Anglo — French Power Politics, 1919 — 1920.
Islam Culture, April 1968, July 1968.

Tibawi, A., : Syria from Peace conference to the fall of Damascus, *Islamic Quarterly*, December 1967.

Winder, R. B., : Syrian Deputis and Cabinet Ministers (1919 — 1959), Part, I, Part II, The *Middle East Journal*, *Autumn* 1962, Winter — Spring 1963.

Times : History of the War, Vol. 18, 19, 21. Printed and published by "*The Times*".

(هـ) الصحف والدوريات العربية :

الحياة (بيروت) ١٩٥٢ — ١٩٥٤ .

ملحق خاص عن الثورة العربية الكبرى ١٩٦٦ (الحياة) .

الدفاع (دمشق) . ١٩١٩ — ١٩٢٠ .

العاصمة (دمشق) . ١٩١٩ — ١٩٢٠ .

القبلة (مكة) ١٩٢٠ .

الكنانة (دمشق) ١٩٢٠ .

لسان الحال (بيروت) ١٩٢٠ .

المقتطف جزء ١ مجلد ٧٩ (١٩٣١) ، ، جزء ٣ مجلد ٨٣ (١٩٣٣)

المنار (القاهرة) مجلد ٢٠ (١٩١٩) ، مجلد ٢٢ (١٩٢١) مجلد ٢٣ (١٩٢٢) .

(و) وثائق غير منشورة :

أوراق عونى عبد الهادى الشخصية .

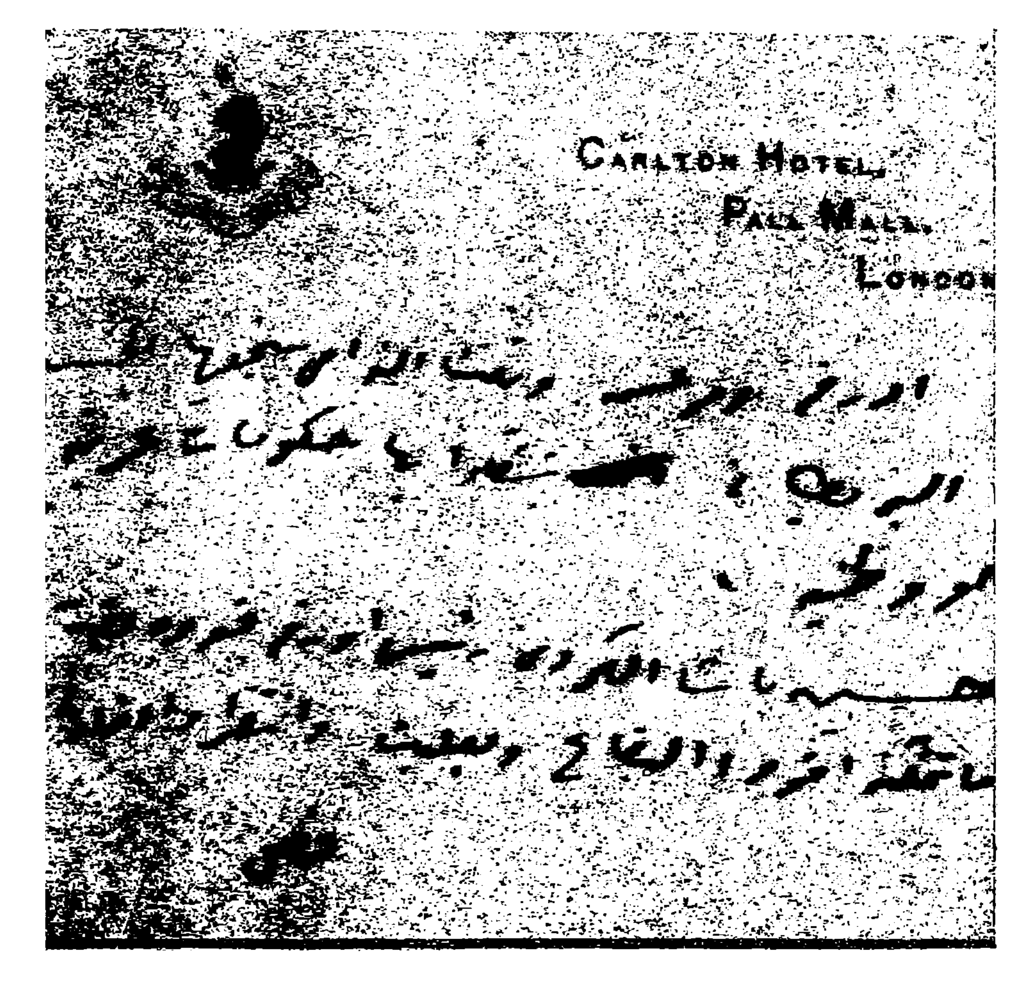
أوراق محب الدين الخطيب الشخصية .

مجموعة من الأوراق الشخصية والرسمية فى دار الوثائق التاريخية والمتحف الوطنى والمتحف الحربى فى دمشق .

بعض سجلات دوائر العدلية والنفوس والطابو فى دمشق .

(ز) مقابلات شخصية مع : عونى عبد الهادى ، محب الدين الخطيب ، إحسان الجابرى ، حسن الحكيم ، يوسف الحكيم ، أكرم رضا الركابى ، محمد الشريقى ، عبد الله عطفة ، جميل البرهانى ، عزة دروزه .

ملحق وثائق مصوّرة


CARLTON HOTEL
PALL MALL
LONDON

رسالة بخط فيصل كتبها وهو فى فندق كارلتون بلندن أثناء مفاوضاته هناك بعد قرار انسحاب القوات البريطانية (سبتمبر « أيلول » ١٩١٩) وفيها يعطى تعليماته إلى بعض المسئولين فى دمشق لدعم أعمال الوطنيين فى مناطق الحدود .

رسالة بعث بها فيصل إلى غورو فى ١٩٢٠/١/٢٧ بعد عودته إلى باريس للمرة الثانية يعبر فيها عن حسن نواياه لتطبيق اتفاقه مع كلمنصو ويتعهد بتسكين الاضطرابات .

منشور سياسي لجمعية العربية الفتاة بعنوان الصرخة الأولى يطالب بالاصلاح والاستقلال الإداري وعلية ختم للجمعية وتاريخه ١٩٠٩

الصرخة الأولى

الى أولياء الأمور في العاصمة

[illegible]

لة وجهها فيصل إلى أهالي بلاد الشام يدعوهم إلى الثورة بعد أن وجه بعثة برئاسة نسيب البكري والشريف ناصر.

الى كافة اهل الشمال حضريهم وبدويهم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته اما بعد فانه يتبين لكم من الفرمان الذي ضمن هذا الكتاب الصلاحية التي خولني اياها جلالة والدي المعظم في بلادكم وعليه ريثما آتي الى بلادكم بشخصي قد انبت عني الشريف ناصر بن علي والسيد نسيب البكري لتكونوا واياهما يداً واحدة على اعدائنا واعدائكم وتبذلون غاية الجهد في كل ما تستطيعون فعله مع عدوكم وتفادون بالنفس والنفيس والغالي والرخيص لتخلصوا بلادكم من ربقة الذل والهوان وتطردوا من دياركم عدواً طالما طغى في ارضكم وفسد في بلادكم وقتل وشنق اعاظم رجالكم وعن قريب ان شاء الله اكون عندكم واروح نفساً طالما شقيت لاجلكم وتألمت لالمكم وما ذلك على الله بعزيز في غرة شعبان

قائد الجيوش الشمالية

ابن ملك العرب



رسالة من قيادة الجيش الرابع التركي إلى نسيب البكري (دون تاريخ وعلى الأغلب في يوليو أو أغسطس ١٩١٨) لتوسطه في الصلح بين الترك وفيصل.

رسالة وجهها نسيب البكري بصفته وكيل فيصل إلى أهالي جبل الدروز
يحثهم على الثورة ومشاركة جيش الشمال في العمل.

قيادة
الجيوش العربية الشمالية
ديوان الأمير القائد

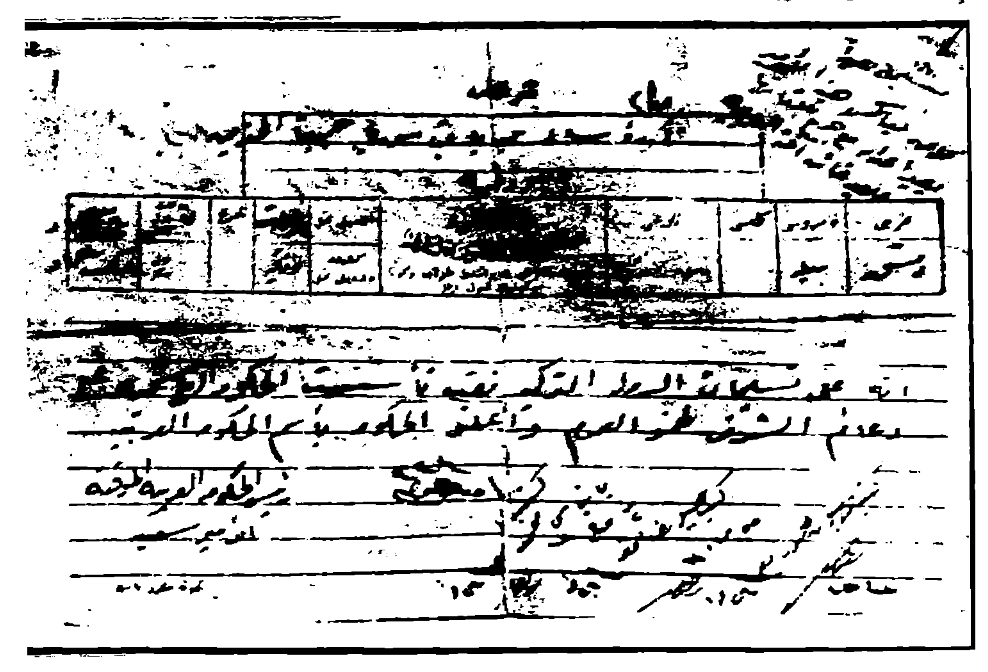
رقم ....
تاريخ ....١١.... رجب ١٣٣٦ ...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد تأسست الدولة العربية ولله الحمد والمنة وتم بجنابات عز شأنه
واستقلال الامر الذي ابتغيناه جميعا نحن معاشر العرب الكرام ننتظره بفارغ الصبر ونسترجع مجدنا الغابر وحقنا الضائع
الذي اضاعته منذ نيف وعشرين سنة دولة الترك [illegible] اصحاب الشمم والاباء من اولاد
يعرب وقحطان وزال عزها [illegible] عز الامة العربية النجيبة ما شاء الله ولا بد ان بلغكم دخول الجيش العربي المظفر
بالنصر الوطني مدينة [illegible] وتطهير البلاد السورية من [illegible] وما انا نخبركم من اهم [illegible] واحضاء [illegible] المحبوب ونشرف لكم
[illegible] معروف الكرام بالبشارة والغيرة على وطنهم ونحثكم على الدوام وان [illegible] السيف العربي بوجه اولئك
[illegible] واصابتكم [illegible] الضيم [illegible] من الضيم منذ سنوات عديدة [illegible] على آبائكم الضيم
[illegible] ومن يلوذ بكم من اولي الشهامة والنخوة المعروفة
[illegible] فلذلك أتيت [illegible] ولتسهيل دخول ذلك الجيش
للاشتراك [illegible] الوطني المقدس [illegible] ذلك البناء الذي [illegible] حرف [illegible]
العربي الرئيسي [illegible] من آباء هذه الديار من الي [illegible] اللهم مالك
الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير.
تعالى عز شأنه [illegible] من قبل [illegible] من الذين [illegible] وعد الله الحسنى
[illegible] والله [illegible]

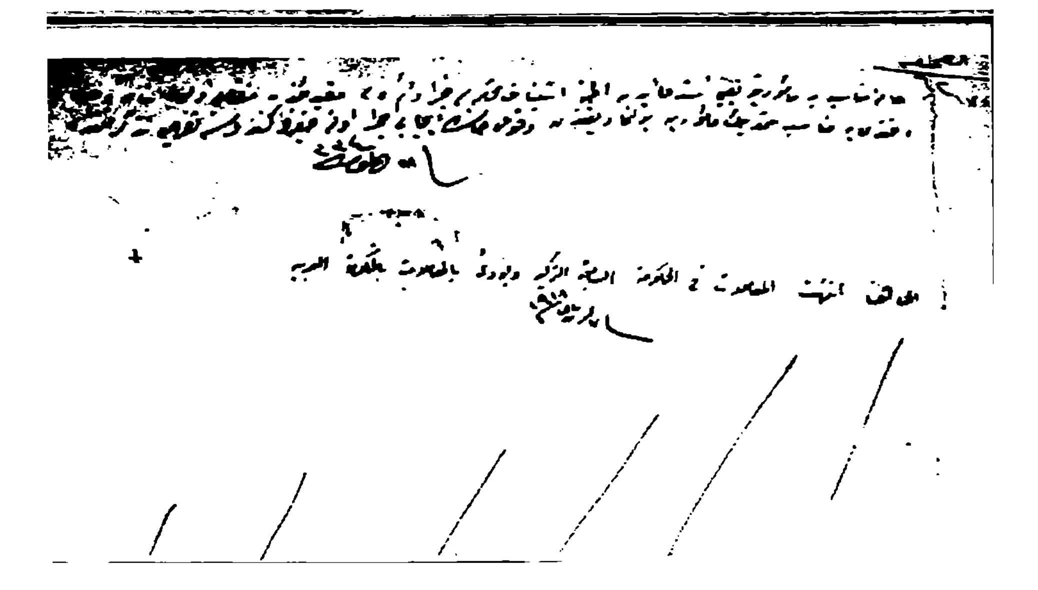
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
[illegible]

وكيل
قائد الجيوش العربية
[illegible]

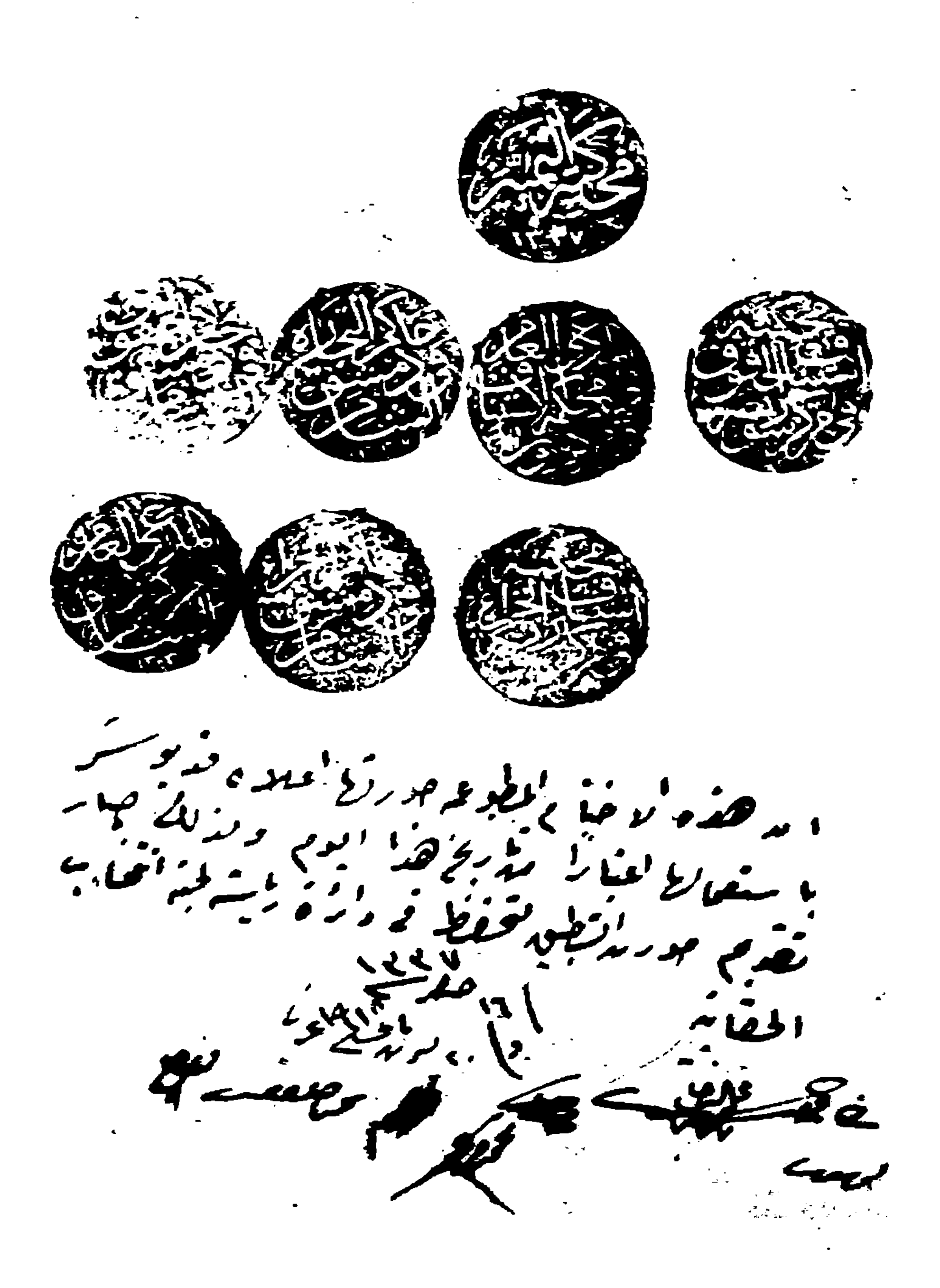
نسخة من البرقيات التي أرسلها سعيد الجزائري (رئيس الحكومة العربية في دمشق قبل دخول الجيوش العربية) إلى حكام ورؤساء بلديات سورية لإعلان الحكومة العربية.



من سجلات المحكمة الجزائية في دمشق تبين الانتقال من العهد العثماني إلى العهد العربي.



بعض نماذج الاختام التي كانت تستخدم في دوائر العدلية.



ان هذه الاختام المطبوعة هي رقم اعلاه قد بوشر
باستعمالها اعتبارا من تاريخ هذا اليوم وبذلك صار
تقديم صورة المطبوعة لتحفظ في دائرة رياسة لجنة انتخاب
الحقانية

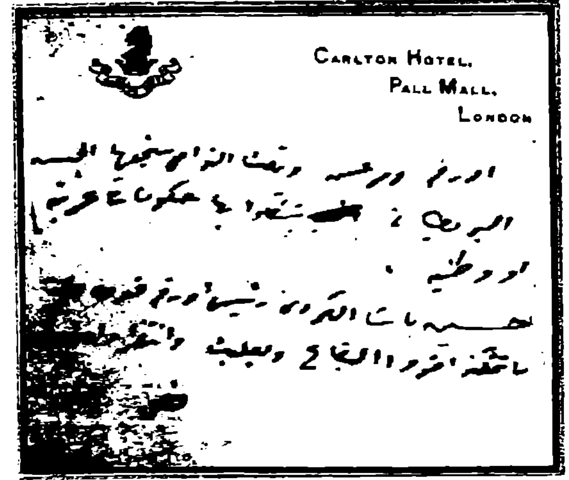
الجلسة الثانية

٢٢ / ١٢ / ١٩١٨

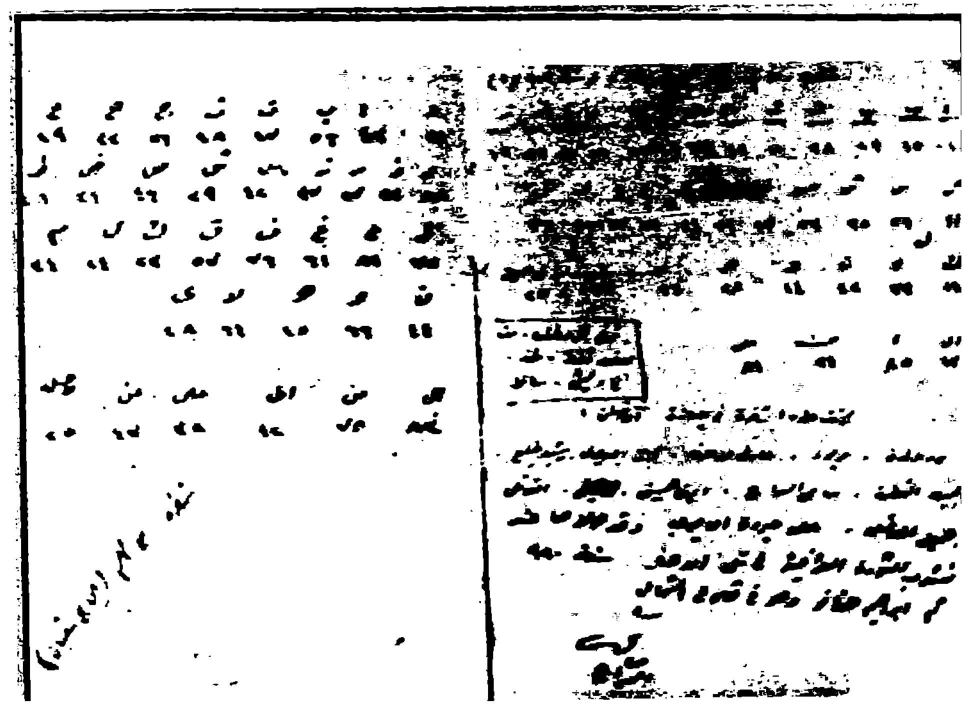
اجتمعت الهيئة المركزية جلستها الثانية في ٢٢ كانون الاول بحضور
حضرات: عمر رضا الركابي، سعيد الهاشمي، نسيب البكري، محمد علي التميمي، توفيق
ناطور، شكري القوتلي، سعيد الباني، احمد مريود، شبل النشاشيبي، رشيد الحسامي.
بعد قراءة وقائع الجلسة الماضية تقرر ما يأتي:

- ارسال مندوبين اثنين الى مصر لتأسيس فرع للجمعية فيها.
- الكتابة بالتأكيد الى الجنرال اللنبي بخصوص رسوم الجمارك. ....
- الكتابة الى الامير فيصل بالحضور الى دمشق في اول فرصة ودفع
مرسال الى مصر لتأسيس فرع للجمعية فيها وان تكون وظيفته الظاهرة
مندوباً تجارياً للحكومة العربية مصحوباً بالبرنامج السياسي، وصورة اليمين
واساس التصويت
- ذهاب الشبان الفلسطينيين الى بلادهم للقيام بمراقبة الوفد الذي
ارسل الى اوروبا وهم: سليم عبد الرحمن، ابراهيم ابو الهدى، صالح
بسيسو، حسام الدين ابو السعود، شاكر عطايا، نجيب الحكيم وان
يدفع لهم مصاريف سفرهم مائة وثمانون ليرة مصرية من صندوق الجمعية.
- تأسيس صحف ومكتبة في العاصمة وان يعين مديراً لها محمد الكردعلي.
- اقفال النادي الكاثوليكي من قبل مدير الشرطة.
- الكتابة الى الامير جميل الالوسي بوجوب تعقيب نزيه المؤيد الذاهب الى
بيروت والمعروف بميوله الافرنسية وتقديم تقرير بذلك الى المركز من قبل
بعض مستخبرات.

رسالة بخط فيصل كتبها وهو في فندق كارلتون بلندن أثناء مفاوضاته هناك بعد قرار انسحاب القوات البريطانية (أيلول ١٩١٩) وفيها يعطي تعليماته إلى بعض المسؤولين في دمشق لدعم أعمال الوطنيين في مناطق الحدود.


Carlton Hotel,
Pall Mall,
London

الشفرة الرمزية التي ظل أعضاء جمعية العربية الفتاة يستعملونها في عهد الحكومة العربية.



الاحتجاج الذي رفعته اللجنة الوطنية العليا إلى الركابي بسبب اعتقال السلطات البريطانية لياسين الهاشمي (٢٢/ ١١/ ١٩١٩). انظر ملحق (١) في

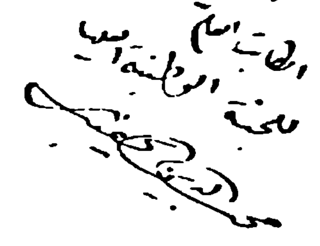
اللجنة الوطنية العليا

دمشق : في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٩

حضرة صاحب الدولة حاكم سوريا العسكري العام الأفخم

لقد رأت الأمة أن أخذ أحد رجالها ياسين باشا الهاشمي
وإرساله إلى حيفا بالمفاوضة وبعلم من رئيس الحكومة وعملاً فيه
للأصول أمر تندد بتكراره فضلاً عن مسه بكرامة الأمة.
لذلك عزمت على إقفال البلدة كلها ٢٤ ساعة والقيام بمظاهرة
ذات علاقة سكينة شاملة لا خطب فيها ولا أناشيد ولا
سلاح ولا أي كلام غير تلاوة الاحتجاج أمام دار الحكومة
وتقديم نسخة منه إلى معتمدي الدول. وقد أرسلت اللجنة الوطنية
العليا الإعلام بذلك والباقي يتفضل

الكاتب العام
للجنة الوطنية العليا





بلاغ بخط علي رضا الركابي الحاكم العسكري ورئيس مجلس المديرية إلى جريدة العاصمة حول تقدم القوات الفرنسية نحو المعلقة قرب زحلة رغم استمرار مفاوضات غورو ونوري السعيد (١/١٢/١٩١٩).

صورة نشرة موضوعة الوطن العثماني

يعلن عند دوام المذاكرات التي انتهت بها امير اللواء نوري باشا السعيد رغبة في حفظ الامن والسلام ان الفرنساويين دخلوا المعلقة حسب قرار السكرتير الاعظم وقد احتجت الحكومة لدى قائد [illegible] مباشرة لدى الدول وعشارات والتفصيلات

في ٢/١٢/٩١٩

الحاكم العسكري العام

علي رضا الركابي

حضرة مدير العاصمة المحترم

ارجو طبع هذه النشرة وسرعة ايصالها [illegible]

١/١٢/١٩

[illegible]

نداء موجه إلى أبناء سوريا باسم الحزب الوطني العربي يدعو إلى توحيد جهود العرب مع الترك في مكافحة الحلفاء بعد أن نكثوا بعهودهم (على الأغلب في نهاية ١٩١٩).

أبناء سورية

رقم ١٦٨

تاريخ دمشق في ٢٧/١/١٩٣

حضرة صاحب السعادة الجنرال غورو

لقد غادرت باريس بعد ان عقدت النية على تنفيذ الاتفاق الذي [illegible]
الصريح بشأنه بيني وبين رئيس الوزارة الافرنسية الجنرال [illegible]
اعربت لسعادتكم عن هذه النية اثناء اجتماعاتنا المختلفة في بيروت [illegible]
على مقابلة ما [illegible] ان يعترضني في ذلك السبيل من المشكلات التي [illegible]
انها من الصعوبة بمكان ما رأيته بعد الحادث ما بلغت دمشق وشرعت في [illegible]
المرسومة غير اني بمعونة الله وتوفيقه وعلى رغم ما اعتورني من العقبات [illegible]
الظروف السياسية الحالية تحت الاحتلال العسكري وانتشار الاشاعات [illegible]
الجماهير من الشعب تمكنت من تسكين الاضطراب في منطقة دمشق [illegible]
الى حلب غدا للقيام بمثل تلك المساعي المحمودة وارجو ان تسفر عن النجاح [illegible]
المنطقة الشرقية باسرها تحت ظلال السكينة والسلام الا انه يحوزنا [illegible]
نظر سعادتكم اليه واعتقد انكم تساعدوني على اتمامه [illegible] مصلحة
التي انعقدت اواصرها بيننا منذ تبادلنا الاجتماعات والاحاديث [illegible]
ذلك الامر الذي اعنيه هو ان تجيزوا سعادتكم للموظفين الافرنسيين [illegible]
[illegible] بعض ابناء البلاد من المشاغبات والاختلافات ان ذلك [illegible]
امر الى اطمئنان النفوس التي كانت ثائرة بعوامل مختلفة ولا بد من اتمام [illegible]
قبل [illegible] وردها الى حظيرة الالفة والاطمئنان واني لاعتقد ان هذا [illegible]
[illegible] يؤدي الى افضل ما نتوقع من النتائج الحسنة التي [illegible]
[illegible] الى حلب [illegible] الى سعادتكم [illegible]
[illegible]

رسالة فيصل إلى اللنبي في ١١/ ٢/ ١٩٢٠ تصوّر حرج موقفه بعد عودته إلى سوريا، وبخاصة بعد نشر برقية والده التي تستنكر أي عمل لا يتفق مع وحدة واستقلال البلاد العربية.

His Lordship

The Field-Marshal Allenby,

I ask your permission to submit before you my actual situation, hoping to have the same assistance from you now as I have been accustomed to have in the past.

I returned to Syria after being able, in accordance with British advice, to attain the preliminary views of the agreement arranged with the French Republic, on behalf of Syria, on which the the British insisted to me both by official letters and oral conversations.

On my return to Syria I found the country in a disturbed state and the people, their, talking of what had taken place between, my father and Great Britain, of the correspondence and agreements that were previously published by the European Press, in London and Paris,: such as the message submitted to H.M. King Hussein through Sir McMahon, dated October 24-1915, as well as the open note of General Maud declared, to the inhabitants of Mesopotamia, on 19 May 1917, and other official declarations touching their country and their fate as well. They ask me to explain and carry out the purport of all that; furthermore I have recently received a telegram from my father repudiating all my actions which in any way the integrity and independence of the Arab country.

What has rendered my position more serious is that this telegram was published in the daily newspapers and consequent the fact of my endangering my very own soul in the war my efforts in the Arab cause have been rendered ...

(انظر ملحق ٣ و٤ في الكتاب الأصلي)



رقم ....

تاريخ ....

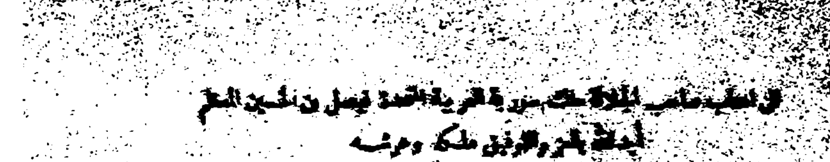
(2)

I now find myself open to public accusation and recrimination. As I act on behalf of H.M. my Father and all the Arabs in General I find myself obliged to know the real policy of Great Britain as concerns Palestine and Mesopotamia so that I can give hope to the inhabitants and to protect the honour of my family as well, who rose for an honourable cause endeavoring her situation, placing firm reliance on your loyal support. I thoroughly know that the fate of this country is left to the Peace Conference. But it is essential to know the opinion of Great Britain in these critical circumstances; especially before my proceeding to Europe and attending the Peace Conference, so that the country may not be left in darkness which may lead her to acts which I actually deprecate as endangering the general security. I was forced by the present circumstances to touch this subject so that I may be able to safeguard the interests of both sides.

I am ready to give any details of the case, which you may require, as soon as I receive your answer which I hope will arrive shortly.

Please accept my best regards and respects.

رسالة حسن الحكيم (مدير البرق والبريد) إلى فيصل تذكاراً لإعلانه استقلال سوريا ٨ آذار/ مارس ١٩٢٠ مع نموذج من الطابع البريدي التذكاري.



إلى أعتاب صاحب الجلالة ملك سورية العربية المتحدة فيصل بن الحسين المعظم

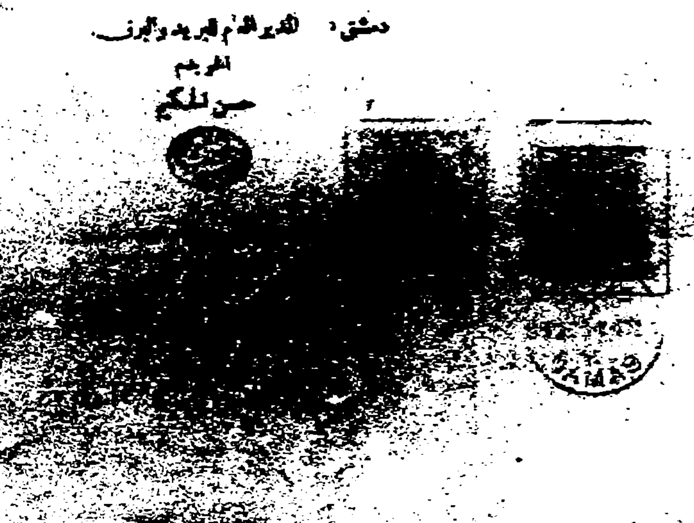
أيد الله بالعز والتوفيق ملكه وعرشه

تذكاراً لهذا اليوم التاريخي المجيد، يوم استقلال سورية العربية المتحدة في عهد جلالتكم، أتجاسر على تقديم النموذج من الطوابع البريدية ذات الحاشيات التي طبعت في دمشق عاصمة الملك وهي، [illegible] من سنة البيعة [illegible] وإنني إذ أكف الضراعة إلى المولى القدير أن يجعل حياة هذه الأمة مقرونة بالمجد الخالد والعز الدائم تحت ظل جلالتكم الظليل، مكرراً الدعاء بتأييد ملككم الزاهي الزاهر وعرشكم الحافظ بجميع أنواع العز السرمدي الباهر يا صاحب الجلالة المعظم.

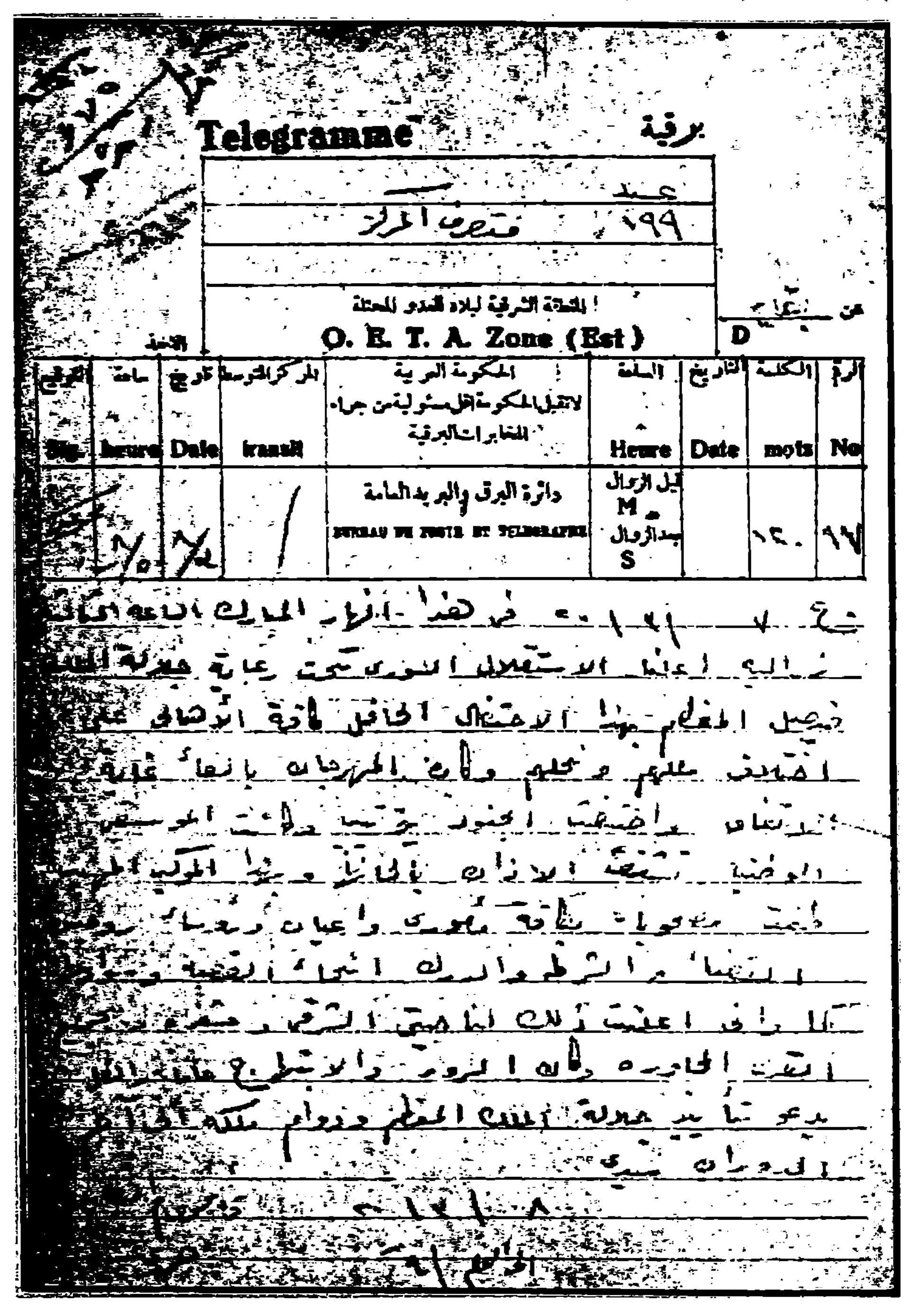
دمشق في   المدير العام للبريد والبرق.

المترجم

حسن الحكيم



مثال عن البرقيات التي كانت تنهال على جريدة العاصمة بمناسبة الاحتفال بعيد الاستقلال (٨/ ٣/ ١٩٢٠).



برقية Telegramme

عدد

١٩٩

المنطقة الشرقية لبلاد العدو المحتلة

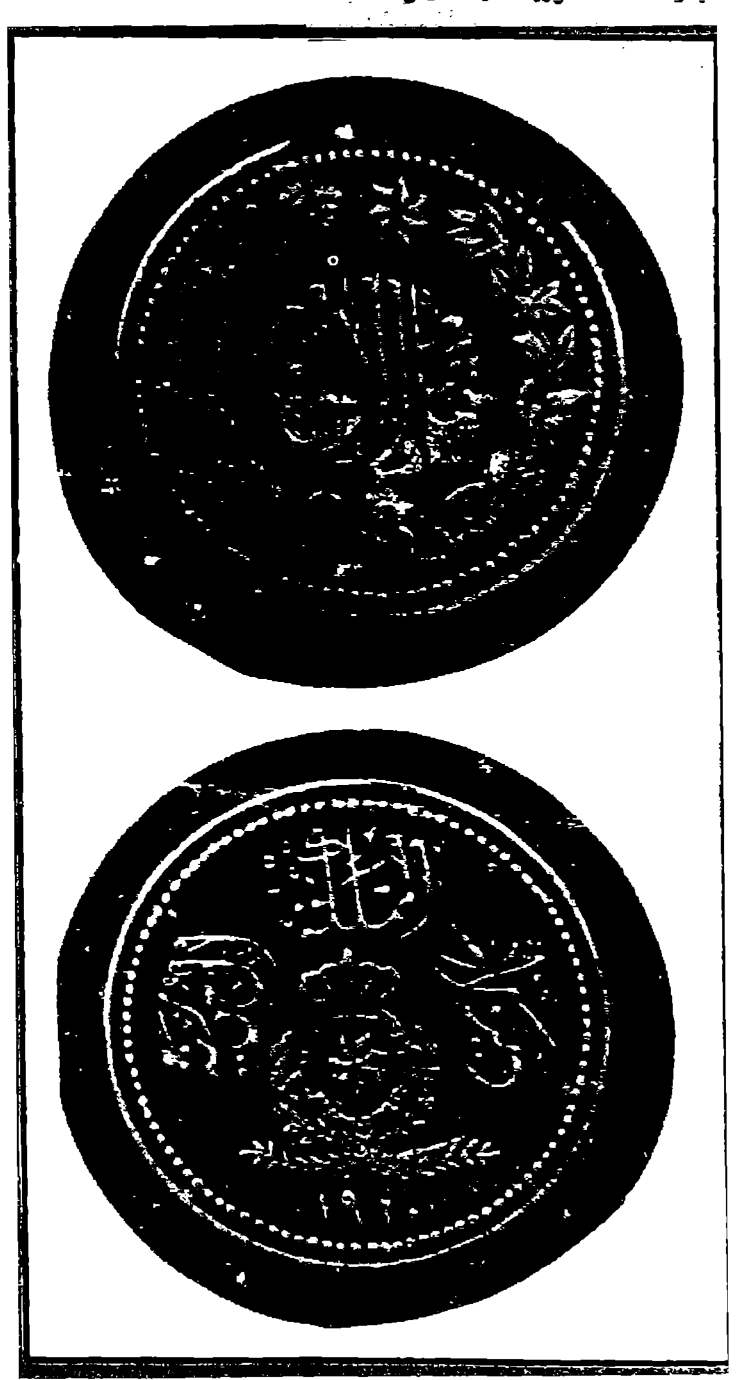
O. E. T. A. Zone (Est)

عن

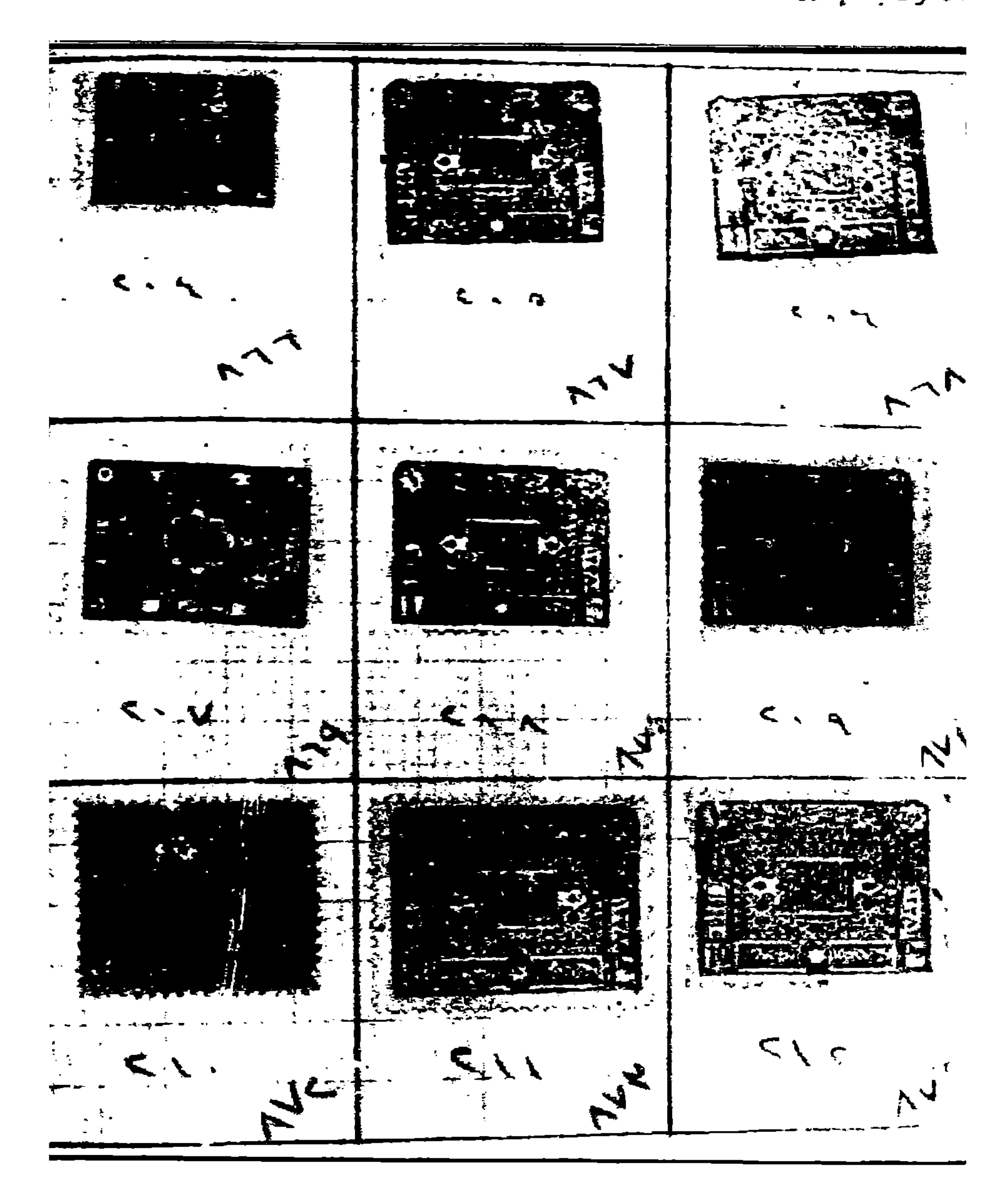
D

التوقيع Sig.	ساعة heure	تاريخ Date	المركز المتوسط transit	الحكومة العربية لاتقبل الحكومة اقل مسئولية من جراء المخابرات البرقية	الساعة Heure	التاريخ Date	الكلمة mots	الرقم No
				دائرة البرق والبريد العامة BUREAU DE POSTE ET TELEGRAPHE	قبل الزوال M بعد الزوال S		١٢٠	٩٧

دينار المملكة السورية آذار/ مارس ١٩٢٠.



مجموعة من الطوابع التي كانت تستخدم في هذا العهد بعضها عثمانية موسومة بخاتم الحكومة العربية، وبعضها خاص بالحكومة العربية وقد أصدرت بعد إعلان الاستقلال.





رئاسة [illegible]

رقم

Damas, [illegible]

تعيين

ينتشر خبر ورد مؤخراً من [illegible] أن السير هربرت صموئيل [illegible] كحاكم كبير لفلسطين

ان هذا الخبر أثر تأثيراً سيئاً جداً في الأوساط العربية فإن هربرت صموئيل [illegible]

[illegible] صهيوني غاية [illegible] حكومة يهودية عن انتقاد قسم كبير من سوريا [illegible]

فلسطين فإن كان خبر هذا التعيين صحيحاً فإن [illegible] السكان العرب [illegible]

[illegible] أن يعتبروه [illegible] جداً

[illegible] صحة الخبر فإن كان صحيحاً [illegible] أن ترجوا من [illegible]

[illegible] ترجع عن قرارها هذا الذي يمس مصالح [illegible]

[illegible] بريطانيا [illegible]

وعواطف العرب

وقد ورد خبر آخر زاد [illegible] والرأي العام [illegible] انتقاد [illegible]

[illegible] والمسيحيين واليهود [illegible] حادث ٤ نيسان المؤسف في القدس

[illegible] من هذا الخبر أن المسلمين والمسيحيين حكموا [illegible]

[illegible] من التي حكم بها على اليهود

وقد أخبرت من جهة أخرى أن السلطة الانكليزية في فلسطين [illegible]

أن [illegible] ضد المسلمين بينما [illegible]

[illegible] غرامة كبيرة وسجن مدة طويلة

[illegible] ان [illegible]

[illegible]

الة بعث بها فيصل إلى لويد جورج وميلران عن طريق اللنبي (على
قلب في نهاية مارس/ آذار ١٩٢٠) رداً على دعوة وجهت إليه للسفر
أوروبا يشترط فيها التعهد بالاعتراف بوحدة واستقلال سوريا بما فيها
طين.

انصر ملحق ٦ و٧ في الكتاب الأصلي

من طرف المؤتمر الحلفاء فاني اتمكن من التوجه
من حل انتداركات في التخصيصات وما يجب
المداولة في الشروط الغير المتعلقة بمناسبات
الدولتين الفرنسوية والبريطانية في سوريا
والعراق خصوصا وباقي الحاصلات عموما
ودعا اني انتظر الجواب بعد [illegible] لك انوه
عالي بصيرة .

حضرة الجنرال غورو (اللنبي)

ارجو انفاذ برقية هذه الى رئيس الوزارة
البرقية لرئيس حكومة
الفرنسوية موسيو ميلران وانتظر الجواب
عليها بسرعة لاني في ضيق وتقبلوا احتراماتي

مسودة رسالة فيصل إلى اللنبي (١٨ مايو/ أيار ١٩٢٠) يحتج على الأحكام التي صدرت ضد العرب في فلسطين بعد اضطرابات ابريل/ نيسان ١٩٢٠ وعلى تعيين هربرت صموئيل مندوباً سامياً في فلسطين. (انظر ملحق ١٠ في الكتاب الأصلي).

~~الى رئيس الوزارة البريطانية~~

الى رئيس الوزارة البريطانية العظمى [illegible]

~~[illegible] مسيو ميلران~~

وصلتني برقية من [illegible] نصها [illegible] بريطانيا العظمى

لويد جورج [illegible] لا تستطيع امام المؤتمر الاعتراف في المسألة

السورية تعلمون فخامتكم ان قصد السوريين [illegible]

بيد [illegible] واستقلالهم وهم لن يرضون قط بفصل فلسطين

عنها او اتخاذها خاصة وطن قومي لليهود [illegible]

لذلك قبل اجابة الدعوى [illegible] والترجي [illegible]

اني لا اعلم ما هو الاساس الذي سيتخذ لحل المسألة

السورية خاصة والعربية عامة فلهذا [illegible]

بعد [illegible] ايضاً [illegible]

فعندها اكون في موقف حرج جداً امام الامم العربية

وامام المجلس [illegible] فلهذا اطلب ان تخبروني

[illegible] شيئاً [illegible] عن القرار الذي سيتخذ وتطمئنوني

اولئك عن استقلال البلاد [illegible] فاذا كان

يعترف بذلك فاني لا ارى بأساً من التوجه

[illegible] فاطلب ان فخامتكم

تعذروني بالنسبة لحراجة الموقف الذي اكون

امامه واؤكد لكم بأن اذا قبل هذا المبدأ

مسودة اقتراح بخط فيصل (دون تاريخ) وعلى الأغلب مايو/ أيار ١٩٢٠) يقترح فيه على الحكومة البريطانية تأسيس حكومة عربية في فلسطين ترتبط بسورية على أساس اللامركزية مع تقييد الهجرة وبيع الأراضي على أن تمنح الحكومة البريطانية الأولوية في المشاريع الاقتصادية.

ديوان الأمير

مسودة

الناسخ	المنشئ	المرسل إليه	نوع الصادر	التاريخ

١ - تقبل الحكومة البريطانية تأسيس حكومة عربية [illegible] في فلسطين.

٢ - تقبل الحكومة البريطانية [illegible] وحدة البلاد السورية والفلسطينية على أن تكون هذه الأخيرة تابعة لسورية على أساس أحكام اللامركزية الواسعة..

٣ - تقبل الحكومة البريطانية تقييد المهاجرة الصهيونية بصورة تتفق مع [illegible] البلاد وتحفظ كيان القومية.

٤ - عدم [illegible] اليهود بشراء الأراضي العربية.

٥ - تتعهد حكومة الملك والحكومة السورية [illegible] بأن يعطى الحكومة البريطانية الأولوية في جميع المشاريع الاقتصادية [illegible] إذا لم يوجد بين الوطنيين من يريد القيام بالمشاريع المذكورة.

٦ - تتعهد حكومة الملك والحكومة السورية [illegible] امتيازاً للحكومة البريطانية في إنشاء [illegible]

٧ - تتعهد حكومة الملك والحكومة السورية [illegible] المعلمين [illegible] فلسطين البريطانية.

٨ - [illegible] لليهود حقوق [illegible] الوطنيين

[illegible] in the [illegible] as [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] with the representatives [illegible] [illegible] [illegible] to be found in this document [illegible]

[illegible] in need of calming the people who are in a most [illegible] state of mind and spirit I hope I can get from Great Britain [illegible] [illegible] declarations which I can also [illegible] keeping in the hearts of the Arabs the confidence which they have in their great Ally, and prove to them that any agreement between the British and the Zionists is in no way to be considered of more value than the agreement with King Hussein or the President of the French Republic.

As regards the question of my acquiescence to the creation of the [illegible] national home to the Jews at Palestine I believe there is some misunderstanding. All what I have admitted is to safeguard the rights of the Jews in that country as much as the rights of the indigenous Arab inhabitants are safeguarded and to allow them the same rights and privileges.

The Arabs of Palestine, both Christians and Moslems, have [illegible] availed themselves of every opportunity to protest against any agreement or pledge that would make their motherland a national home of the Jews.

I am ready to proceed to Europe to state the case of my country if only I receive a positive declaration to my agitated people stating that the Conference does not in any way allow to separate Palestine from Syria. By such means I believe we can come to a solution which would safeguard the interest of all who are concerned. In the mean time I am urgently in need of an early answer.

I again wish to assure to Your Lordship my highest consideration and esteem.

To H.E. Field-Marshal ALLENBY.

رسالة فيصل إلى اللنبي (١٥ مايو/ آيار ١٩٢٠) رداً على برقية الحكومة البريطانية حول قرار سان ريمو ويوضح موقفه الحقيقي في إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. (انظر ملحق ٨ و٩ في الكتاب الأصلي)

وزارة الخارجية
الرقم

Damascus, May 15th 1920

YOUR LORDSHIP .

It is with great appreciation that I put on record the recogni-tion of the Conference of San Remo that Syria and Mesopotamia are both independant states. The decision of the Conference has been, as all the Arabs believe, arrived in accord with the desires of the independant syrian Nation, and in the spirit of justice and humanity. So also with great pleasure that I put on record the preparedness of our great Ally, Great Britain, to recognise me as the head of the independant Syrian State.

As regards the mandate which Your Lordship mentioned I feel I have no right to discuss it, the people beeing aware of the danger that it may entail upon their future safety and independence, have bitterly protested against it and refused to accept it. Yet that does not mean we are self-content and are not ready to get the necessary help we are in need of by making agreements (contracts) with our Allies, in which our national Sovereignty is absolutely safeguarded. In former letters, both, I and my Government have stated that we do not refuse such help.

As regards the future of Palestine I have not noticed in Your Lordship's letter enough clearness to suggest the recognition that this country is an inseparable part of Syria, though Palestine geographically, traditionally, economically and from the point of view of language and national desires can in no way be separate from Syria. Moreover, there is to be found amongst the correspondences between H.M. King Hussein and Sir Henry MacMahon a letter in the name of G.Britain dated 25 Dec. 1915 which recognises Palestine to be within the Arab Empire, whose limits as therein defined are accepted by the B.G. Furthermore these letters, as the notes of the meeting at 10 Downing-Street are considered to be of equal value as the engagement with the President of the French Republic. Even the Sykes-Picot agreement on considering the question of Palestine has clearly stated in the third

مسودة احتجاج بعث به فيصل إلى غورو على أعمال الفرنسيين في تسليح العصابات في مناطق الحدود وإثارة التعصب الطائفي (على الأغلب أواخر إيار/ مايو ١٩٢٠).

مسودة احتجاج بعث به فيصل إلى غورو (على الأغلب أواخر مايو / أيار ١٩٢٠) حول ما أشيع في صحف مصر عن نية الحكومة الفرنسية إرسال قوات عسكرية لاحتلال دمشق وحلب وغيرهما ويرجو تكذيب الأخبار

[illegible]

مسودة

إلى المسيو غورو

شاع في صحف مصر [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الحكومة الفرنسية [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] بأن الحكومة الفرنسية

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

مسودة تعليمات مرافق وزير الحربية في الحكومة العربية إلى قائد اللواء الأول (٢١ تموز/ يوليو ١٩٢٠) للتوقف في منطقة وادي القرن واتخاذ موقف الدفاع. (انظر ملحق ١٢ في الكتاب الأصلي).

مسودة البرقية التي بعث بها فيصل إلى ممثلي الدول بعد وصول إنذار غورو ١٤ يوليو/ تموز ١٩٢٠ يطلب توسط الدول وعصبة الأمم وعدالة البشر.

(انظر الكتاب الأصلي وثيقة رقم ١١)

ديوان الأمير

مسودة

الرقم	التاريخ	نوع الصادر	المرسل اليه	المنشئ	الناسخ

خريطة توضيحية لتوزع القوى الفرنسية والعربية في معركة ميسلون.



الحكومة العربية في دمشق

يتناول هذا الكتاب دراسة فترة قصيرة من تاريخ سورية الحديث، يبدأ بتحرير دمشق من الحكم العثماني في ٣٠ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩١٨، وينتهي بالاحتلال الفرنسي للمدينة نفسها في ٢٤ يوليو (تموز) سنة ١٩٢٠، حيث أقيمت حكومة عربية عدّت رمزاً متجسداً لليقظة القومية الحديثة، وتحقيقاً لمبدأي الوحدة والاستقلال اللذين رفعتها الثورة العربية، بل مقدمة لتحرير البلاد العربية كلها.

وفي هذه الدراسة محاولة لتغطية مظهر شامل للحياة السورية خلال هذا العهد بجوانبها الداخلية، من نشاط سياسي وتنظيمات إدارية ومنجزات ثقافية واقتصادية، وعلاقاتها الخارجية سواء بالمناطق المجاورة أو بالسياسة الدولية التي كانت تجري دقائقها بعيداً عن المسرح العربي في الجلسات السرية والعلنية لمؤتمر السلم، والتي قررت مصير أجزاء كثيرة من العالم العربي خلال السنوات المقبلة.

وبرغم أن مصير هذه الحكومة كان شبه محتم نظراً للظروف الخارجية الصعبة التي كانت تواجهها، وبرغم نقص الإمكانيات والخبرة وقصر المدة التي عاشتها، فقد جاهد القائمون على الحكم لإثبات جدارتهم بإنشاء حكومة عربية مستقلة، لها صفة الدولة الحديثة، بعد قرون طويلة من الحكم العثماني.

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر
بناية برج الكارلتون ـ ساقية الجنزير ـ ت ٨٠٧٩٠٠/١
برقيا موكيالي بيروت ـ ص.ب: ١١/٥٤٦٠ بيروت